مجموعة مؤلفين

نحو معجم تاريخي للّغة العربية



المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

نحو معجم تاريخي للّغة العربية

نحو معجم تاريخي للّغة العربية

بسام محمود بركة
حامد السحلي
حسن حمزة
رشيد بلحبيب
عبد الحق لخواجة
عبد الرزاق بنور
عبد العزيز بن حميد الحميد
عبد العلي الودغيري
عبد المجيد بن حمادو
عبد المحسن بن عبيد الثبيتي
عز الدين البوشيخي
عز الدين مزروعي
عودة خليل أبو عودة
محمد رقاس
محمد العبيدي
محمد ولد عبد الله ولد بباه
المعتز بالله السعيد طه

تقديم
عزمي بشارة

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة أثناء النشر إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

نحو معجم تاريخي للغة العربية / بسام بركة ... [وآخ.]؛ تقديم عزمي بشارة.

439 ص. : إيض. ؛ 24 سم.

يشتمل على إرجاعات بيليوغرافية وفهرس عام.

ISBN 978-9953-0-2984-9

1. المعاجم – تأليف. 2. اللغة العربية – تاريخ ونقد – معاجم. أ. بركة، بسام. ب. بشارة، عزمي.

403

العنوان بالإنكليزية

Toward the Establishment of a Historical Dictionary of the Arabic Language

by Multiple Authors

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن
اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

شارع رقم: 826 منطقة 66
المنطقة الدبلوماسية الدفنة، ص. ب: 10277 الدوحة قطر
هاتف: 44199777 00974 فاكس: 44831651 00974
جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 8 991837 1 00961 فاكس: 1991839 00961
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

الطبعة الأولى

بيروت، نيسان/ أبريل 2014

المحتويات

المساهمون بأوراق بحثية

بسام محمود بركة

يحمل شهادة دكتوراه دولة في علوم اللغة. يدرّس اللسانيات الفرنسية وعلم اللغة المقارن في الجامعة اللبنانية منذ عام 1976. مُنسِّق لجنة المؤتمرات والعلاقات العامة في المعهد العالي للدكتوراه - الجامعة اللبنانية. أستاذ زائر في جامعات عربية وأوروبية عدة. يشغل أمين عام اتحاد المترجمين العرب منذ تأسيسه في عام 2002. له مؤلفات عدة، منها: قاموس اللسانيات، فرنسي - عربي؛ وقاموس المصطلحات اللغوية والأدبية (بالاشتراك)؛ وقاموس لاروس فرنسي - عربي؛ وعلم الأصوات العام؛ ومغامرات اللغة العربية في الغرب (بالاشتراك، بالفرنسية).

حامد السحلي

درس هندسة الميكانيك في جامعة دمشق وتوقف في نهاية السنة الأكاديمية الرابعة في عام 1995 لينتقل إلى دراسة الحاسوب واللغة العربية على بعض مشايخ دمشق. عمل خبير هاردوير وشبكات بين عامي 1998 و2010 وفي برمجة الويب. بدأ العمل على مشروع الترميز المعنوي للغة العربية منذ عام 2005. انتقل في عام 2010 إلى ماليزيا لمتابعة دراسته للحصول على ماجستير في اختصاصه «حوسبة اللغة».

حسن حمزة

أستاذ في جامعة ليون2 - فرنسا ومدير مكتب المعجمية والمصطلحية والقاموسية والترجمة العربية. أسس مركز البحث «أليزا»، وأدار قسم اللغة

العربية ولجنة الدكتوراه. نائب رئيس المجلس العلمي لمعجم الدوحة التاريخي للغة العربية، وعضو المجلس العلمي لموســوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين. أشرف على ثلاثين رسالة دكتوراه. حائز على جائزة ابن خلدون/ ســنغور في الترجمة. له أكثر من ســبعين كتابًا وبحثًا بالعربية والفرنسية، منها: المجمل فــي العربية النظاميــة (2007)، وحرب اللغات والسياســات اللغوية (2009)، والمثال والشــاهد في كتب النحويين والمعجميين العرب (2010)، والوحدة والتنوع في النظرية النحوية العربية (2012).

رشيد بلحبيب

أستاذ الدراســات اللغوية في جامعة قطر، وعضو المجلس العلمي ونائب المديــر التنفيذي لمعجم الدوحــة التاريخي للغة العربيــة، مُحكّم معتمد لدى مجموعة من الجامعات العربية ومراكز الأبحــاث والمجلات العلمية، له عدد من الكتب والدراسات العلمية المنشورة.

عبد الحق لخواجة

باحث متخصص بالإعلاميات، يحمل دكتوراه دولة في الحوسبة المتوازية من جامعة محمد الأول (المغرب). يعمل أستاذ التعليم العالي في جامعة محمد الأول. عضــو في فريق المعالجــة الآلية للغة العربية بمختبــر البحث في علوم الحاســوب، وعضو بوحدة الدراســات اللغوية في مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية والاجتماعية في وجدة (المغرب)، وعضو في مجموعة من المشاريع الدولية، ومنسق مســلك الرياضيات والإعلاميات. له أبحاث عدة في مجلات متخصصة ومحكّمة في الحوسبة المتوازية والمعالجة الآلية للغة العربية.

عبد الرزاق بنور

يحمل دكتوراه دولة في اللســانيات. يعمل أســتاذ تعليم عالٍ في الجامعة التونسية، ومترجمًا من الألمانية والفرنسية والإنكليزية والإيطالية. نظّم ملتقيات وندوات وطنية ودولية عدة في شــأن الأدب واللسانيات، وساهم بصفة مباشرة

في فاعليات ندوات علمية وثقافية في تونس وخارجها. له أعمال عدة في اللسانيات، منها: المعجمية وعلم الدلالة والمنطق.

عبد العزيز بن حميد الحميد

يحمل شهادة الدكتوراه، وكان عنوان أطروحته: «أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي: دراسة وتقويم». يعمل أستاذًا مشاركًا في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام - الرياض. وهو أحد الفائزين بجائزة ابن بطوطة لأدب الرحلة 2008/ 2009م عن دراسته «ابن بطوطة وجهوده اللغوية الجغرافية... ألفاظ الأطعمة والأشربة أنموذجًا»، وهي جائزة يمنحها «المركز العربي للأدب الجغرافي» ومقره أبو ظبي. له عدد من البحوث العلمية.

عبد العلي الودغيري

أستاذ العلوم المعجمية في جامعة محمد الخامس - الرباط. عضو الهيئة الاستشارية لمجلة الدراسات اللغوية - الرياض، ومدير مؤسس لمجلة حوليات الجامعة الإسلامية في النيجر. له دراسات عدة، منها: الفرنكفونية والسياسة واللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب؛ واللغة والدين والهوية؛ وقضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي؛ ودراسات معجمية: نحو قاموس عربي تاريخي وقضايا أخرى؛ والمعجم في المغرب العربي إلى نهاية القرن الرابع الهجري؛ واللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الإفريقي وملامح من التأثير المغربي.

عبد المجيد بن حمادو

يحمل شهادة دكتوراه دولة من جامعة تونس. يعمل أستاذ علوم الحاسب في المعهد العالي للإعلامية والملتميديا في جامعة صفاقس (تونس)، مديرًا مؤسسًا للمعهد العالي للإعلامية والملتميديا في جامعة صفاقس، وأستاذًا زائرًا في جامعة السوربون وفي جامعة ليون، وعضو بمجموعة ISO-DCD لتقييس الموارد اللغوية في منظمة «إيزو». نال الصنف الرابع من الوسام الوطني

للاستحقاق في التربية والعلوم (2002) وجائزة الكندي لأفضل باحث في مجال المعلوماتية (2009). له عشرات الأبحاث عن معالجة اللغات الطبيعية (العربية).

عبد المحسن بن عبيد الثبيتي

أستاذ البحث المساعد في معهد بحوث الحاسب وفي المركز الوطني للروبوت والأنظمة الذكية في مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية. الباحث الرئيس لمشروع المدوّنة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية. مهتم بالمصادر اللغوية العربية وحوسبة اللغة واستخلاص المعلومات والتنقيب في النصوص وتتبع تطور المعرفة في المجالات المتخصصة. تشمل اهتماماته وخبراته خارج المجال الأكاديمي مجالات إدارة المشاريع والتخطيط الاستراتيجي وبطاقات الأداء المتوازن.

عز الدين البوشيخي

أستاذ التعليم العالي، حائز على دكتوراه الدولة في اللسانيات العربية. عمل نائبًا للعميد في البحث العلمي والتعاون في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمكناس - المغرب، مدير مركز الدكتوراه ومدير المركز الجامعي لتعليم اللغة العربية وحضارتها، ومدير مختبر الدراسات اللسانية والتطبيقات الحاسوبية. عمل أستاذًا زائرًا ومحاضرًا في جامعة قطر. عُين مديرًا تنفيذيًا لمشروع معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، وعضوًا في مجلسه العلمي. له عدد من الدراسات والأبحاث في مجالات اللسانيات والتواصل والمعجم والمصطلح.

عز الدين مزروعي

يحمل شهادة الدكتوراه في الاحتمالات والإحصاء. يعمل أستاذ التعليم العالي في جامعة محمد الأول وجدة - المغرب، مدير فريق المعالجة الآلية للغة العربية في مختبر البحث في علوم الحاسوب، ومسؤول عن التعاون العلمي في مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية والاجتماعية في وجدة، وعضو في

هيئات التحكيـــم لمجموعة من المجـــلات العلمية المتخصصـــة، وعضو في مجموعة من المشاريع الدولية (مشاريع مغاربية ومغربية - أوروبية). نُشرت له أبحاث في مجلات متخصصة ومحكّمة.

عودة خليل أبو عودة

يحمل شهادة الدكتوراه في النحو وعلم اللغة من الجامعة الأردنية. يعمل أستاذ الدراســـات اللغوية في جامعة العلوم الإسلامية العالمية - الأردن. عضو مجمع اللغـــة العربية الأردني ومجمع اللغة العربية في القاهرة. له ثمانية عشـــر بحثًا متخصصًا بالدراســـات اللغوية في المجلات الجامعية المحكمة. وشارك في تأليف ما يزيد على ثلاثين كتابًا مدرسيًا، ودليلًا للمعلمين وشارك في وضع مناهج اللغة العربية في الأردن.

محمد رقاس

مسجل في ســـلك الدكتوراه، تطوير المعجم التفاعلي للغة العربية، يحمل شهادة ماجســـتير متخصص بهندســـة المعلوميات. له عدد من الأبحاث، منها: «الهيكل الحاســـوبي للمعجم التاريخي للغة العربية، التقنيات الحاســـوبية في خدمة المعجم التاريخي للغة العربية»؛ و«التصميم الحاسوبي للجذاذة والمدوّنة والمرصد، ندوة خبـــراء المعجم التاريخي للغة العربية»؛ «البرامج الحاســـوبية المستخدمة في بناء المدوّنات المعجمية وتدبيرها: دراسة تقويمية، ندوة خبراء المعجم التاريخي للغة العربية».

محمد العبيدي

أســـتاذ متخصص باللغويات، يعمل في جامعة قطر منذ عام 2007، نائب المدير التنفيذي وعضو المجلس العلمي لمعجم الدوحة التاريخي للغة العربية، وعضو في عدد من الجمعيات اللســـانية والأدبية. له عدد من الكتب والأبحاث العلمية في المعجم والدلالة واللسانيات النصية والتداولية.

محمد ولد عبد الله ولد بياه

موريتاني الجنسية، يحمل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في علوم الحاسوب. يعمل باحثًا حاسوبيًا بمشروع معجم الدوحة التاريخي للغة العربية. عمل لسنوات في مختبر البحث في علوم الحاسوب، جامعة محمد الأول - المغرب، مطوّرًا في عدد من مشاريع برمجيات المعالجة الآلية للغة العربية. يشارك في عضوية كل من وحدة الدراسات اللغوية والترجمة في مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية في وجدة وجمعية هندسة اللغة العربية في المغرب. يهتم بمجالات التحليل الصرفي والنحوي والتشكيل الآلي للغة العربية والفهرسة الآلية وأنظمة تحرير المعاجم.

المعتز بالله السعيد طه

يعمل مدرّسًا وباحثًا في كلية دار العلوم في جامعة القاهرة، ومستشارًا لغويًا ومعلوماتيًا لعدد من المؤسسات المعنية بحوسبة اللغوية. أنجز عددًا من المدوّنات اللغوية لأغراض الصناعة المُعجمية ومُعالجة اللغات الطبيعية. شارك في بعض المشروعات المعنية بحوسبة اللغة العربية والبرمجيات الحرة. عضو في هيئة تحرير المجلة الدولية لعلوم وهندسة الحاسوب بـ «اللغة العربية». له عدد من الكتب المعجمية وحوسبة اللغة والدراسات اللغوية المعاصرة.

تقديم

«رب همة أحيت أمة»

في يوم من أيام عام 2011 الحافل بالأحداث، زارني في مكتبي الأستاذ الدكتور رمزي بعلبكي بصحبة الأستاذين الدكتور رشيد بلحبيب والدكتور محمد العبيدي من جامعة قطر. وكان الأساتذة الثلاثة يعينون المركز، كلجنة تحكيم أوراق أحد موضوعي المؤتمر السنوي الأول للعلوم الاجتماعية والإنسانية الذي ينظمه المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، في موضوع اللغة والهوية. ويبدو أنهم تعرفوا عن كثب إلى اهتمام المركز كمشروع نهضوي بقضايا الأمة ومنها قضية اللغة، واهتمامي الشخصي أيضًا بالنهوض باللغة العربية وبضرورة الحفاظ عليها وتطويرها. ففاتحوني باقتراح تبني مشروع المعجم التاريخي للغة العربية. قالوا إنهم يعرفون أن هذا المشروع كبير، وتعثر في أكثر من مكان ومناسبة، وهم يدرون أي عبء يحمل هذا الكلام معه، ولا سيما أنهم رووا لي تاريخ هذه المشروعات، وأسباب تعثرها. وها هم يأتون مرة أخرى بصحبة الأستاذ الدكتور عزالدين البوشيخي، من أساتذة اللغة، وهو بدوره يؤكد كلامهم، ويشخّص أسباب تعثر محاولات إعداد معجم كهذا حتى الآن، ويقدّم معهما تصورًا للمشروع.

بعد مشاورات مع سمو الشيخ تميم بن حمد آل ثاني ولي عهد قطر آنذاك تبنّى سمو الأمير بحماسة المشروع الطويل المدى، الذي يصعب أن يتحمس له مسؤول إذا كان باحثًا عن نتائج فورية ومجد سريع. وحضر مدير مكتبه

الشيخ خالد بن خليفة آل ثاني إحدى الجلسات معنا. وأصبح في إمكان المركز أن يؤمّن لـــه الدعم والدولة الحاضنـــة. فليس المعجم التاريخـــي للغة العربية بالأمر الســـهل، إنه مشـــروع أمة. وما لبث أن تبيّن لي أنه حلم مئات بل آلاف المتخصّصين باللغة العربية، بمـــن فيهم صديق من جامعة بير زيت اختتم كلامًا وجهه إلي في جلسة تشاورية للخبراء بتلك العبارة.

كنت، وما زلت، على قناعة تامة بأن من غير الممكن تطوير اللغة من دون مواكبتهـــا للتطور. وهذا غير ممكن إذا اســـتُغني عنها كلغـــة تدريس وكلغة في البحث العلمي. كنت راســـخ القناعة بأن العيب ليس فـــي اللغة العريقة والغنية هذه بل في من يســـتخدمون اللغة، فإذا نهضوا نهضت معهم. ولكنهم لا يمكن أن ينهضوا إلا بلغتهم. والنهضة العربية تكون باللغة العربية.

لســـت أنكر شـــغفي باللغة العربية وانحيازي لها، ولكـــن موضوعنا هنا يتجـــاوز هذه المشـــاعر إلى مشـــروع نهضوي حقيقـــي، إذ إنه يـــورّط مئات المتخصصين بالبحـــث في الألفاظ العربيـــة واســـتخداماتها وتاريخ دلالتها. وفيما عـــدا تمكيننا من فهم ثقافتنـــا وحضارتنا العربية المشـــروط بفهم اللغة في مرحلتها التاريخية، من دون إســـقاط مفارق لمعاني اليوم على الأمس، أو معاني الأمس على اليوم، فإن المعجم التاريخي باســـتعراضه تطوّر اســـتخدام المفردات العربية يفتح الطريق أمام الاشتقاقات الدلالية التي نحتاجها لمواكبة تطور العلوم.

على الرغم من التراث المعجمـــي الضخم الذي خلّفه علماء اللغة العرب القدامى، وعلى الرغم من جهد المحدثين، فإن اللغة العربيّة ما تزال تعاني اليوم قصورًا معجميًا واضح المعالم مقارنة باللغات العالميّة الحيّة. ومن أهم ملامح هذا القصور غياب معجم تاريخي للغة العربيّة؛ الأمر الذي يمكن إنجازه بســـد ثغرة هذا الغياب، ومواكبة تطور اللغة العربيّة، علاوة على استيعاب هذه الألفاظ في مدونة لغويّة واحدة. وسيســـهم هذا الإنجاز في الارتقـــاء باللغة العربية إلى مصاف اللغات العالميّة الحيّة التي تملـــك معاجم تاريخيّة متجددة كالإنكليزيّة والفرنسيّة والألمانيّة والإسبانيّة والروسيّة...إلخ.

تتعدد أوجه الجدوى من إنجاز المعجم التاريخي للغة العربيّة ومنها:

1 - تمكيـن الأمّة من فهم لغتها فـي تطوراتها الدلاليّـة على مدى أكثر من ثمانية عشر قرنًا على الأقل. وبذلك يتيسـر تحصيل الفهم الصحيح لتراثها الفكري والعلمي والحضاري، بإدراك دلالة كل لفظ بحسـب سياقه التاريخي، ويتحقق وصل حاضرها بماضيها في المستويات اللغويّة والفكريّة والعلميّة.

2 - توفيـر عدد مـن المعاجم الفرعيّة التـي تفتقر إليها المكتبـة العربيّة كمعجم شـامل لألفاظ الحضـارة (الصناعات والحرف والعمـارة)، ومعاجم مصطلحات العلوم (المعجم التاريخي للمصطلحات الطبيّة والفيزيائيّة والفلكيّة والرياضيّة والجغرافيّة والفلسفيّة والشرعيّة والنحويّة والبلاغيّة)، ومعجم شامل للغة العربيّة المعاصرة، والمعاجم اللغويّة التعليميّة، وغيرها.

3 - تمكين الباحثين من:

- إعداد دراسات وأبحاث متعلّقة بتقويم تراثنا الفكري والعلمي في ضوء ما يتيحه المعجم التاريخي من معطيات جديدة.

- اسـتثمار البرامج الحاسـوبيّة الخادمـة للمشـروع، كالمفهرس الآلي والمحلـل الصرفي والمحلـل الدّلالي والمحلـل النحوي والمُشَـكّل الآلي وغيرها، في تطوير المعالجة الآليّة للغة العربيّة.

في هذا الإطار سعى المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات لإطلاق مشروع المعجم التاريخي للغة العربيّة استهلها بعقد ندوة الخبراء الأولى يومي 10 و11/ 11/ 2012 التي شاركت فيها نخبة مميزة من اللغويين والحاسوبيين العرب، عـلاوة على ممثلـي المنظمات الإقليميـة والمؤسسـات الأكاديميّة والبحثيّة المعنيّة بالموضوع، وتدارسـوا جميعًا قضايـا المعجم التاريخي للغة العربيّة المتعلّقة بخطة إنجازه، والمدوّنة اللغويّة الخاصّة به، وسـبل الاستفادة من التقنيات والبرامج الحاسوبيّة في إنجازه. واستعرضت المؤسّسات المشاركة إمكاناتها التي من شأنها أن تدعم هذا المشروع، علميًّا وتقنيًّا.

يوثق هذا الكتاب الأوراق التي قدمت في هـــذه الندوة الأولى - من دون التعقيبات والمداخلات والنقاشـــات - التي شـــارك فيها، فضلًا عن كاتب هذه المقدمة - الأساتذة بسام بركة، حامد السحلي، حسام سليم، حسن حمزة، رشيد بلحبيب، رمزي بعلبكي، الشاهد البوشـــيخي، عبد الحق لخواجة، عبد الحميد الهرامة، عبد الرزاق بنور، عبد السلام المسدي، عبد العزيز الحميد، عبد العلي الودغيري، عبد القادر الفاســـي الفهري، عبد المجيد بن حمادو، عبد المحسن الثبيتي، عز الدين البوشـــيخي، عزالدين مزروعي، علي الكبيســـي، عودة خليل أبو عودة، لطيفة النجار، مجد عبار، محمد ولد عبد الله ولد بباه، محمد العبيدي، محمد الفـــران، محمد غاليم، المعتز بالله الســـعيد، مهدي عـــرار. ثم خصص المركز الاجتماع الثّاني لندوة الخبراء المنعقدة يومي 6 و7/ 1/ 2013 لتحديد مادّة المعجم، والمعلومات المضمنة فـــي مداخله المعجمية، وعناصر الجذاذة الإلكترونية، وأوجه تنســـيق العمـــل بين اللغويين والحاســـوبيين. وهكذا انبنى التخطيط لمشروع المعجم على اطلاع واسع على التجارب الأجنبية والعربية، الناجحة منهـــا والمتعثرة، وعلى خلاصات الدراســـات والأبحاث، وعلى أهم الأفكار والمقترحات المقدمة في المؤتمرات التي تطرقت إلى الموضوع.

عقد المركز يوم 10 آذار/ مـــارس 2013 الاجتماع الثالث لندوة الخبراء لاســـتكمال التخطيط للمشـــروع ولمراحل تنفيذه ولهيكلته الإدارية، وعرض بعـــض النماذج التطبيقيـــة لمداخله. وفيمـــا أكتب هذه المقدمـــة لعرض هذا المشـــروع العزيز على العقل والقلب، نعدُّ لاجتماع الجلسة الأولى للمجلس العلمي للمعجم، بعـــد أن اكتمل نصابـــه. ومع عقده ينطلق المشـــروع باحثًا عن المنهج الأفضل للســـير في مـــدى اللغة العربية الرحـــب وذاكرتها وأفقها التاريخي.

عزمي بشارة

بداية أيار/مايو ٢٠١٣

الفصل الأول

الإطار التصوري والمنهجي
لمشروع المعجم التاريخي للُّغة العربية

عز الدين البوشيخي
ورشيد بلحبيب
ومحمد العبيدي

مدخل

يتضمن هذا العرض الإطار التصوري والمنهجي لإنجاز المعجم التاريخي للُّغة العربية، من دون التطرق إلى التفاصيل؛ وقد انبنى على اطلاع واسع على التجارب الأجنبية والعربية، الناجحة والمتعثرة[1]، وعلى خلاصات الدراسات والأبحاث المقدَّمة في المؤتمرات وغيرها[2]. وقد مكّن تقويم تلك التجارب والدراسات من تبيُّن ملامح خطة لإنجاز المعجم التاريخي للُّغة العربية، قابلة للتنفيذ، ومحققة للهدف، ومتسمة بالمرونة اللازمة.

أولًا: أهمية المعجم التاريخي للُّغة العربية وموجباته

ليس مقبولًا أو معقولًا أن تظل اللغة العربية من دون معجم يوثق ألفاظها ودلالات هذه الألفاظ والتحوُّلات التي طرأت عليها طوال حياتها، وأن تظل متأخرة عن نظيراتها من اللغات العالمية في هذا المجال؛ وهي اللغة التي

(1) نذكر من التجارب العربية محاولات فيشر، ومجمع القاهرة، واتحاد المجامع اللغوية، والجمعية المعجمية التونسية، ومعهد الدراسات المصطلحية في فاس.

(2) أهمها: أبحاث مؤتمر تونس في عام 1989، المنشورة في: المعجم العربي التاريخي: وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس، 14-17 نوفمبر 1989 (تونس: المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، 1991). أبحاث مؤتمر فاس المنعقد في عام 2010، المنشورة في: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية، انظر أيضًا: محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية: وثائق ونماذج (القاهرة: دار السلام، 2008)، وعبد العزيز بن حميد الحميد، أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي: دراسة وتقويم، سلسلة الرسائل الجامعية؛ 126، 2 ج (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2012).

لا تكاد تناظرها لغة أخرى في امتدادها الزماني، واتساعها الجغرافي، وموروثها الحضاري.

علـى الرغم من ضخامة المجهـود المعجمي العربي، فـإن الأمة العربية ما تزال في أمسّ الحاجة إلى بناء «ذاكرة» للغتها، ترصد ألفاظها لفظًا لفظًا: متى كانت ولا دته واسـتعماله؟ بأي دلالة اسـتُعمل أوّل مرة؟ ماذا طرأ عليه طوال حياته من طوارئ في البنية والدلالة والاسـتعمال؟ إذا أُهمل فمتى أُهمل؟ وإذا تحول مصطلحًا فبأي مفهوم؟ وفي أي علم أو معرفة؟ ومتى؟

إذا كان المعجـم التاريخي للُّغة العربية يرصد هـذه التطورات كلها؛ فإنه بذلك يرصد أيضًا التطـورات الفكرية والعلمية التي عرفتهـا الأمة العربية في تاريخها. ويتيح ذلـك الرصد فهم تراثنـا الفكري والعلمي بـدلالات ألفاظه ومفاهيم مصطلحاته التي استُعملت بها في سـياقاتها التاريخية والثقافية. فكم من لفظ اسـتُعمل في تراثنا الفكري والعلمي بدلالة لم تَعد له الآن. وفي غياب معجم تاريخي للُّغة العربية لا نسـتطيع الحد من كثير من سوء الفهم وانحراف التأويل وفساد الاستنباط الواقع في قراءة تراثنا الفكري والعلمي.

بذلك يصح القول إن تأليفَ معجم تاريخي للُّغـة العربية لا يماثله تأليفُ أيّ معجـم أو كتاب، وإن حاجة الأمـة العربية إلى هـذا المعجم هي حاجتها بالضبط إلى «ذاكـرة» للغتها وفكرها، وهي حاجتها بالضبـط إلى ميزان تزن به فهومها لتراثها وأحكامها عليه.

يمكن إيجاز موجبات إنجاز المعجم التاريخي للُّغة العربية في ثلاثة على الأقل:

- الموجب العلمي

من أهم الموجبات العلمية سـدّ ثغرة غياب معجـم تاريخي للُّغة العربية، ويتحقق بذلك رصـد التطور الدلالي للُّغـة العربية عبر عصورهـا التاريخية، وفهم التراث المعرفي والعلمي فهمًا صحيحًـا بفهم دلالات الألفاظ ومفاهيم

المصطلحات في سياقاتها التاريخية، وسدّ الفجوة المعجمية الناتجة من قصور المعاجم العربية عن مواكبة التطور اللغوي.

من الموجبات العلمية أيضًا، استيعاب ألفاظ اللغة العربية في مدوَّنة معجمية واحدة، وتوفير المادة اللغوية الكامنة للوفاء بحاجات الترجمة والتعريب، وخدمة اللغة العربية في مستوياتها المتعددة.

- الموجب القومي

يكمن الموجب القومي أساسًا في حماية تراث الأمة اللغوي والفكري والعلمي، والمساهمة في توحيد الأمة بتوحيد لغتها، وخدمة الهوية اللغوية العربية.

- الموجب الحضاري

يتعلق الموجب الحضاري بالارتقاء باللغة العربية إلى مصاف اللغات العالمية الحية، اقتداء بأكثر لغات العالم التي تملك معاجم تاريخية متجددة مثل الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والروسية، وعرض الإنجازات الفكرية والعلمية للأمة عبر تطورها التاريخي، ووصل حاضر الأمة بماضيها وتراثها.

ثانيًا: الجدوى من إنجاز المعجم التاريخي للُّغة العربية

إن الجدوى من إنجاز المعجم التاريخي للُّغة العربية متعددة الأوجُه، يمكن حصرها في عناصر ثلاثة:

الأول: تمكين الأمة من فهم لغتها في تطوراتها الدلالية على مدى ثمانية عشر قرنًا على الأقل، وتحصيل الفهم الصحيح لتراثها الفكري والعلمي والحضاري، بإدراك دلالة كل لفظ بحسب سياقه التاريخي، ووصل حاضرها بماضيها في المستويات اللغوية والفكرية والعلمية.

الثاني: توفير عدد من المعاجم الفرعية التي تفتقر إليها المكتبة العربية،

مثل المعجم التاريخي لألفاظ الحضارة (الصناعات والحرف والعمارة...)، والمعاجم التاريخية لمصطلحات العلوم (الطبية والفيزيائية والفلكية والرياضية والجغرافية والفلسفية والشرعية والنحوية والبلاغية...) والمعجم الشامل للغة العربية المعاصرة، والمعاجم اللغوية التعليمية.

الثالث: تمكين الباحثين من إعداد دراسات وأبحاث متعلقة بتقويم تراثنا الفكري والعلمي في ضوء ما يتيحه المعجم التاريخي من معطيات جديدة، واستثمار المدوَّنة اللغوية العربية في إنجاز عدد من البرامج الحاسوبية الخاصة بالمعالجة الآلية للغة العربية، مثل المحلل الصرفي، والمدقق النحوي، والمحلل الدلالي، والترجمة الآلية، وغيرها؛ إذ إن المدوّنة اللغوية الضخمة ستتيح تطوير هذه البرامج تطويرًا واضحًا.

ثالثًا: مفهوم المعجم التاريخي للغة العربية

يكتسي تحديد مفهوم المعجم التاريخي للُّغة العربية أهمية قصوى؛ إذ يُبنى على هذا التحديد عدد من الخطوات الإجرائية والمنهجية. ويؤدي عدم الوضوح في تحديده إلى عدم وضوح الرؤية في إنجازه.

المعجم التاريخي للُّغة العربية، في هذا التصور، هو معجم يرصد دلالة ألفاظ اللغة العربية في حياتها. إنه المعجم الذي يتضمن «ذاكرة» كل لفظ من ألفاظ اللغة العربية، وهي تسجِّلُ، بحسب المتاح من المعلومات، تاريخَ ظهوره بدلالته الأولى، وتاريخَ تحولاته الدلالية، ومكانَ ظهوره، ومستعمليه في تطوُّراته ما أمكن ذلك، مع توثيق تلك «الذاكرة» بالنصوص التي تشهد على صحة المعلومات الواردة فيها.

بهذا التحديد، تخرج من دائرة المعجم التاريخي للُّغة العربية كل المعلومات التي لا تتعلق تعلقًا مباشرًا بموضوعه وبالهدف الذي وُضع من أجله. ليس المقصود إذن وضع موسوعة لغوية توغل في سرد المعلومات النحوية والصرفية والبلاغية والصوتية وغيرها، حتى إن رُوعي في سردها

الترتيب التاريخي؛ إذ إن عملًا من هذا القبيل يتجاوز موضوع المعجم التاريخي ولا يحقق الهدف المتوخى منه أصلًا.

ويتمثّل الهـدف المتوخى من المعجـم التاريخي بإثبـات اللفظ ودلالته الأولى، والتغيـرات الدلالية الطارئة عليه على مرّ العصـور، معزَّزة بالنصوص الدالة عليها، موثَّقة بالمعلومات الضروريـة. فإن ظهر لفظ عربي بدلالة واحدة استقر عليها، يُكتفى بإيراده مرة واحدة، وإن طرأ عليه تغييران اثنان يذكَر مرتين، وإن طرأت عليه ثلاثـة تغييرات يذكَر ثلاث مرات... وهكـذا؛ إذ يُحرص كل الحرص على ألّا يكرَّر ذكر اللفظ إلا إذا تغير معناه في الاسـتعمال، وبحسب عدد التغيرات الطارئة عليه فحسـب، ولا داعي إلى حشر المواد والمعلومات والاستشهادات التي تتجاوز تحقيق الهدف المتجلي في رصد التطورات الطارئة على اللفظ.

رابعًا: المعجم التاريخي للُّغة العربية معجم مفتوح

على الرغم مما يمكن بذله من جهد لاستقصاء دلالة الألفاظ في نصوصها وسـياقاتها، فإنه لا يمكن الإحاطة الشـاملة بتلك الدلالات بسبب عدم إعداد النص العربي الإعداد العلمي الذي يسـمح باعتماده واسـتثماره؛ إذ بالنظر إلى الثـروة الهائلة من ألفاظ اللغة العربية واتسـاع نطاق اسـتعمالها وامتداد زمان وجودها، فإن احتمال ظهور اسـتعمال جديد للفظ مـن ألفاظها لم يُرصد في المعجم التاريخـي للُّغة العربية يظل قائمًا، فإن ثبت اسـتعمال لفظ بمعنى غير مرصود مـن قبلُ، وجبت إضافته فـي مكانه الملائم مـن المعجم، ويجب أن يظل هذا الاحتمال قائمًا لا يتوقف في مرحلة مـن مراحل الإنجاز، ولا بعده. وكذلك شـأن كل لفظ تبين أن له معنىً جديدًا لم يُرصد في المعجم، استُدرك إما باكتشاف مخطوط عربي لم يُكشـف عنه من قبل، أو بتحقيق مخطوط ظل مغمورًا بعيدًا من أيدي الناس، كل ذلك يوضع في مكانه المناسب من المعجم بحسـب تاريخه. تُضاف إلى ذلك المعاني التأثيلية للألفـاظ العربية بالنظر إلى جذورها في اللغات الساميّة.

خلاصة ذلك سدّ الثُغَر باستدراك أمور ثلاثة:

- ما ظهر من جديد لم يُرصد في المنجز من المعجم.

- ما ظهر من جديد في مخطوط جرى اكتشافه أو تحقيقه.

- ما ظهر من جديد باكتشاف ما يربط بين اللغة العربية الفصحى وأخواتها من اللغات الساميّة.

علاوة على ذلك، يُعنى بالمواكبة المستمرة للتطورات الطارئة على اللغة العربية في ألفاظها، وهو مطلب ضروري يساير ما يطرأ على الفكر العربي من تغيُّر: فسدُّ الثُغَر يتصدى لاستدراك كل الموجود من الألفاظ المستعملة بمعانيها المختلفة على مرّ العصور، والمواكبة المستمرة تتصدى لرصد كل تغير في اللفظ والمعنى، فيُدرَج في المعجم. وبالمعنيَين السابقَين، يكون المعجم التاريخي للُغة العربية معجمًا مفتوحًا غير مغلق.

خامسًا: مدوَّنة المعجم التاريخي للُغة العربية

هناك اختيارات متعددة في تحديد منطلق المعجم التاريخي، أهمها الانطلاق من أقدم نص عربي موثق إلى أحدث نص. يتطلب ذلك بناء مدوَّنة لغوية شاملة تتضمن النصوص العربية الفصيحة، الورقية والإلكترونية، منذ أقدم نصٍّ إلى نهاية عام 2000. وتظل المدوّنة مفتوحة لكل ما سَيُحقَّق من مخطوطات، وما سيُكتشف من النقوش والبرديات... كما ستظل مفتوحة لما سيُطبع من نصوص حديثة.

يتطلب ذلك الإفادة من المدوَّنات الإلكترونية المنجزة، ورقمنة المؤلفات والمنشورات التي لم تحوسَب من قبل، مع استثمار المنجز من الأعمال الخادمة للمعجم التاريخي عن طريق:

- الإفادة من المعاجم اللغوية والاصطلاحية المنجزة.

- الإفادة من الأطروحات والرسائل الجامعية.

- الإفادة من مشاريع المؤسسات والأفراد.

يقتضي تحقيقُ ذلك أمرين: **أولهما** القيام بدراســة مسحية لمدوَّنات اللغة العربية التــي أنجزها العرب أو الأجانب. **وثانيهما** تطويــر هذه المدوَّنات، بعد بحث صيغ التعاون مع مالكيها، بما يخدم المعجم التاريخي.

سادسًا: الجذاذة

على أســاس التحديد الســابق لمفهوم المعجم التاريخي لِلُّغــة العربية، والأهداف المتوخــاة منه، فإن المدخــل المعجمي لمواده ينبغــي ألّا يتضمن إلّا المعلومات التي تنســجم مع مفهومــه وأهدافه، وألّا تُحشَــر فيه كل أنواع المعلومات التي نجدها في المعاجم الموسوعية أو غيرها من المعاجم اللغوية غير التاريخية. فتكون الجذاذة، بناء عليه، مصممة وفق الآتي:

• **اللفظ**: (جذره - مقولته - ضبطه)

- تعريفه

- شاهده

- توثيقه (تاريخ استعماله - مستعمله - مصدره...)

• **المصطلح**: (جذره - مقولته - ضبطه)

- مجاله المعرفي

- مفهومه

- شاهده

- توثيقه (تاريخ استعماله - مصدره - مستعمله...)

من المعلوم أن مدخل المصطلح يختلف عن مدخل الكلمة، خصوصًا في عنصرين مهمين: المجال العلمي أو المعرفي الذي ينتمي إليه المصطلح بما أن

مفهومه يتحدد داخله، والتعريف المصطلحي الذي يختلف عن تعريف الكلمة، بحسب ما هو مقرر في الصناعة المعجمية والصناعة المصطلحية.

سابعًا: منهج العمل ومراحل الإنجاز

يسير منهج العمل على النحو الآتي:

- إعداد بيبليوغرافيا شاملة لمصادر المعجم التاريخي بحسب المراحل الزمنية المحددة.

- بناء مدوَّنة لغوية شاملة، ما أمكن، لكل مرحلة من المراحل الزمنية المحددة.

- استخلاص المدوَّنة النصية من المدوَّنة اللغوية العامة.

- تهيئة المدوَّنة النصية للمعالجة.

- معالجة المداخل المعجمية والمصطلحية.

يُعتمد في كل مراحل الإنجاز على الإفادة القصوى من التقنيات الحاسوبية عن طريق:

- بناء برامج حاسوبية خادمة للمعجم.

- تصميم جذاذة إلكترونية.

- بناء مرصد إلكتروني لتجميع الأعمال ومعالجتها.

تقتضي الضرورة المنهجية والإجرائية تقسيم العمل إلى مراحل، نظرًا إلى المدى الزمني الممتد على مدى ثمانية عشر قرنًا على الأقل، وإلى الاتساع الجغرافي لاستعمال اللغة العربية، ولضخامة التراث المعرفي والعلمي والثقافي المدوَّن بها. إلا أن التقسيم المقترح هنا لا يأخذ في الاعتبار سوى الجدوى التي يحققها، بغض النظر عن الاعتبارات السياسية والتاريخية والفكرية وغيرها، التي دُرج على الأخذ بها في تحديد كل مرحلة من المراحل. إذ التقسيم هنا إجرائي

محض، بما أن إنجازات كل المراحل ستؤول في النهاية إلى عمل واحد، هو: المعجم التاريخي للُّغة العربية.

المرحلة الأولى

- بناء مدوّنة لغوية للقرون السبعة الأولى (من القرن الخامس قبل الهجرة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة).

- إحصاء مصادر المدوَّنة بأنواعها المختلفة.

- حصر المصادر المحوسبة.

- رقمنة المصادر غير المحوسبة.

- تدقيق المدوَّنة ومراجعتها.

- استخلاص المدوَّنة النصية من المدوَّنة اللغوية.

- معالجة ألفاظ المدوَّنة النصية.

- تدقيق معجم المرحلة الأولى ومراجعته واعتماده.

سيواكب هذه المرحلة إعداد المتطلبات الحاسوبية، ومنها بناء البرامج والأدوات الحاسوبية الخادمة للمعجم، وهي:

- المفهرس الآلي.

- المشكل الآلي.

- المحلل الصرفي.

- الجذاذة الإلكترونية.

- المرصد.

- المخرج: المعجم التاريخي للغة العربية إلى نهاية القرن الثاني للهجرة.

المرحلة الثانية

- بناء مدوَّنة لغوية للقرون الثلاثة الموالية (من بداية القرن الثالث إلى نهاية القرن الخامس للهجرة).

- إحصاء مصادر المدوَّنة بأنواعها المختلفة.

- حصر المصادر المحوسبة.

- رقمنة المصادر غير المحوسبة.

- تدقيق المدوَّنة ومراجعتها.

- استخلاص المدوَّنة النصية من المدوّنة اللغوية.

- معالجة ألفاظ المدوَّنة النصية.

- تدقيق معجم المرحلة الثانية ومراجعته واعتماده.

- المخرج: المعجم التاريخي للغة العربية إلى نهاية القرن الخامس للهجرة.

المرحلة الثالثة

- بناء مدوَّنة لغوية للقرون الثلاثة الموالية (من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن الثامن للهجرة).

- إحصاء مصادر المدوَّنة بأنواعها المختلفة.

- حصر المصادر المحوسبة.

- رقمنة المصادر غير المحوسبة.

- تدقيق المدوَّنة ومراجعتها.

- استخلاص المدوَّنة النصية من المدوَّنة اللغوية.

- معالجة ألفاظ المدوَّنة النصية.

- تدقيق معجم المرحلة الثالثة ومراجعته واعتماده.

- المخرج: المعجم التاريخي للُّغة العربية إلى نهاية القرن الثامن للهجرة.

المرحلة الرابعة

- بناء مدوَّنة لغوية للقرون الثلاثة الموالية (من بداية القرن التاسع إلى نهاية القرن الحادي عشر للهجرة).

- إحصاء مصادر المدوَّنة بأنواعها المختلفة.

- حصر المصادر المحوسبة.

- رقمنة المصادر غير المحوسبة.

- تدقيق المدوَّنة ومراجعتها.

- استخلاص المدوَّنة النصية من المدوَّنة اللغوية.

- معالجة ألفاظ المدوَّنة النصية.

- تدقيق معجم المرحلة الرابعة ومراجعته واعتماده.

- المخرج: المعجم التاريخي للُّغة العربية إلى نهاية القرن الحادي عشر للهجرة.

المرحلة الخامسة

- بناء مدوَّنة لغوية للقرون الموالية (من بداية القرن الثاني عشر إلى عام 1421 للهجرة الموافق لعام 2000م).

- إحصاء مصادر المدوَّنة بأنواعها المختلفة.
- حصر المصادر المحوسبة.
- رقمنة المصادر غير المحوسبة.
- تدقيق المدوَّنة ومراجعتها.
- استخلاص المدوَّنة النصية من المدوَّنة اللغوية.
- معالجة ألفاظ المدوَّنة النصية.
- تدقيق معجم المرحلة الخامسة ومراجعته واعتماده.
- المخرج: المعجم التاريخي للُّغة العربية إلى عام 1421 للهجرة، الموافق لعام 2000م.

المخرج النهائي: المعجم التاريخي للُّغة العربية.

الجدول (1-1)

الإطار الزمني لإنجاز المعجم

المرحلة	امتدادها	المدة الزمنية (بالأعوام)
الأولى	من بداية القرن الخامس قبل الهجرة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة	3
الثانية	من بداية القرن الثالث إلى نهاية القرن الخامس للهجرة	3
الثالثة	من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن الثامن للهجرة	3
الرابعة	من بداية القرن التاسع إلى نهاية القرن الحادي عشر للهجرة	3
الخامسة	من بداية القرن الثاني عشر إلى عام 1421هـ الموافق لعام 2000م	3
المدة الزمنية الكاملة		15

خاتمة

إن الهدف من هذا العرض هو رسم ملامح خطة إنجاز المعجم التاريخي للُّغة العربية وفق المنطلقات الآتية:

1 – ينبغي ألّا يكون التأخر الكبير في إنجاز معجم تاريخي للُّغة العربية مسوغًا لإنجاز معجم دون مستوى المعاجم التاريخية للُّغات العالمية تحت وطأة هذا التأخر. والعجلة مضرة بالمشروع، خصوصًا في وضع خطة إنجازه وما يتعلق بها من تفاصيل.

2 – إن إمعان النظر في المعاجم التاريخية للُّغات العالمية يدل دلالة واضحة على تعدد الأساليب والاختيارات المنهجية في إعدادها. ومعنى ذلك أن الانحياز إلى اختيار منهجي ما ليس حكمًا على عدم صلاحية الاختيارات الأخرى.

3 – إن الانحياز إلى أحد الاختيارات المنهجية يجب أن يكون مدعومًا بجدوى هذا الاختيار، وبمدى تحقيقه أهداف المعجم فحسب، من دون أي اعتبارات أخرى. والمقصود بالجدوى، إنجاز المعجم بالصفات المثلى للمعاجم التاريخية بأنسب ما يُبذل من مجهود ووقت ومال.

4 – إن اعتماد اختيار منهجي ما في إنجاز المعجم التاريخي للُّغة العربية لا يصادر حق أي جهة كانت في إنجاز معجم تاريخي آخر للُّغة العربية وفق اختيار منهجي آخر، مثلما حدث في بعض اللغات العالمية، كالفرنسية والألمانية والروسية وغيرها.

أخيرًا، من المفيد تبني سياسة العمل المؤسسي والتشاركي، وذلك بتخصيص مؤسسة علمية لإدارة مشروع المعجم التاريخي، والتعاقد مع مؤسسات علمية متخصصة بإنجاز أجزاء منه، والانفتاح على جميع الباحثين المتخصصين للإفادة من خبراتهم.

الفصل الثاني

نحو خطةٍ لإنجاز القاموس العربي التاريخي في ضوء التَّجربة الفرنسية

عبد العلي الودغيري

– 1 –

في البداية لا بد من تأكيــد معلومة واضحة هي أنه لا توجَدُ وصفةٌ جاهزةٌ أو طريقةُ استعمالٍ واحدةٌ صالحةٌ في كل حالٍ لإنجاز أيِّ قاموس تاريخي لأي لغة من اللغات. والسببُ بسيطٌ وواضحٌ أيضًا هو أنه لا يوجد هنالك نوعٌ واحد من القواميس التاريخية أو صيغةٌ موحَّدة لهــا، وإنما هي أنواعٌ يختلفُ بعضها عن بعض في أمور كثيرة: في حجــم مدوَّنتها وكيفية تكوينِها ومصادرها وعدد مداخلها، وفي نوعية الألفاظ والمداخل المؤرَّخ لها، وفي الفترة الزمنية المُراد التأريخ لألفاظها، وفي طريقــة التأريخ لهذه الألفاظ، وتعريفها وترتيبها، و نوعِ المعلومات المطلوبةِ وقَدرِها وطريقةِ صياغَتِها وتَنســيقِها. ليس هذا فحسب، بل هناك تفاصيل أخــرى لا بد من معرفتها القَبلية كمعرفــة الهدَف من تأليف هذا القاموس أو ذلــك، ومعرفة جمهور القراء الذين يُوَجَّه إليهم ومُســتواهم المعرفي والعلمي وتحديد مقدار حاجَتِهم ومَدى اســتفادتهم من هذا النوع أو ذاك. إلى غير ذلك من الأمور التي تتحكَّم في تحديد التصوُّرات الخاصة بكل قامـوس.

إذن، تحديــدُ الخطة الملائمة لإنجــاز أيِّ قاموسٍ تاريخــي لأي لغةٍ من اللغات، معناه: تحديدُ نوعِ هذا القاموس الذي يُرادُ صُنعُه بكلِّ ما يُطلَبُ فيه من مُواصفاتٍ وما يَرميه من أهــدافٍ. وإذا كان «وضع قاموس يؤرِّخ لمعجَم اللغة العربيــة» هو الهدف العام الذي لا نختلف عليه نحــن الذين تجمعُنا الرغبةُ في أن يكون للعربية قاموسٌ على هذا النحو أو ذاك مما يوجَد في عدد من اللغات الأخرى، فإن ذلك وحده لا يكفي لرســم ملامح هذا القاموس الذي نريده ولا لمعرفةِ شــكله وتحديدِ مُواصفاته ونوعيَّته وحَجمه ومضمونه ومادته المعجمية

وكيفية بنائه وصياغته. إذ نحن أمام موضوعٍ واسعٍ وعنوانٍ فَضفاضٍ يحتاجُ إلى زيادة تدقيقٍ وتوضيح، ولا سـيما أن الأمر يتعلق بمعجم لغةٍ هي وِعاءُ حضارةٍ من أكبر حضارات البشـرية تَجرِبةً وغِنىً وثَراءً وعُمقًا تاريخيًا وامتدادًا جُغرافيًا وغَزارةَ تُراثٍ وعلمٍ وثقافةٍ. وهذا وحـدَه يمثل عِبئًا كبيرًا لا يُقارَنُ بالأعباءِ التي يتحمَّلُها مَن ينهضُ بإنجاز أيِّ قامـوسٍ آخر من بقية القواميس المُؤرِّخة للُّغات ذاتِ الأعمارِ القصيرة والتجارِب المحدودة.

لكن هذا الذي قُلنـاهُ عن اختـلاف القواميس والخُطـط لا يعني أن كلَّ القواميس التاريخيـة الموجودة أو المُمكِنة ليس بينهـا إلا صلةُ الاختلاف. بل الحقيقةُ هي أن كلَّ القواميس التاريخية، كـي تدخل تحت هذا الوصف، لا بدَّ من أن تكون لها أيضًا نُقَطُ التقاءٍ في أرضية مُشترَكة، أي: قَدرٌ من العناصر التي تجمَعُها تحت عنوانٍ واحدٍ. وبعد هذا الجِذع المُشـتَرَك تظلُّ هنالك مسـاحةٌ واسِعةٌ للتبايُن والاختلاف اللذين من أجلهما تتفرَّعُ الأنواعُ.

مـا نَعنيه بالجِذع المُشـتَرَك هو كلُّ مـا يدخل تحت تعريـف «القاموس التاريخي للغة» من عناصر، بعضُها يُعتبرُ جزءًا من المُكَوِّنات الأساسية لمفهوم مصطلح «قامـوس» (من مدونة وترتيـب وتعريف)، وبعضُها يُعتبـرُ جُزءًا من مكوِّنات مصطلح «تأريـخ». وعلى الرغم من أن مفهوم «التأريخ» نفسـه ليس من المفاهيم المُحدَّدة بدِقَّةٍ بين أصحاب الاختصاص، كما سـنرى، إلا أن كلَّ عملٍ حقَّـقَ الحدَّ الأدنى من عناصر ذلك المفهـوم، اعتُبِرَ داخلًا تحت عنوان: القاموس التاريخي.

أما المُختلَفُ فيه، مما تجاوزَ سَـقفَ هذا القاسِـم المُشـترَك، فهو عبارةٌ عن تجارِب واجتهاداتٍ تختلفُ في درجات نُضجِهـا واكتِمالها باختلاف نظَر أصحابها من مؤرِّخي معاجم اللغات. ولنَقِف لحظةً عند التجربة الفرنسية على سـبيل المثال، لنلاحظَ أن النماذج التي يُمكنُ إدراجُها تحت عنوان «القاموس التاريخي» كثيـرةٌ لكنها غيرُ متسـاوية ولا مُتكافِئة في قيمتهـا ودرجةِ نُضجها وتطوُّرهـا. ويمكنُنا أن نعتبر أن الحلَقةَ الأولى في سلسـلة القواميس التاريخية الفرنسـية هي تلك المُتمثِّلةُ في كتاب جيل مينـاج (Gilles Ménage) الصادر في

عام 1650م بعنوان: **أصول اللغة الفرنسية** (*Les Origines de la langue française*)، ثم أعيد طبعه في عام 1694م (عامَين بعد وفاة صاحبه) ضمن مجموع يحمل عنوانَ: **القاموس الإيتيمولوجي أو أصول اللغة الفرنسية**: (*Dictionnaire étymologique ou Origines de la langues française*). وفيه حاول المؤلفُ أن يبحث عن أصول الكلمات الفرنسية بإرجاعها إلى اللاتينية الشعبية واليونانية ومختلف اللغات الرومانسية واللهجات الإقليمية. فحين ذكر كلمة abricots على سبيل المثال، وأوردها بهذه الصيغة على طريقة الجَمع، بحَثَ عن أصلها في اليونانية ومنها أخذَتها العربيةُ التي أعارَتها بدورها للإسبانية، ومن هذه الأخيرة أخذَتها الفرنسيةُ، وعن الفرنسية استعارَتها الإنكليزيةُ. وتتبَّعَ صيغَها المختلفة في هذه اللغات كلها. ومن المعلوم أن البحث في الأصول الاشتقاقية والتأثيلية (الإيتيمولوجية) للألفاظ (ويدخل تحته مقارنةُ هذه الألفاظ بألفاظ لغاتٍ أخرى ذاتِ علاقةٍ)، هو عُنصُرٌ أساس من العناصر المُكوِّنة لمفهوم «التأريخ المعجمي». واعترفَ المعجميّون المتأخِّرون بقيمة العمل الذي قدَّمه ميناج في هذا الجانب، ونوَّهُوا به كثيرًا، وفي مقدّمهم اللغويُّ الفرنسيُّ المعروف أوسكار بلوخ الذي شهد له بالفضل، فقال في جملة ما قاله عنه: «قدَّم في شأن التاريخ الخاصِّ لعدد من الكلمات معلوماتٍ ثمينةً ربما تمَّ إهمالُ الكثير منها بحُكم القصور في معلوماتنا. لذلك قُمنا نحن، في مواضعَ كثيرة من كتابنا هذا، بالتَّنويه مرارًا بكل ما له فضلٌ فيه»[1].

بعد هذا الكتاب كانت هنالك قواميسُ فرنسيةٌ تَأثيليةٌ كثيرة[2]، لكن يهمنا أن نقف عند محاولة مُتَميِّزة في القرن الثامن عشر الميلادي جاءت على يد أحد اللغويّين المعروفين في ذلك الوقت هو: ج. ب. لاكورن دي سانت بالاي (J. B. La Curne de Sainte Palaye) (ت 1781م) صاحبُ القاموس

---

(1) من مقدمة بلوخ (Oscar Bloch) لقاموسه، انظر: *Dictionnaire étymologique de la langue française*, publ. sous la dir. de Oscar Bloch et Walther von Wartburg, Quadrige. Référence (Paris: Presses universitaires de France, 2002).

(2) من أقدمها كتابٌ ظهرَ في حياة جيل ميناج (أي في عام 1661م) بعنوان: *L'Étymologie de plusieurs mots Français* لصاحبه الأب فيليب لاب (Philippe Labbe) (ت 1666 أو 1667م).

المعروف باسم: القاموسي التاريخي للفرنسية القديمة (Dictionnaire historique de l'ancien français) الذي تأخَّرَ طبعُه إلى عام 1876م، أي مدةً تقرُب من قرنٍ بعد وفاة صاحبــه. ومع أن هذا الكتاب الذي يُعتبَر أولَ قاموسٍ فرنســي تظهَر في عنوانه عبارةُ «قاموس تاريخي»، لم يؤرِّخ للألفاظ بذكر ســنواتِ ظهورها أو مراحلِ تطوُّرها، إلا أنه فعَلَ ما يُشــبه ذلك بحِرصه على ذكر أقدم المصادر والمؤلَّفات التي أوردَت اللفظَ، والإتيانِ بالشواهدِ النَّصية المنسوبة لأصحابها التي تُثبِتُ الفترةَ التقريبية لاســتعمال هذا اللفظ أو ذاك في اللغة الفرنسية. هذا إلى جانب اهتمامه بذكــر الصيَغ المختلفة التي وردَت لــكل لفظٍ من الألفاظ وأصولِها الاشــتقاقية. وهذه العناصرُ كلُّها هي التي أعطت قيمةً كبيرةً للكتاب، فأصبح مصدرًا أساســيًا من المصادر التي اعتمدَها وعوَّلَ عليها مَن جاء بعدَه من المعجميّين الفرنسيين.

أما القرنُ التاسع عشر الميلادي الذي كانَ بحقٍّ «قرنَ القواميس» كما قال بييرُ لاروسُ[3]، فازدهرَت فيه الصناعةُ القاموســيةُ بصفــة عامةٍ ازدهارًا لا مثيلَ له[4]، ولا ســيما في فرنســا التي كانت تَعيشُ أوجَ ثورتها في المجالات كلها، ومنها المجال اللغــوي[5] والمعجمي، وفيه أصبح «موضوعُ القاموس التاريخيِّ

---

(3) ذكر ذلك في مقدمة قاموســه الموســوعي الصادر بين عامي 1866 و1876م، انظر: Pierre Larousse, *Le Grand dictionnaire universel du 19ème siècle*, et Jean Pruvost, *Les Dictionnaires de langue française*, Que sais-je?; 3622 (Paris: Presses universitaires de France, 2002), p. 3.

(4) ذكــر اللغوي الفرنســي المعروف بيرنار كيمادا فــي أطروحته التي نشــرها في عام 1968م بعنــوان: *Dictionnaire du Français moderne (1539 – 1863)*، أنه خلال المدة الفاصلة بين صدور قاموس *Dictionnaire français- latin* في عام 1539 من تأليف Robert Estienne وصدور الجزء الأول من قاموس إميل ليطــري *Dictionnaire de la langue française* في عام 1863م، ظهر في فرنســا حوالى ثلاثة آلاف عنــوان أصلي من عناويــن القواميــس المختلفــة، انظــر: Robert Estienne, *Dictionaire françois-latin, contenant les motz et manières de parler françois, tournez en latin* (Paris: [R. Estienne], 1539).

(5) من فضائل الثورة الفرنســية (أواخر القرن الثامن عشر) على اللغة الفرنسية أنها صَمَّمت أكثرَ من أي وقت آخر على توحيدها وفرض اســتعمالها في كل أجهزة الدولة، خصوصًا في التعليم ومحاربة اللهجات واللّغات الإقليمية كلها، وهذا ما أدى إلى تشــجيع العلماء والمؤســســات العلمية على خدمة اللغة الفرنســية الفصيحة (لغة الأدب والثقافة والإدارة والتعليم) حتى يكتمل اســتقلالُها نهائيًا عن اللغة اللاتينية، ويتمَّ أيضًا تعميم أفكار الثورة ومبادئها.

مَحلَّ اهتمامٍ كبير لدى الرأي العام»[6]، ليس في فرنسا وحدها، لكن في بلدانٍ أوروبية أخرَى أيضًا، مثلَ ألمانيا وإنكلترا. وأما في فرنسا على وجه الخصوص، فظهَرت محاولاتٌ كثيرةٌ يمكن ـ بشكل أو بآخر ـ اعتبارُها داخلةً في المفهوم الواسع للقاموس التاريخي. وسنذكر منها أربعةَ كُتُب لها أهميةٌ خاصةٌ، وبعضٌ من هذه الأربعة كان يُمثِّل بحقٍّ تطوُّرًا ناجِحًا في موضوعه:

الكتابُ الأولُ هو القاموسُ الذي أصدره في عام 1839م كلٌّ من فرانسوا نويل ول. ج. كاربُونتيي بعنوان: **القاموس الإيتيمولوجي النَّقدي والتاريخي ...** (*Dictionnaire étymologique, critique, historique...*). وهذا الكتاب الذي يُعتَبَر ثانيَ قاموسٍ لغوي فرنسي يَحملُ في عنوانه عبارةَ «قاموس تاريخي»، حاولَ أن يجمع بين التَّأثيل المعجمي والنقد والتاريخ والأدب والنوادر والحكايات. وهو إن لم يصل إلى مرحلة وضع تواريخَ محدَّدةٍ لظهور الكلمات أو تطوّرها، إلا أنه تأثَّر إلى حدٍّ كبير بطريقة جيل ميناج وسانت بالاي مع نوعٍ من الإيجاز، إذ اكتفى بذكر أصول الكلمات والشواهد النَّصِّية المُختارة منَ كبار الكُتّاب لاستعمالها، مُعتَبِرًا أن ذلك في حدِّ ذاته نوعًا من الاهتمام «بجانبها التاريخي ومرحلة دخولها إلى اللغة الفرنسية، وظروف حياتها قبل أن تتبنّاها هذه اللغةُ بصفة تامة»[7].

أما الكتابُ الثاني فكان أكثرَ عُمقًا وتخَصُّصًا من السابِق، وهو القاموس الذي أصدَرَته الأكاديميةُ الفرنسيةُ بعنوان: **القاموس التاريخي للغة الفرنسية** (*Dictionnaire historique de la langue française*). وهو ثالثُ عملٍ فرنسي يحملُ في عنوانه عبارةَ «قاموس تاريخي». لكنه للأسف لم يصدر منه سوى أربعة أجزاءٍ (بين عامي 1865 و1894م) اقتصَرَت كلُّها على معالجة الحرف الأول من الأبجدية الفرنسية[8]. إضافة إلى ذلك، فإن هذا القاموس لم يصل

---

(6) انظر المقدمة في: Littré, *Dictionnaire de la langue française.*

(7) من مقدمة الكتاب، انظر: François-Joseph-Michel Noël et M. L. J. Carpentier, *Dictionnaire étymologique, critique, historique, anecdotique et littéraire pour servir à l'histoire de la langue française*, 2 vols. (Paris: Le Normant, 1839).

(8) توقف المنشورُ من الكتاب عند كلمة (Azyme).

إلـى مرحلة النَصّ علـى تواريخ محـدَّدة أو تقريبية لظهور الألفـاظ ومعانيها المختلفة، لكنه سار على منوال قاموس سانت بالاي، في العناية بذكر المصادر المعجمية القديمة التي ورَدَت فيها من قبلُ، والشـواهدِ والنصوص التي تُؤرِّخُ للمرحلةَ التقريبية التي اسـتُعمِلت فيها الكلماتُ، مع اهتمـامٍ ملحوظٍ بالصيغ القديمة للكلمة. ففي معالجته كلمة (abaisser) مثلًا يذكر ثمانيَ صيغٍ قديمة لهذا الفعل أوردَها سانت بالاي (ق18م)، وصيغةً أخرى ذكرَها قاموسُ روبير إتيان عام 1539م، وقاموس نيكو في عـام 1606م، وصيغةً أخيرة (abbaisser) أقرَّها قاموسُ الأكاديمية في عام 1694م.

الكتـابُ الثالث هو القاموس الشـهير الـذي أصدرَه إميـل ليطري بين عامـي 1863 و1872م بعد مدةِ اشـتغالٍ دامَت حوالَى ثلاثيـن عامًا. وكان المؤلفُ فـي البداية قد اختارَ له عنوانَ: **القامـوس الإيتيمولوجي الجديد للغة الفرنسـية** (*Nouveau dictionnaire étymologique de la langue française*)، إلا أن الناشر السـيد هاشـيط اقترحَ عنوانًا آخر[9]: **القاموس التاريخي والنَّحوي للغة الفرنسـية** (*Dictionnaire historique et grammatical de la langue française*)، فكان بذلك رابعَ قاموس فرنسـي يَحملُ في عنوانـه عبارةَ (قاموس تاريخي). لكنَّ الذي حدَثَ في مـا بعدُ، هو أن الكتاب طُبِعَ بعنـوانٍ آخر وهو: **قاموس اللغة الفرنسـية** (*Dictionnaire de la langue française*). وأهميةُ كتاب ليطري بين سلسلة القواميس الفرنسـية والأوروبية عمومًا كبيرةٌ ومعروفة، ليس بسبب ما تضمَّنه من مادة معجمية مَوثوقٍ بها عند العلماء فحسب لكن بسبب الخطوات الجديدة أيضًا التي أضافَها إلى الصناعة القاموسية، ومنها حُسنُ تَنسيقه وترتيبه للمعلومات المُضَمَّنـة في تعريفات المداخل المعجميـة، وكونُه أولَ قاموس فرنسـي يُعنَى عنايةً متميِّزةً بالجانب التاريخي لظهـور الألفاظ وتطوُّر دلالتها واسـتعمالها، وتخصيصه فقـرةً لذلك مُنفَصِلـةً عن تلك المتعلِّقـة بالجانب التأثيلـي والاشـتقاقي، فضلًا عـن اهتمامه بسـياقات الاسـتعمال المختلفة

(9) انظـر: Emile Littré, *Comment j'ai fait mon dictionnaire*, postf. de Jacques Cellard, Picquier poche; 22 (Arles: Picquier, 1995).

والشـــواهد النَّصِّية. هذا فضلًا عن المقدمة الضافية المعمَّقة التي قدَّمَ بها لهذا القاموس وشرحَ فيها شَـــرحًا جيدًا الجوانبَ المفيدة لوجود العنصُر التاريخي في القاموس اللغوي، ومنها أنه يُوظَّفُ لفهم طريقة الاســـتعمال[10]. وتحدثَ المؤلفُ عـــن تجربته في وضع هذا القاموس[11]، وممـــا وردَ في ذلك أن أحد المهتمِّين من الإنكليز اتصَـــل به وطلبَ منه وهو في المراحل الأول من عملية التأليف أن يُبيِّن له الخُطةَ التي اتَّبَعها في إنجاز قاموســـه من أجل الاســـتفادة منها في وضع قاموس تاريخي للغة الإنكليزية. وليس مُســـتبعَدًا أن يكون هذا الشخصُ الذي رغبَ في الاستفادة من تجربة ليطري واحدًا من الذين اشتَغلوا بتأليف قاموس أكسفورد المعروف[12].

وتقوم خُطَّة قاموس ليطري على العناصر الخمســـة التي رَتَّبَها على النحو الآتي:

الأول: ذكر الكلمات/ المداخل مُرتَّبةً ألفبائيًا، واســـتقاها أساسًا من مدوَّنة قاموس الأكاديمية الفرنسية الصادر في عام 1694م، مع إضافة ما هو مُستعمَلٌ وشائعٌ من ألفاظ العلوم والفنون والصنائع الموجودة في الحياة العَمَلية.

الثاني: النَّصُّ على طريقة نُطقها الصحيح[13]، وذكرُ مَقُولتها النحوية (اسم، فعل، أداة، صفة... إلخ)، وجِنسها (مذكّر، مؤنث) وعددها (مفرد، جمع...).

---

(10) يقول في مقدمة الكتاب: «قد يعتقد بعضُ النـــاس أن القاموس الذي يتدخَّل فيه التاريخُ هو عمل موجَّـــه للفئة المتبحِّرة في العلم. وهذا غيـــرُ صحيح، فالتبحُّر العلمـــي (l'érudition) ليس موضوعًا أو هدفًا في ذاته لكنـــه أداةٌ. وما نَجنيه من الجانـــب التاريخي هو أننا نوظِّفه من أجل اســـتكمال طريقة الاســـتعمال التي عادة ما تكون فكرةً محدودة جدًا... وهكذا فإن القاموس التاريخي هو المِشـــعلُ الذي يُضيءُ الاستعمالَ، ولا نلجأ إلى التبحُّر (أو التدقيق العلمي) إلا من أجل الوصول إلى خدمة اللغة».

(11) Littré, *Comment j'ai fait mon dictionnaire.*

(12) بدأ العملُ في جمع مادة قاموس أكســـفورد منذ حوالى عام 1857م، لكن نشره لم يبدأ إلا في عام 1878م، وأشـــرف جيمس موري (James Murray) (1837 – 1915) على تحرير القسم الأول من الكتاب، ولم يكتمل صدورُه إلا في عام 1928م.

(13) كلمة (Abricot) مثلًا تُنطق: ab –ri – ko بإهمال حـــرف (T)، وفي كلمة (Cafard) ينتبه إلى أن حرف (d) لا يُنطق.

الثالث: ذكرُ المعاني المختلفة للكلمــة مُرَقَّمَةً ومرتَّبة ترتيبًا خاصًا بتقديم المعاني الأصلية على الفرعية، والحقيقيةِ على المَجازية، والعامة على الخاصة والاصطلاحية. مع ذكر الأمثلة والشواهد على طريقة تركيبها وكيفية استعمالها مأخوذةً من كتابات المؤلفين الكلاسـيكيّين (من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر).

الرابع: ذكــرُ تواريخ ظهور الكلمــات. وهي تواريخ تقريبيــة يَكتفي فيها بالإشــارة إلى القرن الذي ظهَرت فيه وليس إلى السنة كما سنجد في القواميس التاريخيــة اللاحِقة. فكلمــة (Abricot) مثلًا يــؤرِّخ ليطري لظهورهــا في اللغة الفرنسية بالقرن السادس عشر الميلادي.

الخامس: العنصــرُ الاشــتقاقي التأثيلي، بذكر أصــول الكلمة ومَصدرها (إغريقي، لا تيني، عربي... إلخ). فكلمة (abricot) مثــلا، يَذكُر أنها دخلت إلى الفرنســية عن طريق الإســبانية (albaricoque) التي أخذَتها بدورهــا عن العربية (البرَقوق)، والعربيةُ أخذَتها عن اليونانية، وأن الكلمة العربية استعارَتها أيضًا بقيةُ اللغات الرومانية (مثل الإيطالية: albercoca/ albircoca والبرتغالية: albricoque).

هذه العناصر الخمسةُ المُعتَمَدَة في قاموس ليطري هي نفسُها التي أصبحت منذ ذلك التاريخ مُكوِّناتٍ أساسيةً للتعريف في القاموسية الحديثة والمعاصرة.

ومن صفات إميل ليطري الحميدة اعترافُه بفضل السابقين عليه في إنضاج فكــرة تأليف قامــوس تاريخي للغة. يقول فــي مقدمة كتابــه (ط. 1872م): «لم أكُن أنا أولَ مــن فكَّر في إدخال التاريخ إلى قاموس اللغة الفرنســية. فقد ســبَقَ لفُولتير أن اقترحَ عملًا من هذا القبيل ناصِحًا باستقاءِ الاستشهادات من نصوص الكُتّــاب الكبار عوضَ الإتيان بها بطريقــة اعتِباطية. والأهمُّ من ذلك أن السيد (جِينين)[14] ـ وهو الرجل المُغرَم باللغة القديمة ـ كان يُوصي بالعمل من أجل السَّــير في اتجاه الوصول إلى هذه اللغة القديمة بكل إرادةٍ وتَصميم،

(14) François Génin (1803 - 1856) مؤلف كتاب بعنوان *Des variations de langage français depuis le 12ème siècle*، صدر في عام 1843م.

وتَحدِّي كلِّ قوةٍ تقفُ في ســبيل ذلك. وتبنَّيتُ فكرتَيْ كلٍّ من فُولتير وجينين، وعملتُ على وضع خُطَّةٍ غيرِ مســبوقةٍ خاصةٍ بي. فكنــتُ أولَ من عملَ على إخضاع القاموس للتاريخ مــن كلِّ ناحية. وعَزمتُ على تنفيــذ العمل مُعتَمِدًا على ما لديَّ من قُدرةٍ وتُؤَدَة، وما قد يكون لي من حظّ سعيد..».. ثم إنه إضافة إلى استفادته من نصائح فُولتير وجِينين، أشارَ إلى اطلاعه على تَجربَتين أُخرَيَين مُتزامِنتَين مع فترةِ عمله في قاموسه، هما:

1) المَلازِمُ الأولى من القاموس التاريخي للأكاديمية الفرنســية، وهي إذ ذاك عبارةٌ عن مبحث تشــتملُ على الكلمة الأولى من حــرف (A) ظهَرَت قبل اكتمال الجزء الأول المطبوع في عام 1865م.

2) الأجــزاء الأولى من القامــوس التاريخي الألماني الذي كان يشــتغلُ بتأليفه الأخوان غريم (جاكُوب وفيلهيلم) منذ عام 1838م[15].

الكتــابُ الرابع مــن قواميس القرن التاســع عشــر التــي اعتبَرناها ذاتَ أهمية خاصة في موضوعنا، هو الذي ألَّفه كلٌّ من أدُولف هاتســفيلد وأرســين دارمســتيتر، وطُبع بيــن عامــي 1890و1900م بعنوان: **القامــوس العام للغة الفرنســية** (*Dictionnaire général de la langue française*). وعلى الرغم من أن هذا الكتاب مُصنَّفٌ في العادة ضمن القواميس اللغوية العامة، ولا يَحملُ في عنوانه كلمةَ «تاريــخ» أو «تاريخي»، مثلُه في ذلك مثل **قاموس أكســفورد** للإنكليزية، و**القاموس الألماني**، وذخيرة اللغة الفرنسية، إلا أنه مع ذلك يُعتَبَرُ خُطوةً جديدةً في مجال التأريخ المعجمي. فأول مرةٍ في تاريخ القواميس الفرنسية، نجد كتابًا

---

(15) عنوان هذا الكتاب هو: القاموس الألمانــي (*Deutsches Wörterbuch*)، وهو قاموس تاريخي للغة الألمانية، يُرجِع كلَّ كلمة إلى أصلها الإيتيمولوجي، ويتتبع تطورَها واســتعمالاتها ودلالتها. وعلى الرغم من أن العمل في الكتــاب بدأ منذ عام 1838م فإن الجزء الأول منــه لم يصدر إلا عام 1854م. وخلال حيــاة المؤلفين لم يصدر من هذا القاموس إلا بضعة أجــزاء. وهكذا عملت أجيالٌ بعدهما على إكمال عَمَلهما ولــم يتمّ إلا عام 1961م بصــدور الجزء 32. وفي عام 1957 بــدأ العملُ في مراجعة جديدة لهذا القاموس، فلم يكمل إصدارُه في طبعته الجديدة إلا في عام 1965. ثم صدرت طبعة رقمية على القرص CD-Rom في عام 2004م. أما الأخوان غريــم (Les Frères Grimm) فقد توفي الأولُ منهما وهو فيلهيلم في عام 1859م، والثاني (جاكوب) في عام 1863م.

يُعنَى بوضع تواريخَ مُحدَّدةٍ بالســنوات للمداخل التي يُورِدُها. فكلمةُ (abricot) ـ مثلًا التي اكتفَى ليطري ســابقًا في التأريخ لها بالقول إنها من ألفاظ القرن السادس عشر، نجدُها في قاموس هاتسفيلد وصاحبه يُؤرِّخُ لها بعام 1547م، ويؤرِّخ لبعض مُشتَقاتها على النحو الآتي: abricoté (1690) - abricotin (1751) - abricotier (16s.). ويردُّ أصلَها إلى البرتغالية والإســبانية اللَّتين أخذَتاها من العربية، والعربيةُ واللاتينية معًا أخذَتاها من اليونانية. وإذا كان ليطري يبدأ بشرح معاني الكلمة ويُتبِعُه بذكر تاريخها وينتهي بالناحية التَّأثيلية، فــإن هذا القاموس يَعكِسُ ترتيبَ هذه الأمور تَمامًا، فيبدأ بتأصيل الكلمة واشــتقاقها، وبعدها يذكــر تاريخ ظهورها، وينتهي بذكر معانيها.

هكذا، لن يحلَّ مطلعُ القرن العشــرين، إلا وقد أصبح للفرنســيِّين تجربةٌ لا بأس بها في التأريخ لمعجم لُغتِهم اســتغرَقَت من الوقت حوالى ثلاثة قرون، إذا اعتبَرنا أن كتابَ جيل مينــاج هو الخُطوةَ الأولى في هــذا الدَّرب الطويل. واستفادَت الصناعةُ القاموســيةُ الأوروبيةُ بصفة عامة، والفرنسيةُ خصوصًا، من نتائج البحوث والأعمال الكثيرة التي أُنجِــزَت في الغرب خلال القرون الثلاثة السابقة (من السابع عشر إلى التاسع عشــر) في علم اللغة التاريخي والمُقارِن، خصوصًا في مجال الإيتيمولوجيــا وتأثيل الألفاظ وتأليــف القواميس الثُّنائية والمُتعدِّدة اللغات. وســيكون الكتابُ الصغيرُ الذي نشَــرَه الفرنســيُّ أوسكار بْلُوخ وراجَعَه السَّويســري والتِر فُــون وُرْتْبُرْغ عــام 1932م بعنوان: **القاموس الإيتيمولوجي للغة الفرنســية** (*Dictionnaire étymologique de la langue française*) بدايةَ عهــدٍ جديد في صناعة القواميس التاريخية الفرنســية التي ســوف تأخذُ طُرُقًا ومســالكَ عديدةً ومتنوِّعة، إلى أن تَكتمل صُوَرُهــا وتِقنيّاتُها بصدور كلٍّ من **القاموس التاريخي للغــة الفرنســية** (*DHLF*) (1992م) المعروف اختِصارًا باسم: «روبير التاريخي»، وقاموس: **ذخيرة اللغة الفرنسية** (*TLF*) (1994). وهذا الكتابان يمكن اعتبارُهما قمةَ التجارِب الفرنســية في هــذا المجال، مقارنةً مع عددٍ من عناوين المحاولات الأخرى التي سيمرُّ بنا ذكرُها في الصفحات الآتية. إذ فيهما ســتظهَر كلُّ العناصر المُكوِّنة لمفهوم «التأريــخ» لمعاجم اللغات كما أصبح مُتعارَفًا عليها في هذه الصناعة الحديثة الفَنّيَّة.

الآن، لو أرَدنا، من خلال هذه التَّجربة الفرنسية الطويلة والغَنيَّة وغيرِها من التجارب الأخرى القديمة والحديثة، أن نبحث في أهم النُّقَط التي تكون سَـبَبًا في تنوُّع القواميس التاريخية فيؤدِّي ذلك إلى اختلاف خُطَط إنجازها، لوَجَدناها في الجملة لا تخرُج عن المحاور الآتية:

1 تحديد أهداف القاموس التاريخي.

2 تحديد مفهوم «القاموس التاريخي» أو «تأريخ» المعجم اللغوي.

3 المـــادة المعجميـــة (نوعُهـــا، كمِّيتُهـــا، مصدرُهـــا، عصرُها، مســتوى استعمالها... إلخ).

4 المعلومات التي ينبغي أن تُقدَّم عن هذه المادة المعجمية.

5 صياغة المادةِ المعجمية والمعلوماتِ عنها، وطريقة تَعريفها وترتيبها.

هذه النُّقط الخمسُ هي التي تُنتِج مجموعةً من الأسئلة والإشكالات التي لا بُدَّ من حَسمها والقَطع فيها برأيٍ مُوحَّد بين أعضاء الفريق الذي يُوكَلُ إليه أَمرُ صناعة القاموس التاريخي للغة العربية.

1 – ففي مقدمة الأســئلة التي تقتضي ضرورةَ تحديدِ الإجابة عنها، لأجل تحديد التَّوجُّهات العامة لخُطّة الإنجاز، هناك السؤالُ عن أهداف هذا القاموس والفِئة التي يَتَوَجَّه إليها.

تحديدُ الهدَف معناهُ: تحديدُ الغايةِ من تأليف القاموس، والفائدة المرجُوَّةِ منه. وإذا نحن قدَّمنا جوابًا سريعًا فقلنا الآن: إن الهدَفَ العامَّ معروفٌ لدينا كما ذكرتُ سابقًا وهو وضعُ كتابٍ يُؤَرِّخُ لألفاظ اللغة العربية، وأن الفائدةَ المرجوةَ هي باختصار تقديمُ خِدمةٍ خاصّة لا تُوفِّرُها أنــواعُ القواميس اللغوية الأخرى، فإن هذا الجوابَ العامَّ وحدَه لا يَكفي لتحديدِ كلِّ الملامح والمُواصَفات الدَّقيقة للقاموس الذي نُريدُه تَحديدًا يُميِّزُه عن سِواه من أنواع القواميس التاريخية وهي

كثيرةٌ كما رأينا. إذن، لا بُدَّ من تَعميقِ السُّؤال: سُـؤال الهَدَف، لإضافة سِماتٍ أُخرى تَزيدُ في توضيح الصُّورة والكَشفِ عما هو أكثرُ خُصوصيةً في شكل هذا القاموس المطلوب. ولا شَكَّ في أن كل واحدٍ من الأسئلة الكُبرى التي سيأتي ذكرُها تِباعًا، وما يَتَفَرَّعُ عنها من سُؤالاتٍ أخرى، سَيُقَرِّبُنا بطريقةٍ مُباشِرةٍ أو غيرِ مُباشِرةٍ، وخُطوةً خُطوةً نحو أخصِّ خصائصِ الغاية التي نسعى إليها ونَهدِفُ إلى تَحقيقها.

يَرتَبِـطُ بتحديد الهـدَف والزِّيادةِ في توضيـح الطريقِ إليـه، تحديدُ الفِئة المُوجَّهِ إليها هذا القاموسُ. فهل نُريدُه قاموسًـا مُوجَّهًـا لطَبَقةٍ ضَيِّقة من القُرّاء تنحَصِر في خاصَّة الباحثين والعلماء المُتَبَحِّرين الذين لا تُقنِعُهم الكلماتُ العامَّةُ والأحكامُ المُرسَـلةُ، وإنما يَجدون مُتعتَهم في الغَوص وراء أدَقِّ التفاصيل في حياة ألفـاظ اللغة العربية واسـتِعمالِها وما يدخُلُ عليها من تطـوُّرٍ وتحوُّلٍ في النواحِي كلِّهـا الصوتيةِ والصرفيـةِ والتَّركيبية والدلالية، ويَسـعون إلى التعمُّق في كلِّ شيءٍ مما يَتعلَّقُ بذلك، ولا يَذَرُون شـاذَّةً ولا فاذَّةً إلا أشبَعُوها فَحصًا وبَحثًا، وقَلَّبُوها ظَهـرًا وبَطنًا، ولا يَطمَئِنُّون لقولٍ أو خَبَرٍ، أو تَحليل أو نَظَرٍ، إلا ما كان مُدَعَّمًا بُحُجَّةٍ ومُرفَقًا بِشـهادةٍ، ومُوثَّقًا بدليلٍ وليـسَ أيَّ دلَيلٍ، أم نريده مُوجَّها للفِئة الواسـعة مـن المُثَقَّفين الذين لا يبحثون عـن أدقِّ التفاصيل ولا يُعنَون بالجُزئيّـات، ولا يُلِحُّون في طَلَبِ الشـاهِدِ والدليلِ، ولا وقتَ عندهم لكثرة المعلومات والتَّدقيقِ فيها، وإنما يَكفيهُمُ خُلاصةُ البحثِ وعُصارةُ النتائج، وصحةُ المعلومات، ولا سيما إذا صِيغَت في أوجَز عبارةٍ وأبسَطِ تَركيبٍ؟

تحديدُ فِئةِ القُرّاء تترتَّبُ عنه بالضرورة أشياءُ كثيرةٌ، كتحديد حَجم الكتاب والمادة اللغوية ونوعيـة المعلومات وعناصِرِها وكَمِّيتِهـا، وصياغة التعريفات واللغةِ الواصِفةِ والمُصطلحات المُستخدَمة... وما إلى ذلك من الأمور الكثيرة التي سنراها في الصفحات الآتية.

2 – بعد تحديـد الهَدف، لا بُدَّ من أَن يَأتيَ السـؤالُ عـن تحديد مفهوم «التأريخ»، أي التأريخ لألفاظ اللغة. ما المَقصُودُ به؟ وكيفَ يكونُ؟ وبالجواب عنه يَتحـدَّد جُزءٌ مُهمٌّ من أهداف القاموس المُرادِ إنجـازُه. ذلك أننا حين نقوم

بجولة بين عدد من القواميس المَوصوفة بـ «التاريخية» في عدد من اللغات الأجنبية، سوف لن نجد عندها مفهومًا مُوَحَّدًا ومُحدَّدًا لكلمة «تاريخ».

هل معنى «التاريخ» هو مجرَّدُ رصدِ الألفاظ المستعمَلة واستخراجِها من النصوص الواردةِ فيها والاستشهادِ على طريقة استِعمالها ودلالتها وصيغتها باستحضار نُتَفٍ من تلك النصوص، على طريقة القاموس التاريخي لسانْت بالاي والقاموس التاريخي للأكاديمية الفرنسية، والجزء الصغير من المعجم التاريخي الذي كتبَه المستشرق الألماني فيشر للغة العربية؟ وهل معناه ينحصِرُ في وضع تواريخَ مضبوطة بالسَّنوات، أو تقريبية بالفَتَراتِ أو القُرون، لظُهور الكلمات واستعمالِها بصيغة معيَّنة أو معنىً من المعاني؟ وهل ينبغي في هذه الحال أن نُدخلَ تحت عنوان «القاموس التاريخي» كلَّ كتابٍ تضَمَّنَ تواريخَ من هذا النحو، مثل سلسلة قواميس روبير الفرنسية وغيرِها من القواميس الأوروبية العاديـة التي أصبحت تَعتَبِرُ النَّصَّ على تاريخ بدايةِ استِعمالِ كلمةٍ أو تاريخِ إضافتِها إلى معجم اللغة المدروسة، عُنصُرًا مطلوبًا ومُعتادًا بين عناصر التعريفِ الأخرى في القاموسية الحديثة العامة؟ وعلى كل حال أصبح من الواضح أنه ليس من الضروري أن تَرِد في عنوان أيِّ قاموس صفةُ «تاريخي» لكي نعتبرَه قاموسًا تاريخيًا بالفعل. إذ تبيَّن حقًّا أن هناك قواميس تاريخية نموذجية لكنها مع ذلك لم تَستعمِل في عناوينها هذه الصفة، منها قاموس أكسفورد الإنكليزي (*OED*)، وذخيرة اللغة الفرنسية (*TLF*)، والقاموس الألماني (*DW*) – للأخَوين غريم.

كثيرٌ من اللغويّين فَهِمُوا أن التأريخ لألفاظ اللغة محصورٌ في بحث أصولها واشتقاقاتها وإجراء حَفرياتٍ في شأن تطوُّر صيَغها وأصواتها ودلالاتها مما كان يدخل تحت مسمَّى علم الإيتيمولوجيا أو علم التأثيل أو التّأصيل (وقد يُسمَّى: التَّرسيسَ أيضًا). وهذا ما يجعلنا نلاحظ أن هنالك كثيرًا من القواميس المعروفة التي عادةً ما تُصنَّف ضمن القواميس التاريخية، تَحمِل عنوانَ «قاموس إيتيمولوجي»، ونذكر منها على سبيل المثال: قاموس أوسكار بْلُوخ وقاموس جاكلين بيكوش، والكتاب الذي نشرَه ألبير دوزا في عام 1938م بعنوان قاموس

إيتيمولوجي للغة الفرنسـية، وأعاد مراجعَتَه جان ديبوا وهُنْري ميتيران وأصدَراه في طبعة جديدة (1964م) بعنوان: القاموس التاريخي والإيتيمولوجي للفرنسية، لكنه صدرَ في طبعة لاحِقــة (2001م) بصيغة: القاموس الإيتيمولوجي من دون أن يطــرأ أدنى تغييرٍ على محتَــواه بين هاتين الطّبعتين الأخيرتيــن. بل إننا نجد في كل نماذج التجربة الفرنسـية (من القرن 17 إلى القرن 20م) من القواميس التي تســمَّى بالإيتيمولوجية[16]، إصــرارَ أصحابها علــى إدراج أعمالهم ضمنَ مجال التأريخ للمعجم الفرنسي، حيث كتَب أوغِست بْراشي في مقدمة قاموسه المســمى القاموس الإيتيمولوجي للغة الفرنسية *(Dictionnaire étymologique de la langue française)* يقول: «هذا القاموس الإيتيمولوجي هو التَّتِمة الطبيعيةُ لكتابي المســمى: النحو التاريخي الذي نشَــرتُه العامَ الماضي. لقــد وضعتُ في ذلك الكتاب تاريخَ الصِّيَغ النحوية للفرنسية، ومن أجل إتمام هذا العَمل والوصول إلى رســم الدائرة الكاملة لتاريخ لغتنا، كان عليَّ أن أضعَ تاريخًا لألفاظها، وهذا هو موضوع هذا الكتاب. فهذا القاموس الإيتيمولوجي هو الذي سوف يُكمِلُ ذلكَ التاريخَ». وحين يُعرِّف الإيتيمولوجيا يقولُ عنها إنها: «شَرحٌ للمعاني الصحيحة للكلمات عن طريق التأريخ لها». ثم يُضيفُ: «سنَعرِضُ في هذا الكتاب الخطوطَ

(16) هناك لائحة طويلة من القواميس الفرنسـية التي ألفت خلال الفترة المذكورة تحت عنوان: «قاموس إيتيمولوجي للغة الفرنسـية» أو عنوانٍ قريب منــه، نذكر منها إضافة إلى مــا ورد في ثنايا هذا البحث، العناوين الآتية على سـبيل المثال لا الحصر، وأغلبُها أُلِّفَ في القرن التاسـع عشر وبداية القرن العشـرين: Jean B. Morin, *Dictionnaire étymologique des mots français dérivés du grec* (Paris: [s. n.], 1809); Jean-Baptiste-Bonaventure de Roquefort-Flaméricourt, *Dictionnaire étymologique de la langue française*, précédé d'une dissertation sur l'étymologie par J.-J. Champollion-Figeac, 2 vols. (Paris: Goeury, 1829); Bernard Jullien, *Les Principales étymologies de la langue française, précédées d'un petit traité de la dérivation et de la composition des mots* (Paris: L. Hachette, 1862); Adolphe Mazure, *Dictionnaire étymologique de la langue française, usuelle et littéraire... pouvant servir de complément à tous les dictionnaires classiques* (Paris: E. Belin, 1863); Antoine Paulin Piban, *Dictionnaire étymologique des mots de la langue française dérivés de l'arabe, du persan ou du turc, avec leurs analogues grecs, latins, espagnols, portugais et italiens* (Paris: impériale, 1866); August Brachet, *Dictionnaire étymologique de la langue française* (Paris: Hetzel, 1970); L. Marcel Devic, *Dictionnaire étymologique des mots français d'origine orientale (arabe, persan, turc, malais)* (Paris: Impr. nationale, 1876); Auguste Scheler, *Dictionnaire d'étymologie française d'après les résultats de la science moderne* ([s. l.: s. n.], 1988); Antoine Thomas, *Mélanges d'étymologie française*, université de Paris. Bibliothèque de la Faculté des lettres; 14 (Paris: F. Alcan, 1902), et Léon Clédat, *Dictionnaire étymologique de la langue française*, 3ème éd. revue, corrigée (Paris: Hachette, 1914).

الأساسية لهذا التاريخ الطبيعي للغة[17]. وبالنسبة إلى الإيتمولوجيا فهي تُقدِّم للعالِم [اللغوي] مُساعداتٍ غير منتظَرَة، إذ سوف تصبح في يده أدوات ثَمينة هي بمنزلة المِنظار المُكَبِّر الذي يُمَكِّنه من فَحص أدقِّ التفاصيل. وهذه الأدواتُ ثلاثٌ هي: الدراسة الصوتية والتاريخ والمقارنة». وبفَضل استعمالِ هذه الأدوات البَحْثية أصبح هذا العِلمُ «يقدِّمُ من الخَدَمات ما عَجَّلَ باحتلالِه مكانةً ينبغي عدم التفريطُ فيها بين العلوم التاريخية».

أما إميل ليطري فرأينا كيف تَرَدَّدَ في تسمية كتابه بين «القاموس الإيتمولوجي الجديد..». و«القاموس التاريخي للغة الفرنسية»، وكيف أنه وضعَ مقدمة طويلةً يشرحُ فيها أهميةَ التأريخ لألفاظ اللغة، وكيف اعتبر نفسَه «أولَ من عملَ على إخضاع القاموس للتاريخ من كلّ ناحية». وحين تَحدَّث عن الجوانب التي تشمل ميدان البحث الإيتيمولوجي للغة الفرنسية، ذكرَ أنها يجب أن تشتمل على خمسة عناصر أهمُّها: البحثُ في المعنى، والشكلُ (أو الصيغة)، وقواعدُ التحوُّل والتغيُّر، والتاريخ.

في **القاموس العام للغة الفرنسي** *(DGLF)* لهاتسفيلد وصاحِبه، نجد المؤلِّفين يوضِّحان مفهومَهما للتاريخ بالقول: «المنهجُ التاريخي لا يعني أن نذكر المعاني المختلفة للكلمة فحسب مُنطَلِقين من المعنى الأول الذي منه تَفرَّعَت بقيةُ المعاني (...) إن معرفة تاريخ اللغة يقتضي معرفةَ كيفية تكوين هذه اللغة. وأولُ عُنصر من عناصر هذا التكوين، هو معرفةُ منابِع المعجم الفرنسي المختلفة، أي تلك التي استَمَدَّ منها هذا المعجمُ مادَّتَه اللغوية. فرَوافدُ اللغة الفرنسية مثلًا تتكوَّن من الرَّصيد اللاتيني الأوَّلي، ثم ما أُضيفَ إليه من كلماتٍ جاءت من اليونانية والسَّلتية والجِرمانية والسلافية والإسبانية والإيطالية، واللغات السامية... إلخ. وينبغي بعد ذلك معرفةُ القوانين الصَّوتية التي أدَّت إلى التغيُّرات والتَّحوُّلات في عدد من الكلمات الفرنسية (...) وفي المرحلة الثالثة:

(17) يشبِّه المؤلفُ مثل أستاذه إميل ليطري علم التأثيل (الإيتيمولوجيا) بعلم التشريح في الطب، ويقول إن علم التأثيل أصبح جزءًا من العلوم التي تخضع للملاحظة والتجربة مثل بقية العلوم الطبيعية الأخرى، واعتُرِفَ لها بذلك منذ ثلاثينيات القرن الثامن عشر.

معرفةُ القوانين النحوية التركيبية التي عملت عمَلَها في تغيير التراكيب الفرنسية وصِيَغها الصَّرفية.»..

إذن، التأريخُ لألفاظ اللغة بهذا المعنـــى يدخل عند مجموعة من اللغويين قُدامى ومُحدَثين ضمن المجال الواسِـــع الذي كان يُعطَى للإيتيمولوجيا، أو هو أداتُها الأساس. وقد يُصبحُ مُرادِفًا لها ومُتَضَمِّنًا عناصرها المختلفة أحيانًا، باعتبار أن أهمَّ ما يُطلَبُ تحقيقُه في قاموسٍ تاريخـــي هو البحثُ في أصول الكلمات، وإجراءُ حَفْرياتٍ في شـــأن تَغيُّر صِيَغها وأصواتها ومَعانيها، وتَتبُّعُ حالاتها عبرَ الحِقَب، ومقارنـــةُ حاضِرِها بماضيها، لكن في النهاية، لا بـــدَّ من القول إن كلَّ تجارِب المراحل السابقة، أفضَت إلى وضع مفهوم حديثٍ للقاموس التاريخي للغة، يمكن أن نســـتمدَّ عناصرَه الأساسية من النماذَج المُتأَخِّرة التي ظهَرت من هذا النوع من القواميس، وأخصُّ بالذكر منها قاموسَين اثنين: **القاموس التاريخي للغة الفرنسية** (*DHLF*) الذي أصدرته دار روبير(1992) وأشرَف عليه المعجمي الشهير آلان ري. وذخيرة **اللغة الفرنســـية** (*TLF*) (1994) الذي أصدَرَه المركزُ الوطني للبحث العلمي في فرنسا بإشراف لغويٍّ شـــهير أيضًا وهو العميد بُول إمْبس. ومعلومٌ أن هذين القاموســـين الفرنســـيَين الحديثين قد استَفادا أولًا من التجارِب الفرنسية المُتَأَصِّلة والمُتَدَرِّجة طيلةَ ثلاثة قرون في محاولةِ كتابة تاريخ المعجم الفرنســـي، كما اســـتفادا ثانيًا من التجارِب الأوروبية الأخرى المُواكِبة بصفة عامة، ومن تجربتَي القاموســـين الألماني والإنكليزي (أكسفورد) اللذين بدأ العملُ بهما منذ القرن التاسِـــع عشر، بصفة خاصة. وهذه العناصرُ الأساسية التي أَشَـــرنا إليها هي التي تضَمَّنَها تعريفُنا المُركَّز للقاموس التاريخي حين قلنا في بحث ســـابِقٍ إنه ينبغي أن «يَتناولَ الشكلَ والمَضمون، أي الدالَّ والمدلول، ويرصد كلَّ أوجه التطوُّر أو التغيُّر في المعاني والألفاظ، ويُتابعها في كل أبعادها الزَّمانية والمَكانية، وفي كل مجالات الاستعمال ومُستوياته»[18]. ومعنى هذا أن مفهومنا للتاريخ المعجمي يشـــمل كلَّ الجوانب التي ترصُد مختلف التَّغيُّرات

(18) انظر: عبد العلي الودغيري، «التأريخ لمعجم اللغة العربية: أسئلة وإشكالات،» في: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية: قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية، 2 ج (فاس، المغرب: مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)؛ القاهرة: دار السلام، 2011).

التي تَطرَأُ على اللفظ، صوتًا وصيغةً وصَرفًا ودلالةً وطريقةَ تَركيبٍ واستِخدام، عبرَ مراحل استِعماله كلِّها وفي كل المجالات والبيئات والمُستَوَيات. وهذا لا يمكن أن يتمَّ ويَكتمل إلا بعنصُر التأثيل والتأصيل والحَفر في أركيولوجية الكلمات والبحث في مصدرها ومعرفة مدى أصالتها وعَراقَتها في اللغة المُؤرَّخ لها، أو انتِقالها وهِجرتها من لغة إلى أخرى. وكم في رِحلة الكلمات من قِصَصٍ طريفةٍ وحكايات مُمتِعة تفتَحُ الأفاقَ الواسِعة لكل الباحثين في تلاقُح الحضارات والثقافات وتداخُل اللغات وتطوُّرها صيغًا ودلالاتٍ.

إن إيتيمولوجية اللفظ - خِلافًا لما يَعتقده البعضُ - جزءٌ أساس من التأريخ له، وإن كان ليس وحدَه كافيًا من دون بقية العناصر. ولعل ضرورة الجمع بين كل هذه العناصر هي التي جعَلت بعضَ المؤلِّفين يَحرِص على أن يَجمَع في عناوين قواميسه بين لَفظَي «التاريخ» و«الإيتيمولوجيا» رفعًا لكل التباس. من ذلك كتاب ديبوا وصاحِبَيه الذي ذكرنا سابقًا أنه طُبِع منذ عام 1964 بصيغة: **القاموس الإيتيمولوجي والتاريخي للغة الفرنسية**، ثم طُبِعَ أيضًا (لاروس 2001م) بعنوان مختصر وهو: **القاموس الإيتيمولوجي**[19]. ومن ذلك أيضًا كتابُ بومْغارْتْني وميnar الذي طُبِعَ (1996م) بعنوان **القاموس الإيتيمولوجي والتاريخي للغة الفرنسية**.

3 - مما له صلةٌ بالنقطتين السابقتين المتعلِّقتين بتحديد مفهوم القاموس التاريخي من جهة، وتحديد هدفِه من جهة ثانية، أن نسأل: هل نريدُ لقاموسنا الذي يُطلَبُ إنجازُه أن يكون قاموسًا لغويًا تاريخيًا (ق ل ت) أم قاموسًا تاريخيًا للغة (ق ت ل)؟ والفرقُ بين النوعين كما بيَّنتُ في بحث سابقٍ[20]، أن الأول هو في الأساس قاموسٌ لغوي عام، موجَّه في العادة إلى الجمهور الواسع من القراء، وغايتُه الأساس هي شرحُ معاني الألفاظ، وتوضيحُ طريقةِ استعمالها بشكل صحيح، ولا يختلف عن سائر القواميس اللغوية العامة إلا بإضافة عنصر

---

(19) في عام 2007 أعيد طبعُه مرةً أخرى بالصيغة الأولى: *Dictionnaire étymologique de la langue française.*

(20) الودغيري، «التأريخ لمعجم اللغة العربية».

جديد، هو العنصـــر التاريخي، إلى بقية عناصر التعريـــف الضرورية المعروفة. وقد ينحصِرُ دورُ العنصر التاريخي في هذه الحالة، في النَّصِّ على تاريخ ظهور الكلمات واســتعمالاتها، وقد يَتَضمَّــن أيضًا، في تركيز تــامٍّ، القَدرَ الضروري من الجانب التأثيلي. وهذا أمــرٌ أصبح اليوم تقليدًا مُتَّبَعًــا ومُقتضىً معمولًا به في أغلبية القواميس اللغويــة العامة الحديثة في الغَرب مهمــا تنوَّعت أهدافُها وغاياتُها، وذلك منذ القرن التاسع عشــر كما أَشَرتُ سابِقًا، وإن لم يكن عُنصُرًا إلزاميًا وضروريًا في كل قاموس لغوي عام[21].

أما الثانــي (ق ت ل) فهو مُوجَّه إلــى فئة مَحدودةٍ من القُــرّاء، وهي فئةُ الباحثين المتخصصين والمهتمِّين بالبحث في تاريخ اللغة وأُصولها واشتقاقِها وتَغيُّراتها وتطوُّرها ومراحل حياتهــا، وعلاقاتها باللغات الأخرى. ولذلك فهو ليس قاموسًــا للمعاني ولا قاموسًــا تعليميًا أو بيداغُوجِيًّا، إذ ليس من وظائفه تعليمُ طريقة استعمال الألفاظ وحُســنِ تركيبِها. وإنما غايَتُه الأولى والأساسُ هي التأريــخ لتطوُّر ألفاظ اللغــة صيغةً ومضمونًــا، صوتًا ودلالــةً. فالتاريخُ هنا هــدفٌ مقصودٌ ومطلوبٌ لذاتــه وليس مجردَ عنصرٍ مــن عناصر التعريف المُكَمِّلة فحسب كما في النوع الســابق. ويدخل ضمن مفهوم التأريخ في هذه الحالة: البحثُ في نَشــأة الكلمــات ومراحل حياتها من ميلادهــا وطُفولتها، إلى فترة ازدهارها وقُوَّتها فكُهولتها وشَــيخُوخَتها وضَعفها وتراجُعها أو موتها وانقِراضها، وما تولَّدَ عنها واشــتُقَّ منها، ســواء في حال اســتِقرارها في بيئتها الأصلية أم في حال انتقالهــا من لغة إلى أخرى، ومن حَقــل إلى حقل، ومن معنى إلى معنى، ومن صيغة إلى صيغة، وتَوثيقِ نَسَبها ومَدَى أصالتها وعَراقتها في لغة معيَّنة أو طُرُوئِها عليها. وذلك كُلُّــه على الطريقة التي اتَّبَعَتها طائفةٌ من القواميس الغربية المتخصِّصة.

على الرغم من أن لكلٍّ من النَّوعيــن غايتَه وهدفَه وجُمهورَه وقُرّاءَه، وأن

---

(21) من القواميس اللغوية العامة الحديثة التي لم تلتزم بذكر العنصر التاريخي بشــكل ضروري ومنتظِم في كل المداخل، سلسلة قواميس لاروس. عكس سلســلة قواميس روبير (روبير الكبير وروبير الصغير) التي التزمت بذكر العنصر التاريخي بشكل مُنتَظِم.

كلَّ واحدٍ منهما مُكمِّلٌ للآخر، فلا شَكَّ في أن اللغة العربية تَفتَقِر إليهما معًا، ولا أحد منهما يُغني عن الآخر، فإن تمَّ العملُ لأجلهما معًا في آن واحدٍ، ففي ذلك خيرٌ كثيرٌ وخدمةٌ جليلةٌ للغة العربية. وغايةُ ما في الأمر أن كلاً منهما سيحتاجُ إلى خُطةٍ إنجاز خاصَّة، وأن المشقَّة ستكون مُضاعفَةً ولو أنها ضرورية لا مَفرَّ منها في النهاية. لكن من الواضح أننا لو فكَّرنا بمنطق ترتيب الأولَويات، لوجدنا أن الحاجة إلى النوع الثاني هي الأكثرُ إلحاحًا في هذه المرحلة، ولا سيما أن جزءًا مُهمًّا من المعلومات والعناصر التاريخية والتأثيلية التي سوف يُوفِّرُها النوعُ الثاني من هذه القواميس، سيُوظَّفُ ويُستغَلُّ في صناعة النوع الأول أيضًا.

4 - ثم سؤالٌ آخر: هل نريد لقاموسنا هذا أن يؤرِّخ لكل ألفاظ اللغة العربية في كل أزمِنَتها وأمكِنَتها وكلِّ مجالات استِعمالِها ومستوياتها، أم نريد التأريخَ لنوع خاصٍّ أو فئةٍ معيَّنة أو قائمةٍ محدودة منها فحسب؟ وبمعنى آخر: هل نريده قاموسًا شاملًا ومُستوعِبًا بدرجة معيَّنة، أم نريده قاموسًا انتِقائيًا واصطِفائيًا؟ وإلى أيِّ حدٍّ قد يصلُ الاستيعابُ أو درجةُ الانتقاء إن سَعَينا إلى ذلك باعتبار أن فكرة الاستيعاب التامِّ لا يمكن تحقيقُها والوصولُ إليها في أيِّ قاموسٍ كانَ؟ وما هي معاييرُ الانتقاء والاصطِفاء التي سنُضطَرُّ إليها في هذه الحال؟

هذا سؤالٌ كبيرٌ يمكنُ تفريعُه إلى أسئلةٍ أخرى منها على سبيل المثال لا الحَصر:

4 - 1 - هل نريد التأريخَ للعربية القديمة (منذ أَقدَم صِيَغها التي وصَلَت إلينا في شكل نُقوش) والحديثة، وما بين المَرحَلتين من مختلف العصور، أم نريد التأريخَ للعربية الحديثة فحسب؟ وبمعنى آخر: هل نريدُ التأريخ للمُستعمَل الحيِّ من ألفاظ لغتنا العربية إلى جانب ما شاخَ منها أو أُهمِلَ وهُجِرَ وسقَطَ من الاستِعمال؟

من بين التعريفات المشهورة اليوم لمُعجم اللغة، هو أنه نظامٌ مفتوحٌ على بابين: بابٍ تدخلُ منه الألفاظُ الجديدةُ والمُستحدَثة، وآخرَ تخرجُ منه الألفاظُ

والاستِعمالاتُ المتقادِمة التي يقَع تهميشُها والتخلّي عنها لأسبابٍ كثيرة، وأنه لذلك في تطوُّر وتغيُّرٍ مُستَمرَّين. وأصبحت القاعدةُ المُتّبَعةُ في القاموسية الحديثة تَقضي بضرورة تَحيين المادة المعجمية في القواميس اللغوية العامة ومُراجَعتها بين فترةٍ وأخرى، بغاية التخلُّص من الألفاظ المُتقادِمة الساقِطة من الاستعمال، وإدخالِ الألفاظ الحديثة والمُستَجَدَّة التي تُواكِبُ العصر. إذ لا يُعقَلُ اليوم أن تفتح قاموسًا لغويًا عامًا فتَجده مليئًا بالألفاظ العتيقة الغريبة عن لغة العصر وحاجة الناس، وفي الوقت ذاته فارغًا أو فقيرًا في جانب الألفاظ الحديثة المُعبِّرة عن الحياة الجديدة وأسماء الأدوات والآلات والأفكار والظواهر والمفاهيم وكلِّ الأشياء الأخرى المُتداوَلة. لكن، هل معنى هذا أن القاموس التاريخي عليه بالضرورة أن يتخلَّص من الألفاظ القديمة والمهجورة الخارجة عن دائرة الاستعمال، كما يفعلُ أيُّ قاموس لغوي عام؟ وهل هو قاموسٌ لمواكبة ألفاظ العصر أم لمواكبة ألفاظ كل العصور ؟

هنالك توجُّهان في الموضوع سلَكَتهما القواميسُ التاريخيةُ الحديثة، ولكلٍّ منهما غاياتُه ومُبرِّراتُه وأهدافُه. فبعضُها مالَ نحو تدوين كلِّ ما استطاع الوصولَ إليه من الألفاظ مهما كانت وضعيتُها قديمةً أم حديثة، حيةً مُتداولةً، أم توقَّفَ استعمالُها وأصبحت من المَهجور المَتروك. وهذه هي الطريقة التي سلَكَها قاموس أكسفورد الإنكليزي. وبعضُها الآخر مالَ نحو الاكتفاء بالتأريخ لما هو حَيٌّ وحديثٌ مُتداوَلٌ وغَضَّ الطرفَ عن الباقي فلا يتطرَّقُ إليه إلا عند الاقتضاء، أي عندما يكونُ الرجوعُ إليه ضروريًا للتأريخ للألفاظ الحديثة. وذلك هو التقليد الذي سارَت عليه أغلبيةُ القواميس الفرنسية الصادرة منذ القرن السابع عشر[22]. ومنها قاموس ليطري (1872م)، وقاموس هاتسفيلد (1890م)، وقاموس بلوخ (1932م)، وقاموس روبير التاريخي (1992م) الذي اعتبرَ اللغةَ الفرنسيةَ القديمةَ بمنزلة «لغةٍ أجنبية» لا يُرجَعُ إليها إلا عند

---

(22) هذه الطريقة لم تبتدعها القواميس الحديثة التي أرَّخت للغة الفرنسية، وإنما سَنَّها من قبل قاموسُ الأكاديمية الفرنسية منذ طبعته الأولى الصادرة في عام 1694م، وكذلك القاموس التاريخي للغة الفرنسية الذي أصدرته هذه الأكاديمية بين عامي 1863 و1894م.

الحاجة إلى معلوماتٍ ضرورية لاستِكمال الجوانب الناقِصة في التأريخ للفظ من ألفاظ اللغة الحديثة[23]، وذخيرة اللغة الفرنسية (*TLF*) (1994م)، وغيرها. وأعتقدُ أنه، للخروج من هذه الحَيرة بين الوِجهتين، يمكننا من حيث المبدأ أن نتبنَّى الطريقتين معًا، فنسعى إلى وضع قامُوسين تاريخيَّين أحدهما يكون مطوَّلًا ومُستوعِبًا لكل ما يُمكن الوصولُ إليه من ألفاظ العربية قديمِها وحديثِها، وآخر مختصرٌ ومُقتصِرٌ على الألفاظ الحديثة.

بل هنالك توجُّه ثالثٌ سَلكَه بعضُ القواميس التاريخية الغَربيَّة المُختصَرة، وهو إعمالُ مبدأ الاختيار والانتقاء حتى داخل صِنف الألفاظ الحديثة نفسها. فقاموسُ بومْغارْتني وميناز المُشار إليه سابقًا، اختارَ هذا الطريقَ ووضَّحَ ذلك بأن قال: «لقد آلينا على أنفسنا أن نُميِّز بين ما هو أساسي أو جوهري من الألفاظ وما هو ثانوي أو تكميلي. ولذا، وقع تركيزُ اهتمامنا على الألفاظ الأساسية التي رأينا أنها لم تَحتلَّ مكانَتَها الواسعة في هذه النوع من القواميس. وأولَينا الاهتمامَ نفسَه للألفاظ الدالة على الأفكار مثل (nation) و(nature)، وكذلك الألفاظ الدالة على بعض الحقائق الثابتة والمؤثِّرة في الحياة الاجتماعية مثل: (demoiselle) و(valet)..»..

4 – 2 – هل نؤرِّخ للغةِ كلَّ عصرٍ على حِدةٍ (قاموس العصر الجاهلي، قاموس العصر الإسلامي الأول، قاموس العصر العباسي، قاموس عصر المماليك تاريخ العصر الحديث، تاريخ الفترة المعاصرة..) كما تَميلُ إلى

(23) جاء في مقدمة هذا القاموس: «موضوع قاموس روبير التاريخي هو المفردات الفرنسية الحديثة، أما الألفاظ التي اختفت وخرجت من الاستعمال، فلم يقع الاهتمامُ بها إلا من أجل إضاءة جوانبَ تتعلَّق بتطور الكلمات الحية. فالفرنسيةُ القديمة نعتبرها من هذه الناحية لغةً أجنبية نستعين بها عند الاضطرار إلى توضيح الاستعمال الحديث فحسب».

وجاء في مقدمة القاموس التأثيلي والتاريخي للغة الفرنسية لبومغارتني وميناز: «لم يكن من بين أهداف عملنا أن نجمع بين ألفاظ الفرنسية بدءًا من الفرنسية القديمة إلى فرنسية العصر الوسيط ثم فرنسية القرن العشرين. فالمعجمُ القديمُ الذي اختفَى من حياة اللغة ليس له الحقُّ في الوجود ضمن قاموس اللغة الفرنسية الحديثة. وفي هذه النقطة خالَفْنا منهج دوزا وديبوا وميتيران». والمؤلفان يُشيران هنا إلى القاموس التأثيلي والتاريخي للغة الفرنسية الذي ألفه دوزا، ثم أعاد النظر فيه ج. ديبوا وهـ. ميتيران.

ذلك بعضُ الآراء، وكما جرى به العَمــلُ فعليًا في بعض التجارب من قواميس اللغات الأوروبية[24]، أم نؤرِّخ للغــة كلِّ العصور جملةً واحدة؟ وفي اعتقادي أن هذا لا يمنَع من ذاك. وإذا كان المشــروعُ الكبير الــذي تُفكِّرُ فيه نُخبةُ الأمة حاليًا وتسعى إلى إخراجه في أســرع وقتٍ ممكن، هو القاموسُ الشامِلُ الذي يُؤرِّخ للغة في عصورها كلها، فهذا لا يَمنَعُ من توزيع عملية التنفيذ وتقســيمِها علــى مراحل مُتَتابِعة، عصــرًا عصرًا، ومرحلــةً مرحلةً. ثم فــي النهاية تُجمَع الحَصائِلُ الجُزئية لهذه المراحل بعضها إلى بعض، لنصل إلى الحصيلة العامة. وليس شَــرطًا في هذه الحال، من جعل العصــر الأول أو الأقدم للغة هو نقطة البداية في كتابة القاموس، إذ يُمكِن أن تكون نقطــةُ البداية من العصر الأخير، أي من الألفاظ المُســتعمَلة والمُتَداوَلة في الوقت الراهِــن. وكلُّ ما في الأمر هو أن اللغة الحديثــة والمُعاصِرةَ فيها كثيرٌ جدًا من الألفــاظ التي يعودُ تاريخُ ظُهورها إلــى عُصورٍ ســابِقةٍ قديمةٍ ومتوسِّــطة، لكنها اســتَمرَّت في الوجود والاســتِعمال بلا انقطاع إلى وقتنا هذا. فهي قديمةٌ من وجــهٍ حديثةٌ من وجهٍ آخرَ. ومُؤرِّخُ المُعجَم سيكون مُضطَرًّا، حين التعرُّض لها، إلى الرجوع خُطواتٍ إلى الوراءِ، باحِثًا عن جذورها ونقطة انطلاقِها في تلك الأزمنة القديمة، ومُتَتَبِّعًا مراحلَ تَطوُّرِها إلى آخر لحظةٍ في حياتِها المُعاصرة. ومعنى هذا أن الذي يؤرِّخ للغــة الحديثة والمعاصِرة لن كــون في غِنًى عن البحث فــي تواريخ المراحل السابقة ليستفيد منها ويعتَمِدَ عليها. وكلَّما تَوفَّرَ قدرٌ كبيرٌ منها كان ذلك أَفيدَ له ومُساعِدًا في تسهيل مُهمَّته والإسراعِ في إنجازها.

4 - 3 - هــل نريد التأريخ للعربيــة المكتوبة وحدَهــا أم للمكتوبة وغيرِ

---

(24) من الأمثلة على ذلك في اللغة الفرنســية: قاموس اللغة الفرنســية في القرن السادس عشر (*Dictionnaire de la langue française du seizième siècle*) لإدمــون هوجــي (Edmond Huguet)، وقاموس الفرنســية المتوسِّــطة: فرنســية العصر الوســيط (*Dictionnaire du moyen français*) لغريماس وصاحبه (Julien Greimas et T. M. K)، وقاموس الفرنســية القديمة (*Dictionnaire de l'ancienne langue française*) لغُودفــرُوي (F. Godefroy) الذي جمع فيه اللغة الفرنســية من القرن التاســع إلى القرن الخامس عشــر الميلادي. وانظر حــول بعض التجارب الأخرى في اللغتين الألمانية والروســية: عبد الرزاق مســلك، «صناعة المعاجم التاريخية بألمانيــا،» وحميد العزوي، «المعجم التاريخي للغة الروســية،» في: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية.

المكتوبة على حدٍّ ســواء؟ وبعبارة أخرى: هل نؤرِخُ للفصحى دون غيرِها، أم نُضيفُ إليهــا اللهجاتِ والعاميات على اختلاف أزمِنَتِهــا وأمكِنتِها في مختلف بيئاتها العربية؟ وما مفهوم الفصاحة وما هي معاييرها في هذه الحال؟ وفي ذلك كلامٌ كثيرٌ شَرَحناه وفَصَّلناهُ في غير هذا المكان[25].

4 - 4 - هل نريد التأريخَ لكل أنواع الألفاظ اللغوية من ألفاظ عامة وأسماء أعلام ومُصطَلحــات عِلمية وتقنية وفَنِّية، أم نريد الاقتصــارَ على الألفاظ العامة دون غيرها من أســماء الأعلام والألفــاظ التِّقنية والعِلميــة؟ أم نؤلِّف قواميسَ تاريخية مختَصَّة بكل نوع من الألفاظ وهو أمرٌ ممكن ومفيدٌ ومُحتاجٌ إليه أيضًا؟

الــذي دَأَبَت عليه أغلبيــةُ القواميس التاريخية الغربية ابتــداءً من القاموس التاريخي للأكاديمية الفرنســية - وهو من أقدم القواميس التاريخية الأوروبية - هو الاكتفاءُ بألفاظ اللغة العامة المُشتَرَكة، وتركُ ما عدا ذلك من أسماء الأعلام واصطلاحات العلوم والفنــون والتِّقنيات، ولا ســيما ما كان منهــا مُوغِلًا في الخُصوصية، ليُوضَع في كُتُبٍ مخصوصة. جاء في مقدمة هذا القاموس الصادر جُزؤُه الأول في عام 1865م مــا ترجمتُه: «إن اللغة التي انكبَّت الأكاديميةُ على تدبيج تاريخها، هي لغةُ الحياة العامة ولغةُ الأدب. أما غيرُها من الألفاظ الخارجة عن هذه اللغة العامة المشترَكة بين الجميع، من قَبيلِ لغة العلوم المختلفة والمِهَن والصنائـع بأنواعها، فهي اصطلاحات خاصــة يكونُ لها عــادةً معنىً واحدٌ ثابتٌ لا يتغيَّرُ وليس لها معــانٍ فرعيةٌ، وبالتالي لا يكون لهــا تاريخٌ. ومن أجل ذلك، يُستحسَــنُ أن يُحتفَظَ بها في قواميس متخصِّصةٌ. هذا هو الموقفُ الذي اتخذته الأكاديميةُ من ســائر الألفاظ العلمية والتِّقنية بصفة عامة، إلا ما كان له استعمالٌ أدبيٌّ [أي رائجٌ فــي اللغة الأدبية العامة] وجرَى به الاســتعمالُ العام». على أن هذا الموقف من أســماء الأعلام والاصطلاحات ظهرَ قبــل ذلك في القواميس اللغوية العامة الغربية منذ القرن الســابع عشــر، وأشــهرُها قاموس الأكاديمية

(25) عن هذه النقطة بالذات، انظر: عبد العلي الودغيري، «قضية الفصاحة في القاموس العربي التاريخي،» ورقة قدمت إلى: «المعجم العربي التاريخي: قضاياه ووســائل إنجازه،» (ندوة علمية عقدت بدعوة من جمعية المعجمية العربية، تونس، 41 - 71 تشرين الثاني/ نوفمبر، 1989).

الفرنســـية منذ طبعته الأولى في عام 1694م[26]. بل وجدنا هذا التوجّه واضِحًا منذ قاموس ريشـــليه الصادر في عامِ 1680م[27] الذي اعتـــاد مُؤرّخو الصناعة القاموسيةِ الفرنســـية على اعتباره أولَ قاموس لغويٍّ حقيقي، من نوع القواميس العامة الأُحاديّةِ اللغة، ظهرَ في تاريخ اللغة الفرنســـية كله[28]. فصار هذا المنهجُ بعد ذلك تقليدًا مُتّبَعًا في القاموسية الفرنسية والغربية عمومًا، مع استثناءات قليلة منها كتاب فيروتْيير[29]. وهو التقليدُ نفسُه الذي كان سائدًا في القاموسية العربية منذ نَشـــأتها على يد الخليل بن أحمد في «كتاب العين» (ق2هـ/ 8م)، وأصبح أمرًا مُتعارَفًا عليه طيلةَ القرون اللاحقة في كل القواميس العامة للغة العربية منذ بدايتها إلى العصر الحديث، إلا ما شَذَّ عن ذلك وهو قليلٌ جدًّا[30].

---

(26) جاء في مقدمة هذه الطبعة الأولى من الكتاب: «إذا كانت الأكاديمية قد أهملت اصطلاحات الفنون والعلوم وأسقَطَتها من قاموسها، فإنها لم تجد فائدةً في تطبيق هذا الإهمال على ما تحوَّل من تلك الاصطلاحات إلى ألفاظ عامة وأصبح جزءًا من لغة الخطاب العادي ومُستعملًا في تعبيرات مجازية...».. لكن الأكاديمية أصدرت في ما بعد (1842م) تكملة للطبعة السادسة من قاموسها اللغوي العام بعنوان: *Complément du dictionnaire de l'académie*، فتضمَّنت عددًا كبيرًا من الألفاظ الاصطلاحية والتقنية.

(27) أعلن بيير ريشـــليه (Pierre Richelet) هذا الموقفَ من الألفـــاظ التقنية منذ عنوان كتابه الذي أكد فيه أنه ســـيقتصر على ألفاظ الفنون والعلوم الأكثر شـــهرة. إذ جاء هذا العنـــوان الطويل على النحو الآتـــي: *Dictionnaire français, contenant les mots et les choses, ... Avec les termes les plus connus des arts et des sciences. Le tout tiré de l'usage et des bons auteurs* (= قاموس فرنسـي يشتمل على الكلمات والأشياء... مع ألفاظ الفنون والعلوم الأكثر شهرةً. والكلُّ مأخوذٌ من اللغة المُستعمَلة ومما هو واردٌ لدى أحسن المؤلِّفين).

(28) اعتاد مؤرخو القاموسية الفرنسية على اعتبار هذا الكتاب أولَ قاموس أحادي اللغة في تاريخ الفرنسية، على الرغم من كونه مسبوقًا ببعض القواميس التأثيلية مثل كتاب ميناج (1650م) وكتاب الأب فيليب لاب (1661م) المذكورين من قبل.

(29) كتاب أنطوان فيروتيـــر (Antoine Furetière) طُبع عام 1690م بعنوان طويل جاء على النحو الآتي: *Dictionnaire universel, contenant généralement tous les mots français tant vieux que modernes, et les termes de toutes les sciences et des arts...* (= قاموس عالمي يشتمل بصفة عامة على كل الكلمات الفرنســـية ســـواء كانت قديمة أم حديثة، وكذلك كل مصطلحات العلوم والفنـــون). وكان فيروتيير من أعضاء الأكاديمية الفرنسية المعارضين لفكرة إهمال الألفاظ التقنية واصطلاحات العلوم، فحاول إصدارَ كتابَه هذا قبل ظهور قاموس الأكاديمية الذي طبع بعده بأربع سنوات.

(30) كان القامـــوس المحيط للفيروزآبادي أبرزَ مثالٍ على هذه الاســـتثناءات التي لم تلقَ تجاوُبًا وقَبولًا من فئة عريضة من نُقّاد الصناعة القاموســـية القدماء والمحدَثين. وأشهر من رفع سلاحَ المقاومة ضد تيار الفيروزآبادي الذي تجرّأ على خَرق العُرف المُتبَع بإدخاله أســـماء الأعلام البشـــرية والجغرافية =

الموقفُ السليم في ما يتعلَّق بهذه النقطة هو عدمُ التطرُّف في هذا الاتجاه أو ذاك. سواء بالنسبة إلى القاموس اللغوي العام أم القاموس التاريخي للغة. فليس من المقبول إبعادُ كلِّ الألفاظ التِّقنية واصطلاحات العلوم إبعادًا نِهائيًا، وتامًّا، ولا إدخالُها جميعًا على وجه العُموم والشُّمول. فهناك ألفاظٌ من هذا النوع شاعَ استعمالُها في اللغة العامة المشترَكة ولم تعد مقصورةً على أهل الفنون والحِرَف والعلوم والتِّقنيات، وهذا لا معنى لغضِّ الطرف عنه أو تَحاشيه وتَهميشِه، وهناك النوعُ الآخر الذي ظلّت معرفتُه مقصورةً على دائرةٍ ضيِّقة من مُستَعمليه في علمٍ أو فنٍّ أو تِقنية معينةٍ، وهو ما اتفقَت القواميسُ اللغوية العامة على رفضه وأوكَلَت أمرَه إلى القواميس التخَصّصية. لكن هذا الموقف المعتدل الذي اتخذته القواميسُ اللغويةُ العامة، ليس مُسلَّمًا بـه ولا مُبرَّرًا عند جميع مُنَظِّري القاموسية التاريخية. إذ هناك من يرى أن التأريخَ لمعجم لغة معيَّنة لا يكون كاملًا إلا بإدخال جميع أنواع الألفاظ دون استثناء، ما كان تِقنيًا منها وما كان مُشترَكًا، خاصًا كان أم عامًّا. فالتأريخ لمعجم اللغة سيظلُّ ناقِصًا إذا لم يتطرَّق لكلِّ لفظٍ من ألفاظِ تلك اللغة سواء كان عامًا أم خاصًا، مُشترَكاً أم غيرَ مُشترَكٍ، قديمًا أم حديثًا، حَيًّا مُستعمَلًا أم مَهجورًا مَتروكًا.

4 - 5 - هل نريد القيامَ بمَسحٍ تامٍّ لكل ما كُتِب بالعربية قديمًا وحديثًا في كل المجالات والعصور والبيئات وبكل المُستوَيات، أم ينبغي اللُّجوءُ إلى طريقة الانتِقاء والاختيار للمادة المعجمية من مصادر محدَّدة في القديم والحديث، نَنتقيها بعنايةٍ مخصوصة وبمعايير معيَّنة يقعُ الاتفاقُ عليها؟ ولكلٍّ من الاتِّجاهَين دُعاةٌ ومُناصِرون وحُجَجٌ وأدِلةٌ لها وَجاهتُها ومنطقُها المقبولُ.

نحن وإن كنا مَبدئيًا من أنصار الرأي الأول في هذه النقطة، وحُجَّتُنا منذُ البداية أننا مع مبدأ الاستيعاب قدرَ المُستطاع، ولو اقتضى ذلك البُطءَ في إنجاز

= واصطلاحات العلوم والفنون وحَشرها ضمن الألفاظ العامة، هو أبو عبد الله محمد بن الطيب الشرقي الفاسي في حاشيته الشهيرة على القاموس، ومن المتأثِّرين به من المعجميّين المتأخرين أحمد فارس الشدياق في كتابه الشهير الجاسوس على القاموس. وانظر في الموضوع: عبد العلي الودغيري، قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي (الرباط: منشورات عكاظ، 1989).

العمل وإخراجَه علـــى مراحلَ، إلا أن الفراغَ التامَّ الـــذي تعرفُه اللغةُ العربيةُ في هذا الجانِبِ، وانعدامَ أيِّ نوعٍ من القواميس التاريخية الذي يسدُّ هذا الفراغَ ولو جُزئيًّا، قد يفرضان علينا الخُضُوعَ مَرحَليًّا لأحكام الظروف الاسـتعجالية الأكثرِ إلحاحًا في هذا الوقت، والقَبُولِ بفكرة انتقاءِ المصادر وتقليص حدودِ المُدوَّنة، عملًا بقاعدة الحَسَن عدوُّ الأحسَن. وهذه الخُطةُ القريبة الأجَلِ لا تمنَع بحالٍ أن تكون بجانبها خطةٌ أخرى بعيدة المدَى تَهدفُ إلى مُواصلة الحَفر في أركيولوجية اللغة طولًا وعرضًا حتى يتمَّ استيفاءُ كلِّ الطاقات والإمكانات والوصول إلى كل أنواع المصادر المُتاحة والمُمكِنة حتى تلك التي ســوف يُتيحهُا ويَكشِــفُ عنها المستقبلُ، ولعل هذا هو الهدف الذي رسَمَه واضِعُو مشروعِ ذخيرة اللغة العربية (إنترت العربية). فتحقيقُ مشــروع هذه الذخيرة ســيضَعُ أمامنــا المادةَ اللغوية الكافية لإنجاز القاموس التاريخي في نسخته الوافية المُستَوفِية.

5 – وفيمــا إذا اســتقرَّ الرأيُ على أن يكــون القاموسُ التاريخيُّ شــاملًا لمختلف العصــور والحِقَب التاريخيــة، فمِن أين يكون البــدءُ؟ هل من نقطة معيَّنة في العصــر الحديث ثم نَنحَــدِر نُزولًا إلى أعمق الطبقــات الجيولوجية الضارِبة في جُذور الماضي السَّــحيق، أم نريد العكسَ، أي: البدءَ بأقدم طبقات العصور المعروفة إلى أن نُلامِسَ القِشــرةَ الظاهريةَ لهذا التاريخ التطوُّري فنقفَ به عند نقطة معيَّنة من الاســتعمال الحديث؟ وكلُّ طريقة لهــا مُبرِّرُها ودُعاتُها وأنصارُها[31].

6 – وســواءٌ أكان هذا القاموسُ مُستوعِبًا أم غيرَ مُســتوعِبٍ، شاملًا لكل الحِقَب والألفاظ أم كان خلافَ ذلك، لا بد أن نسأل أيضًا: هل نريدُه في حَجمه ومعلوماته ومادَّته المعجمية وتَعريفاته وشــواهِدِه وتحليلاته ولغته الواصفة، أن يكون مختصَرًا ومُركَّزًا على طريقة عدد من القواميس التاريخية الغَربيَّة المختصَرة التي ظهَرَت فــي أوروبا في حجم كتاب الجَيب (ومنها قاموس أوســكار بلوخ المشار إليه قبلًا، وكتاب جاكلين بيكوش، وكتاب جان ديبوا وصاحبَيه، وسيأتي

(31) انظر ص 55 من هذا الكتاب.

الحديثُ عنهما لاحقًا)، أم نُريده تاريخًا مكتوبًا بطريقة موسوعية مُتَضَمِنًا أكثرَ ما يُمكن من المعلومات وأدقَّ ما يُستطاعُ الوصولُ إليه من التفاصيل عن سائر أحوال الألفاظ العربية في جميع أطوار حياتها على طريقة قاموس أكسفورد الإنكليزي، وكتاب والتر فُون وُرتبُرغ (Walther von Wartburg) الذي أرَّخ فيه للفرنسية بشكل موسَّع جدًّا[32]، أم كتابًا متوسِّطًا بين الطرَفين مثل الكتاب المعروف بروبير التاريخي؟ فكلٌّ ذلك ممكنٌ ومطلوبٌ ومرغوبٌ ومُحتاجٌ إليه. وكلُّ هذه الأنواع من القواميس التاريخية (المُطوَّلةُ والمُعمَّقة والمختصَرةُ والمتوسِّطةُ الحجم والمَضمون) موجودٌ ومعروفٌ في مكتبة القواميس التاريخية الغربية التي عَرفَت ثراءً كبيرًا وتنوُّعًا واسعًا[33]. ومن الخير للعربية أن تُفتَح أبوابُ المُنافَسة في خدمتها وتَحفيزِ العلماء والباحثين المعجميّين على الإكثار من التَّجارِب المتنوِّعة التي سوف يُغنِي بعضُها بعضًا ولا يَستَغني بعضُها عن بعضٍ.

7 - مهما كان نوعُ هذا القاموس أيضًا من بين الأصناف المذكورة لا بد أن نعرف النظامَ الذي سيقوم عليه ترتيبُ مداخله الفرعية: أعَلى أساسٍ اشتقاقي، ألفبائي، تاريخي، أصليٍّ وفَرعي، أم على أسُسٍ أخرى؟ ذلك أمرٌ فيه نقاشٌ نظريٌّ وطرائق عمليةٌ يُختارُ بينها، لكن الحسمَ فيها ليس من العوائق التي تُثبِّطُ العملَ أو تَحُول دون إنجازه.

إذن، هذه عيِّنةٌ من أسئلةٍ أساسية لا بد من الإجابة الجماعية عنها لتحديد مُواصَفات القاموس التاريخي الذي نُريدهُ، بما في ذلك أهدافُه ونوعُه وحجمُه ومادتُه ومصادرُه وطريقةُ صياغته. وهذه المواصفات هي التي ترسُمُ الخُطَّة الملائمة. ولو استَطعنا أن نُحدِّد إجاباتنا عن الأسئلة المطروحة بكل عناية ودقة، لكانت خُطةُ الإنجاز تامةَ الوضوح وخريطةُ الطريق بيِّنةَ المعالِم.

---

(32) بدأ العمل في مشروع هذا الكتاب الضخم المسمى: القاموس الإيتيمولوجي للفرنسية (*Französichen etymologischen wörteburch*) (ويُرمزُ إليه اختصارًا بكلمة: FEW) منذ عام 1922م وانتهى في عام 2002م في 25 جزءًا وحوالي 17000 صفحة ورقية، ولا تزالُ الإضافاتُ والمُلحقاتُ مستمِرةً..

(33) هناك قواميس كثيرة توسَّعت في دراسة تاريخ أنواع بعينها من الألفاظ، كما فعل بيير غيرو في كتابه (*Dictionnaire des étymologies obscures*). بل هناك من أنكَبَّ على دراسة تاريخ لفظٍ بعينه مثلما فعل المعجمي الفرنسي المعروف آلان ري في كتاب له بعنوان (1989) (*Révolution: Histoire d'un mot*).

في الختام، أقدّم نموذجًــا مُختصَرًا لخطةٍ مقترحةٍ لإنجاز القاموس العربي التاريخي بناء على وجهة نظر خاصة مُســتخلَصة مما تقدَّم عَرضُه من الأســئلة المطروحة.

- 3 -
نموذَج مختصر من
مُواصفات القاموس التاريخي العربي وخطة إنجازه

1 - تحديد الهدف

1 - 1 - الهدف العام

إنجاز قاموس يؤرخ لمعجــم اللغة العربية عبر عصورها المختلفة بدءًا من وقتنا الحاضر (2012م مثلًا)، إلى أقدم عهودها المعروفة.

1 - 2 - الأهداف الفرعية

- أن يكون العملُ موجَّهًا لجميع المهتمِّين متخصصين وغيرِ متخصصين بمعرفة كلِّ شــيءٍ عن اســتعمالات الألفاظ العربية وتاريخها وتطوُّرها شكلًا ومضمونًا، دلالةً وصوتًا، حاضرًا وماضيًا، باعتبارها الوعاءَ الذي احتفظ بجميع التفاصيل الصغيرة عن تاريخ الحضارة العربية الإســلامية فــي جوانبها الثقافية والعلمية والأدبيــة والاجتماعية والدينية والسياســية والاقتصاديــة والصناعية والتجارية، وبــكلِّ ما فيها مــن فنون وعــادات وتقاليد وأَســاليبَ في العيش والسُّــلوك والمَأكَل والمَشرَب والمَلبَس والمَســكَن والفَرَح والحُزن في السِّلم والحَــرب، ومفاهيم فكريــة ومضامين فلســفية، وأدوات وإنجــازات في كل المجالات العملية والنظرية التي تمسُّ الإنســان الذي استعمل هذه اللغةَ وأبدعَ فيها وعبَّرَ بها عن أدقِّ خَلَجات نفسه ومشــاعره وأحاسيسه ونَبضاتِ قلبه وكلِّ آماله وآلامه وسعادته وشــقائه. فكلُّ شيءٍ عرَفَه الإنســانُ أو اخترَعَه أو رآه أو سَمِعه أو لامَسَه، سَمَّاه بألفاظٍ من اللغة، وكلُّ شيءٍ أحسَّ به أو فكَّرَ فيه عبَّرَ عنه باللغة. وكلُّ شيءٍ أراد إبلاغَه إلى الآخَر صَوَّره له وأوصَلَ فكرتَه إليه باللغة.

– أن يكون الكتـــابُ في حَجمه ومحتواه متوسِّــطًا لا موســوعيًا، مُراعاةً للمرحلة الاستِعجالية التي ينتظرُ فيها الجميعُ صُدور هذا القاموس التاريخي في أوجَز وقتٍ مُمكِنٍ لملءِ الفراغِ الكبير الذي تعيشُه العربيةُ في هذا المجال. وهذا يقتضي تركيزَ المعلومــات وتلخيصَها، والاقتصارَ على المهم منها والضروري، والاقتصــاد في الشــواهد والأمثلة، والإكثــارَ من الرمــوز الاختِصارية، وترك التحليلات الموســوعية والتفصيلية لإخراجها في نسخة أخرى مُطوَّلة. ويمكن لهذا العمل نفسِــه أن يُختَصَر بدوره ويُضغط حجمُه، وتُرَكَّز معلوماتُه بدرَجاتٍ معيَّنة ليُوجَّه إلى فئة متوسِّــطة الثقافة من القراء، ويُحــذَف منه الكثيرُ أو القليلُ من الجُزئيات التي لا تحتاجُ إليها الفئةُ العامة من القراء أو الفئة المُستعجِلة التي تهمُّها النتيجةُ أكثرَ من التفاصيل وما فيها من شواهد وأدلة وحُجج ونقاشات.

– أن يكون قاموسًا تاريخيًا لغويًا عامًا، بمعنى أن يجمع بين مزايا القاموس اللغوي العام والعناصر التاريخية والإيتيمولوجية، من جهة، وبين الوصف الآني للغة ووصفها عبر مراحلها التاريخية.

– أن لا يجعــل غايتَه شــرحَ معاني الألفــاظ إلا بالقدر الضــروري ولا الخــوضَ في طريقة اســتِعمالِها، لأنه ليس من قواميس المعانــي أو القواميس الوظيفيــة أو البيداغوجية، ولكنه فــي المقابلِ لا بد من أن يــؤرِّخ لكل معاني الكلمة التي لا تَنفصِل عن سياقاتها.

– أن تتحقَّقَ فيه كلُّ الشروطُ والعناصر المنصوصُ عليها في تعريفنا السابق لمفهوم القاموس التاريخي.

2 – المدوَّنة المعجمية

– أن يتضمَّن القاموسُ كلَّ ألفاظ العربية الفصيحة المُشترَكة ولغةِ اللهجات القديمة والعاميَّــة المُفصَّحة التي تداوَلتها القواميسُ اللغويــةُ العامةُ، والألفاظ المولَّدة التي أحدثَتها مَجامِعُ اللغة أو استعمَلَها كبارُ كُتّاب العربية، قديمةً كانت هذه الألفاظُ أم حديثةً، أصيلةً في العربية أم دخيلةً ومُعرَّبةً، مهجورةً أو مُتداولةً، في أي بيئةٍ من البيئات التي انتشَــرت فيها اللغةُ العربيةُ، بشَرط أن تكون واردةً

في نصٍّ مكتوب وموثَّقٍ، وأن لا تُجافي القواعدَ المعروفة في الاشتقاق والتوليد والوضع.

- التأريخُ للألفاظ الفصيحة وتتبعُ تطوُّر صِيَغها ودلالاتها لا يَمنعان بحال من الاستفادة من المُعطَيات التي تُتيحُها دراسةُ ما آلتْ إليه استعمالاتُها في اللهجات الحديثة بمختلف البلدان العربية، وكذلك ما آلت إليه عند انتقالها إلى لغات أجنبية.

- يُقتَصرُ في هذا القاموس التاريخي العام على الألفاظ العامة والمشهورِ المتداوَلِ من الألفاظ التِّقنية واصطلاحات العلوم والفنون غيرِ المُوغِلةِ في التخصُّص. ويُترَكُ التأريخُ للباقي من الألفاظ الخاصة والتقنية والاصطلاحية الدقيقة للقواميس التخصُّصية في مختلف العلوم والفنون والتِّقنيات[34].

- يُستبعَدُ من هذا القاموس ما كان من أسماء الأعلام البشرية والجغرافية والحيوانية المُرتَجلة والمتأصِّلة في الدلالة على العلَمية ولا سيما الأعجمي منها، إلا ما دعَت الضرورة إليه[35]، ويُبقى على أسماء الأعلام المنقولة.

3 - مصادر المدوَّنة

- تُستخرَجُ المادةُ اللغوية التي تَتكوَّنُ منها مداخلُ القاموس، من النصوص المكتوبة على الورق (مطبوعة أو مخطوطة) أو النقوش أو الحواملِ الرَّقمية، من اللغة المشتركة القديمة والحديثة بما فيها اللغة الحَيَّةُ المُستعملةُ في وسائل الإعلام المنطوقة والمسموعة والمكتوبة، وفي المسرَح والأفلام

(34) يمكن تقسيمُ الألفاظ التقنية والاصطلاحية إلى ثلاث فئات: الأولى: ذات وجهين، فهي اصطلاحية من وجه وعامة من وجه (مثل: نحوٌ، إعراب، نصب... إلخ)، والثانية: لها معنى اصطلاحي وتقني فحسب لكنها أصبحت مشهورة متداولة وصارت بمنزلة الألفاظ العامة (مثل: أوكسيجين، كربون، هيدروجين... إلخ)، فهذه تُلحَقُ بالأولى. وهناك الفئةُ الثالثة وهي الألفاظ المُغرِقة في الخصوصية، وهي الحالة المطلوبُ استبعادُها من مدونة القاموس التاريخي العام.

(35) هناك من هذا القبيل أسماء الأنبياء والرُّسُل والملائكة وبعض المدن والموقع المشهورة التي أصبحت جزءًا من تاريخنا وحضارتنا كفلسطين ودمياط ودمشق ولبنان وطرابلس ومراكش.. إلخ. فنحن لا نرى بأسًا من إدخالها في زمرة الألفاظ التي يشملها ولو بشيءٍ من الاختصار والتركيز.

والروايات والمُحاضراب والمؤتمرات والمُنتَدَيات والخُطب السياسية والدينية والاجتماعية، والمدرسة والجامعة.

- يمكن في المرحلة الأولى الاقتصارُ علــى قائمة محدَّدة ومُختارةٌ بعناية فائقةٍ من المصادر، بشــرط أن تكون ممثِّلةً لمختلف عصــور العربية وحقولها ومجالات اســتعمالها وعلومها وفنونها وآدابها وبيئاتها. وفي مقدمها القواميسُ اللغوية العامة والخاصة والدواوين الشــعرية والمجموعات الأدبية والتاريخية والجغرافية وعلوم القرآن والفقه والحديث ومختلف العلوم والفنون.

- في الوقت ذاته تســتمرُّ عمليةُ الجَرد والمســح والتَّخزين لكل ما أمكنَ الوصولُ إليه من كتُب ومجلات وجرائد فــي كل العصور للوصول في النهاية إلى (ذخيرة اللغة العربية) أو موســوعة ضخمة لكل ألفــاظ اللغة تكون بمنزلة أكبر بَنك للألفاظ وأكبر خَزّان للمعلومات المفصّلة عنها، ومنها تَمتَحُ كلُّ أنواعُ القواميس والموسوعات.

- هناك قائمة طويلة من المصادر الأساسية العربية (ألفاظ القرآن الكريم، ألفاظ الحديث النبوي، قواميس لغوية قديمة وحديثة، عشرات المصادر الدينية والأدبية واللغوية والتاريخية والدواوين الشــعرية، موسوعات مختلفة...) تمَّت حَوســبَتُها أو مَســحُها ضَوئيًا. ومن الضروري اعتمادُها لكن مع إعمال الحَذَر ممــا فيها من أخطــاء وتحريفاتٍ. بل هنالــك مُدوَّنات عربيــة حديثة مفتوحةٌ على الشابكة ينبغي الاســتفادةُ منها بعد مراجعتها والتأكّد من صحة معلوماتها وتصحيح أخطائها. وبعضُ هذه المدوَّنات قطَع أشــواطًا مهمة في القدرة على التخزين والاســترجاع مثل: «المدوّنة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية» التي دُشِّنت في شهر آذار/ مارس 2012م، وتشتمل على 700 مليون كلمة. ومنها: «مدونة المكتبة الإســلامية» الإلكترونيــة الموجودة على موقع (إســلام ويب)، وتحتوي حاليًا على أكثر من 1600 عنوان من مختلف أمهات المصادر في سائر العلوم الإســلامية العربية، خصوصًا علوم الحديث، ومنها مدونة: «المكتبة: للكتب العربية والإسلامية»، وتحتوي حاليًا على 2404 عنوان في مختلــف العلوم كلها مُحوســبة وقابلة لاســترجاع ألفاظها. ومنها:

موقع: «الباحث العربـــي»[36]. وهو قاموس عربي عربي إلكتروني، يحتوي على المادة اللغوية المضمَّنة في القواميس الخمسة التراثية الكبرى (**الصحاح ولسان العرب والقاموس المحيط والعباب الزاخـــر ومقاييس اللغة**)[37]. ومن أهم هذه المدوّنات أيضًا: الموسوعةُ الشعرية التي أنجزها المجمَّع الثقافي في أبي ظبي، وتحتوي على 2.400.000 بيت شعري (بحسب طبعة 2003). وغير ذلك من المدوَّنات والقواميس القديمة والحديثة والمصادر المُحَوسَـــبة التي نتوفَّر على قائمة طويلة بها. والاستعانةُ بها ستوفِّر وقتًا كبيرًا وثمينًا.

4 - الإنجاز والمراجعة

- إنجاز برامج حَوسَـــبية مخصصة لمســـح النصوصِ المطلـــوب تفريغُ ألفاظها على حوامل رقمية مســـحًا ضوئيًا، مع ضرورة التمكّن من اســـترجاعها كلمةً كلمةً مع تراكيبها وســـياقاتها المختلفة وتَعداد مراتِ تَكرارها في كل نص بالاستفادة من طريقة القواميس المُحَوسبة الموجودة.

- يقوم على عمليتَي المســـح الضوئي للنصوص واسترجاع ألفاظها كلمةً كلمةً، تقنيّون متخصِّصون تحت إشـــراف أشـــخاص من اللجنة المكلفة بوضع القاموس. وبعد أن يتم مَســـحُ نصٍّ من النصوص يُعهَد مباشـــرةً إلى فريق تقني آخر بمراجعة عملية المسح والاسترجاع للـــتأكد من صحتها ودقتها وسلامتها من أي خطأ تقني.

تُراجع النصوصُ المنســـوخة مراجعةً علمية لغوية مـــن متضلّعين باللغة العربية للتأكد مـــن صحَّتها اللغوية ونســـبتها الحقيقية إلـــى مصدرها الأصلي ومؤلفها وتاريخ إنتاجها.

---

(36) انطلقت هذه المدوّنة في عام 2007، ورئيس تحريرها رائد نعيم من ألمانيا.

(37) ومعلوم أن لسان العرب يحتوي في أحشائه على خمسة قواميس أخرى، وهي: تهذيب اللغة للأزهري، المحكم لابن سيدة، الصحاح للجوهري، حواشـــي ابن بري على الصحاح، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير. كما أن مقاييس اللغة يستمد مادته المعجمية أساسًا من قواميس ونصوص معجمية شـــهيرة مثل: كتاب العين للخليل، الغريب المصنف لأبي عبيد، كتاب المنطق لابن السِّـــكيت، الجمهرة لابن دريد.

- يتمُّ تخزينُ النصوص والمواد اللغوية المُضمَّنة فيها مما تمَّت حوسبتُه في قاعدة رقمية خاصة أو بَنك معجمي مركزي، مُرتبةً ترتيبًا ألفبائيًا سهلًا لإمكانية الرجوع إليها في كل حين.

- يمكن، بجانب العمل الآلي في جرد الألفاظ والاستعمالات، الاستعانةُ بنظام الجُذاذات اليدوية وتكليف أشخاص مَوثوقين بتفريغ ألفاظ مجموعة من مصادر معيَّنة. مع وضع نموذج موحَّد للجذاذات المطلوب استعمالُها.

- يمكن التعاونُ مع الشركات التي قامت بإنجاز مدوَّنات عربية مُرَقمَنة على أساس تزويدها بالخِبرة العلمية المطلوبة والإشراف العلمي لتتولى هي نفسُها إعادةَ مسح المصادر والكتب المطلوبة وإعادة تخزين مادتها اللغوية ورَقمَنتِها وفق النموذج الموحَّد الذي تضَعه اللجنة المُشرفة على إنجاز القاموس التاريخي.

- يمكن الاستعانةُ بمتطوِّعين من باحثين متوفّرين على الأهلية المطلوبة للقيام بعملية الجرد والمسح الضوئي واليدوي والتخزين.

- تتشكل فِرقٌ علمية موزَّعة على عواصم البلدان العربية مُكوَّنة من علماء وباحثين متخصصين ومُؤهَّلين، ويُعهدُ إلى كل فرقة منها تحت إشراف مسؤول بتحرير المادة المعجمية لعدد من الحروف بحسب خُطة موحَّدة وجُذاذات نموذجية تُعِدُّها الهيئةُ العلميةُ المُشرِفة، مع تحديد الأجل النهائي لإنجاز العمل في وقته المحدَّد[38].

- تُرسَلُ المادة العلمية المُنجزَة من كلِّ فريق إلى اللجنة العليا المركزية

(38) سبق لاتحاد المجامع العربية في اجتماعه السنوي في نيسان/ أبريل 2010 أن وزع القسم الأول من قائمة مصادر المعجم التاريخي (148 عنوانًا) الخاصة بالعصر الجاهلي، على خمسة مجامع عربية (سورية، الأردن، ليبيا، السودان، القاهرة). من أجل إدخالها إلى الحاسوب، وجاء في التقرير السنوي لمجمع اللغة العربية الأردني. لعام 2010م، أن هذا المجمع أنجزَ العملَ المطلوبَ منه بإدخال 30 عنوانًا من دواوين الشعر الجاهلي وطباعتها وتدقيقها وإعادة إرسالها إلى اللجنة المتخصصة بالمعجم التاريخي في اتحاد المجامع.

لمراجعتهـــا وإبداء رأيهـــا فيها. وبعد الموافقـــة عليها يتمُّ تخزينُهـــا في برنامج حاسُوبي خاص.

– يمكن على الفَور، لا على التَّراخي، الشُّروعُ في تَخزين ما توفَّرَ من مادةٍ مُعجميَّة اعتمادًا على ما هو موجودٌ لحدِّ الآن من مدوَّنات معجمية مُســتخرَجةً بشــكلٍ علمي من عدد كبير من النُّصوص العربية القديمة والحديثة. وليســت هذه المَادةُ بالشيء القليل أو الهيِّن. وهي تشمل في جملة ما تشتمل عليه:

• معجم ألفاظ نصِّ القرآن الكريم الذي يُشكِّل في حدِّ ذاته جزءًا مهمًّا من العربية الفصيحة التي تُحسَــبُ تاريخيًا على العصر الجاهلي على الرغم من أن أغلبية ألفاظ هذا المعجم القرآني لا تزالُ مُستعمَلةً في الفُصحى المُعاصِرة.

• معجم ألفاظ الحديث النبوي الشــريف ســواء تلك التي وضع فهارِسَها وقوائمُها المستشــرقون أو تلك المنشورة حديثًا في عدد من المدوَّنات الحديثة المُرَقمَنة[39].

• ألفاظ الفقه الإســلامي ونُشــرت منها مجموعاتٌ كثيرة كما أشــرنا من قبل[40].

• ألفاظ الشــعر العربي عبر عصــوره المختلفة، وأُنجِزَ منها الكثيرُ ســواءً في شكل أطاريح جامعية أم كُتُب منشــورة أو مدوّنات مُرقمَنة، وأهمُّها مدونة: الموســوعة الشــعرية التي أصدرها المُجمَّع الثقافي في أبي ظبي (الإمارات). وفَرَغَت جمعية المعجميــة العربية في تونس من وضع قامــوس ألفاظ العصر الجاهلي المُستخرَج من دواوين شعراء هذا العصر.

• مجموعــة كبيرة من أُمهــات القواميس اللغوية القديمــة والحديثة التي تمَّت حوسَبتُها ونشرُها على أوسع نطاق، وتتضمن العربية القديمة والمتوسطة

---

(39) منها الموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشــريف وعلومه وتضم وحدها 128 مصدرًا من أمهات المصادر في مختلف علوم الحديث.

(40) منها مجموعة شركة حرف المسماة: جامع الفقه الإسلامي وتضم 95 كتابًا.

والمعاصرة، مثل: لسان العرب والقاموس المحيط ومقاييس اللغة والمجمل في اللغة وتاج العروس والمعجم الوسيط ومعجم اللغة العربية المعاصرة والمنجد في اللغة العربية المعاصرة ومعجم الغني، وعدد من القواميس المدرسية والوظيفية... وغيرها).

• ألفاظ العلوم المختلفة ومُصطلحاتها، خصوصًا العلوم العربية الإسلامية: التاريخ والأدب والثقافة والفقه والنقد والبلاغة والتفسير والقراءات القرآنية والأصول والنحو والصرف... وغيرها. ونُشِر منها الكثيرُ في مدوَّنات مُرَقمنة وكُتب ورقية. وبعضُها عبارة عن رسائل وأطاريح جامعية تحتفظ بها مكتباتُ الجامعات ومراكزُ البحوث في كل أرجاء العالم في البلدان العربية والإسلامية والأوروبية وغيرها. وأَعدَّ منها معهدُ الدراسات المصطلحية، ومعهد البحوث والدراسات العلمية (مبدع)، وكلاهما بفاس، عددًا آخر يُستفادُ منه.

هذه المجموعات المعجمية المتوفِّرة يمكن اعتبارُها النواةَ الأساس لمدونة قاموسنا التاريخي، فينبغي الإسراعُ بتفريغها وتجميعِها في بنك معجمي مركزي، بعد مراجعتها وتدقيقها علميًّا، ومنها يتمُّ الانطلاقُ نحو إضافة مدوَّنات أخرى.

5 - المعلومات المطلوبة في كل مدخل معجمي

معلومات صوتية (كيفية نطق الكلمة: إن اقتضى الأمرُ ذلك: هذا: هاذا/ الله: اللاهُ/ اللَّهُمَّ: اللاهُمَّ/ عَمرُو: عَمْرُ..) معلومات عن المقولة النحوية لكل كلمة (اسم عام، اسم خاص، فعل صفة، أداة ظرف... إلخ) جنس الكلمة (مؤنث، مذكر) عددها (مفرد، مثنى، جمع، جمع الجموع، جمع التكسير، اسم الجمع، اسم الجنس...) معلومات صرفية واشتقاقية (تصغير الكلمات غير القياسية، نسبتُها إعلالها، إبدالها...) تأثيل الكلمة (عربية أو معرَّبة، لغتها الأصلية إن عرفت رحلتُها من لغة إلى أخرى...) تاريخ ميلاد الكلمة إن عُرفَ بالتحديد أو التقدير تطور صيغتها الصوتية والإملائية، ما يطرأ على الكلمة من تحويل وتغيير

بالقلب أو الإبدال أو الإعــلال الإدغام أو النحت أو الاســتعمال الخطإ، تطور دلالاتها بحسب الأزمنة والأمكنة والسياقات ومجالات الاستخدام من حقل إلى آخر مع وضع تواريخ لذلك ما أمكن، التحــول الدلالي الذي يطرأ على الكلمة في الاستعمال اللَّهَجي والعامي، أمثلة على اســتعمالاتها في سياقاتها المختلفة مأخوذة من كبار الكتّاب، ذكر الكلمة مع مُلازِماتها في الاستعمال.

- يؤرِّخ للكلمة أو المعنى أو الصيغة بتاريخ وجودها في أقدم نصٍّ مكتوب ظَهَرَت فيه، أو تاريخ وفاة مؤلفــه أو الفترة التي عاش فيها إلى أن يثبُت العَكسُ وإن لم يكن هذا النصُّ يَعكِسَ بدايةَ استعمال الكلمة أو المعنى على وجه الدقة.

- تقديم تعريفات مركَّزة ومختصرة للمداخل وفروعها. مع التأريخ لدخول كل معنى.

6 - ترتيب المداخل والمعلومات والمعاني وتنسيق مكوِّنات المادة المعجمية

- ترتيب المداخـــل الكبرى (وهي الجذور) ترتيبًا اشــتقاقيًا أولًا وألفبائيًا ثانيًا، إذا كانت عربية الأصل، وبحسب صورتها الكتابية إن كانت أعجمية. وهذا يقتضي ردُّ كل ألفاظ القاموس إلى أصولها الاشتقاقية.

- ترتب المداخل الفرعية (المُشــتقّات المُكوِّنة للعائلة اللفظية الواحدة) فيما بينها ترتيبًــا ألفبائيًا وفق طريقة المعجم الوســيط من غير مراعاة السَّــبق التاريخي لكلمة من الكلمات. فهذا أســهل وأيســر على القــارئ المعتاد على القواميس اللغوية العامة.

- استعمال نظام الإحالات لتسهيل العثور على الكلمة أمام القارئ (فكلمة مثل: «مناورة» تذكر فــي مكانها الصحيح وهو (م ن ا ور ة) لكن يجب أن تُذكر مرة أخرى من دون شرح في مدخل (ن ور)، وهناك يُحال على موقعها الصحيح وهــو (م ن ا ور ة). وكلمــة «قِنطار» تُرتَّــب فــي (ق ن ط ا ر) باعتبارها كلمة أعجمية، ثم تذكر تحت مدخل (ق ط ر) دون شــرح، ويُحال هناك على مكانها الصحيح من القاموس. وإذا اعتبرنا أن كلمة (دشــيش) متحوّلة عن (جشــيش)

فينبغي حينَها ترتيبها تحت مدخل (ج ش ش) وهناك تُشــرَح ويُذكَر ما اعتراها من تحول صوتي، ثم تُذكر تحت مدخل (د ش ش)، (مجرد ذكر) ويُحال على شرحها في (ج ش ش).

- تُرتَّب معاني الكلمــات ترتيبًا منطقيًا وتاريخيًا فــي الوقت ذلك، فيُقدَّم المعنى العــام على المعنى الخــاص، والحديث والأكثر شــيوعًا على المعاني القديمة، والمعاني المحسوسة أو الأصلية على المعاني المجازية والفرعية، ويُتبَعُ ذلك بذكر معانيها الاصطلاحية والتِّقنية في مختلف العلوم والمجالات، ويُختَم بمعانيها المحلّية كاستعمال كلمات: (ظهير ومخزن، ومَنصورية، ودَوَّار..) مثلًا المُستخدمة في المغرب على التوالي بمعنى: المرســوم السلطاني، والإدارة أو السلطة العليا، ونوع من الألبسة الفضفاضة، وتجمُّع سَكَني بدَوي صغير.

- يمكن وضع شــبكة لتفرُّع المعاني بعضها عن بعض. وعلى أساسها يتمُّ ترتيبُها في ما بينها، وهذا مشروط بالتأكد من صحة هذا التفريع وتقديم ما يكفي من الأدلة على صحته.

- 4 -

مقترَحات

- إنشــاء مجلة علمية محكَّمة متخصصة في نسختين ورقية ورَقمية، لنشر الجديــد من البحوث النظريــة والتطبيقيــة المتعلقة بالتأريــخ لألفاظ المعجم العربي بشــكل مســتمرّ، خصوصًا ما يُنجِزُه الباحثون من تأريخ لبعضِ كلمات من المعجم العربي، أو ما يضعونه مــن قواميس جُزئية بألفاظ بعض الكُتّاب أو الشــعراء قُدامى ومُحدَثين، أو قواميس تاريخية لعصــر أو فترة أو مرحلة معيَّنة أو عِلم من العلوم أو حَقلٍ من الحُقول. ويجب تشجيع العلماء والباحثين على طَرق هَذا النوع من التأليف.

- نشر الكتب والبحوث العلمية النظرية والتطبيقية والقواميس اللغوية التي تدخل في نطاق المشروع وتخدُم أهدافَه وغايتَه.

- إنشــاء موســوعة إلكترونية عربية على طريقة (ويكيبيديا الحرة)، يُحرِّر موادَّها متطوِّعون من مختلف أنحاء العالَم. وسوف تساعدُ الموادُّ المنشورة في هذه الموسوعة الشاملة على توفير الكثير من المواد والمعلومات المُحتاج إليها في إنجاز القاموس العربي التاريخي.

- الإســراع بإنجاز مشــروع «ذخيرة اللغة العربية» الذي تبنته جامعة الدول العربية، وتقديم الدَّعم المادي والمعنوي والعلمي لإخراجه للوجود.

- اســتنهاض هِمَم الباحثيــن المهتمين والمتخصصين وتشــجيعهم على المساهمة ببحوثهم في إنجاز مشروع القاموس التاريخي.

- دعــوة كل الباحثيــن والجامعيّيــن المشــتغلين بتحقيق كتــب التراث إلى ضــرورة الاهتمام بصنع فهــارس فنّية بالألفاظ اللغويــة ذات الخصوصية المتضَمَّنة في النصــوص المحقَّقة. على أن تقوم الهيئة العلمية المشــرفة على مشروع القاموس التاريخي بوضع نموذج للطريقة التي توضَع بها فهارسُ ألفاظ النصوص المُحقَّقة، ثم يتمُّ تعميمُه للاستفادة منه والاستِرشاد به.

- ضرورة أن تعمل اللجنة على الاتصال بــكل الجامعات العربية ومراكز البحث العامة والخاصة التي تمَّ فيها إنجاز رســائل وأطاريح جامعية لها صلة بمجال التأريــخ المعجمي، خصوصًا المتعلقــة بالمصطلحات والألفاظ الفنية وغيرها مــن مفردات الكتاب والشــعراء والأدباء والمؤلفــات المختلفة، وأن تعمل على تصوير هذه الأعمال أو الحصول على نسخ منها للاستفادة منها في الموضوع.

- الاســتعانة ببعض المنظَّمات الكبرى مثل منظمة الإيسيســكو ومنظمة الأليكسو، ومنظمة اليونســكو، وبعض الجمعيات الخيرية الكبرى مثل مؤسسة الشيخ زايد، وبعض المراكز الثقافية الكبيرة مثل مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، على إنجاز المشروع في شقه المادي واللوجيستي.

- يمكن إنشــاء وقفية خاصة تُســهِم في تكوينهــا دولٌ وجمعيات وأفراد لتمويل المشروع.

المراجع

1 - العربية

أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية: قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. 2 ج. فاس، المغرب: مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)؛ القاهرة: دار السلام، 2011.

عبد العزيز، محمد حسن. **المعجم التاريخي للغة العربية: وثائق ونماذج.** القاهرة: دار السلام، 2008.

الودغيري، عبد العلي. **دراسات معجمية: نحو قاموس عربي تاريخي وقضايا أخرى.** الدار البيضاء: دار النجاح الجديدة، 2001.

______. **قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي.** الرباط: منشورات عكاظ، 1989.

ندوة

«المعجم العربي التاريخي: قضاياه ووسائل إنجازه.» (ندوة علمية عقدت بدعوة من جمعية المعجمية العربية، تونس، 14 - 17 تشرين الثاني/نوفمبر، 1989).

2 - الأجنبية

Baumgartner, Emmanuèle et Philippe Ménard. *Dictionnaire étymologique et historique de la langue française*. Paris: Librairie générale française, 1996. (La Pochothèque. Encyclopédies d'aujourd'hui)

Brachet, Auguste. *Dictionnaire étymologique de la langue française*. 9ème éd. Paris: J. Hetzel, [s. d.]. (Bibliothèque de l'éducation)

Dictionnaire étymologique de la langue française. Publ. sous la dir. de Oscar Bloch et Walther von Wartburg. Paris: Presses universitaires de France, 2002. (Quadrige. Référence)

Dictionnaire historique de la langue française. Sous la dir. de Alain Rey; avec la collab. de Marianne Tomi, Tristan Hordé et Chantal Tanet. 3 vols. Paris: Dictionnaires Le Robert, 1998.

Dubois, Jean, Henri Mitterand et Albert Dauzat. *Dictionnaire étymologique et historique du français*. Nouvelle éd. Paris: Larousse, 1993. (Références Larousse: Langue française)

France, Centre National de la Recherche Scientifique (CNRS). *Trésor de la langue Française*.

Hatzfeld, Adolphe et Arsène Darmesteter. *Dictionnaire général de la langue française, du commencement du XVIIe siècle jusqu'à nos jours*. Paris: [s. n.], 1890.

Huchon, Mireille. *Histoire de la langue française*. Paris: Librairie générale française, 2002. (Références; 542)

Le Grand atelier historique de la langue française: L'Histoire des mots du Haut Moyen-Age au XIXe siècle: 14 Grands dictionnaires de la langue française. Présentation Isabelle Turcan. Paris: Redon: VUEF; [s. l.]: Vivendi Universal games, 2002. (Version électronique).

Littré, Emile. *Comment j'ai fait mon dictionnaire*. Postf. de Jacques Cellard. Arles: Picquier, 1995. (Picquier poche; 22)

——. *Dictionnaire de la langue française*. 5 vols. Paris: L. Hachette, 1863-1884.

Matoré, Georges. *Histoire des dictionnaires français*. Paris: Larousse, 1967.

Ménage, Gilles. *Dictionnaire étymologique de la langue française*. 2 vols. Genève: Slatkine, 1973.

Noël, François-Joseph-Michel et M. L. J. Carpentier. *Dictionnaire étymologique, critique, historique, anecdotique et littéraire pour servir à l'histoire de la langue française*. 2 vols. Paris: Le Normant, 1839.

Oxford English Dictionary. 2nd ed. Oxford, England: Oxford University Press, 2009.

Petite archéologie des dictionnaires: Richelet, Furetière, Littré. Textes présentés et annotés par Jacques Damade. Paris: Ed. la Bibliothèque, 1996. (Les Billets de la Bibliothèque)

Picoche, Jacqueline. *Dictionnaire étymologique du français*. Paris: Dictionnaires Le Robert, 2002. (Les Usuels)

Pruvost, Jean. *Les Dictionnaires de langue française*. Paris: Presses universitaires de France, 2002. (Que sais-je?; 3622)

الفصل الثالث

منهج أوغست فيشر في المعجم التاريخي

عبد العزيز بن حميد بن محمد الحميد

يحسن بي قبل دراسة معجم أوغست فيشر[1] (August Fischer) (1865-1949) أنْ أشير إلى أهمّ إسهاماته في القضايا اللغويّة في أثناء عضويته في مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة.

وضع خطّة المعجم التاريخيّ الكبير

كان فيشر عضوًا في لجنة المعجم في المجمع، لذا طُلب منه وضع خطة للمعجم التاريخي الكبير، وقدّم تقريرًا خاصًّا به يشتمل على خطة كاملة[2]، ويرجّح أن فيشر كان قد أعدّ تلك الخطة لمعجمه التاريخي، وحين طُلب منه خطة للمعجم الكبير قدّمها إلى المجمع. وممّا رجّح هذا الرأي أن عبد القادر المغربي - وهو أحد الأعضاء - كتب بحثًا عنوانه «معجم الدكتور أ. فيشر - وصفه ونقده»[3]، تضمن دراسته معجم فيشر، واعتمد المغربي في دراسته على تقرير قدّمه فيشر نفسه إلى المجمع في الدورة الثالثة في عام 1936 عن معجمه، ملتمسًا من المجمع النظر فيه وإصدار قرار بطبع المعجم على نفقة المجمع، ومرفقًا بالتقرير نماذج للمعجم هي مادّة «أخذ» ومعانيها، ليطّلع عليها الأعضاء، وعرض المغربي معاني «أخذ» بالنقد والتحليل.

يدل ما مضى على أن فيشر كان قد قدّم تقريرًا عن معجمه مع نموذج مادة «أخذ»، وتقريرًا عن المعجم التاريخي الكبير للُغة العربيّة للمجمع مع نموذج عن المادة نفسها، وهذا ما يرجح أن فيشر قدّم التقرير والنموذج مرّتين: خطة لمعجمه الخاص، وخطة للمعجم التاريخي الكبير للُغة العربيّة.

(1) درست معجم فيشر دراسة أكثر تفصيلًا من هذا البحث في رسالتي لنيل الدكتوراه عن أعمال المستشرقين «أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي»، ونشرتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عام 1433هـ/ 2012م.

(2) ينظر: المقتطف (الملحق)، السنة 114، العدد 3 (1949)، ص 3 - 36

(3) ينظر: مجلة المجمع العلميّ العربيّ، السنة 24، العدد 4 (1949)، ص 500 - 514.

أولًا: المعجم اللغوي التاريخ (معجم فيشر)

يُعَد معجم فيشــر من أفضل معاجم المستشرقين التي أثّرت في الدراسات المعجميّة العربية. وكانت بداية مشروعه في أوائل القرن العشرين، عندما عرض فكرته في ثلاثة مؤتمرات استشــراقيّة في بازل (1907)، وكوبنهاغن (1908)، وأثينا (1912)، حيث لقي قبولًا واستحسانًا.

استعان فيشــر بجهد تمهيدي قام به قبله بعض أســاتذة العربيّة في القسم العربي في جامعة ليبزج، مثل هاينريش ليبرشــت فلايشر، وهاينريش توربيكه، ووَكّل إلى بعض تلامذته انتقاء مختارات من دواوين الشعراء، وممن تعاون معه فريتس كرنكو ويوهانس بيدرسن[4].

بدأ فيشــر العمل في معجمه مدعومًــا دعمًا متقطّعًا مــن بعض الجهات الألمانيّة، وعندما أصبح في ما بعد عضوًا في مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة تيسّر له طرح فكرته على أعضــاء المجمع، وبعد مداولاتٍ وطرح آراء متعددة، وافق المجمع والحكومة المصريّة على تبني هذا العمل وتحمل تكاليفه.

لا شــكّ في أن قبول المجمع ذلك المشــروع يُعَد دليلًا على جهد فيشر المعجميّ؛ لاســتطاعته إقناع المجمع بالتصور المعجمي الاستشــراقيّ القائم على نقد المعاجم العربيّة ومعاجم المستشــرقين التي سارت على منوالها؛ لما فيها من عيوب عــدّة، ذلك التصوّر الذي يذهب إلى أخــذ مفردات العربيّة من مصادرها الأصليّة - متى أمكن - لا من المعاجم العربية[5]، ومن تلك المصادر ما يُعَدّ خارجًا على مفهوم الفصاحة الذي حدّده المعجميّون العرب.

---

(4) ينظر: مانفريد أولمان، «معجم اللغة العربيّة الفصحى،» في: ألمانيا والعالم العربي: دراســات تتناول الصــلات الثقافية والعلمية والفنية بيــن الألمان والعرب منذ أقدم العصور إلــى أيامنا هذه، حققه بالألمانية هانز روبرت رومير؛ ترجمها إلــى العربية وقدم لها مصطفى ماهر؛ شــارك في الترجمة كمال رضوان (بيروت: دار صادر، 1974)، ص 331.

(5) لم يكن فيشر الوحيد الذي كان يدعو إلى الاعتماد على المصادر الأصول لا المعاجم العربيّة، بل أيّده المستشرق ماسينيون وحسن حســني عبد الوهاب. ينظر: محمّد رشاد الحمزاوي، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة: مناهج ترقية اللغة تنظيرًا ومصطلحًا ومعجمًا: اللســانيات العربية المطبقة في القرن العشرين، السلسلة الجامعية (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988)، ص 507.

إنّ ذلك الاعتــراف المجمعيّ بعمل فيشــر - وإنْ لاقــى معارضة بعض الأعضــاء - دليل على أثر الاتجاه الاستشــراقيّ في ميدان الدراســات العربيّة للمعجم؛ إذ أوجد لنفسه مكانًا في ذلك الميدان المزدحم بالآراء الأخرى، وبذا أصبح ذلك الاتجاه واحدًا من الاتجاهات في الصناعة المعجميّة.

أما مصدر اتجاه فيشــر في معجمه فغير متّفق عليه، وفــي التصدير الذي كتبه إبراهيم مدكور - الأمين العام للمجمع - للمطبوع من معجم فيشــر، ذكر أن معجم أكسفورد التاريخي كان مَثَلَ فيشر الأعلى، فقد أراد تطبيق منهجه في اللغة العربيّة[6].

إلا أنّ محمد رشاد الحمزاوي ذهب إلى خلاف ذاك الرأي، إذ نفى صحة رأي مدكــور، وذهب إلى أن الذي أوعــز بفكرة المعجم التاريخيّ إلى فيشــر هو المستشــرق هاينريش توربيكه. وفي موضع حديثه عــن المظاهر التاريخيّة والأصوليّة والإعرابيّة والنحويّة والتعبيريّة والأســلوبيّة في معجم فيشر، ذكر أن الذي أوحى بها إلى فيشــر هو المستشرق ف. هيرديكن (F. Heerdegen) في علم اللغة اللاتينيّة (Lateinsche Lexikographie)، فقد أشــار فيشر إلى أن بعض الآراء التي ذكرهــا عن نظريّة صناعة المعجم ترجع إلى ذلك المستشــرق، وهو دليلٌ اتخذه الحمزاويّ لدعــم رأيه[7]. يرى الحمزاوي إذًا أن المستشــرقين توربيكه وهيرديكن أثّرا في فكرة المعجم لدى فيشر.

ما طُبع من معجم فيشر

طُبع جزء مــن المعجم من أوّل حــرف الهمزة إلى مادة «أبــد»[8] بعنوان

---

(6) ينظر: مجمع اللغــة العربية في ثلاثين عامًــا، 1932-1962، 3 ج (القاهــرة: الهيئة العامة لشــؤون المطابع الأميرية، 1963-1966)، ج 1: إبراهيم مدكور، ماضيــه وحاضره (1964). وذهب أحمد مختار عمر إلى هذا الرأي، ينظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر، البحث اللغوي عند العرب، ط 4 (القاهرة: عالم الكتب، 1982)، ص 273.

(7) ينظر عن الموضعين: الحمزاوي، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص 98 و510-509، وأوغست فيشر، المعجم اللغويّ التاريخيّ (القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1967)، المقدمة، ص 25.

(8) طبعته الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (1387هـ/ 1967م)، ونشره مجمع اللغة العربيّة.

المعجم اللغوي التاريخي، ذهبت أربع وثلاثون صفحة منه في المقدمة، وجاء المنشور من حرف الهمزة في ثلاث وخمسين صفحة، ذهب عشرون منها في الحديث عن أنواع الهمزة، والباقي منه في كلمات أعجميّة وعربيّة. لذا فهو نموذج قصير لقلة الألفاظ الغنيّة فيه.

لدينا نموذج آخر[9] يكشف عن طبيعة المعجم أكثر ممّا كشف لنا النموذج المطبوع، وهذا النموذج لم يُطبع على أنّه جزء من المعجم، بل قدّمه فيشر إلى مجمع اللغة العربيّة نموذجًا على نظريته في المعجم التاريخيّ حين طُلب منه وضع خطة له، كما أنّه قدمه ثانية مثالًا على معجمه التاريخي الخاص الذي ندرسه هنا.

يدل الاطلاع على هذا النموذج، وهو جزء من مادة لغويّة واحدة هي «أخذ»، على الشمول والسعة اللذين كان فيشر يسعى إلى أن يتصف بهما معجمه، إذ شمل النموذج الثلث الأول من المادة المذكورة بمعانيها التي جمعها وصنّفها. ذكر فيشر في إحدى جلسات المجمع أن لديه ستمئة جزازة في معاني «أخذ»، لكنه اكتفى بثلث المادة عندما طلب منه المجمع كراسة صغيرة[10]، وستكون الدراسة هنا خاصة بما طُبع من معجم فيشر، لكنّي سأقف عند نموذج مادة «أخذ».

---

(9) وجدت هذا النموذج مطبوعًا على أنه مثال تطبيقي على المعجم التاريخي، فنُشر مع خطة المعجم التاريخي التي قدمها فيشر إلى المجمع، ونشرها في: أوغست فيشر، «تقرير خاصّ بطريقة تأليف المعجم التاريخي الكبير للغة العربية»، المقتطف (الملحق)، السنة 114، العدد 3 (1949)، ص 36-3، ونشره إسماعيل مظهر عند حديثه عن معجم فيشر في: إسماعيل مظهر، «اللغة العربيّة وحاجتها إلى معجم لغويّ تاريخيّ،» المجلة، السنة 4، العدد 40 (نيسان/ أبريل 1960)، ص 24-20. ثمة، في المداولات السابقة بين أعضاء المجمع، ما يدل على أنه قدم نموذج «أخذ» مثالًا من معجمه، ودارت بينهم مناقشات في تلك المعاني، ودليل آخر على ذلك ما كتبه عبد القادر المغربي في: عبد القادر المغربي، «معجم الدكتور أ. فيشر: وصفه ونقده،» مجلة المجمع العلميّ العربيّ، السنة 24، العدد 4 (1949)، ص 500. إذ ذكر أن فيشر قدم «أخذ» نموذجًا من معجمه، فدرسه ونقده.

(10) ينظر: محاضر الجلسات، دور الانعقاد الثالث، الجلسة (8)، تاريخ 1/ 11/ 1354هـ/ 25/ 1/ 1936م، ص 108 - 115.

ثانيًا: المنهج التاريخي في صناعة معجمه

يُمثّل ســـلوك المنهج التاريخي الهدفَ الرئيس في معجم فيشر، إذ إنه كان صاحب التجربة الناضجة الأولى بين معاجـــم العربيّة، لذا أدار حول هذا الأمر الحديثَ في مواضع عدّة من مقدّمته، شـــأن أيّ صاحب دعوة جديدة يدعو إلى نظريّته.

1 - المعجم في نظر فيشر

يُعَد أوغســـت فيشـــر من أبرز المستشـــرقين في ميدان صناعـــة المعجم، وأقواهم أثرًا فيه، وكان جهده المعجمي معتمدًا على أسسٍ واضحة لديه، تنطلق من اتجاهٍ يؤمن به في ميدان المعجم.

كي نعرف اتجاهه في هذا الميدان يحسن أن نعرف نظريّته التي دعا إليها، ثم نكشف تطبيقَه إيّاها في معجمه.

2 - نظريّته في صناعة المعجم التاريخي

لنظريته مصدران:

الأول: تقريره عن المعجم التاريخيّ الكبير لمجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، وكان المجمع قد أصدر قرارًا بأن يُنجز فيشـــرُ نموذجًا لجزازات المعجم، وأن يضع تقريرًا يشـــرح فيه طريقة تأليف المعجم التاريخيّ الكبير للُّغة العربيّة[11]. ويُمثّل هذا التقرير رؤيته المثاليّة للمعجم التاريخـــيّ، لذا لم يحاول تطبيق كل رؤيته في تقريره حين بدأ بمعجمه التاريخيّ.

الثاني: منهجه المستنبط مما طُبع من معجمه التاريخيّ، وهو نموذج صغير يشـــمل المقدّمة وجزءًا من حرف الهمزة إلى مادة «أبـــد»، لكن المقدّمة جاءت

---

(11) ينظر: فيشر، «تقرير خاصّ بطريقة تأليف المعجم التاريخي الكبير للغة العربية،» ص 3-36، وكان المجمع قد أصدر قرارًا بأن يقوم فيشر بإنجاز نموذج لجزازات المعجم، وأن يضع تقريرًا يشرح فيه طريقة العمل. ينظر: محاضر الجلسات، دور الانعقاد الثاني، الجلسة (3)، ص 29.

غنيّة بتفاصيل منهجيّة، مع قيمة النموذج الصغير في ملاحظة الجانب التطبيقيّ.

عند التمعّن في نظريته في المعجم التاريخيّ التي ذكرها في تقريره والصورة التي جاء عليها معجمه، نجد اختلافًا بيّنًا. لعله حينما وضع تقريره نظر إلى الصورة التي يراها للمعجم التاريخيّ، مع إيمانه بأنه يحتاج إلى من يطبّق تلك النظريّة. وحين شرع في صنع معجمه التاريخيّ لم يلتزم بكل ما ذكره في خطة المعجم التاريخيّ الكبير؛ لأن ذلك التقرير أعدّه للمجمع، أما في معجمه الخاصّ فلم يُلزم نفسه كلّ ما ذكره هناك، لأنّه لا يستطيع القيام به وحده.

من الاختلافات بين عملي فيشر: ما ذكره في تقريره عن خطة المعجم التاريخيّ الكبير من أن المعجم يحوي كلّ كلمة وردت في الكتب العربيّة القيّمة من دون وضع حد زمنيّ لنهايته، وما فعله في معجمه التاريخيّ بأن جعل له حدًّا زمنيًّا يمتدّ إلى نهاية القرن الثالث الهجريّ، وهو زمن العربيّة الفصحى في أوج كمالها.

قد يحار الباحث في ما قد يظهر من تناقض أو غموض في آراء فيشر في شأن معايير قبول المادة اللغويّة؛ فهو في مناقشات دارت في المجمع عن اختلاف الآراء في تحديد عصر المولّد قال: «أرى أنّ هناك خلافًا في تحديد زمن المولّدين، ونحن في أوربّا نرى أن زمن المولّدين يبتدئ من دولة بني العبّاس، وكلام أهل العصر العباسي عندنا لا يُحتجّ به»[12]، وكلامه هذا دليل على إدراكه الفرق بين مستويات الكلام التي سار عليها علماء العربيّة.

لنا أن نتساءل عن رأيه السابق: هل يؤمن فيشر بقصر الاحتجاج اللغويّ على نهاية العصر الأمويّ؟ علمًا أنه تساءل في مقدمة معجمه عن كيفيّة كون معجم العربيّة ملائمًا للتطوّر العلميّ للعصر الحاضر، وأجاب عنه بوجوب اشتمال المعجم على كلّ كلمة - بلا استثناء - وجدت في اللغة[13]. يتّضح من رؤيته هذه أن مبدأه يقوم على أن المعجم التاريخي لا تُحَدّ مادّته بزمن. أمّا ذكره

(12) محاضر الجلسات، دور الانعقاد الأوّل، الجلسة (23)، ج 1، ص 333.

(13) ينظر: فيشر، المعجم اللغويّ التاريخيّ، المقدمة، ص 22.

«ابتداء زمن المولّدين عند الدارسين الغربيّين بالعصر العباسيّ» فمسألة مفهوم شائع لدى بعض المستشرقين المتابعين للعرب.

3 - أسس المعجم عند فيشر

ذكر في بداية تقريره عن المعجم التاريخيّ الكبير رؤيته في تميُّز المعجم الذي يدعو إليه من المعاجم الأخرى بقوله: «لا ينشأ المعجم على أساس بقيّة المعاجم العربيّة التي نشرت قديمًا وحديثًا، ولا يقتدي بأسلوبها، بل يمتاز عنها بأشياء مهمّة تُعرف ممّا هو آتٍ»، ثم ذكر أسس ذلك المعجم، وسأعرضها بعد إعادة ترتيبها على النحو التالي:

- الأساس الأول: مادّة المعجم

في مقدمة معجمه، أشار إلى رأيه في المعجم الذي تحتاج إليه العربيّة، فتساءل عن كيفيّة كون معجم العربيّة ملائمًا للتطوّر العلمي للعصر الحاضر، وأجاب عنه بوجوب اشتمال المعجم على كل كلمة - بلا استثناء - وجدت في اللغة[14].

لكنه حينما شرع في إصدار معجمه جعل له حدًّا زمنيًا يبدأ بنقش النمارة من القرن الرابع الميلادي وينتهي بنهاية القرن الثالث الهجري، وفي الزمان الذي حدّد بدايته ونهايته ذهب إلى أن كلّ الكلمات التي جاءت في الآداب العربيّة في تلك الفترة يتناول بحث تاريخها.

أشير إلى الاختلاف بين مادّة معجمه هذا التي حدّدها بنهاية القرن الثالث، ومادّة المعجم الذي يدعو إليه، ويمثل نظريّته في المعجم، علمًا أنه نبّه إلى التفرقة بين ذلك المعجم ومعجمه بقوله: «وهذا المعجم ليس هو المعجم الذي ذُكر في صفحة 21 أنه من أعمال مجمع اللغة العربيّة، وهو - كما يُستدلّ من عنوانه - معجم تاريخي للغة الآداب العربيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، أي حتى منتهى ما وصلت إليه اللغة العربيّة الفصحى من الكمال»[15].

---

(14) المصدر نفسه، ص 22.

(15) المصدر نفسه، ص 25 - 26.

يتضح هنا أن نظريته في المعجم التاريخيّ تقوم على أنه شامل كلّ ما كُتب بالعربيّة، أما معجمه فأراده معجمًا تاريخيًا للغة الآداب العربيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجريّ.

مصادر المادة

ذكر فيشــر في الجزء المطبوع من معجمه قائمة بالمصادر التي أخذ منها شــواهده وتعليقاته، وســردها على الترتيب الألفبائي، وأحصيتها فبلغت مئتين واثنين وتســعين مصدرًا، وهذه المصادر جاءت بناء علــى تحديده نهاية عصر معجمه بنهاية القرن الثالث الهجري.

يُلاحظ أن هــذه المصادر «اختيرت فــي جُلّها وعن قصــد من المصادر المجموعة التي حقّقها ونشرها المستشــرقون دون غيرهم، ولقد اختلطت فيها النصوص المدوّنات بالمراجع الثانويّــة، لأن المؤلف لم يفصل بين النصوص الأصول والمراجع الثانويّة التي يستعين بها للاســتدراك على بعض السقطات أو الفراغات في النصوص الأصليّة، فلقد حشر النوعين من النصوص في زمرة واحدة، كأنّها متساوية في القيمة من حيث صلتها بالمعجم التاريخي»[16].

تعليل رجوعه إلى كتب حديثة للمستشــرقين - معجــم رينهارت دوزي مثلًا - هو أن أغلبها متخصص بالعربيّة الفصحى، فالمهمّ عنده أن تكون الألفاظ داخلةً في تحديده الزمنيّ، أما الكتب فلا ضير من أن تكون من عصور متأخرة.

- الأساس الثاني: المداخل

بنى فيشــر مداخل معجمه بالتفريق بين الكلمات العربيّة والأعجميّة على النحو التالي:

• مع الكلمات العربيّة

جعل المدخل المادةَ الأصليّة مجردة من الزوائد، ووضع تحتها مشتقاتها،

(16) محمد رشــاد الحمــزاوي، «تاريخ المعجــم التاريخــي العربي (متع) في نطــاق العربية: المبادرات الرائدة،» مجلة المعجميّة، العددان 5 - 6 (1989-1990)، ص 26.

شأنه شـــأن أغلب المعجميّين الذين يدركون قيمة وضع المشتقات تحت مادة واحدة في العربيّة، لكونها لغة اشتقاقيّة.

• مع الكلمات الأعجميّة

جعل لكل كلمـــة أعجميّة مدخلًا خاصًّا، يوردها علـــى صورتها التي هي عليها، من دون أن يعيدها إلى أصل عربـــي، إلا إذا تصرّف بها العرب. قال في مقدمته: «الكلمات الأعجميّة المعرّبة الزائدة علـــى ثلاثة أحرف تتبع الكلمات العربيّة في ترتيب المعجم إن تصرّف فيها العرب بالاشتقاق، مثل: إبريق، دكان، ديباج، أســـوار، ســـراويل، وهلمّ جرًّا (تجدها في مادّة «برق»، «دكن»، «دبج»، «سور»، «سرول» وهلمّ جرًّا).

أما ما لم يتصرف فيه العرب بالاشـــتقاق فتعتبر حروفـــه كلها أصليّة، مثل إبريسم، إستبرق، بنفســـج، سفرجل، شطرنج، وهلمّ جرًّا، غير أنّي أوردت أيضًا «إبريق، دكان، ديباج، أسوار، ســـراويل»، وهلمّ جرًّا على حدة، مشيرًا إلى مادّة «برق»، «دكن»، «دبج»، «سور»، «ســـرول» وهلمّ جرًّا، لكي يتيسر العثور على جميع الكلمات الأعجميّة المعرّبة دون عناء»[17].

لعل هذا ينبّهنا إلى ضرورة العناية بالتفرقة بين الألفاظ العربيّة والمعرّبة في الترتيب، وفي دوران العربيّة حول مادتها، واستقلال المعرّبة في مداخل مستقلة، مع ملاحظة التفرقة بين ما تصرّف به العرب من أعجميات وما لم يتصرفوا به.

- الأساس الثالث: الترتيب

يشمل الترتيب في المعجم ترتيبين:

الترتيب الخارجي للمداخل، والترتيب الداخلي للمشـــتقات تحتها، على النحو الآتي:

ترتيب المداخل بمراعاة الأحرف الأول والثاني والثالث، وهذا هو الدارج في المعاجم المتأخرة.

---

(17) فيشر، المعجم اللغويّ التاريخيّ، المقدمة، ص 27.

ترتيب المشتقات: بدأ فيشر في ترتيبه المشتقات بالفعل المجرّد، ثم المزيد بحرف، ثم بحرفين، ثم بثلاثة أحرف، وتكون أبنية الأفعال على الترتيب التالي:

فَعَل، فَعِل، فَعُل، فَعّل، فاعَل، أفْعَلَ، تَفَعّــلَ، تَفاعَل، انْفَعَل، افْتَعَل، افْعَلّ، استفعل، افْعالّ، افْعَوْعَل، افْعَوّلَ، افْعَنْلَلَ، افْعَنْلى.

ثم الأســماء بعد الأفعال على ترتيب الأفعال: المجرّد ثم المزيد، وهكذا، وتكون أبنية الأســماء على الترتيب التالي: فَعْل، فِعْل، فُعْل، فَعَل، فَعِل، فِعَل، فِعِل، فُعُل، فُعَل، فَعُل، فاعِل، فاعَل، فَعال[18].

من الأمثلة على الترتيب الداخلي:

• مادّة «أبب»: بدأ بـ «أَبَّ» ثم «إيتبّ» ثم الأسماء «أَبّ» ثم «أُباب» ثم «أَبابة وإبابة» ثم «إبّان»[19].

• مادّة «أبد»: بدأ بذكر أصلها الســامي، ثم بدأ بالمشتقات: «أَبَدَ» ثم «أَبِدَ» ثم «أَبّدَ» ثم الخماسي: «تَأبّدَ» ثم الأسماء: «إبْد» ثم «أَبَد» ثم «أَبِدٌ» ثم «إِبِدٌ» ثم «إِبِدَة، أَبِدَة» ثــم «أَبَدِيّ» ثم «أَبَدِيّة» ثم «آبِد» ثم «أبيــد» ثم «أُبُود» ثم «أَبِيد» ثم «مؤبّد» ثم «متأبّد»[20].

– الأساس الرابع: الشرح

نســتنبط هذا الأساس مما ذكره فيشــر في خطة المعجم التاريخي الكبير، ومقدمة معجمه عن طريقة دراســة الألفاظ، مع ملاحظــة الجانب التطبيقي في الجزء المطبوع من معجمه.

في خطــة المعجــم التاريخي الكبير ذكــر قضايا عدة تدخل في الشــرح أعرضها على النحو التالي:

(18) المصدر نفســه، ص 28 – 29، هذا ما ذكره من أبنية الأســماء، ولم يــرد بها الحصر، بل التمثيل، وفي تقريره عن خطّة المعجم التاريخي الكبير ذكر تسعين وزنًا من أوزان الأسماء.

(19) المصدر نفسه، ص 23 – 27.

(20) المصدر نفسه، ص 32 – 53.

- ضبط كلمات المعجم كلها بدقة، إما بذكر مثالٍ مشهور، أو بالنص على حركات حروفها.

- الاستشهاد للكلمات والتراكيب والمعاني المختلفة، ويذكر مع الشاهد المصدر الذي أُخذ منه، مع ذكر المؤلّف أو الشاعر، ورقم الصفحة والسطر أو القصيدة والبيت. ويُكتفى مع الكلمات كثيرة الدوران بالمهم من الشواهد الدالّ على خواصّها وزمن استعمالها ودائرته مع ذكر علامة خاصّة تشير إلى كثرة ورودها، أمّا الكلمات قليلة الوجود فتذكر كلّ المواضع التي وردت فيها.

- التفرقة بين شواهد النثر والشعر بوضع نجمة أو علامة أخرى مع الشعر.

- ترتيب الشواهد تاريخيًا بحسب تواريخ مصادرها، لمعرفة حياة الكلمات وتاريخها.

- وضع علامة خاصّة بالمعرّب والدخيل، مع ذكر أصله بدقة.

- التعريف بالحيوان والنبات بدقة، لتمييز كل واحد منها من غيره، مع ذكر اسمه العلمي.

- تفسير الاصطلاحات الحديثة بأسمائها العلميّة[21].

أمّا عن طريقته في دراسة الألفاظ فذكر في مقدمته وجوب أن تُعرض كل كلمة عند دراستها على وجهات النظر السبع: التاريخيّة والاشتقاقيّة والتصريفيّة والتعبيريّة والنحويّة والبيانيّة والأسلوبيّة.

وأرى أنه يجدر بنا الاستفادة من هذه الطريقة في دراسة الألفاظ، فهي تلفت إلى تفصيلات دقيقة تتصل بدراسة الألفاظ قد نغفل عنها.

سوف أعرض ملامح تلك الوجهات في ثنايا الكتاب لمعرفة مدى تطبيقه إياها:

(21) ينظر: فيشر، «تقرير خاصّ بطريقة تأليف المعجم التاريخي الكبير للغة العربية،» ص 9 – 10.

- الوجهة التاريخيّة: وهي أهمّ ما يميّــز المعجم التاريخي، وتكون برصد تطوّر معاني الكلمة في الأطوار كلها التي مرت بها، وذكر شواهدها مرتبة ترتيبًا تاريخيًا.

- الوجهة الاشتقاقيّة: تتناول البحث عن أصل الكلمة ونسبها، ويرتبط بها علم ضبط الهجاء، أما الكلمات المعرّبة فترد إلى أصولها بقدر الإمكان.

أما عن مشــتقات الكلمة فذكر أنه لم يورد المشــتقات القياســيّة الخاصة بالتصاريف اللغويّة مثل: صيغ الأفعال وصيغ أسماء الفاعل والمفعول ومصادر الأفعال المزيــد فيها إذا لم يكن لهــا معنى خاص، فــإن كان لها معنى خاصّ ذكرها مثل: حاكم، شــاهد، عامل، قاضٍ، كاتب، والٍ، مؤذن، مســلم، مؤمن، مشــرك، مبتدأ، مجتهد، متحســب، تأريخ، تجنيس، مزاوجة، إســلام، إضافة، إقواء، اقتضاب، استدراك (ص 28).

قد تكــون رؤيته هذه فــي التفريق بين مــا يُذكر من الصيغ القياســيّة وما لا يُذكــر، واعتماد ذلك على مجيئها لمعنى خاصّ قاعدةً جديرة بســلوكها عند صناعة المعجم التاريخي.

- الوجهة التصريفيّة: تتناول تحديد الصيغ التصريفيّة للكلمة، أي تصريف الأفعال والأسماء، ويكتفى بالاستشــهاد على الحالات التي تحتمل الشكّ، أمّا الصيغ النادرة فيحسن إيراد جميع شواهدها.

- الوجهة التعبيريّة: تتناول تحقيق معنى الكلمة أو معانيها، فإذا كان للكلمة معانٍ عدة تراعى قواعد معينة لترتيب تلك المعاني:

- يذكر دائمًا المعنى الأوّل للكلمة التــي لها معانٍ مختلفة، وهو ما يؤخذ من اشتقاق الكلمة.

- يجب في ترتيب المعاني تقدُّم العامّ على الخاصّ، والحسي على العقلي، والحقيقي على المجازي، ويجب مراعاة علم المجاز، ومراعاة استعمال الكلمة اصطلاحيًا، ويراعى الترادف بين الكلمات لأهميّتــه في الموازنة بين الكلمات

المتقاربة المعاني بحصر المعاني ومعرفـة فحواها، وإدراك أن الفارق بين تلك الكلمات يرجع إلى أسـباب تاريخيّة أو جغرافيّة؛ إذ قد تدل كلمة ما على معنى في زمان ومكان، وتـدل عليه كلمة أخرى فـي زمان ومكان آخريـن. وتُورَد الكلمات التي تُناقض الكلمات المذكـورة، ويُعرّف بكل حيوان ونبات وجماد تعريفًا كاملًا، وتذكر فصيلته واسمه العلمي.

- **الوجهة النحويّة**: تتناول الصلات كلها التي تربط كلمة بأخرى، وتتناول ترتيـب كلمات لها مواضـع معينة في السـياق، مثل «فقط»، «إنمـا»، «أيضًا» وغيرها، ومراعاة المضمر أو المحذوف، ومعرفة هل استعمال الكلمة استعمالًا مطلقًا جائز؟ هل الفعل متعدٍ أم لازم؟ متى ظهر هذا التعبير أو ذاك للكلمة أول مرّة أو آخرها، وأين؟

- **الوجهة البيانيّة**: تتناول علاقات الكلمة اللازمة لها دائمًا، مثل التراكيب أو التعابير التي قضت روح اللغة بوضعهـا في موضع خاصّ لعامل من عوامل البلاغة، ومن تلك العلاقات:

- صيغة الإتباع والمزاوجة نحو: سـاغب لاغب، حريب سـليب، وأَرَبّ فلان وألَبّ.

- صيغة المشـاكلة مثل قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللـهُ﴾[22]، ﴿تعلمُ ما في نفسـي ولا أعلمُ ما في نفسِـكَ﴾[23]، كما تدين تُدان، جزاه شرّ جزائه، ونحوها.

- صيغة التوكيد المشـتقة من الاسـم المؤكّد، نحو: موتٌ مائت، شـعرٌ شاعر، العرب العاربة، جهدٌ جاهد، صدقٌ صادق، ونحوها.

- صيغـة ازدواج عبارتين متضادتيـن للتعبير عن معنـى واحد مثل قوله

(22) القرآن الكريم، «سورة آل عمران،» الآية 54.
(23) المصدر نفسه، «سورة المائدة» الآية 116.

تعالى: ﴿لله الأَمْـرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[24]، ﴿مَا بَيْـنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾[25]، البعيد والقريب، الداني والقاصي، ما له صامت ولا ناطق.

– الوجهة الأسـلوبيّة: تحدّد المحيط اللغوي الذي تستعمل فيه الكلمة أو التعبير أو التركيب استعمالًا عامًّا أو خاصًّا مثل لغة القرآن والحديث، وأسلوب الشعر والنثر، والأسـلوب التاريخي، وأسلوب الفنون، أو خاصًّا مثل الأسلوب الشخصي لمؤلف معين، حيث يستعمل كلمة أو تركيبًا معينًا غالبًا، أو يكون له أسلوب خاص به.

تدل نظرة فيشـر هذه على اسـتيعابه الكبير لوظيفة المعجم، وتمكُّنه من فهم كثير مـن خصائص العربيّة، ذلك الفهم الـذي مكّنه من الحديث عن تلك الوجهات السبع حديث العارف بما يقول، لكني لا أدعو إلى الالتزام التام بهذه الوجهات السـبع بل تطبيقها مع مراعاة التداخل بين بعضها، واسـتبعاد ما يراه اللغوي العربي إغراقًا في ملاحظة التفصيلات.

نتبيّن مما سبـق ملامح نظريّة فيشر المعجميّة مسـتنبطةً من تقريره عن المعجم التاريخي الكبير للُغة العربيّة الـذي قدمه إلى المجمع، وما ذكره في مقدمة معجمه، إضافة إلـى مادّة «أخذ» التي قدّمها نمـاذج على المعجمين، ولعل الوقوف عند نمـاذج مادة «أخذ» يعطي صورةً عـن التطبيق الفعلي لما ذكـره.

نموذج مادّة «أخذ»

يدلّ هذا النموذج على الجهد الذي بذله في ملاحقة النصوص التي تشتمل على المـادّة اللغويّة، وهي مـادّة «أخذ»، بل الثلث الأول منهـا، على ما ذكره في خطته؛ إذ جمع نصوصها وشـواهدها، وكَدّ ذهنه فـي الوصول إلى معانيها

(24) القرآن الكريم، «سورة الروم،» الآية 4

(25) المصدر نفسه: «سـورة البقرة،» الآية 255؛ «سورة طه،» الآية 110؛ «سورة الأنبياء،» الآية 28؛ «سورة الحج،» الآية 76؛ «سورة سبأ،» الآية 9، و«سورة فصلت،» الآية 25.

المتعدّدة، لا اعتمادًا على المعاجم اللغويّة القديمة، بل اســتنباطًا من الشواهد التي جمعها. لذا أوصل معاني «أخذ» إلى اثنيــن وثلاثين معنى، جعل كلًا منها قائمًا مستقلًا، لأنها معانٍ متعدّدة في رأيه.

تميّزت تلك المعاني بالثراء في شــواهدها، فقد جمعها من مصادر كثيرة جدًا، أما تعدُّد تلــك المعاني فلم يألفه العربي في المعاجم القديمة، ففي أغلبها يجد فيها واحدًا للمعنى الحقيقي، وآخر للمجازي.

يرجع تعديد فيشــر هــذه المعاني إلى نظرتــه - وهــو الأعجمي - إلى الدلالات اللغويّة المجازيّة على أنها معانٍ مستقلة، لعدم إدراكه الصلة المعنويّة بين المجازي والحقيقي، مع أن كثيــرًا منها يدخل تحت المعنى الأصلي، لكنه اكتسب دلالة مجازيّة من سياقه لا تخرجه عن الدلالة الأصليّة.

يظهر من النظر في تلك المعاني مبالغةُ فيشــر في التفريق بينها، حتى كأنه عَدّدَ المعاني بحســب ما يقع عليه الأخذ، مع أن المعنــى واحد لكنّه مختلف باختلاف المأخوذ. ولو أخذنــا بعض الأمثلة من معانيــه لأيقنّا أن عدم إدراكه رجوعَ كثيرٍ منها إلى معنى واحد هو بســبب جهله الصلة المعنويّة بينها، وهو ما جعله يفسر اللفظ في كل ســياق بالنظر إلى الدلالة المكتسبة من السياق لا إلى الدلالة المكتسبة من اللفظ نفسه، ومن تلك الأمثلة:

- المعنى السادس الذي ذكره لـ «أخذ»: صاد (أسر حيوانًا بريًّا)، واستشهد عليه بنصّ هو: «ثعلب في جحر إنْ أقمت عليه أخذته»، وبنصّ فيه: «وقد أخذوا ذئبًا فأوثقوه»، ولا يخفى أن المعنى لا يخرج عن المعنى الأصلي، وليس خاصًا بالصيد، بل جاء الأخذ هنا في سياق ذكر الصيد.

- المعنى الثامن والعشرون: تزوّج امرأة، واستشهد عليه بما في البخاري: «وأخذوا غيرها من النســاء»، وبما في ســنن أبي داود: «لما أخذ رســول الله صلى الله عليه وسلم صفية أقام عندها ثلاثًا»، وجليٌّ عن البيان عدم صحة هذا التفســير، فالأخذ هنا من المعنى الأساســي، لكنه ورد هنا لحيازة الزوجة، أما التزوّج فمكتسب من السياق والحال لا من اللفظ.

لعل من أوضح ما ينتج من جهل الأعجميّ باللغة أن يضطرب في التفريق بين المعنى الحقيقيّ والمجازيّ للّفظ، وهو ما وقع فيه فيشـــر في نموذجه الذي قدّمه، فمع أنه نبّـــه إلى بعض المعاني المجازيّة، إلا أنّـــه ترك معاني أخرى من دون تنبيهٍ إلى مجازيّتها، ظنًّا منه أنها حقيقيّة، ومن الأمثلة على النوعين ما يلي:

الأول: نبّه إلى المعاني المجازيّة التالية:

- أصاب (ناسًـــا المطر وأمثاله)، ومثّل عليه بما فـــي البخاري: «أخذهم المطر» و«أخذتهم السماء» ونحوه... ثم قال: وهو من المجاز (ص 17).

- غلب، قهر بمعانٍ مجازيّة:

خَلَبَ، أعجبَ، مثل: أخذ الثوب المزخرف القلوب مأخذه.

أسكر (الشراب) مثل: أخذ الشرابُ برأسه.

نَوّمَ، واستشـــهد بالآية ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِـــنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[26]، ومثل: يأخذه النوم ونحوه (ص 15).

الثاني: ذكر المعاني التالية ولم ينبّه على مجازيّتها:

- عرا شـــخصًا (حركات نفســـانيّة) واستشـــهد عليه بمثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَـــا رَأْفَةٌ﴾[27]، وفي البخاري: «فأخذتنـــي غضبة فلطمته»، وقول عائشة: «فأخذني ما قَرُبَ وما بَعُد»... وغيرها (ص 16).

- سَحَرَ، ومثّل عليه بقولهم: أخذته الأُخْذة وفسّرها بالسحر (ص 17).

- ظَفِرت شـــخصًا، وقعت عليه (العين، الطرف)، واستشهد بقول العرب: وما ظَفِرتك عيني منذ زمان أي ما رأتك... ونحـــو: فلم تأخذ عينُه أحدًا غيري (ص 17).

(26) القرآن الكريم، «سورة البقرة،» الآية 255.

(27) المصدر نفسه، «سورة النور،» الآية 2.

اضطراب الفـــرق بين الحقيقيّ والمجازيّ لدى فيشـــر هو الذي أوقعه في هذا، ودعاه إلى تتبّع شـــواهد الأخذ - على كثرتها - وتصنيفها بحسب المعاني التي تدلّ عليها هذه المـــادّة، وإنْ كان ما رآه معنى جديدًا هو في الحقيقة راجع إلى معنى أصلي، لوجود صلة بينهما لم يستطع إدراكها.

هذا المأخذ لَحَظَه عبد القادر المغربي حين قدّم فيشر تقريره إلى المجمع. قال عن ذلك: «والمؤلّف - وإن أشـــار إلى أن من المعانـــي ما هو حقيقي وما هو مجازي - لكنّه أبهـــمَ التفرقة بين المعاني الحقيقيّـــة والمجازيّة إبهامًا يوقع القارئ في حيرة من تفهّم ما يقرأ..».. ثم قال: «ومَن تأمّل كلام المؤلّف وجده في تصنيفه لمعاني «أخذ» قد أقام الاختلاف في الفاعل أو المفعول أو المتعلّق سببًا لجعل الفعل الواحد فعلين، واعتبار معناه معنيين»[28].

إنْ أُخِذ على فيشـــر خلطُه بين الحقيقيّ والمجازيّ، فإننا ندرك عذره فيه، فهو يكتب بلغة لا تمتّ إلـــى لغته الأم بصلة، ولعلمه بصعوبـــة إدراك المعاني والتفرقة بينها ســـلك فيها مســـلك المعجميّين في لغته، فالمعاني تذكر مستقلًا بعضها عن بعض، لكنه نســـي الفرق بين اللغتين، فأتـــت المعاني - غالبًا - في العربيّة متصلة بالمعنى الأصلي للمادّة، وإن ظهر للناظر أنها معانٍ مستقلّـة.

بالموازنة بيـــن المطبوع من معجم فيشـــر التاريخيّ وما ذكـــره في تقريره المقدّم إلى مجمـــع اللغة العربيّة، يظهـــر التقارب بينهما؛ فكلاهما ســـعى إلى معجم تاريخيّ للُّغة العربيّة، وبالاطّلاع على مقدمة معجمه يتّضح لنا ذلك.

أمّا ما دعا إليه في مقدمة معجمه الخاصّ من عرض الألفاظ عند دراستها على وجهات النظر الســـبع: التاريخيّـــة والاشـــتقاقيّة والتصريفيّـــة والتعبيريّة والنحويّة والبيانيّة والأســـلوبيّة، فلم يدعُ إليه في تقريره الخاص بوضع المعجم الكبير لمجمع اللغة العربيّة.

---

(28) المغربي، ص 501 و504.

ثالثًا: قضايا مهمّة في الجزء المطبوع

حاولتُ جمع ما رأيت صلاحه لأنْ يكون مثالًا على أحد الجوانب في الدراسة، وجمعت تلك الأمثلة المفرّقة في المعجم وضممتُ المترابط منها تحت موضوعات خاصّة تتعلق بالمعجم العربي وقضاياه.

أعرض هنا أهم القضايا:

1 - الإشارة إلى أصول الكلمات واللغات

المقصد الأساس للمعجم التاريخيّ هو تتبع التطورات الدلاليّة للكلمة في أقدم النصوص العربيّة المعروفة، ثم في النصوص التي جاءت بعدها، حتى آخر المرحلة الزمنيّة المحدّدة، وبيان أصول الكلمة في لغات أخرى تنتسب إلى مجموعة لغويّة، مثل اللغات الساميّة التي تنتسب إليها العربيّة، كلّ هذا لا شكّ في أنّه مما يميّز المعجم التاريخيّ.

كما أن ذكر فيشر الأصول الساميّة لبعض الألفاظ مفيدٌ جدًّا في معرفة صلة العربيّة بأخواتها، أعانته على معرفة تلك الأصول إجادته عددًا من اللغات الساميّة.

مع قصر النموذج المطبوع الذي ينتهي بـ «أبد»، ومع أنّه لا يعطي الصورة الحقيقيّة التي كان سيعطيها العمل لو قُدّر له الفراغ منه، فإنّه لا يخلو من إشارات قيّمة تدلّ على المستوى اللغويّ الذي كان سيبلغه. من تلك الإشارات ما يتعلّق بأصول الألفاظ، وهي تُظهر براعة فيشر بقدر إجادته اللغات الأجنبيّة، ومنها:

- إشارته إلى أنّ الأصل في النداء أن يلحق بالمنادى صوت a (آ)، وهذا الصوت إلى جانب صوت o (أو) يوجد في كثير من اللغات الساميّة في النداء، مثل: يا ربّا، يا غلاما، يا أبتا، يا بنت عمّا، في العربيّة (ص 19).

- إشارته إلى احتمال رجوع كلمة «أبّ» التي وقع الخلاف في معناها إلى «إبّا» من الآراميّة، وهي ترجع إلى «إنبو» في اللغة الأكّديّة (ص 26).

- بعد ذكره الخلاف في أصالة نون «إبّان» وزيادتها، ذكر احتمال كونها - أي إبّـان - أُخذت مـن الآراميّة كما أُخـذت منها «عِـدّان» بالصيغة والمعنى نفسيهما (ص 27).

- بعد أن ذكر الأبجديّة العربيّة، ذكر أن الحروف ما عدا سـتة منها، وهي «ثخذ ضظغ»، تقابل الحروف الهجائيّة للّغتين العبريّة والآراميّة، وتطابقها تمامًا في الترتيب (ص 29).

- قال عن «أبد»: «قد يكون أصل الكلمة ساميًّا عامّة»، ثم ذكر قرابتها من كلمات في بعض اللغات الساميّة (ص 32).

تجدر الاستفادة من طريقة فيشر في عنايته بأصول الكلمات وتتبُّع تاريخها في الانتقال من لغة إلى أخرى، والتغيُّرات التي أصابتها... ويُنتظر من العاملين في المعجم التاريخي إيلاؤها عناية كبيرة.

2 - الكلمات الأعجميّة

لإجادة فيشـر عددًا من اللغات السـاميّة أثرٌ في إعادة الكلمات الأعجميّة المعرّبة إلى أصولها، وفي النماذج التالية ما يدلّ عليه:

- آذين: كلمة فارسيّة معناها في اللغة الفارسـيّة «زينة، زخرف» و«عادة، رسم، قانون»... ثم ذكر نصًا للطبري فيه الكلمة.

- آزاذَمَرْد، آزادَمَرْد: كلمة فارسـيّة معناها في اللغة الفارسيّة «أصيل، حرّ» وذكر نصّين من الطبري والجاحظ.

- آسمانجُونيّ، أسـمانجونيّ: نسبة إلى آسـمانجون معرّبة، وهي فارسيّة آسمان كون، وهي مركبة من آسْمان «سـماء»، وكون «لون» ومعناها «سماويّ اللون مُزْرقّ»... ثم استشهد بنصوص عدّة من كتب عدّة.

- آئيـن، آيين: كلمة فارسـيّة معرّبة، وتأتـي في الفارسـيّة بمعنى «عادة

ورســم وقانون» كما تأتي بمعنى «زينة»، ثم ذكر معانيها في العربيّة وهي كثيرة، واستشهد بنصوص لكلّ منها[29].

نستخلص من الأمثلة الســابقة أنه سلك طريقة واحدة في دراسة الكلمات الأعجميّة على النحو التالي:

- ذكر أصلها في اللغة الأعجميّة: فارسيّة، أو نحوها.
- ذكر معناها في لغتها الأولى.
- ذكر معناها في العربيّة بعد تعريبها إذا اكتسبت معاني أخرى.
- نقل نصوصٍ تشتمل على الكلمة للاستشهاد بها مع ذكر مصادرها.

3 - مصادره

ذكر فيشــر في الجزء المطبوع من معجمه قائمة بالمصادر التي أخذ منها شــواهده وتعليقاته، وســردها على الترتيب الألفبائي، وأحصيتها فبلغت 292 مصدرًا، ومــع كثرتها إلا أنها لا تُعَد شــاملة عصــور العربيّــة أو مواضعها أو ميادينها، إذ ذكر أنه سيقف عند نهاية القرن الثالث الهجري، وهو تحديد لا يعني أنه يرى عدم تدوين ما جاء بعد ذلك الزمن، بل إنه نبّه إلى أن كل كلمة تُدُوولت في اللغة لها حقّ التدويــن، لكنّ تحديده القرن الثالــث أتى لغرض وضع حدٍّ زمنــيٍّ لمعجمه لعدم تمكّنه من شــموله جميع عصور العربيّــة، ويُلاحَظ على قائمة مصادره أنه اختارها في جُلّها من المصادر المجموعة التي حققها ونشرها المستشرقون دون غيرهم، لكونها المنتشرة في زمنه[30].

4 - اختياراته وترجيحاته

تميّز فيشــر بالقدرة العلميّة على البحث وترجيح الآراء التي فيها خلاف، ووصوله إلى هذا القدر دليل على استيعابه وفهمه العربيّة، ومن الأمثلة عليه:

---

(29) فيشر، المعجم اللغويّ التاريخيّ، ص 20-22.

(30) ينظر: الحمزاوي، «تاريخ المعجم التاريخي العربي (متع) في نطاق العربية،» ص 26.

- قال بعـــد أن ذكر «الأبّ» في مواضع: «ومن الأرجـــح أنّ «أبٌّ» في كلّ هذه المواضع ترجع إلـــى «أبّ» التي وردت في ق [أي القرآن]، ولعلها أخذت كما أخذت كلمـــة *אב (إيب ’ēb)، אבו (إبّو ’ibbō) العبريّـــة المتأخرة، من اللغة الأَراميّة، يعني من كلمة אבא (إبّا ’ibbā) (إبّا ’ebbā) אנבא (إنبا ’inbā) ومعناها ثمر وفاكهة، وهذه الصيغ ترجع حســـب الظاهر إلى (enbu, inbu إنبو) بنفس المعنى في اللغة الأكّديّة»[31] (ص 26).

- بعد ذكره الخلاف في زيادة نون إبّان وأصالتها، قال: «يحتمل أن كلمة «إبّان» أُخذت مـــن الآراميّة كما أُخذت منها «عِـــدّان» بنفس الصيغة والمعنى» (ص 27).

- تحدّث عـــن الأبجديّة العربيّـــة ومال إلى أن العرب أخـــذوا الخطّ عن الساميّين الشـــماليّين خصوصًا الأنباط، وذكر أن الحروف العربيّة تقابل حروف اللغتين العبريّة والآراميّة عدا ستة حروف هي «ثخذ، ضظغ» (ص 29-30).

- توقّعُه أنْ يكون أصل «أبد» ســـاميًا، وذكر قرابتها مـــن عدة كلمات في بعض اللغات الساميّة (ص 32).

وفي النماذج السابقة ما يعطي دليلًا على قدرة فيشر على الترجيح.

إن النموذج المطبوع يعطي صورة تقريبيّة عن معجم فيشر الذي كان يسعى إلى إنجازه، وهو يقدم خير مثال على المعجم المراد، مع عدم خلوّه من مآخذ، مثل: كثرة القضايا النحويّة فيه (كثرة أنواع الهمزة مثلًا)، وتفصيل فيشر الحديث عنها، ولو قُدّر لأجزاء أخرى الظهور لأعطت صورة أكثر وضوحًا.

5 - العلاقة بين معجم فيشر والمعجم الكبير

لأهميّة معجم فيشـــر في كونه خطوةً مبكّرةً للمعجـــم التاريخيّ، وأهميّة المعجـــم الكبير الذي يصـــدره مجمع اللغـــة العربيّة بالقاهـــرة، آثرت محاولة

(31) كتب فيشـــر الكلمات الســـامية بحروفها الأصلية، ثم بالحروف اللاتينيـــة. حاولتُ كتابتها بحروفها الأصلية كما كتبها راجيًا ألّا أكون أخطأتُ فيها، ثم كتبتها بالحروف اللاتينية.

الكشف عن العلاقة بينهما، واحتمال تأثّر المعجم الكبير بمعجم فيشر.

لا يخفى أن فيشــر وضع خطّــةً للمعجم الكبير، قدّمها إلــى مجمع اللغة العربيّة مع نموذج من معاني مادة «أخذ»، ومضى زمن طويل بعد موت فيشر في عام 1949 وانقطاع العمل في معجمه، ثم ظهر الجزء الأوّل من المعجم الكبير في عام 1970، أي بعد موت فيشر بإحدى وعشرين سنة.

كان فيشر قد أهدى جزازات معجمه إلى المجمع للاستفادة منها في صنع المعجم الكبير والمعاجم الأخرى. ويحقّ لنا التساؤل عن الشبه بين المعجمين، وعن أثر فيشر في المعجم الكبير.

يجدر التنبيه إلى أن المعجم الكبير لم يُرِد بــه المجمعُ أن يكون المعجمَ التاريخيّ الذي كان المجمع يسعى إلى صنعه، بل جعلوه تلبيةً للحاجة الملحّة إليه، مع عدم تمكّنهم من إخراج معجم فيشر لنقصه، وعدم تمكّنهم من إخراج المعجم التاريخيّ المنتظر لأنه يحتاج إلى أعمال تمهيديّة لم يُبدأ بها بعد.

من الموازنة بيــن المعجمين في ما يتفقان فيه من مــوادّ، اتضحت الصلة والتقارب بينهما في ذكر المعانــي، وأغلب الظنّ أن واضعي الكبير اســتعانوا بجزازات فيشــر التي أهداها إلى المجمع، وكان من الاقتراحات التي طُرحت للاستفادة منها أن يُستعان بها في وضع المعاجم التي يصدرها المجمع.

مما يُرجِّح استفادة واضعي الكبير من معجم فيشر أو جزازاته، اتفاقُهما في عدد من الموادّ واتفاقهما في بعض الآراء التي رجّحها فيشر.

كما أن بعض الأعضاء الذين نظروا في معجم فيشــر ومآله اقترحوا كيفيّة الاســتفادة من عمله. إذ طرح أحمد الزيات العلاقة بين المعجم الكبير ومعجم فيشر للتساؤل، ورأى توحيد العملين في عمل واحد إذا كان ممكنًا، وذهب إلى أن الطريق إلى التوحيد بينهما تتمثّل بما يلي:

- مزج طريقة المعجم الكبير بطريقة فيشر القائمة على وجهاتِ نظرٍ سبع.

- إدخال الزيادات التي انفرد بها فيشر في المعجم الكبير.

- ترتيب الجزازات وإكمالها والاستفادة منها.

- تسجيل ذلك في مقدمة المعجم والتنويه بمجهود فيشر.

وتداولوا في رأي الزيات، وانتهوا إلى الموافقة على اقتراحات اللجنة[32].

أثر فيشر في المعجميّين العرب في دعوتهم إلى صناعة معجم تاريخيّ

من المعاجم التي سـلكت المنهج التاريخيّ في معالجتها الألفاظ معجم أكسـفورد، وهو أسبق من معجم فيشر، بل إن فيشر نفسـه كان متأثرًا بغيره في صناعة معجمه، سواء كان تأثره بمعجم أكسفورد، أم بالمستشرق ف. هيرديكن، أم المستشرق توربيكه، على ثلاثة آراء سبق ذكرها في بداية الدراسة.

أمّا من دعوا إلى اقتفاء أثر فيشر في صناعة المعجم فهم كُثر، وأصبح المثل الأعلى في صناعة المعجم. ورأى عدد منهم أنّه المعجم الذي يلبي الحاجة القائمة، يستوي في هذه الدعوة بعض المستشرقين الذين أُعجبوا بمعجم فيشر فتبنوا الدعوة إليه، ومَنْ دعا من العرب إلى صناعة معجم تاريخيّ للعربيّة، تأثرًا بمعجم فيشر.

يبدو أثر معجم فيشر جليًّا لكونه بالعربيّة، لكنّنا لا نغفل أثر معجم أكسفورد في بعض الباحثين الذين درسوا علوم اللغة في الغرب.

مع أنّ التأثر بمعجم فيشر مسـتمرّ، فإنّي سأذكر بعض أوائل من دعوا إلى وضع معجم تاريخيّ:

- إسماعيل مظهر

كان يعمل في مجمع اللغة العربيّة حينما نقل فيشـر جذاذات معجمه إلى المجمع للعمل فيه، بعد أنْ نال الموافقة عليه من المجمع، واختاره فيشر ليعمل معه، مع عدد من الباحثين لقراءة الكتب وجمع غريب الألفاظ، وجمع الشواهد في جذاذات خاصّة.

---

(32) محاضر الجلسات، الدورة (16)، الجلسة (29)، ص 326 – 330.

أشرف إسماعيل مظهر لمدّة عامين على هذا العمل، إلى أنْ سافر فيشر إلى ألمانيا في صيف 1939، ولـم يعد لأن الحرب العالميّة الثانية قامت، وبقي في ألمانيا إلى أن مات.

عمَلُ إسماعيل مظهر في مشروع فيشر له أثر كبير في اقتناعه بحاجة العربيّة إلى معجم تاريخيّ، لكنّ أثر معجم أكسفورد يظهر جليًّا في البحث الذي أعدّه بعنوان «القواعد الأساسـيّة في تأليف معجم لغويّ تاريخـيّ»[33]، وقدّمه إلى لجنة المعجم في مجمع اللغة العربيّة في عام 1939، ثم نشره في عام 1945، واستخلص القواعد التي ذكرها من مقدمة معجم أكسفورد، وهو دليل على أثر هذا المعجم في إسماعيل مظهر.

ثم نشر بحثًا آخر يحمل الدعوة نفسها، بعنوان «اللغة العربيّة وحاجتها إلى معجم لغويّ تاريخيّ»[34]، وعلّل دعوته باقتصار المعاجم العربيّة على المعاني الحقيقيّة دون المجازيّة أو الجديدة، وذكر أنه وقـع لكثير من اللغات الحيّة ما وقع للعربيّـة. وذكر ما حدث للإنكليزيّة ومعاجمهـا، إذ اقتصرت المعاجم في بداياتها على جمع المفـردات الغريبة دون ما هو معروف، ثم سـلك الأديب صامويل جونسون في معجمه طريقًا أخرى، إذ أثبت شواهد الألفاظ التي تؤدي المعنى المراد، ثم خطا اللغوي تشـارلز ريتشاردسون خطوة أخرى ببيان تاريخ الألفاظ اللغويّة، ثم كان تمام تلك المراحل ما وصل إليه معجم أكسـفورد من تطوّر في هذا الميدان.

يتضح من تفصيل إسماعيل مظهر الحديث عن المعاجم الإنكليزيّة وذكره مقاطـع من مقدمة معجم أكسـفورد، مدى الأثر الـذي كان للمعجم المذكور في مظهر الذي تبنّى الدعوة إلى معجم تاريخي للعربيّة، مع أثر عمله مع فيشـر في معجمه لمدة عامين. كأنّ أثَرَي المعجمين: معجم أكسـفورد ومعجم فيشر

(33) إسـماعيل مظهر، «القواعد الأساسـيّة في تأليف معجم لغويّ تاريخيّ،» المقتطف، السنة 107، العدد 4 (1945)، ص 309-323.

(34) المجلة - العدد (40) السنة الرابعة، شوال 1379 (نيسان/ أبريل 1960)، ص 13-18.

متعادلان، بحيث أسهما في تبنّي إسماعيل مظهر الدعوة إلى معجم تاريخيّ.

- إبراهيم إبراهيم يوسف

كتب مقالة عن اللغة العربيّة والنهضة التي قامت في العصر الحديث بعد سبات طويل، ودعا إلى تجنيد علماء اللغة من عرب ومستشرقين لوضع معجم للعربيّة الفصحى ملائم للتطوّر العلميّ في العصر الحاضر[35].

أمّا عن صفات هذا المعجم فكان تأثّره بفيشر كبيرًا، إذ نقل من مقدّمة معجم فيشر صفات المعجم الذي يدعو إليه، وذهب إلى أنّ قسمًا ممن يُنتدَب لهذا العمل يتّجه إلى العمل مع فيشر في معجمه التاريخيّ للتعجيل بالفراغ منه، ويكونون على قدر كبير من العلم باللغة وعلومها، وإتقان اللغات الساميّة الأخرى، واللغات الأجنبيّة. ويعمل قسم آخر في وضع المعجم التاريخيّ الكبير الذي نصّ مرسوم المجمع على وضعه. ويظهر التأثر الواضح بفيشر في الدعوة إلى المعجم التاريخيّ، وفي الثناء الكبير الذي كالَه لفيشر وعمله، ودعوته إلى أن يكون المعجم الذي يضعه المجمع على غرار معجم فيشر.

- عبد الله العلايلي

تأثر بالاتجاه السائد في صناعة المعجم، وهو أن يكون معجمًا تاريخيًّا، فحاول تطبيقه في معجمه المرجع[36]، فأرّخ للألفاظ ودلالاتها بالإشارة إلى العصر الذي وُجدت فيه الكلمة أو المعنى أو الاستعمال.

- علي توفيق الحمد

في نهاية بحث طويل بعنوان «بطرس البستاني وجهوده المعجميّة» قدّم اقتراحات في شأن المعجم العربي، دعا في اثنين منها إلى وضع معجم تاريخيّ

---

(35) «معجم اللغة الضادي: أمنية تتحقق،» المقتطف، السنة 98، العدد 1 (1941)، ص 34-38.

(36) صدر الجزء الأول منه في عام 1963م عن مكتبة الفرح الحديثة في بيروت، ينظر: علي توفيق الحمد، «المعجم التاريخي العربيّ،» مجلة المعجميّة، العددان 5-6 (1989 - 1990)، ص 103.

يؤرّخ للكلمة وتاريخ ظهورها واستخدامها، وتطوّر معانيها... وجمع المادّة اللغويّة التاريخيّة من القرآن الكريم والحديث الشريف وكتب العرب، لا من المعاجم القديمة[37].

ثم قدّم بحثًا طويلًا بعنوان «المعجم التاريخيّ العربيّ - مفهومه، وظيفته، محتواه» إلى ندوة «المعجم العربيّ التاريخيّ: قضاياه ووسائل إنجازه»، وفيه عرّف المعجم التاريخيّ من مصادر أجنبيّة ومصادر عربيّة، وذكر مفهومه لدى عدد من العرب والمستشرقين، وفصّل الحديث عن المعجم التاريخي العربيّ المنتظر[38].

- جمعيّة المعجميّة العربيّة بتونس

هذه الجمعيّة من أبرز الهيئات العلميّة العربيّة اهتمامًا بالمعجم العربيّ وقضاياه، وجاءت الدراسات المعجميّة التي صدرت عنها من أقوى الدراسات المعجميّة الصادرة من هيئة علميّة عربيّة، وأعمقها وأكثرها جِدّةً.

تصدر عنها مجلة تُعنى بشؤون المعجم، اسمها مجلة المعجميّة، تشتمل على دراسات عميقة.

اهتمت الجمعيّة بالمعجم التاريخيّ، وعقدت له ندوة عنوانها «المعجم العربيّ التاريخيّ: قضاياه ووسائل إنجازه» بتاريخ 14-17 تشرين الثاني/ نوفمبر 1989، دعت إليها نخبة من لغويّي البلدان العربيّة، نوقشت فيها أهمّ قضايا المعجم التاريخيّ، ونشرت بحوث الندوة في جزء خاص بها من المجلة[39].

---

(37) يظهر تأثره القوي بفيشر في مصادر مادته، إذ مال إلى أن تؤخذ من مصادرها الأصلية لا من المعاجم، ينظر: في المعجمية العربية المعاصرة: وقائع ندوة مئوية أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني ورنحرت دوزي، تونس في 15، 16، 17 أفريل 1986 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987)، ص 332.

(38) انظر: مجلة المعجميّة، العددان 5 - 6 (1990-1989)، ص 95 - 146.

(39) «وقائع ندوة المعجم العربيّ التاريخي: قضاياه ووسائل إنجازه،» مجلة المعجميّة، العددان 5-6 (1989-1990).

ثم أصـــدرت الجمعيّة كتابًا خاصًا ببحوث الندوة، ســـمّته المعجم العربيّ التاريخيّ، طبعه «بيت الحكمة» - قرطاج.

جاء اهتمام الجمعيّة بالمعجـــم التاريخيّ والدعوة إلـــى أن يكون للعربيّة معجم تاريخيّ، لاقتناع أعضائها بأنها قضيّة لها صلة بتراثنا وحاضرنا ومستقبلنا، وأن المعجـــم أصبح ضـــرورة لا غنى عنهـــا، فهو ذاكرتنـــا اللغويّـــة والثقافيّة والحضاريّة.

رابعًا: المآخذ على فيشر في معجمه

1 - أوهامه

يظهر تمكُّن فيشر من العربيّة - وبالأخص في الكتابة - عند الاطّلاع على ما كتبه في المعجم وغيره، لكنّ فهم معانـــي الكلمات وإدراك دلالاتها الدقيقة لا يكاد أعجميّ يســـلم من الوهم فيه. وكما وقع بعض المستشـــرقين في توهّم تعدُّد المعاني لما يندرج تحت معنى واحد، وقَعَ فيشـــر في الوهم نفسه فجعلَ الدلالة الواحدة في ســـياقات مختلفة معاني عدة، وحين ننظر في تلك المعاني ندرك ذلك الوهم، فما ظنّه معاني عدّة هو في الحقيقة معنى واحد في ســـياقات عدّة، تربط بينها صورة معنويّة واحدة.

إليك بعض الأمثلة على أوهامه:

- ذكر معاني «أبَّ» ومنها:

أَبَّ أبَّه: قصد قصدَه.

أبَّ فلانًا: قصده (ص 25).

الواضح أن المعنى واحد للفعل وهو «قَصَـــد»، لكنّه في الأوّل غير متعدٍّ، وفي الثاني متعدٍّ إلى مفعول.

- فرّق بين المشـــتقات المرتبطةِ بصيغةٍ واحدة، بسبب عدم إدراكه الرابط بينها، مثل:

في مـادّة «أبد»: ذكـر كلمـة «أَبَـد» (ص 37)، وذكر بعدها عـددًا من المشتقات، ثم ذكر «أَبَدِيّ، وأَبَدِيَة» (ص 44)، وهما منسوبتان إلى «أبد».

ذكر الفعل «أَبَّد» (ص 33)، ثم ذكر اسم المفعول منه «مُؤَبَّد» (ص 53).

ذكر الفعل «تأبَّد» (ص 34)، ثم ذكر اسم الفاعل منه «مُتأبِّد» (ص 53).

2 - تعديد المعنى الواحد

من الأمثلة عليه في معجم فيشر ما يلي:

- ذكر «آبِد» وذكر من معانيه: اسـم الفاعل من «أَبَـدَ»: مقيم بالمكان غير بارح له.

وذكر اسم الفاعل من «أَبَدَ» أيضًا، وتحته ثلاثة معانٍ فرعيّة:

أ - وحش يلزم البيداء مستوحش ومستنفر عن الناس.

ب - بهائم توحّشت ونفرت من الأنس كالوحش.

جـ - وحشيّ، مستوحش، شارد للمعاني المجازيّة (ص 45-48).

وهي اسـم فاعل من «أَبَدَ»، فالمعنى الأوّل اسـم فاعل من «أَبَدَ» للإقامة وطول المدّة، والمعنى الثاني بفروعه «أ، ب، ج» اسم فاعل من «أَبَدَ» للتوحّش كما سـبق ذكر معانيه في بداية المادّة، ولذا فهو عدّدَ معنـى واحدًا إلى معانٍ عدّة.

- ذكر معنى «أبد» وهـو الدهر الطويل غير المحـدّد (ص 37)، ثم ذكر معنـى ثانيًا وهو الدهر مطلقًا (ص 42)، ثم معنـى ثالثًا وهو ذو «ذات» أبد أي دائم «دائمة» نقلًا عن لين، واستشهد بكلام عبيد بن عمير: «الدنيا أمَد [أي ذات أمد] والآخرة أبَد [أي ذات أبد]» (ص 42-43)، ولا يخفى أنّ المعاني الثلاثة تعود إلى معنى واحد.

3 – من مزايا عمل فيشر

لنكون منصفين يحسن بعد عرض بعض المآخذ على فيشر أن نذكر بعض مزايا أعماله، فمن تلك المزايا:

أ – اتساع ثقافته في الميدان الذي يدرسه

يظهر هـذا الأمر جليًا في ما ظهـر من أجادته عددًا من اللغات السـاميّة، إلى جانب معرفته المصادر اللغويّة، وهو مـا مكّنه من معرفة أصول الكثير من الألفاظ التي انتقلت من لغةٍ إلى أخرى، والاستعانة بذلك للتأريخ للألفاظ.

ب – اهتمامه بالشواهد اللغويّة

تأتي بعض معاجم المستشـرقين العربيّة على طريقة معاجمهم في لغاتهم، فالشاهد اللغوي أساس بنائه، بل هو العنصر الرئيس فيه، ومنه تنطلق المعاني.

لذا لا عجب أن تبلغ بطاقات فيشـر التي جمعها لمعجمه الذي كان يسعى إلى صنعه مليون بطاقة، وجمع 575 شاهدًا على استخدام كلمة «كلّ»، و587 شـاهدًا على كلمة «كان»، و17700 إحالة إلى الأخطل وحـده[40]. وكذا في الجزء المطبوع من معجمه، اعتمد في إيراد المعاني على سـرد الشواهد عليها، ولا حاجة إلى التمثيل عليها.

ج – ترتيب المشتقات تحت المداخل

أي ترتيب المشـتقّات بحيث تأتـي منتظمة، وهو ما يسـهّل العثور عليها بسرعة عند معرفة منهج المؤلّف في ترتيبها.

استفاد المستشرقون في ترتيبهم المشتقات من ترتيبها في معاجم لغاتهم، وحين نوازن بين المعاجـم العربيّة القديمة ومعاجمهم في هذه المسـألة نجد

(40) ينظر: أحمد شـفيق الخطيب «من قضايا المعجميّة العربيّـة المعاصرة،» في: في المعجمية العربية المعاصرة، ص 621.

أن الغالب على معاجمهم التزام ترتيب يرتضيه أصحابها، أما المعاجم العربيّة فيغلب عليها إيراد المشتقات من دون ترتيب، وهو ما يسبّب صعوبة العثور على المراد فيها.

الترتيب الشائع عندهم هو البدء بالأفعال ثم الأسماء، وتقديم الأفعال المجرّدة ثم المزيدة، ثم الأسماء المجرّدة ثم المزيدة. وسبق ذكر طريقة ترتيب المشتقات عند ذكر أسس المعجم لديه[41].

خاتمة

بعد عرض منهج فيشر في معجمه باختصار، وبعد عرض مدى تطبيقه ذلك المنهج فيه، يحسن عرض ما يُعَد نتائج ظهرت من هذه الدراسة:

- عمق تجربة فيشر وما قدّمه في ميدان الدراسة المعجميّة العربيّة من ريادة وجرأة، وتمثّلت تجربته في مشروعه لصناعة معجم تاريخيّ للعربيّة.

- اعتماد فيشر على النصوص الأصليّة في الكتب العربيّة المختلفة - للاستشهاد على المعاني - لا على المعاجم العربيّة، وذلك حين رجع إلى كتب النصوص مثل كتب التاريخ والرحلات والأدب وغيره، ولم يرجع إلى المعاجم العربيّة إلا في مواضع قليلة.

- التأثير المتبادل بين العرب والمستشرقين وغلبة أثر المستشرقين في ما يخصّ مناهج البحث، فظهرت لنا مناهجهم في صناعة المعجم، ممثلةً بمعجم فيشر في هذا البحث، وظهر لنا مدى تأثّر اللغويين العرب بها حين أصبحت شائعة بينهم.

كان ذلك بعض ما ظهر لي في دراسة عمل فيشر، ما يُعَد من النتائج العامّة، ويحسن بنا الاستفادة مما يناسبنا منها، ويمكنني الخروج بتوصيات منها:

---

(41) انظر: فيشر، المعجم اللغويّ التاريخيّ، المقدمة، ص 28 - 29، ولمعرفة أوزان المشتقات عند المستشرقين وترتيبها، انظر: فيشر، «تقرير خاصّ بطريقة تأليف المعجم التاريخي الكبير للغة العربية،» ص 3 - 36، وذكر فيشر في هذا البحث تسعين وزنًا من أوزان الأسماء مضبوطة بالشكل ومرتّبة.

- في ميدان صناعة المعجم التاريخي تبدو أهميّة الاستفادة من نظرة فيشر الدقيقة عند معالجة الألفاظ في المعجم، وأهمها طريقته المعتمدة على الوجهات السبع عند شرح الكلمات، وتتأكّد لنا أهميّة الاستفادة من نظرة الأعجميّ إلى لغتنا وإبصاره ما لا يبصره العربيّ فيها؛ ذلك أن الأعجميّ ينتبه إلى ما لم يعتدْ عليه في لغته، وهو ما يمكن أن يكون مفيدًا في الدراسة.

- أهميّة وضع منهج دقيق لكل مراحل العمل قبل الشروع في المعجم التاريخيّ لتجنّب ما وقعت فيه بعض المحاولات من أخطاء، مثل محاولة فيشر في معجمه.

- وجوب الاهتمام بدراسة جهود المستشرقين وعرضها للتحليل والنقد، لاكتشاف جوانب الإجادة فيها للاستفادة منها، والعناية بالوقفات القيّمة التي يقفها المستشرقون في بعض أعمالهم والتفاتهم إلى ما لا يلتفت إليه العربيّ.

وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

كتب

ألمانيا والعالم العربي: دراسات تتناول الصلات الثقافية والعلمية والفنية بين الألمان والعرب منذ أقدم العصور إلى أيامنا هذه. حققه بالألمانية هانز روبرت رومير؛ ترجمها إلى العربية وقدم لها مصطفى ماهر؛ شارك في الترجمة كمال رضوان. بيروت: دار صادر، 1974.

بدوي، عبد الرحمن. موسوعة المستشرقين. ط 2. بيروت: دار العلم للملايين، 1989.

جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية. المعجم الكبير. ج 1. القاهرة: دار الكتب، 1970.

______. المعجم الوسيط. ط 2. إستنبول: دار الدعوة، 1986.

الحمزاوي، محمّد رشاد. أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة: مناهج ترقية اللغة تنظيرًا ومصطلحًا ومجمعًا: اللسانيات العربية المطبقة في القرن العشرين. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988. (السلسلة الجامعية)

العقيقي، نجيب. المستشرقون. 3 ج. ط 4 موسعة. القاهرة: دار المعارف، 1980-1981.

العلايلي، عبد الله. المرجع. ج 1. بيروت: مكتبة الفرح الحديثة، 1963.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد. البحث اللغوي عند العرب. ط 4. القاهرة: عالم الكتب، 1982.

فوك، يوهان. تاريخ حركة الإستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين. تعريب عمر لطفي العالم. دمشق: دار قتيبة، 1996.

في المعجمية العربية المعاصرة: وقائع ندوة مئوية أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني ورنحرت دوزي، تونس في 15، 16، 17 أفريل 1986. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987.

فيشر، أوغست. المعجم اللغويّ التاريخيّ. القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1967.

مجمع اللغة العربية في ثلاثين عامًا، 1932-1962. 3 ج. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1963-1966.

ج 1: إبراهيم مدكور، ماضيه وحاضره (1964).

دوريات

الحمد، علي توفيق. «المعجم التاريخي العربيّ». مجلة المعجميّة: العددان 5-6، 1989-1990.

الحمزاوي، محمد رشــاد. «تاريخ المعجم التاريخي العربــي (متع) في نطاق العربية: المبادرات الرائــدة». مجلة المعجميّة: العــددان 5-6، 1989-1990.

فيشــر، أوغســت. «تقرير خاصّ بطريقة تأليف المعجم التاريخــي الكبير للغة العربية». المقتطف (الملحق): السنة 114، العدد 3، 1949.

مظهر، إســماعيل. «القواعد الأساسـيّة في تأليــف معجم لغــويّ تاريخيّ». المقتطف: السنة 107، العدد 4، 1945.

ــــــ. «اللغة العربيّة وحاجتها إلى معجم لغويّ تاريخيّ». المجلة: الســنة 4، العدد 40، نيسان/ أبريل 1960.

«معجم اللغة الضادي: أمنية تتحقق». المقتطف: السنة 98، العدد 1، 1941.

المغربي، عبد القادر. «معجم الدكتور أ. فيشــر: وصفه ونقده». مجلة المجمع العلميّ العربيّ: السنة 24، العدد 4، 1949.

«وقائع نــدوة المعجم العربــيّ التاريخي: قضاياه ووســائل إنجــازه». مجلة المعجميّة: العددان 5-6، 1989-1990.

الفصل الرابع

التلازم الدلالي والترسيس(*)

عبد الرزاق بنور

(*) نستعمل مصطلح «ترسيس» كما جاء في معجم المصطلحات اللسانية للبعلبكي مقابلًا لمصطلح Reconstruction في اللسانيات ولا نستعمله كما جاء عند واضعه، أي عبد الحق فاضل، بمعنى التأثيل بالرجوع إلى الأس البدائي. كان يمكننا استعمال مصطلح «الجندرة»، لكننا استبعدناه كذلك، في حين تعني الكلمة ما نريده بالذات، وهو إعادة إمرار القلم على ما درَس من الخط وإعادة إظهار الوشي: «جَنْدَرَ الكتابَ: أمَرَّ القَلَمَ على ما دَرَسَ منه، وجَنْدَرَ الثوْبَ: أعادَ وَشْيَهُ بعدَ ذَهابِه» (ق.م.، «جندر»)؛ لأن الأدبيات النقدية الحديثة أضفت على ذلك المصطلح شحنة دلالية لا تناسب ما نريده. المقصود بـ (ق. م.): قاموس المحيط وبـ (ل. ع.): لسان العرب.

«... فالأسلاف قد أسسوا ولا يمكن أن نطلب منهم أكثر مما قدموا. أما اليوم فإن من حق العربية أن تطلب أكثر مما أُنجِزَ رغم أهميته»[1].

تمهيد

نود في هذا البحث تأكيد الفرق بين المعجم الوصفي الآني والمعجم التاريخي التبريري، معتمدين آليات نظرية وإجرائية قصد التطبيق العملي. اخترنا مادة «أبد»، وهي المادة الأخيرة والأشد تفصيلًا التي تناولها أوغست فيشر في المعجم التأصيلي التاريخي للّغة العربية *(Etymological, Historical Arabic Lexicon)*(1967).

1. فرضيات العمل

أ. ليس المعجم صندوقًا من الألفاظ أو خزينة من الجذور بقدر ما هو منظومة متناسقة من العلاقات. بناءً عليه، تُمثل الألفاظ في المعجم شبكة ترابط صوتي ودلالي؛ إذ لا يمكن تناول تطور استعمال لفظة من الألفاظ، شكلًا أو محتوًى، من دون النظر في طبيعة العلاقات التي تربطها بغيرها في تلك المنظومة. تدفع بنا هذه الفرضية إلى التخلي عن الزعم أن الجذر، باعتباره وحدة معجمية دنيا في العربية واللغات الساميّة، يمكن أن يكون مستقلًا بذاته دلاليًا وتصريفيًا.

ب. الجذر مستخرَج تصريفي من الاستعمال ولا يمكن أن يكون أولّ أو

(1) الطيب البكوش، «بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم العربي التاريخي،» في: المعجم العربي التاريخي: وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس، 14-17 نوفمبر 1989 (تونس: المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، 1991)، ص 405.

أن تكون الجذور «أصولًا» في المطلق، كما يراها بعض الباحثين، ومن ثم فهي مجرد دليل تصريفي للاشــتقاق. والجذر مجردٌ أقصى التجريد، لذلك لا يمكن أن يكون أول. وجعله أول يعني أن الإنسان انطلق من المجرد نحو الملموس. ثم إنه إذا كان «أصلًا»[2]، أصبح مشــروع المعجم التأصيلي العربي الذي ننادي به منذ زمن طويل غير ذي معنًى، لأن الأصل لا يحتاج إلى تأصيل.

ج. يختلف المعجم التاريخي عن المعجــم التأصيلي (أو التأثيلي) في أن المعجم التأصيلي مختزل اختزالًا وفي أنه يطــرح نتائج البحث في التأصيلات سواء بافتراض اقتراض أو أصل موثق أم ترســيس شكل مفترض اعتمادًا على أشكال موثقة في العربية أو اللغات الساميّة. ويضطلع المعجم التاريخي بعرض نتائج البحــوث التأصيلية، لكنه يختلف عن المعجــم التأصيلي في أنه مطالَب بتمثيل مراحل تطور اللفظة المعنيــة بالدرس وخصوصًا بتبريرها. لذلك، يكون حجم المعجم التاريخي أهم كثيرًا من حجم المعجم التأصيلي.

د. يختلف المعجم التاريخي عن المعجم اللغوي الآني في مسألتين:

تتعلــق الأولى بكون المعجــم التاريخي تبريريًا، تتمثل وظيفته الأســاس بإبراز مراحل التطور الشــكلي والدلالي وتبريرها. في المقابل، يكون المعجم اللغــوي وصفيًا غير تبريري، ويمكنه تقديم المعاني والاســتعمالات مســتقلة الواحدة عــن الأخرى، وقد تكون مرتبة أو غير مرتبــة. وفي حين تتمثل وظيفة المعجم التاريخي بجمع المادة المعجمية التي تكوّن عائلة اشتقاقية ثم ترسيس

(2) إلا إذا فهمنا استعمالهم مفهوم «الأصل» وأولناه بحسب قراءة الأولين التي يثبتها مختار كريم، في فقرة غايةً في الوضوح: «... أما عند النحاة العرب فتلك المجموعات الحرفية هي مجرد هياكل فارغة ولما كانت عناصر هذه الهياكل تبقــى ثابتة في مختلف تصرفات الكلمة فإن بعضهم وســم هذا الهيكل الخاوي الثابت بعبارة مناســبة وهي كونه أصل لفظي [هكذا وردت في الأصل، والصحيح ‹أصلًا لفظيًا›] وهي مقابل لقولهم في غالب الأحيان الحروف الأصول ولما عبرنا عنه في هذا البحث بالأشكال». انظر: مختار كريم، «مراجعة لنظرية الجذور والاشــتقاق في الفصحى،» في: مجادلة الســائد في اللغة والأدب والفكر: ندوة دولية نظمها قســم اللغة والآداب العربية، 23-24 نوفمبر 1996، أشرف على تنظيم الندوة وأعد أعمالها للنشر توفيق بن عامر، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، سلسلة 7؛ 12، 2 ج (تونس: جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم اللغة والآداب العربية، 2002)، ص 114.

ما تلاشـــى من ترابطها قدر الإمكان والإصرار على لمّ شـــتات ما فرقه الزمان والتمييز بين المتشابهات مثل المشترك اللفظي، لا يضير المعجم اللغوي الآني الإكثار من المداخل وتقديم مجرد متغيـرات صوتية بوصفها وحدات معجمية قائمة. هكذا، يمكن المعجم الآني، خلافًا للمعجم التاريخي، أن يقدم الأزواج «كبكب» و«كوكب»، «دبخ» و«دربخ»، «سبخ» و«سربخ»، «بثر» و«بعثر»، «بثث» و«بثر»[3]، على أنها مواد معجمية مستقلة، في حين أنها لا تعدو أن تكون تاريخيًا من باب التباين الصوتي؛ فمن وظائف المعجــم التاريخي بحث آليات التطور الصوتي، سواء اللهجي أو «النظامي»، والتوسع أم الانحسار التصريفي... إلخ.

تتمثل المســألة الثانيــة بترتيب المعاني والأشــكال؛ إذ فــي حين تجعل المعاجم اللغوية الآنية المعاني الشــائعة قبل الغريبة والمســتعملة قبل المهملة أو دونها، يلتــزم المعجم التاريخي بضوابط أخرى. طرح فيشــر، صاحب أول محاولة لتأليف معجم تأصيلي تاريخي للعربية، بعــض هذه الضوابط، وأهمل أهمها وأخطأ في بعضها وأصاب في معظمها. يقول فيشــر: «يجب في ترتيب المعاني تقديم المعنى العام على المعنى الخاص والمعنى الحسّي على المعنى العقلي والمعنى الحقيقي على المعنى المجازي»[4]. يمكن اختزال هذا الترتيب في جملة واحدة سننظر فيها تفصيلًا، هي التالية: **«الترتيب يوازي مراحل تطور الفكر البشري»**.

- ما أهمله فيشــر هو أن المعنــى المحايد يجب أن يُرتَّــب قبل المعنى المحظــور. ومن ثم فإن الاســتعمال التلطيفــي للفظة (أو لعبارة) تشــير إلى عضو محظور من أعضاء الجســم أو إلى العلاقة الجنســية... إلخ، يجب أن تســبق اســتعمالاته الأخرى؛ ولا يكون العكس إلا اســتثنائيًا. بناءً عليه، من

---

(3) هذا المثال الأخير مثال مهم لأنه يؤشــر إلى مرحلتي تطــور؛ إذ ننتقل من «بثث» إلى «بعثر» عن طريق تطبيق ظاهرة التبايــن الصوتي مرتين: «بث - بثر» ثم «بثر - بعثــر». وهكذا تعين هذه الآلية التطورية الصوتية أســبقية الأشــكال وترتيبها. مع التنويه إلى أن الأمثلة عن هذا التباين المزدوج ليست نادرة في العربية.

(4) A. Fischer, and United Arab Republic, Academy of Arabic language, *Etymological Historical Arabic Lexicon* (Cairo: General Organisation of Government Printing Offices, 1967), p. 24.

الطبيعي جعل معنى «وجامعها» (وما أكثره!) في آخر ترتيب معاني أفعال الحدث: «دَعَبَ: دَفَعَ، وجامَعَ، ومازَحَ» (ق.م. «دعب»). ولا يمكن أن يكون ذلك المعنى أولَ لأنه يفترض تقليص استعمال الفعل لتجنب ذلك المعنى التلطيفي الذي يصبح محظورًا بدوره بسبب حمله معنًى محظورًا اجتماعيًا؛ ويصحّ هذا كذلك على كل المحظورات الدينية أو العقائدية أو النفسية. أما تواتر هذه المعاني التلطيفية فسببه ما سمّيناه «التضخم التلطيفي»[5] الذي يجعل المستعمل يلجأ إلى لفظ «محايد» أو «نظيف» وقتيًا كلما تلطخ اللفظ الذي استُعمل قبله لمجاورته محظورًا، وهكذا دواليك. وهو يبرر خصوصًا عدد الألفاظ التي تدل على «الضرط»[6] في العربية: «حطأ»، «فرقع»، «خبق»، «خربق»، «فصع»، «حصم»، «نضف»، «ردم»، «عفق»، «حبق»، «لتأ»، «نفخ»، «خضف»، «ارتمز»، «عفط»، «زقع»... مثلًا. لهذا، وجب ترتيب المعاني المحايدة قبل المعاني التلطيفية، فنجعل في مادة «ضرط» معاني «خِفةُ اللِحْيَة» و«ضخامة الجسم» و«الحمق» قبل معنى «صَوْتُ الفَيْخ»[7]. ونجعل في مادة «عصفر» معنى «الطائر» قبل معنى «الجراد» الذي كان يُعَد آفة الآفات والمنذر بشؤم المجاعات[8].

- أما ما نرى أن فيشر أخطأ فيه - عسى ألّا نكون قد فهمناه خطأً - فهو تقديمه المعنى العام على المعنى الخاص، في ترتيبه المذكور، تبعه في ذلك جمع من دارسي المعجمية والباحثين في المعجم التاريخي واستشهدوا بذلك الترتيب وتبنوه. ونحن نأسف لمناقضته ولمناقضة من اتبعه، لكننا نرى العكس من ذلك تمامًا، بل نرى أنه تناقض واضح مع وضع المعنى الحسي قبل المعنى

---

(5) انظر مقالاتنا في موضوع المحظورات اللغوية، خصوصًا: عبد الرزاق بنور، «موت الأفعال وتأثيره في التحول الدلالي»، مجلة المعجمية، العددان 18 - 19 (2002 - 2003).

(6) حيث لا نشك في أن هذا الاستعمال تلطيفي وأنه لا يمكن أن يكون المعنى البدائي.

(7) لاحظ اللجوء إلى تلطيف المحظور الاجتماعي في هذا المقام: «الإِفاخَةُ: الردامُ، أو الحَدَثُ مع خُروجِ الريحِ» (ل.ع. «فيخ»).

(8) جمعنا للجراد ما يزيد على مئة اسم، مع الإشارة إلى أن تعدد الأسماء وطرائق التعيين عادة ما تكون مؤشرًا لمداورة محظور.

العقلي في ترتيب المعاني. ويبدو أن سببه خلط يقوم على اعتبار العام مرتبطًا بالكلمة والخاص مرتبطًا بالمصطلح. ولم يدر في خلد فيشر ومن اتبعه في ذلك الترتيب أن كل تعميم تجريد وأن المعنى الخاص أقرب إلى الملموس منه إلى العام. وكنا قد أظهرنا أسبقيةَ المصطلح على الكلمة، خلافًا لما شاع بين دارسي علم المصطلح[9]، وحاولنا الإجابة عن السؤال: لماذا تَعد العربية ما يزيد على ستة وأربعين وأربعمئة فعل تُستعمل بمعنى «القطع»؟ هل القطع عملية مهمة إلى هذا الحد؟ أم لأن القطع يشغل الناس؟ أم لأن العربي كان لا يتمثل القطع مجردًا بل مقترنًا في كل مرة بشيء يُقطع؟ [«عرقب: عَرْقَبَه: قَطَعَ عُرْقُوبَه (ق.م. «عرقب»)؛ و«نخع: نَخَع الشاةَ نَخْعًا: قَطَعَ نخاعَها». (الخليل) و«جمر: قَطَعَ جُمَارَ النَخْلِ»، (ق.م. «جمر»)؛ و«حلقم: حَلْقَمَهُ: قَطَعَ حُلْقُومَه، أي: حَلْقَه». (ق.م. «حلقم»)، وكذلك «الحَلْقَمَةُ: قَطْعُ الْحُلْقوم» (الخليل: «كتاب العين»)؛ و«خبل: الخُبُول قَطْعُ الأَيدي والأَرجل» (ق.م. «خبل»)؛...] وبشيء يَقطع [«أزم: الأَزْمُ: القطعُ بالناب والسِكين وغيرهما. والأَوَازمُ والأُزمُ والأُزُمُ: الأَنْياب (ق.م. «أزم»)؛ و«خنع: التَخْنيعُ: القَطْعُ بالفأسِ (ق.م «خنع»)؛ و«عضَدَ الشجرَ يَعْضِدُه...: قطعه بالمِعْضَد». (ق.م. «عضد»)] وكيفية القطع [«شرعب: شَرْعَبَه: قطَعَه طُولًا (ق.م. «شرعب»)؛ و«بتت: البَتُّ: القَطْعُ المُسْتَأْصِل» (ق.م. «بتت»)؛ و«انخزَع الحبْلُ: انْقطع، وقيل: انقطع من نِصفه ولا يقال ذلك إذا انقطع من طرفه (ق.م. «خزل»)؛ و«هرم: التَهْريمُ: التَقْطيعُ قِطَعًا صِغارًا» (ق.م. «هرم»؛ و«وشق...: تَوَاشقوه بأَسيافهم أي قطَعوه وَشائق كما يُقَطَع اللحم إذا قُدد» (ق.م. «وشق»)؛ و«وَفر: وَفَر الثوبَ: قطعه وافرًا» (ق.م «وفر»)...] ومدته [«خزلب: الخزلَبَةُ: القَطْعُ السَريعُ» (ق.م. «خزلب»)؛ و«قصل: قصله قصلًا: قطعه قطعًا وحيًا» (الزمخشري: «أساس البلاغة»)؛ و«حذم الشيء: أسرع قطعه» (الزمخشري)؛...] وقد يجمع فعل واحد أكثر من خاصية: «القَذُ: قطع أطراف الريش على مثال الحذف والتحذيف» (الخليل)؛ وقد تُستَعمل أفعال

(9) انظر مقالتنا «أسبقية المصطلح على الكلمة» التي ستُنشر ضمن وقائع ندوة «علم المصطلح» التي نظمتها دار المعلمين العليا بتونس في 12 تشرين الثاني/ نوفمبر 2010.

تشي بمرحلة هولستية[10] مرت بها اللغة العربية حيث نحتاج إلى ترجمة فعل «مظع» إلى نص كامل: «مَظَعْتُ الخشَبةَ إذا قَطَعْتَها رطْبةً ثم وَضعْتَها بِلِحائها في الشمس حتى تَتَشَرَّبَ ماءَها ويُتْرَكَ لِحاؤها عليها لئَلا تَتَصَدَّعَ وتَتَشَقَّقَ؛». (ق.م. «مظع»). لذلك يمرّ المستعمل البدائي إلى مرحلة وجود فعل عام اختاره («قَطَعَ») لكثرة استعماله دون الأفعال الأخرى، أي «قطم» و«قطل» و«قطف»، و«قد» و«جذ» و«قت»... إلخ، التي تبدو لنا اليوم أكثر اختصاصًا، في حين كانت كلها «متخصصة» وفي مستوى الاختصاص نفسه، حتى أصبح فعل «قطع» ممثلًا لكل عمليات القطع الخاصة، أي مفهوم القطع عمومًا، عند ارتقاء المستعمل إلى مرحلة التجريد.

أما إذا كان فيشر يعني بالعام المعنى الشائع المتداول مقابل المعنى الغريب أو الثانوي، فذلك غير مقبول أيضًا لأن المعنى الشائع لا يمثل نقطة وصول تطور اللفظ في استعماله ولا فائدة من جعله أولَ كأنه يعرف باللفظ، خصوصًا إذا قدمنا مقابلاته بمعانيها في اللغات الساميّة. بل نقول إن هذه هي بالذات طريقة المعاجم اللغوية الآنية مثل القاموس المحيط ولسان العرب. وقد تضر بالتمشي التطوري، لأن المستعمل سيأخذها على أنها المعنى الأصلي أو المعنى الجامع، فضلًا عن أن المعنى الشائع مسألة قد تكون خلافية؛ إذ لا نعرف مثلًا إن كان المعنى الشائع في «وقر» هو «الثقل في الأذن» أو «الرصانة» من الوقار (وهي من الثقل)، مع أن كليهما نتيجة عملية تطور دلالي طريف[11].

لا يمكن اعتماد ترتيب عام في المطلق[12]؛ لكل وحدة معجمية خاصياتها

---

(10) اللغة الهولستية (Holistic)، في تصنيف اللغات، هي اللغة التي تناسب فيها كل لفظة جملة كاملة أو نصًا قصيرًا.

(11) سنعود إلى هذه المسألة في دراستنا الترتيب الداخلي.

(12) سواء الترتيب الذي طرحه فيشر وهو قابل للنقاش، كما رأينا، أم الترتيب الذي يستند إلى النظرية الثنائية (ويتبناه العلايلي): «البناء المعتل، ثم الثنائي المضاعف، ثم المهموز، ثم المضاعف الرباعي، ثم الثلاثي، ثم الرباعي»، كما جاء في: علي الحمد توفيق، «المعجم التاريخي العربي: مفهومه-وظيفته-محتواه،» في: المعجم العربي التاريخي، ص 103، نقلًا عن: حسين نصار، المعجم العربي: نشأته وتطوره، ص 762، مستشهدًا بـ: عبد الله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد.

وتاريخ استعمالها، لكن يمكن الاستئناس ببعض الضوابط التي تُخرق حين يفرض الاستعمال سلطانه. وسنطرح بعض الآليات التي تساعدنا في ضبط الترتيب.

أما الترتيب الزماني لظهور استعمال الألفاظ أو الشواهد الذي يجعله فيشر عقدة عمله، فهو وإن كان ضروريًا لا يمكن أن يكون كافيًا. إذ تطورت الدلالات في بعض الأحيان وبلغت الألفاظ عصر التدوين وهي متعددة المعاني. ولنا عبرة في تجارب الأمم التي سبقتنا في هذا الميدان. فلم يكتف **المعجم التاريخي الفرنسي**(13) بعرض فعل «voler» باعتباره من المشترك اللفظي كما عرضه معجم الأكاديمية الفرنسية بمدخلين(14)، أحدهما بمعنى «سرقَ» والثاني بمعنى «طارَ»، أو متعدد الدلالات، كما تقدمه المعاجم اللغوية الأخرى، يُستعمل استعمالين أحدهما «طار» والثاني «سرق» بتقديم شواهد وضبط تواريخ استعماله، بل فسر بالتفصيل كيف انتقل فعل «voler» من ميدان الصيد والقنص بالبازي إلى ميدان السطو والسلب. ولم يكتف **المعجم التاريخي الإنكليزي** (*OED*) بعرض معاني «bit» بحسب ظهورها واستعمالاتها، بل بين كيف تولد معنى «الجزء» (a bit) من معنى «القضم» (to bite)(15).

2. آليات العمل

تتمثل آليات العمل في إجراءات بت ومفاهيم إجرائية، أي في طرائق منهجية عملية وأدوات مفهومية نظرية. تتمثل إجراءات البت في التلازم الدلالي والترسيس وتتكون المفاهيم الإجرائية من الجذمور والشبه العائلي.

سنحاول إعادة النظر في مادة «أبد» التي تناولها معجم فيشر التأصيلي

(13) *Dictionnaire historique de la langue française*, sous la dir. de Alain Rey, 2 vols., 3ème éd. (Paris: Dictionnaires Le Robert, 2000), vol. 2, p. 2449.

(14) انظر: *Dictionnaire de l'Académie française*, 2 vols; 5ème éd. revu, corrigé et augmenté par L'Académie elle-même (Paris: J. J. Smits, 1798-1799), pp. 3414-3415.

(15) انظر: James Augustus Henry Murray, *A New English Dictionary on Historical Principles; Founded Mainly on the Materials Collected by the Philological Society*, 10 vols. (Oxford: Clarendon Press, 1888-1928), vol. 1, p. 882.

المعروف بـ *The Oxford English Dictionary*

التاريخـــي بالدرس، اعتمـــادًا على فرضيـــات العمل وآلياته، كما ســـنحددها لاحقًا.

أ - إجراءات بت: التلازم الدلالي[16] والترسيس

- الترسيس (Reconstruction) هو إعادة بناء الأشكال المفترضة أو الحلقات الناقصة في التسلســـل التطوري. ويعتمد الترســـيس إما القوانيـــن الصوتية أو القواعد المستنتجة من قياس الشبه والتواتر والاطراد.

عمليًا، تواصل تعامل المعاجم، فـــي الأغلب، مع المادة اللغوية والمعاني التي جمعتها الأجيال الســـابقة باعتبارها الاســـتعمالات الجائزة في اللغة، على أنها مادة وليست منظومة، وكأنها أكداس من الحجارة لا يربط بينها شيء. ونود أن نقدم من باب التوضيح مثالًا يبرز طريقة تناول المعاجم (إجمالًا، ومن دون الدخول في خصوصيات كل منها) قديمها وحديثها معاني مادة معروفة متداولة مثل «وقر».

نلخص ما جاء منها في لسان العرب لابن منظور: «الوَقْرُ:

- ثِقَلٌ في الأُذن، ...

- والوِقْرُ: الثِقْلُ يحمل على ظهر أَو علـــى رأْس. ... وأَوْقَرَتِ النخلةُ أَي كَثُرَ حَمْلُها؛...

- واسْتَوْقَرَتِ الإِبلُ: سمنت وحملت الشحُوم؛ ...

- والوَقار: الحلم والرزَانة؛ ... ووَقرَ الرجلَ: بجلَهُ...؛

(16) نســـتعمل مصطلح «التلازم الدلالي» مقابـــلًا عربيًا لمصطلـــح «Parallélisme sémantique» و«Semantic Parallelism» الذي استعمله أول مرة عالم اللغة الفرنسي شانتران (Pierre Chantraine) وطوره ميشـــال مســـون في كتابه *Matériaux pour l'étude du parallélisme sémantique*، ولا نســـتعمل «التوازي الدلالي» لأن مفهوم التوازي يفيض بـــدلالات لا توجد في المصطلح الفرنســـي «Parallélisme». انظر:
Michel Masson, *Matériaux pour l'étude des parallélismes sémantiques* ([Paris]: Presses de la Sorbonne nouvelle, 1999).

- والتوقير: التعظيم والترْزِينُ. ...ووَقرْتُ الرجلَ إذا عظمته. وفي التنزيل العزيز: وتعزروه وتوقروه... والوَقار: السكينة والوَداعَةُ. ...

- والوَقْرُ: الصدْعُ في الساق... والوقْرُ والوَقْرَةُ: كالوَكْتَةِ أو الهَزْمَةِ تكون في الحجر أو العين أو الحافر أو العظم، والوَقْرَةُ أعظم من الوَكْتَةِ... والوَقير والوَقِيرَةُ: النقْرَةُ العظيمة في الصخرة تُمْسِكُ الماء، ...

- ووَقَرَ وَقْرًا: جلس ...

- والوَقِير: الغنم، وفي المحكم: الضخم من الغنم»؛

نقابله بما جاء في مقاييس اللغة لابن فارس:

«(وقر) الواو والقاف والراء، أصل يدل على ثقل في الشيء. منه الوقر: الثقل في الأذن... ويقال نخلة موقورة وموقر، أي ذات حمل كثير، ومنه الوقار: الحلم والرزانة. ورجل ذو قرة أي وقور... قال الأحمر في قوله «وقرْنَ في بيتكن»: ليس من الوقار، إنما هو من الجلوس... ومما شذ عن الباب الوقيرة: نقرة في الصخر. فأما الوقير فهو إتباع الفقير. والوقرة في العظم. والوقير: القطيع من الضأن[17].

أول ملاحظة تهم شبه الفوضى في ترتيب المعاني حيث يذكر ما يبدو أنه المعنى الأشهر أو الأقرب إلى الاستعمال اليومي في تاريخ الجمع ثم تلقى بالمعاني الأخرى تباعا ويحصل أن تذكر المعاني أكثر من مرة فتلف وتدور[18].

ثاني الملاحظات هي أن ابن فارس يبدو اللغوي الوحيد الذي حاول تنظيم الدلالات في مجموعات تربط بينها قواسم مشتركة تقترب كثيرًا مما نسميه اليوم الحقول الدلالية.

---

(17) أبو الحسين أحمد بن زكريا بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الفكر، 1979)، ج 6، ص 132-133، والتشديد من عندنا.

(18) انظر مثلًا مداخل مادة «وقر» في: جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط 4 (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2004).

وأخيرًا، يبدو من الغرابة بمكان أن ما جعله ابن فارس شاذًا هو المعنى الأقرب إلى «الأصل» من منظورنا.

نبيّن في ما يلي أن ما اعتبره ابن فارس شاذًا عن المعنى الأصلي ينسجم بعضه ضمن المعاني المتفرعة عن معنى أقدم منها أي معنى يقع على درجة أعلى في تفرع التوليد الدلالي، ويمثل بعضها الآخر ذلك المعنى الملموس الذي انحدرت منه معظم المعاني الفرعية التي يقدمها ابن فارس باعتبارها الأصل («الواو والقاف والراء، أصل يدل على ثقل في الشيء»)، مع أنها معاني مجردة - سنرى لاحقًا أنها لا تكون «أصولًا» على الأقل مبدئيًا. ففي قوله: «ومما شذ عن الباب الوقيرة: نقرة في الصخر. فأما الوقير فهو إتباع الفقير. والوقرة في العظم. والوقير: القطيع من الضأن»، بإمكاننا أن نجمع هذه الشواذ في ثلاثة أبواب: 1. الوقير: القطيع من الضأن؛ 2. الوقير إتباع الفقير؛ 3. الوقيرة: نقرة في الصخر، والوقرة في العظم.

تتمثل عملية الترسيس في ربط العلاقات الدلالية التي اهترأت بفعل الزمن فامحت آثارها. ويتمثل الخطر الأكبر في هذه العملية في الوقوع في ما يسمى التأصيلات الشعبية (Folk Etymology/étymologie populaire) أو التأثيل الواهم[19]. فبإمكان المرء وهو يعيد ربط هذه العلاقات أن ينزلق إلى تبريرات بعيدة كل البعد عن واقع اللغة ولا يسندها غير تخمينات قد لا تصمد أمام المعطيات التاريخية أو اللغوية. لذلك، وجب اعتماد الحد الأدنى من الحيطة والتسلح بما أمكن من الضوابط المنهجية لتجنب الوقوع في هذه الرمال المتحركة. ونبّه بنفنيست (Benveniste) - وهو أول من أثار قضية الترسيس الدلالي[20] في اللسانيات الغربية - بكل وضوح إلى مثل هذه المخاطر. ونحن نعتمد في ذلك آليات منطقية، سيأتي ذكرها. ومن دون ترك الحذر المنهجي جانبًا، يمكن أن

(19) انظر: عبد الرزاق بنور، «التأصيل الشعبي، صنف حجاجي أهمله المنظرون،» عالم الفكر (الكويت)، السنة 40، العدد 2 (تشرين الأول/ أكتوبر - كانون الأول/ ديسمبر 2011).

(20) Emile Benveniste, «Problèmes sémantiques de la reconstruction,» dans: Emile Benveniste, *Problèmes de linguistique générale* (Paris: Gallimard, 1966), vol. 1, pp. 289-307.

نربط هذه المعاني الثلاثة التي يعتبرها ابن فارس من الشواذ، وتبدو للقارئ متنافرة متباعدة، في عقدة دلالية جامعة بمجرد التذكير بأن لفظة «القطيع» تحمل معنى «القطع»:

1. الوقير: القطيع من الضأن؛ 2. الوقير إتباع الفقير؛ 3. الوقيرة: نقرة في الصخر، والوقرة في العظم.

ثم إن جعل ابن فارس معنى «النقرة في الصخر» من الشواذ مرده إلى كونه يفصل بين الجذور، كما يفعل جل اللغويين من القدامى[21] والمعجميين من المحدثين، فلا يفكر في الربط بين الوحدات المتقاربة صوتيًا ودلاليًا. لذلك لم ير ابن فارس ومن جاء بعده الخط الرفيع والقاسم المشترك الذي يربط بين «وقر – بقر – عقر – نقر – فقر – حقر، قرر..».[22] حتى يرمى بمعنى النقرة في الصخر ضمن بقية المعاني الثانوية. فكون كل هذه الجذور تشترك في معنى «النقرة في الصخر» يمثل في حد ذاته حجة تسند الترسيس في اتجاه اعتبار القطع من المعاني الأقدم.

كيف يكون المعنى الثانوي الشاذ مطردًا موجودًا في جذور تربط بينها قرابة صوتية واضحة؟ هذا ما لم يشغل بال لغويينا وعلمائنا... كان يفترض أن يحفز هذا على البحث في ما يفترض أن يجمع بينها من أصول مشتركة أو آليات لإعادة بناء ما ضاع من العلاقات والوشائج! وهو ما نعنيه جزئيًا بعملية الترسيس.

ثم إن سبب العمى عن العلاقة بين «الوقير» و«القطيع»، ضياع علاقة التبرير بين معنى «القطيع» كما كان ولا يزال يستعمل في العربية، باعتباره مجموعة

---

(21) مع بعض الاستثناءات اللافتة، كابن جني، مثلًا.

(22) نقدمها ولا نحتفظ منها إلا بالمعاني ذات الصلة: نقر: ... الوهدة المستديرة في الأرض... البئر الصغيرة الرأس في صلبة من الأرض أو الكثيرة الماء أو الحوض؛ عقر: الأبتر والجرح... وعقر النخلة: قطع رأسها؛ بقر: شق...؛ فقر: ...رَكِية، والمَكانُ السهْلُ يُحْفَرُ فيه رَكايَا مُتَنَاسِقَةٌ، وفَمُ القَناة. ...والفَقْرُ: الحَفْرُ، ...وأرضٌ مُتَفَقِّرَةٌ: فيها فُقَرٌ كثيرةٌ، أي: حُفَرٌ؛ صقر: صقر الحجر: كسره بالصاقور، والصقرة: الماء يبقى في الحوض تبول فيه الكلاب والثعالب، والصقرة: الماء الآجن.

كبيرة من الضأن، وبين اللفظة التي كان يفترض أن يتوقف عندها المرء. وهي إحدى فرضيات المنهجية الترسيسية. فلا سبيل إلى المرور مر الكرام فوق رؤوس الألفاظ من دون النظر إليها عن كثب ومساءلتها أكثر من مرة. هكذا إذن يتسنى عند التثبت في لفظة «قطيع» أنها من القَطع أو القطعة، مثلما أن «الفِرْقُ: القَطيعُ من الغَنَم العظيمُ (=الفرقة)» من «فرق» و«القارُ: القِيرُ، والإبِلُ، أو القَطيعُ الضخْمُ منها» من «قورَ الشيءَ: قَطَعَهُ مِنْ وَسَطِهِ خَرْقًا مُسْتَديرًا» و«الفِزْرُ: القَطِيع من الغنم». من «فَزَرَ الشـيء: فرقه» و«الجُزَيْعَةُ: القُطيعـةُ من الغنم» من «جَزَعَ الشيء: قطَعَه عَرْضًا»؛ و«الصِرْمةُ والقِصْلةُ والحُذْرةُ ما بين العشرة إلى الأربعين من الإبل، فإذا بلغت ستين فهي الصِدْعةُ» من «صـرم» و«قصل» و«حدر»[23] و«صدع»، تباعًا... إلـخ، وهو تمش متواتر مطرد في العربيـة[24]. ولن نتوقف طويلًا عند علاقة «فقيـر» بـ«وقير» للتدليل على العلاقـة القائمة بينهما والتي تتجاوز مجرد السـجع والاتباع إلى علاقة ترادف: «الفَقْـرَةُ والفَقَارَةُ: ما انْتَضَدَ مِنْ عِظام الصلْب مِنْ لَدُنِ الكاهِلِ إلى العَجْب...[25] والفَقيرُ: الكَسيرُ الفَقارِ، ... والمَفْقُورَ... وأرضٌ مُتَفَقِرَةٌ: فيها فُقَرٌ كثيرةٌ، أي: حُفَرٌ». (ل.ع. «فقر»).

نعود الآن إلى الجزء الثالث من المعنى الجامع الذي يعتبره ابن فارس من الشواذ عن معنى «الثقل» والذي يضعه في منزلة المعنى الأصلي: «3. الوقيرة: نقرة في الصخر، والوقـرة في العظم»، وبه نحاول ترسـيس معاني مادة «وقر»

(23) وهي الوحيدة ضمن المجموعة التي تعني السـمن والتجمع، ولا يظهر فيها معنى «القطع» إلا بطريقة غير مباشرة.

(24) الغريـب أن العربي يسـتعمل «إقطاعي» ترجمة للفظـة الفرنسـية «féodal» أو الإنكليزية «feudal» ظنا منـه أنها تترجم القطع من تخيله «أقطعه أرضًا»، بينما اللفظـة من «القطيع» إذ إن «feudal» من «fehu» تشـير إلى العجْل ومنه إلى البقرة (التي تسـمى باللاتينيـة «pecunia» (التي تنحدر منها لفظة «pécuniaire/pecuniary» نسـبة إلى المال. لاحظ التوازي في العربية مع «المال» بمعنى الجمال؛ وعلاقة الغنيمة بالغنم!. انظر كذلك العلاقة بين «capital» (رأس المال) و«cheptel» (الماشـية -وهو رأس المال المنقول مقابلة بالمعقول الذي يناظره بالفرنسية الشيء نفسه مجسـمًا في لفظة «immobilier» أي «الذي لا يتنقل»). لتدعيم حجة التواتر والاطراد.

(25) لن نفهم معنى «فقرة» إلا بالنظر في معنى «الكسـر» الذي يصيب الكل، أي إن الفقار عبارة عن الكسور والفواصل التي تمثل الكل العظمي الذي يرى فيه العربي سلسلة أجزاء مترابطة، كما يراه في الفقرة باعتبارها جزءًا من النص نظرًا إلى أنها كل ممفصل.

وجعلها في ترابط تراكمي يعيد إلى القارئ البناء المنطقي والتطور التاريخي الذي نرى أنه حصل في هذه المادة، كما في سائر مواد المعجم العربي بفعل الزمن، حيث إن عدم القيام بهذه العملية سيجعل من العسير التفطن إلى العلاقات التي بُني بموجبها المعجم العربي في تطوره، ونُضيّع من ثم أحد أهم آليات تفسير المشترك الدلالي وتعدد المعاني في العربية. فنحن نعتقد أن تعدد المعاني في المادة الواحدة لا يمكن أن يكون من جوهرها بل إنه حادث فيها بفعل التوسع في الاستعمال.

نفترض إذن أن معنى «الصدع في العظم أو في الصخر» في مادة «وقر» ليس معنى شاذًا، بل هو معنى بدائي وأنه كان من ثم استعمالًا سابقًا لمعاني الثقل والرزانة والوقار والسكينة والجلوس والقطيع الضخم. ونرتب المعاني منطقيًا كما يلي، قبل شرح تسلسلها التاريخي المنطقي (الملموس قبل المجرد، مثلًا):

- الصدع في العظم ومنه الصدع أو النقرة في الصخر،

وهو ما أفضى مجازيًا إلى الحفرة أو الوهدة أو الهزمة (معنى «النقرة». كما تشترك الجذور القريبة صوتيًا من «وقر» في هذا المعنى)؛

- من البديهي أن المكان المنخفض يجتمع فيه الماء،

والمعاني المرتبطة بالماء موجودة في «وقر» و«نقر» و«فقر» و«صقر»، وهو مما يعطيها سند التواتر ويخفض نسبة الصدفة؛

- النخلة التي تقع في مثل ذلك الموضع تثقل حملًا،

وهي ملاحظة تجريبية بدهية. وهذا المعنى يناسب ما اعتبره ابن فارس المعنى الأصلي. ومن هذا المعنى تولدت كل معاني «الحمل» («الأخذ»، مثلًا) و«الحامل» (الشجرة، ثم المرأة[26] والدابة) و«المحمول» («الشحوم»، مثلًا،

---

(26) في هذا المقام، نعترض على جعل معنى «المرأة المثقلة» التي يذكر عنها ابن منظور قول الجوهري: «نخلة مُوقَرٌ على غير القياس لأن الفعل ليس للنخلة، وإنما قيل مُوقِر، بكسر القاف، على قياس قولك امرأة حامل لأن حمل الشجر مشبه بحمل النساء» أن بها نعتت النخلة وليس العكس. إلا أن تكون صورة الصدع الذي يجمع الماء أبعد مما كنا نعتقد، وهو ما نستبعده في غياب ما يبرره.

حيث ولد معنى «سمين»، ثم كل ما يمكن حمله ملموسًا كان أو مجردًا).

- ومن كل ما سبق، تجرد معنى «الثقل والرزانة»،

علّمتنا التجربة أن الرصانة والرزانة والتريث من الحكمة والحلم[27] والعقل (الذي نرى فيه علاقة واضحة مع «عِقال») عكسُ الطيش والخفة والاندفاع... إلخ، فولد معنى «الوقار» كما نعرفه وأخذت مرتبة الحكمة مرتبته، فكان التبجيل والتعظيم بمعنييه المجرد («الهيبة») والملموس كما نراه في «القطيع الكثير العدد» الذي لا يتحرك من عظمته. وتولد من هذا المعنى مجازيًا معنى ثانوي يتعلق بثقل السمع والصمم. وهو المعنى الأشد شيوعًا وهو الذي استهلت به كل المعاجم تقريبًا وصف هذه المادة.

- السكون والثبات يلازمان المعنى السابق، فالجلوس.

هكذا نرى الترتيب المنطقي الذي يفترض أن يرسس التدرج المنطقي في تطور استعمال «وقر» وفي غياب الشواهد القاطعة.

هذا الصنف من الترسيس الداخلي لا يعدو أن يكون ترسيسًا ترتيبيًا - حسب نمط من الأنماط: زماني بحسب أقدمية حقيقية أو مفترضة، أو منطقي من السبب إلى النتيجة، مثلًا، أو تصريفي من البسيط إلى المركب... إلخ - وهو الأبسط والأجدى بالنسبة إلى المستعمل العادي، إذ لا يخلو من فائدة تعليمية. ويقابله الترسيس الخارجي الذي يتطلب إعادة بناء الحلقات الضائعة، سواء منها الصوتية أو التصريفية أو الدلالية، وهو أشد تعقيدًا، ويتطلب معطيات خارجية كاللجوء إلى اللغات الساميّة الأخرى، مثلًا.

يمكن أن يعترض علينا بالقول إن هذا الترتيب اعتباطي لأنه لا يستند إلى حجة غير الحدس والتخمين. لكن ورود تمش موازٍ في العربية يدعم مصداقيته ويجعل منه ترتيبًا محتملًا جدًا. فنحن نجد بالفعل في العربية ما يوازي تدرج التطور الدلالي لمادة «وقر» من النقرة في الصخر إلى معنى «الثقل» في مادة

(27) الحليم هو السمين!

«أوق»: «الأُوقةُ: هَبْطة يجتمع فيها الماء، وجمعها أُوَق. والأَوْقُ: الثِقَلُ». (ل.ع. «أوق»).

كان يفترض لو توافرت أعمال في الترسيس تناولت مواد المعجم ولو بصورة موجزة أن ترتب المعاني بحسب تسلسلها المنطقي كما فعلنا، لا أن نجدها مكدسة في الأغلب كما اتفق، من دون أي اعتبار، إلا حسب شيوع بعض المعاني، في الفترة المدروسة، مقابل ندرة معانٍ أخرى[28].

يفترض في العمل الترسيسي أن يتواصل على الأقل لتفسير العلاقة الدلالية (الوهدة المستديرة في الأرض يتجمع فيها الماء) التي تربط بين المواد المتقاربة صوتيًا (وقر - بقر - عقر - نقر - فقر - حقر) للنظر في ما إذا كانت العلاقة الصوتية مدعومة بعلاقة دلالية تبرر هذا التقريب. نقول، في هذا المقام ومن دون إطالة، إن القاسم المشترك - «قرر: قر بالمَكانِ يَقَر،...: ثَبَتَ، وسَكَنَ، ... والقَرَارُ والقَرَارَةُ: ما قُــر فيه، والمُطْمَئِن من الأرضِ، والغَنَمُ،... والشِــبَعُ، والسِــمَنُ، أو نِهايَتُهُ، ... والمَقَرةُ: الحَوْضُ الصغيرُ... والقَرارَةُ: القصيرُ، والقاعُ المُسْــتَديرُ... والقَرُورَةُ: الحَقيرُ.(«ل.ع. «قرر»-) لا يمكن أن يكون محايدًا في هذه القضية، لأن تقاطع المعاني يجعلنا نعترف بالقرابة الحقيقية التي تربط بين كل هذه المواد.

يمكن أن يعترض علينا بالقول إن هذا المثال منتقى بدقة وهو مثالي لأن كل مراحله الوسيطة موجودة تقريبًا، بينما غالبًا ما يحصل أن تفقد حلقة مهمة تجعل من العسير العثور على الخيط الواصل وتتشابك عندها خيوط الترسيس وتتعذر. يبدو الترسيس بالفعل بديهيًا في بعض الحالات (مثل ما رأيناه مع «وقر»)، على شرط أن نكون واعين بهذا الإجراء متهيئين له، ولكنه قد يبدو في حالات أخرى أشد صعوبة.

يعتبر الترسيس في مثال «وقر» مجرد إعادة ترتيب لمعطيات حاضرة

---

(28) بل إن هذا الترتيب لا يُحترم أحيانًا، حيث نلاحظ تمشيًا حلزونيًا وزورانًا، فيعود بنا مؤلفو المعاجم مرات إلى معانٍ وقع التطرق إليها.

واضحة العلاقة بعضها ببعض. لكن يحصل أن لا تكون كل المعطيات موجودة أو أن العلاقات والروابط لا تبدو واضحة بديهية. يجب، في مثل هذه الحالة، إعادة بناء ما غاب من العلاقات أو إبراز سبل الربط بين المعطيات الحاضرة. ذلك ما نعنيه جزئيًا بالترسيس الخارجي. وهو ما سنراه في تناولنا لمادة «أبد».

ب – التلازم الدلالي: «التلازم الدلالي» هو غير التلازم اللفظي[29]

يتمثل التلازم الدلالي في ورود المعاني متابعةً بتواتر واطراد، أي كلما وجدنا المعنى «أ» نتوقع وجود المعنى «ب». لنأخذ مثالًا يُجسّم هذا الإجراء. إذا وجدنا في مادة «رعب» معنيين متتابعين «السمن» و«الامتلاء» (رَعَبَ الحَوْضَ يَرْعَبُه رَعْبًا: مَلأَه... الرعِيبُ: الذي يَقْطُر دَسَمًا. وسَنامٌ رَعِيبٌ أي مُمْتَلِئٌ سَمِينٌ. (ق.م. «رعب»))، مثلًا. ثم وجدنا في مادة «دلخ» (الدلَخُ: السِمَنُ ...ودلِخَ الإِناءُ إِذا امتلأَ (ل.ع. «دلخ») وفي«وزأ» التي لا تربطها أي علاقة صوتية أو جينية بـ«دلخ» نفس المعنيين «السمن» و«الامتلاء» (الوَزَأُ: القصير السمين... ووَزأْتُ الإِناءَ: مَلأْتُه. (ل.ع. «وزأ»))، وفي «جحدل» («الجَحْدَل: الحادر السمِين... وجَحْدَل إِناءَه: ملأَه». (ل.ع. «جحدل»)) و«حلم» («تَحَلَمَتِ القِرْبةُ امتلأت ماء، وحَلمْتُها ملأْتها... وتَحَلم المالُ: سمن». (ل.ع. «حلم»))، وكذلك في «حظب» («حَظِبَ حَظَبًا: سَمِنَ. ... وحَظَبَ مِن الماءِ: تَمَلأَ». (ل.ع. «حظب»))، و«دأظ» (دَأَظَه :مَلأَه، ودَأَظَ فلانٌ: سَمِنَ) ل.ع. «دأظ»[30]... إلخ، عندها يمكن أن نعتبر أن معنيي «السمن»

---

(29) لن نتناول التلازم اللفظي في هذا العمل على الرغم من أن فيشر يوصي بأخذ التلازم اللفظي من قبيل الإتباع والمزاوجة بالاعتبار لتأثيره في معنى الألفاظ ولإثارته الاستعمال: «تتناول الناحية البيانية تلك العلاقات للكلمة التي استشعر منها أنها لازمة لها دائمًا... ومن هذه العلاقات (1): صيغة الإتباع والمزاوجة، كما توجد في عبارات كالآتية: إنه لساغب لاغب..».. انظر: Fischer and United Arab Republic, Academy of Arabic language, p. 24.

لذلك نود أن نتمم الآلية بإظهار فاعلية التلازم الدلالي في دراسة تطور الاستعمال والتعدد الدلالي.

(30) وكذلك «دأض»: «الدأْضُ: السِمَنُ، والامتِلاء» (ق.م.).

و«الامتلاء» في علاقة تلازم دلالي[31]. وفي ذلك التلازم حجةٌ تقوى وتضعف بحسب عدد الأمثلة المقدمة. فتكون ضعيفة إذا لم نعثر إلا على مثال يتيم، وتزداد تلك الحجة قوة بحسب اطراد الأمثلة، بحيث كلما كبر عددها تقلّص الاعتباط إلى حدوده الدنيا وأصبح من الصعب الحديث عن الصدفة. في الواقع، لا تختلف القوانين العلمية في شيء عن هذا الإجراء العملي، ويمكن أن نعتبره «علميًا» يقترب أشد ما يمكن من العقلانية المطلوبة، إذا لم يوجد ما يطعن في مصداقيته بصورة جلية. ونحن نتبناه باعتباره إجراءَ بتٍّ يساعدنا في الفصل في ترتيب المعاني. وهو كذلك حجة تبرهن على أن تعدد المعاني في العربية ليس فوضويًا، كما يمكن أن يعتقد البعض.

إن معجمًا تاريخيًا لا يبت في التعدد الدلالي ولا يبرره يخطئ وظيفته الأساس، وإنه ليصبح عديم الفائدة إذا كان لا يربط المعاني ولا يظهر تسلسلها، بل يقدمها الواحدة تلو الأخرى، حتى لو كانت مرتبة بحسب التسلسل الزمني، لا بناية مشيدة متعالقة. ثم إن على المعجم تجنب تعدد المداخل إلا باعتبارها أشكالًا مستعملة تحيل إلى المقالة الأم. فبالإمكان الاكتفاء لتيسير البحث بذكر المادة في مكانها وإرجاع القارئ إلى المقالة التي تخص تاريخ العائلة الكلمية المعنية، لأن تعدد المداخل قد يوحي بأننا نقدم مشتركًا لفظيًا لا مشتركًا دلاليًا، وعلينا في تلك الحالة أن نبت في المسألة بالحجج التأثيلية. لا تتعدد المعاني اعتباطًا ولا مجانًا، وإذا تنوعت استعمالات وحدة معجمية فلسبب من الأسباب. لذلك، لا نرى فائدة في تأليف معجم تاريخي لا ينجز هذه المهمة على الأقل. يقول الطيب البكوش مؤكدًا خاصية المعجم التاريخي التفسيرية مقارنة بوظيفة المعجم الآني الوصفية: «وإنه لدور المعجم التاريخي أن يشعر القارئ أن الكلمة ليست

---

(31) أما عن ترتيب السمن والامتلاء، بمعنى أيهما يأتي تاريخيًا في المرتبة الأولى وأيهما اللاحق في الاستعمال، الامتلاء ثم السمن أو السمن ومنه الامتلاء، فإن اللغة كفيلة بتعليله حيث نقول «امتلأ سمنًا»، كما نقول «امتلأ غضبا» و«امتلأ أكلًا»، ولا نقول «*سمن امتلاء» ولا «*غضب امتلاء»... ولنا كذلك ما يقوله اللغويون الذين يحتجون لهذا الترتيب: «ونتق زيدٌ نتوقًا: سمن حتى امتلأ» (ق.م.، «نتق»). وهو ما يبرهن على أن الامتلاء يفترض السمن في البنية الفكرية التي تقرن بينهما.

منعزلة وإنما تشتغل وتتطور ضمن مجموعة [...] إن إشعار القارئ بذلك مهم لأن الكلمات تتجمع في الذاكرة في شكل شبكات معجمية متعددة»[32]. ويضيف في موضع آخر: «وإن هذا التشابك في العلاقات هو أحد العوامل الأساسية في تعدد الدلالات بالنسبة إلى الكلمة الواحدة. وهذا التعدد يمثل بدوره مظهرا من مظاهر التطور»[33]. ما سبق مهم من نواح عدة. ففضلًا عن كونه يؤكد تعالق الألفاظ والطبيعة الشبكية للمواد المعجمية، فإنه يفتح ممرًا بين التلازم الدلالي الذي يجعلنا نقرن الدلالات في تطورها وأشكال الوحدات المعجمية باعتبارها المستوى الآخر من مستويات التطور. وفي حين نعتمد إجراءات البت في المستوى الأول لصعوبة التعامل مع المعاني، فإننا نلجأ إلى مفاهيم إجرائية في ما يتعلق بضبط الظاهرة الشبكية التي تسم علاقات الوحدات المعجمية.

3 - مفاهيم إجرائية: الشبكة المعجمية والشبه العائلي

التبس مفهوم الجذر - في فكر اللغويين العرب خصوصًا - فأصبح الناس يخلطون بين الجذر باعتباره مجرد مستخلص تصريفي مورفولوجي والأصل المعجمي في مستوييه الدلالي والتصريفي. وهو انزلاق وقع فيه أول من وقع ابن فارس في مقاييس اللغة وتبعه كثير من المحدثين، حيث كان ينكر إمكانية وجود جذور للألفاظ المقترضة: إذا كانت الكلمة عربية فجذرها كذا وإن كانت أعجمية فلا يشتق منها. ولا زال صداه في كتابات دارسي المعجمية إلى اليوم! فثمة من يجعل الألفاظ المقترضة استنادًا إلى هذا المبدأ لا جذور لها وبالتالي لا اشتقاق منها، كما يزعم ابن منظور، مثلًا: «ويجوز أن يكون يأجوج فاعولًا، وكذلك مأجوج؛ قال: وهذا لو كان الاسمان عربيين، لكان هذا اشتقاقَهما، فأَما الأَعْجَمِيةُ فلا تُشْتَق من العربية» (ل.ع. «أجج»)، كما كان ابن فارس يقول: «ضع» الضاد والعين في المضاعف أصل واحد صحيح يدل

---

(32) البكوش، ص 395، ويستشهد البكوش بإيمبس (Paul Imbs) في الجملة الأخيرة والتشديد من عنده.

(33) المصدر نفسه، ص 396.

على الخضـــوع والضعف [...]. «ضــغ» الضاد والغين ليس بشـــيء، ولا هو أصلًا يفرع منه، لكنهم يقولون: إن الضغضغـــة: حكاية أكل الذئب اللحم. قال الخليل: الضغضغة: لوك الـــدرداء. ويقولون الضغاغة: الأحمـــق. والضغيغة: العجيـــن الرقيق. وأقاموا إلى عيش ضغيغ، أي خصيب. وليس هذا كله بشـــيء وإن ذكر»[34]. فنرى كيـــف أن ابن فارس يميز بين الكلمات التي يعتبرها أصولا فيُفرز لها جذورا والكلمات من المعرب أو من حكاية الأصوات التي لا يعتبرها كذلك فـــلا يجعل لها جذرًا حتـــى إن كانت لا تتضارب مـــع النظام التصريفي العربي. يقيم ابن فارس الجذور إذًا على أساس معناها، بينما يفترض أن يكون الجذر مســـتخرجًا من الكلمات لقياس التصريف ليـــس إلا. فالدخيل لا يقاس عليه بحســـب رأيه. لكن، كيف يمكنه، هو أو غيره، أن يضمن تمييز الأصل من الدخيل[35]؟ ثم ألا يفترض هذا وجود لغـــة «صافية»، فنقع من جديد في وحل هذا المفهوم الذي لا معنى له. أو أنه أسطورة حان الوقت كي نتخلص منها. في حين أننا نراه لا يتردد في جعل «صرد»، مثلًا، بمعنى «البرد» أصلًا مع أنها تبدو مقترضة من لغة هندأوروبية كما تفطن إلى ذلك الجواليقي فجعلها من الفارسية، وقال إن أصلها بالسين[36]. يقول ابن فارس «صرد» الصاد والراء والدال أصول ثلاثة: أحدها البـــرد، والآخر الخلوص، والآخر القلة»[37]. ويضيف «مما شـــذ عن الباب الصرد: طائـــر، والصردان: عرقان تحت اللســـان». اللافت هو عدم وجود هذه المعاني في لغات ســـاميّة أخرى مثل العبرية والســـريانية والأكادية، التي لا تلتقي إلا في معنى «الشـــرود والخطأ والاعوجاج». لكن كلمة «صرد»

---

(34) ابن فارس، ج 3، ص 355.

(35) ثمة من جهابذة لغويينا من يعتبر أن «زوج» من اليونانيـــة «zeugos»، بينما نجدها في أغلب اللغات الساميّة خصوصًا في الأكادية «زوز» (nt) بالمعنى نفســـه. انظر: Friedrich Delitzsch, *Assyrisches Handwörterbuch* (Leipzig: J. C. Hinrichssche Buchhandlung; Baltimore: John Hopkins Press, 1896), p. 251.

وقد دونت الأكادية على الأقل ألف عام قبل وجود اليونان حضارةً.

(36) أبـــو منصور موهـــوب بن أحمـــد الجواليقي، المعـــرب من كلام الأعجمـــي على حروف المعجم، حقق كلماته بإرجاعها إلى أصولها وذكر معانيها الأصلية وتتبع التغيرات التي طرأت عليها ف. عبد الرحيم (دمشق: دار القلم، 1990)، ص 420، مدخل عدد 405.

(37) ابن فارس، ج 3، ص 348.

بمعنى «الطائر» (أي ما يعتبره ابن فارس شـاذًا عن الباب) موجودة في الآرامية والأكاديـة[38]. أما «صـرد» فهي كلمة قديمـة جدًا في اللغـات الهندأوروبية. ويذكرها بنفنيسـت بصور شـتى «sareta» في الصغدية و«sald» في الأوسـاتية و«sare-da» في البهلوية و«sard» في الأفستية وكلها تعني «البرد والصقيع»[39].

لم يتسـاءل اللغويون، إلا قلةٌ منهم - وحان وقت السـؤال لأن المعجم التاريخي لن يكون من دون الإجابة عن مثل هذه الأسئلة - كيف يمكن للجذر «الأصل» أن يحمل معاني[40] متعددة متنافرة لا يربط بينها رابط ويتعذر اختزالها في رحم دلالي واحد، تكون باعتبارها «أصولًا» في المسـتوى نفسه، بمعنى أنه لا يمكن تصورها مشتقة الواحدة من الأخرى لأنها تنفي عن نفسها بذلك صفة الأصل. فمن يقـول إن الجذر حامل للمعنى وهو الـذي يولّد الكلمات وليس العكس (نعني بالعكـس أن يكون الجذر تجريدًا مولـدًا تصريفيًا من الكلمات لا يسبق وجودها ولا يوجد قبلها)، لا يمكن له أن يقبل بأن يكون الجذر حاملًا أكثر من معنى وإلا أصبح طرحه لا معنى له.

لمـا كان مفهوم الجذر قـد «تلوث» بهـذه الصفة وأصبح مثقـلًا بتقاليد استعمال انزلقت به إلى اعتبارات تمثل نقطة خلاف نظري وتطبيقي، فضلًا عن أننا نراه غير كافٍ كما هو مسـتعمل الآن لتمثيل ما يحدث زمانيًا في اللغة، فإننا نخصصه للمستوى التصريفي، ونطرح مفهومًا عمليًا يبدو لنا أشد قربًا من واقع الاسـتعمال التطوري نعني به «الجذمور» (rhizome)[41]. يمثل الجذمور مخزونًا

---

(38) في شكل صُرْدُ (surdû) انظر: Delitzsch, p. 511.

(39) انظر: Emile Benveniste, «Analyse d'un vocable primaire: Indo-européen *bhâghu- ‹bras›,» *Bulletin de la Société de Linguistique de Paris*, vol. 52, no. 1 (1955), p. 70.

(40) من الأفضل، كي نتجاوز إشـكالية الطرح القائل إن الجذر حامل «المعنى» - أي معنى إذا كان متعدد المعاني؟- أن نفترض جدلًا أنه حامل معاني، في الجمع.

(41) نتبنى مع الجذمور النظرية الفلسفية التي طرحها الفيلسوفان الفرنسيان جيل ديلوز وفيليكس غتاري في كتابهمـا، انظـر: Gilles Deleuze et Félix Guattari, *Capitalisme et schizophrénie*, Critique, 2 vols. (Paris: Editions de Minuit, 1980), vol. 2: *Mille plateaux*.

حيث يقدمان الجذمور باعتباره أنموذجًا وصفيًا يتخلى عن السـائد في اعتبـار المركز من ناحية والحواشـي التي تتعلق به من ناحية أخرى ويتخليان من ثم عن الجـذر بوصفه الأصل الأوحد فيعتبران =

من إمكانات الاستعمال[42] يضمن الممرات الدلالية والتسلسل الشكلي بين أفراد العائلة الكلمية، ويمثل عنصر تفرع وتكاثر. يحتوي كل جذمور على مجموعة من المواد المعجمية تشترك جزئيًا في المعاني وفي الأصوات. بعبارة أوضح، يجمع بين عناصر العائلة الاشتقاقية جذمور على الأقل، باعتباره الرحم الدلالي والصوتي الذي تلتقي فيه مختلف المعاني والأشكال اللاحقة في الاستعمال.

الجذر مهم جدًا ولا سبيل إلى تجاوزه أو التخلي عنه في المعجم اللغوي الآني؛ لكنه يصبح غير كافٍ في المعجم التاريخي. فإذا كان لا بد من دراسة عائلة كلَمية كاملة لتمثل تعدد الدلالات وتطورها يصبح الجذر مجرد عنصر مرجعي لتمييز المداخل أكثر منه حقيقة معجمية لا يمكن تجاوزها. ذلك أن المعجم التاريخي مطالب أيضًا بضبط تغير الأشكال عبر الزمن سواء في العربية أم بين العربية واللغات الساميّة. وإذا كان المطلوب وضع سجل تاريخي يضبط علاقات اللفظ وأطوار نموه فلا سبيل إلى تقييده في «جذر» مع ما نعرفه عن تصاقب الألفاظ والقلب والإبدال.

كان يفترض، مثلًا، أن نغنم من محاولة فيشر وضعَ ملامح الطريق التي أوصلت المتكلم العربي من استعمال «أبد» في معنى «نفَر» إلى استعمالها في معنى «بيد»[43] (في شكلها الجعلي: «أباد») أي «الهلاك والفناء» (الذي نجده

= أن كل العناصر مرتبطة في المستوى نفسه من دون تدرج من الأساسي نحو الهامشي، وأنها تتعالق في شبكة يؤثر كل عنصر منها في الآخر ويتأثر به، لكن من دون أن تكون العلاقة خطية أو موحدة مثلما نرى ذلك في الشجرة (وفي التشجير عمومًا من فرفريوس إلى تشومسكي)- وهو ذلك الأنموذج بالذات الذي ينكره ديلوز وغتاري. يمكن أن يرتبط عنصران بعضهما ببعض في علاقة من صنف «أ» بينما يرتبط أحدهما في الآن نفسه بعنصر آخر في علاقة من صنف «ب»... إلخ. ولا يتمثل الجذمور في مجموعة من العناصر بقدر ما يمثل إمكانات التعالق الشبكي واتجاهات الترابط بين عناصر دينامية. انظر: المصدر المذكور، ج 2، ص 30.

(42) وليس من باب الصدفة أن يسمى الجذمور بالألمانية Wurzelstock، علمًا أن «Wurzel» تعني «الجذر».

(43) خصوصًا إنه يقدم معجمه باعتباره معجمًا تأصيليًا تاريخيًا.

كذلك في العبرية، كما ذكره فيشر نفسه) مرورا بمعاني «القفر والمكان الواسع» و«الزمان الطويل[44]» ومنه «الديمومة» و«الإقامة». ومع ذلك، نقول لمن يعتذر بالحذر المنهجي أنه على صواب لأن ترتيب الاستعمالات يفترض أعمالًا جزئية سابقة يعتمدها واضعو المعاجم التاريخية.

نحن مطالبون اليوم، لإنجاز المعجم التاريخي والمعجم التأصيلي، ببعض التضحيات النظرية والمنهجية، ومن أهمها وأوكدها التخلي عن الوهم الذي يجعلنا نعتبر - وما كان الأوائل يفعلون ذلك قبل القرن الرابع - أن الجذر أصل. فثمة من لا يزال يعتقد كما كان يفعل ابن فارس أن الألفاظ المقترضة لا جذر لها، كما أسلفنا. لأن من يزعم ذلك إنما يزعم أننا لسنا بحاجة إلى معجم تأصيلي، لأنه إذا كانت الجذور أصولًا فما حاجتنا إلى مثل تلك المعاجم وسنكتفي بأي معجم لغوي معجمًا تأصيليًا. ألا يعرف المعجم التأصيلي بأنه يبحث في أصول الكلمات!؟وكان الأجدر بنا أن نتساءل لماذا جعل اللغويون «خرمش» جذرًا أصلًا بيد أنه من الواضح أنه لا يعدو أن يكون ناتجًا من تباين صوتي لـ «خمش»[45].

ليس الجذر إلا مستخرجًا تصريفيًا من الاستعمال إذن، ولا يمكن أن يعقل أنه يسبق الكلام بحال ومن ثم أن يكون «أصلًا». وكما لا يعقل تصور الشعراء يضعون البحور والتفعيلات ويشتقون منها الأبيات والقصائد، فإنه ليس من المعقول في شيء تصور المستعملين الأوائل وبحوزتهم كيسًا من الجذور يستعملونها قبل الكلمات - ولا ندري بأي طريقة - لأن الجذر يمثل

(44) قد تغيب حلقات من تسلسل التطور فلا نجد في السبئية إلا معنيي «الدهر» أي الزمان الطويل و«النفور» (في استعمال اختص بالجنود «الشذاذ» المتطوعين وغير النظاميين. انظر: A. F. L. Beeston [et al.], *Sabaic Dictionary: English, French, Arabic*, Publication of the University of Sanaa, YAR (Louvain-la-Neuve: Editions Peeters; Beyrouth: Librairie du Liban, 1982), «CCCBD», p. 1.

وهذا لا يعود إلى وهن في الطرح أو ضعف في مبدأ التلازم الدلالي بقدر ما يعود إلى نقص في التدوين، تتممه وتستدركه المفاهيم الإجرائية، من قبيل التلازم الدلالي.

(45) انظر الأمثلة المقدمة أعلاه. ونضيف إليها «سبد»/ «سربد»/ «سبرد»؛ و«سبخ»/ «سربخ»؛ و«قصم»/ «قرصم»؛ و«قشم»/ «قرشم»؛ و«هشم»/ «هرشم»؛ و«جفس»/ «جرفس»؛ و«كفش»/ «كرفش»؛... ويمكن أن يلحق التباين بآخر المقطع، كما في «دمث» و«دمثر» (سهل).

عنصرًا مجـردا، بل إنه يمثل أقصـى التجريد وعليه فنحـن إن اعتبرنا الجذر أصلًا إنمـا نفترض أن العربي ارتقـى إلى الملموس مـن المجرد وذلك أمر لا يعقل إطلاقًا.

أما الجذمور فخلافًا للجذر الذي التصقت به صفة الأصل المستقل شكليًا ودلاليًا، كما أسـلفنا، فإنه يؤسـس لمفهوم الشـبكة الدلالية والصوتية ويرسم ملامح التعالـق الجوهري بين مواد المعجم. كما يفتـح الجذمور المجال أمام مفهوم إجرائي متصل هو مفهوم «الشبه العائلي»[46].

يختلف «الشـبه العائلي» عن «الحقل الدلالي» الـذي يتمثل في مجموعة من العناصر تشـترك في سـمة دلالية على الأقل. ويختلف عن العائلة الكلمية أو الاشتقاقية باعتبارها مشـتقة من جذر واحد. ويُعرف الشبه العائلي بأنه تناظر بالجملة وتناظر بالتفصيل، أي شـبكة معقدة من التناظـر المتداخل المتقاطع، مثل تلك التي توجد بين أفراد عائلة واحدة، حيث لا قاسـم مشـتركًا يكون أو لا يكون الشـبه العائلي إلا به، بل مجموعة سمات يمكن أن تغيب وتحضر من دون أن تكون إحداها موجودة دائمًـا تربط بينها، فتكون كالحبل المفتول الذي ترتبط كل خيوطه من دون خيط واحد يتواصـل على طول الحبل. وبهذا يأخذ الشبه العائلي من «العائلة الكلمية» ومن «الحقل الدلالي»، لكنه يختلف عنهما ولا يكتفي بجمعهما. فلا قاسم مشـتركًا بين أعضاء المجموعة كافة بل قواسم مشتركة بين ثنائيات أو ثلاثيات من عناصر المجموعة تترابط في ما بينها صوتيًا ودلاليًا من دون أن نتمكن من نظمها في خيط واحد متصل.

بناء عليه، كان يفترض أن يحيل فيشـر في مدخل «أبـب» (تهيأ وقصدَ)، مثلًا، مـرة على «هـب»، و«وب: الوَب: التهَيـؤ للحَمْلةِ في الحَـرْبِ، يقال: هَب ووَب إِذا تَهَيـأَ للحَمْلةِ. قال أَبو منصور: والأَصـل فيه أَب فقُلبتَ الهمزة

(46) طرح الفيلسوف النمساوي لودفيك فيتغنشتاين مفهوم «الشبه العائلي» (Familienähnlichkeit) كي يتجاوز ضيق التعريفات التي تصطدم في كل مرة بالشـواذ والقواعد التـي تضعفها الأمثلةُ المضادة، فضلًا عن الغموض المعرفي الذي تقوم عليه جل تمثلاتنا للكيانات. انظر مقدمتنا في: لودفيك فتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، ترجمة وتقديم وتعليق عبد الرزاق بنور (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2007).

واوًا». (ل.ع.، «وبب»)، عندمـا يكون للفظة معنى «أب»: «أب لشـيء: تهيأ له وتجهـز»،[47] ومرة على «أم» (أو «حم» أو «هـم») عندما يتناولها في معنى «قصد»: «أب فلانًا: قصده» (ص24)، أو يبرر انزياح الاستعمال، ولم يفعل. فـي حين أن وظيفـة المعجم التأصيلـي التاريخي الأولى تتمثـل بالذات في وصف تطور الاسـتعمال! ولا نرى أنه يحيل على «عباب» عندما يذكر «أباب» (ص 26) إلا لأن المعاجـم أتت على ذكر علاقة الإبـدال والإتباع. ولا نرى فيشر ينوّه إلى علاقتها بالمعاني الأخرى، أي «أبب»: «الكلأ» مع معنى «الماء»، حيث يفترض أن تكون من قبيل ما يسـتعمله العرب من الإشـارة إلى النتيجة بذكر السبب، أي المجاز المرسل: «رعينا غيثا» حين يقصدون «رعينا كلأ جاد به الغيث». ولم يحـاول كذلك ربط معنى «تحرك» فـي «أب» بمعنى «قصد» ولا مـا يجمع الحركة بالماء، فـي حين أنه يذكر لـ «أباب» معنى «السـراب» (ص 26). وعليه، كان يفترض أن نجد ترتيبًا للمعاني يقدم الماء على العشب وليس العكس ويُبيّن تناسـل الاسـتعمالات. ذلك أن المعجم التاريخي، كما أسلفنا، لا يتمثل في تصفيف المعاني بحسب ما تسنى جمعه من شواهد، بقدر ما يتمثل في إثبات تسلسلها.

سـنحاول بلورة هذه المفاهيم الإجرائية والتثبت مـن مصداقية إجراءات البت من خلال تطبيقها بتناول مادة «أبد» التي درسـها فيشـر فـي ما أنجِز من معجمه.

4 - تطبيقات: مادة «أبد» نموذجًا

- يمكن أن نجمع معاني «أبد» التي يذكرها فيشـر في الآتي: أبَدَ: توحش ونفر، أبد الشـاعر: أتـى بالغرائب، أبَد بالمـكان: أقام. أبِـد الرجل: توحش، أبِد عليه: غضب؛ أبد: نفر، أبد شـيئًا: خلده؛ تأبد: أقفر، تأبد المنزل من أهله: خلا، تأبد: تعزب وتباعد عن النسـاء، تأبد الوجه: كلـف ونمش؛ الأبدُ: الدهر

(47) انظر: Fischer and United Arab Republic, Academy of Arabic language, p. 23.

الطويل؛ الأَبَد: الولد الذي أتت عليه سنة؛ الإبِدُ: الأمة والضان والفرس تلد كل سنة؛ الأوابد: الوحوش (إلى جانب الاستعمال النحوي لـ«أبدا» بمعنيي الزمان الطويل ونفيه).

ستفيدنا وجهة نظرنا عن تعدد المنابع في تبرير تعدد معاني «أبد» واستعمالاتها. فكيف نبرر معنى «الغضب» أو «الإقامة» إلى جانب معاني «الابتعاد» و«الكلَف» و«الحيوان» و«القفر» و«التوحش» و«الأمَة الدائمة الولادة»؟ ما الذي يجعل مادة «أبد» تفيد كل هذه المعاني -إذا لم نثبت ترابطها- غير تعدد مكوناتها أو إمكانات استعمالها وتعالقها ؟ ثم إن معاني «أبد» أو ما يناسبها في اللغات الساميّة تكاد تنحصر في معنى «الهلاك والضياع» الذي لا نجده في العربية ظاهرًا في «أبد»، بل في «بيد»: «بيد: باد الشيء...: انقطع وذهب. وباد يبيد بيدا إذًا هلك». (ل.ع.، «بيد»)، وفي «بعد»: «بَعِدَ بَعَدًا وبَعُد: هلك أو اغترب، فهو باعد. والبُعْد: الهلاك» (ل.ع.، «بعد»). لذلك وجب إعادة بناء الممرات بين المواد التي ترتبط بعضها ببعض جينيًا، اعتمادًا على التلازم الدلالي والترسيس وعلى مفهومي الجذمور والشبه العائلي.

لا يمكن أن يكتفي المعجم التاريخي بسرد الاستعمالات وتقديم الشواهد عنها. فليس ذلك من خصائصه وإن كان شرطًا ضروريًا فهو غير كافٍ، كما قلنا. بل يُنتظر من المعجم التاريخي أن يرسم خريطة تُبيّن توسع الاستعمال وتُدرجه، كما تُبيّن علاقة الأشكال الصوتية والصرفية بعضها ببعض في مراحل تطورها. وإن تعذر ذلك، لقلة الوثائق أو لسبب من الأسباب، فيمكن أن يأتي على ذكرها بطرح فرضيات قوية عن قرابتها. وما التلازم الدلالي والترسيس إلا آليتين مُتاحتين لتجاوز النقص في التدوين الذي يمثل العقبة الرئيسة.

يستظهر فيشر في مستهل مادة «أبد» العربية بما يقابلها في الحبشية «አበደ»

(«أبْدَ» ضل وسـار على غير هدى) والأكادية «abātu» (تضييـع[48] و«nābutu» (هروب) والعبرية «אָבַד» («آبَدْ»، ضاع وهلك) والأرامية «ܐܒܕ» («أَبَدْ»، ضاع، هلك). ويضع معنى أساسيًا جامعًـا لهذه المادة يقول إنـه: «الدخول في غير المحدود من الزمان والمـكان» (ص 32). علينا أن نُبيّن، في هذا المقام، كيف كان بإمكان فيشر أن يرسم خريطة تسلسل الاستعمال في تطوره ويربط المعاني الموجودة في اللغات السـاميّة مع تلك التي ذكرها في العربية من دون اللجوء إلى تخمينات وافتراضات تدحضها الاسـتعمالات التي قدمها هو نفسه، ومنها معنيا «الكلَف» و«الغضب» اللذان لا يدخلان إلا اعتباطًا في المعنى الأسـاس الجامع الذي اقترحه.

ثـم إننا إذا نظرنـا في اللغات السـاميّة التي لـم يذكرها فيشـر، نرى أن بعضهـا يوافق ما جاء في اللغات المذكورة مثـل الأوغاريتية حيث تعني «ʔbd» (أبد) «الهلاك»[49] واللغات السـاميّة الغربية، مثل النبطية والفينيقية والكنعانية والمؤابيـة، إذ يعرض جان وهوفيتجزر[50] مادة «אבד» (أبد) بأشـكال عدة تتفق كلها في توجهين «الهلاك والخراب والسـقوط» من ناحية و«الضلال والضياع» من ناحية أخرى. وهكذا تؤكد اللغات الساميّة الغربية معنى «الضلال والهلاك» الذي تشـترك فيه اللغات المذكورة ولا تعرفه العربية. في المقابل يطرح بعضها الآخر إشـكالا إضافيا، حيث نـرى أن الجعزية، مثـلًا، كما نقرأ عند لسـلو (Leslau)، تسـتعمل «أبد» في معانٍ مخالفة لتلك التي تسـتعمَل بها في اللغات الساميّة - إذا استثنينا العربية، بل نراها تتقاطع مع العربية في معنى لا نجده في

(48) ونجد في معجم شـيكاغو للغة الأكادية (*CAD*) «abātu» بمعنـى 1. أهلك وهدم وأباد و2. هـرب. انظـر: *The Assyrian Dictionary*, Editorial Board Ignace J. Gell [et al], 21 vols. (Chicago, Ill: Oriental Institute of the University of Chicago; Glückistad, Germany: J.J. Augustin Verlagsbuch handlung, 1956-2006), vol. 1, p. 45.

(49) انـظـر: ʕbd: GT *yitbd* (Krt: 24) 'perished'; with metathesis: *ildb* (Krt: 8), if not to be emended to *itbd* (!); أبِد, ܐܒܕ, אָבַד, abâtu. Gordon, *Ugaritic textbook*, vol. 3, p.38.

(50) انظر: Charles-François Jean et Jacob Hoftijzer, *Dictionnaire des inscriptions sémitiques de l'ouest* (Leiden: E. J. Brill, 1965), pp. 1-2.

اللغات الأخرى هو معنى «الغضب» (ومنه «الجنون» و«الحمق»)[51]. ويقرب لسلو «أبد» في الجعزية من «حربد» و«هربد»[52] بمعنى الجنون والاضطراب والخوف الشديد، ونراه محقًا في ذلك. ويقول لسلو إن المعنى الأصلي هو «**الضلال والضياع، أي أن نضيع الطريق سواء في البرية حيث يفضي إلى الهلاك أو في العقل حيث ينتهي بالجنون**». وعلى الرغم من أننا لا نقبل أصلًا بفكرة المعنى الأصلي في مادة «أبد» لاعتقادنا أننا إزاء مادة ثانوية مركبة تجعلنا نتعامل مع دينامية دلالية تمثّل الاستعمال، فإننا نعتبر أن لسلو أقرب إلى الصواب من فيشر أو من ماتيتاهو كلارك[53] الذي يقول إن المعنى الأساس لمادة «أبد» في العبرية هو «أسير قوة خارجية» (constrain by external force) مقربًا «أبد» من «عبد» و«أفد» و«عبط» و«خبط» في العبرية.

إن مؤلف المعجم التاريخي ليس مطالبًا بالضرورة بإبراز علاقة معاني المدخل في العربية بمعانيه في اللغات الساميّة الأخوات، وخصوصًا إذا كانت تلك المعاني تنتمي إلى الحقل الدلالي نفسه، إلا لتأكيد انتماء المادة المدروسة إلى المشترك السامي. لكن الأمر يختلف إذا كان القارئ لا يرى بينها رابطًا.

يهمنا كثيرًا أن نحاول تجاوز إشكال ما يظهر من تنافر المعاني بين اللغات الساميّة والعربية من ناحية وفي صلب العربية من ناحية أخرى سواء بتأكيد العلاقة بين معاني «أبد» في اللغات الساميّة والعربية وتبريرها أو بتقرير غيابها باعتبارها من المشترك اللفظي، أي بالإقرار بأننا إزاء مواد تشترك في الشكل وتختلف في «الأصول».

---

(51) يقول في معجم الجعزية المقارن (*Comparative Dictionary of Geez*) مقربًا «أبد» من «عبد»:
ʔabd (yəʔbad)., አብደ (Y) ʕabd (ዐብደ. 'be Insane, become enraged , rage, be mad, be out of one's mind, become a fool. be foolish'; [...], and ʔabādi 'Ignorant, stupid, mad'; ʔəbud 'foolish, stupid, mad, insane, enraged, see: Wolf Leslau, *Comparative Dictionary of Ge'ez (Classical Ethiopic): Ge'ez-English, English-Ge'ez, with an Index of the Semitic Roots* (Wiesbaden: O. Harrassowitz, 1991), pp. 2-3 resp.

(52) تقابل «حربد» و«هربد» في الجعزية «عربد» في العربية.

(53) Matityahu Clark, *Etymological Dictionary of Biblical Hebrew: Based on the Commentaries of Rabbi Samson Raphael Hirsch* (Jerusalem; New York: Feldheim Pub., 1999).

لذلك، نعتبر أن عمل فيشــر عمل تمهيدي وينبغــي ألا نقف عند حدوده، لأنه يكتفي بالرجوع إلى المقابلات الســاميّة من دون الربــط بين المواد حيث كان يفترض أن يبين التــدرج التاريخي في الاســتعمال. فالمعاني التي جاءت في المعاجم العربية والتي نقلها فيشــر بأمانة لا توافق المعاني التي جاءت في اللغات الســاميّة الأربع التي ذكرها، أي الأكادية والحبشية والعبرية والآرامية، في حين تتفق هذه اللغات في قاســم مشــترك يعزل العربية مــن هذا المنظور ويزيد من تعقيد المادة بإضافة معنى لمادة متعددة الاستعمالات أصلًا. وتفيدنا اللغات الســاميّة كثيرًا، كما ســنرى. لكن قارئ معجم فيشر لا يســتفيد كثيرًا إذا كان يبحث عن معجم ينير له ســبيل تطور اســتعمال الكلمات زمانيًا. هذا بالذات ما يحصل للناظر في المعجم الكبير الــذي يقدم معاني «أصولًا» لمادة «أبد»، أســوة بما كان يفعل ابن فارس: «1. «التوحش»، 2. «طول المدة»[54]، 3. «الغرابة والندرة»»[55] – إلى جانب المعاني التي يعتبرها ثانوية أو مشتقة من تلك المعاني الأصول. ولكنه يقدم قبل ذلك ما يقابل «أبد» في اللغات الساميّة ويستنتج منها قاسمًا دلاليًا مشتركًا («الضياع والهلاك») لا علاقة له بمعاني «أبد» التي يطرحها المعجم نفســه[56]. فإما أن نتساءل عن جدوى تقديم مقابلاتها في

---

(54) لا يمكن بــأي حال أن يكون معنــى من المعانــي مرتبطًا بالزمان ويكون مــع ذلك معنى «أصلًا»، لأن اللســانيات الزمانية علمتنا أنه لا يمكــن التعبير عن الزمان دون المــكان وأن كل الألفاظ التي تُعبّــر عن الزمان في كل لغات الكون كانت تشــير قبل ذلك إلى حيز مكاني. وإذا تتبعنا التسلســل التطوري الذي طرحه فيلسوف اللغة أرنست كاسيرار، في: Ernst Cassirer, *Philosophie der symbolischen Formen* [*Philosophy of symbolic forms*], 3 vols. (Berlin: B. Cassirer, 1923-1929), vol. 1: *Die Sprache* [*Language*].

وأكدته البحوث اللســانية المقارنة فإن التدرج يكون كالتالي: الجســم – المكان – الزمان. وهو شــكل تراتبي لا يقبل الاتجاه المعاكس، لأن الإنسان أسقط جســمه على المكان وأسقط المكان على الزمان. ولتمثيل العلاقة التطورية في العربية نقدم مثال «قدَم» «قدام» «قديم». حيث نلاحظ مرورًا منتظمًا من الجسم إلى المكان إلى الزمان. والأمثلة كثيرة (أنا – هنا – الآن؛ الكائن – المكان – كان؛ الخلف – خلْفَ – خلَفَ؛ العقب – تعقب – العاقبة؛ القبُل – قبالة – قبْل...).

(55) يفترض، منطقيًا واعتبارًا للمقولة السائدة بألا يكون لكل جذر -إذا كان بالفعل جذرًا – إلا معنى واحدٌ! أما القول إن لجذر واحد معانــي مختلفة من دون إثبات ترابطها فذلك يعني على الأقل أننا إزاء جذور مشتركة لفظيًا (Homonyms). وكان يفترض أن يؤشر عنها بـ«$أبد_1$»، «$أبد_2$»، «$أبد..._3$».

(56) جمهورية مصر العربيــة، مجمع اللغة العربية، المعجم الكبيــر، ج 1 (القاهرة: دار الكتب، 1970)، ص 25.

اللغات الساميّة أو أن نبرر تطور المعاني وعلاقتها بالعربية أو غيابها منها. أما أن نلقي بها هكذا، فلا!

- لهذا السبب، نرى في التلازم الدلالي عونًا نفيسًا على سد الثغرة المنهجية المتمثلة في نقص الشواهد من مختلف مراحل تطور العربية واللغات الساميّة! فإذا لم يكن من اليسير إثبات العلاقات يقينًا، يمكن على الأقل أن نؤسس لاحتمال قوي بتقليص حظوظ الصدفة اعتمادًا على حجة التواتر والاطراد. كما يوظف التلازم الدلالي في الآن نفسه وسيلة مهمة ومنهجية لفك شفرة التعدد الدلالي.

وكي نبيّن أن الأمر يتعلق ببنية فكرية تحكم التعدد الدلالي وأن توالد المعاني بعضها من بعض ليس مسألة اعتباطية متروكة للصدفة، نتناول بعض الأفعال التي يبدو لنا أنها قامت على المنطق نفسه في تطوير استعمالاتها. ونستهلها بمادة «بَعَدَ» لقربها الصوتي من «أبَد» - إذا اعتبرنا تعاقب العين والهمزة في العربية وعلاقة القلب المكاني المحتمل- ثم مادة «رَوَح» لاكتمال حلقات التطور فيها وتقاطع معانيها مع معاني «أبد»، ثم نتناول أمثلة أخرى أقل أهمية من حيث تطورها، لكن عددها مهم لأنه يؤكد أن المسألة لا يمكن أن تسند إلى الصدفة.

• بعد: «البُعْدُ: المَوْتُ... ورجلٌ مِبْعَدٌ: بَعيدُ الأَسْفار. ...ومَنْزِلٌ بَعَدٌ: بَعِيدٌ. وبَعْدُ: يستعمل زمانيًا أصله مكاني: وبينَنا بُعْدَةٌ، بالضم، من الأرض، ومن القَرابَة». (ق.م. «بعد»).

إذا كان من السهل تمثل بداهة العلاقة بين البُعد والابتعاد باعتبارهما مسافة[57] فاصلة في المكان وفي الزمان وبين الموت والهلاك لخطورة التنقل في مجاهل الصحراء والانفصال عن القبيلة الحامية، فإنه من الصعب إيجاد رابط مقبول بدهًا بين «ذَهَبَ» بمعنى ابتعد ومشى والذهب المعدن.

(57) من اللافت أن عبارة «ساف المال» تعني هلك المال كما تبدو علاقتها بـ«مسافة» في معنى «البعد» بديهية.

• ذهب: «ذَهَبَ،...: سارَ، أو مَر، وذَهَبَ به: أزالَهُ، كأذْهَبَهُ، وبه... والذهَبُ: التِبْرُ». فما الذي يمكن أن يفسر تعدد معاني «ذهب» من دون الوقوع في التأثيل الواهم أو التأصيلات الشعبية(58)؟

في هذا المقام بالذات، تظهر نجاعة مفهوم التلازم الدلالي ومنهجية وضع معاني مادة ما إزاء ما يكافئها في مادة أخرى. ففي ذلك حجة تزداد قوة بحسب اطراد الأمثلة وكلما كبر عددها تقلص الاعتباط إلى حدوده الدنيا وجعل من الصعب الحديث عن الصدفة. ويفتح «تبر» باعتباره مرادف «ذهب» طريق الجواب عن السؤال الذي يؤرق دارس انزياح المعنى بين الذهاب والهلاك والذهَب: «التِبْرُ: الذهَبُ، والفِضةُ، أو فُتاتُهُما قبلَ أنْ يُصاغَا، ... ومُكسرُ الزجاجِ، ... وبالفتح: الكسرُ، والإهْلاكُ، كالتتبير فيهما، ...تَبِرَ: هَلَكَ..».. والتبور (التَبَارُ: الهلاك. وتَبرَه تَتبِيرًا أي كَسرَه وأَهلكه... وتَبَرَهُ هو: كسره وأَذهبه.) هو الثبور(59). وما يؤكد علاقة التكسير والفتات والإهلاك هو المعدن الثاني الذي يشير إليه التبر أي الفضة، إذ من اللافت أن «فعل «فض» يعني كسر وفرق: «فَضَضْتُ الشيءَ أَفُضه فَضًا، فهو مَفْضُوضٌ وفَضِيضٌ: كسرتُه وفَرقْتُه» (ل.ع.، «فضض»). بل يمكن أن نخاطر عندها بالقول إن العلاقة بين «ذهب» و«فضة» و«تبر» تقوم على قاسم مشترك. وإذا اعتبرنا معنى «الهلاك» (زال وابتعد) في «ذهب» الذي يصوره البيت التالي أحسن تصوير:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

اعتمادًا على المعنى الوسيط الذي تستعمل فيه كل من «ذهَب» و«تلف»

---

(58) وهو باب لم يهتم به الدارسون على الرغم من تأثيره في تطور اللغة. ولسان العرب على سبيل المثال، مليء بمثل هذه التأصيلات. فنجد فيه، في ما يهمنا، أن «الأوابد والأُبدُ: الوحش، الذكَر آبد والأنثى آبدة، وقيل: سميت بذلك لبقائها على الأبد»، مثلًا. وهو تأصيل واهم بكل تأكيد للأسباب التي نراها لاحقًا.

(59) الثبور: الهلاك والإقامة (المثابرة) والحبس. ولعله من المفيد التنويه إلى أن «أبد» تفيد كذلك الإقامة.

و«راح» و«ضــاع» في صيغتهــا العامية «اذْهِــبْ»[60] و«اتْلَــفْ»[61] و«رَاحْ»[62] و«ضَاعْ» تباعًا، وهو المعنى الذي نجده في بعض اللغات الســاميّة (الحبشــية والعبرية والآرامية) التي ذكرها فيشر أي «الضلال» و«الضياع» و«السير على غير هدى»، يمكننا أن نرسم شكل التطور الدلالي النموذجي[63]:

ذَهَبَ تاه مات

3 <= 2 <= 1

• هلك. يفتح هذا الشكل مجالًا لاستقراء المعنى الشائع الذي تستعمل به مادة «هلك» نفسها في صيغة «فَعال» أي «الهلاك»، ثم مقارنته بمادة «هلك» في العبرية. يُختزل عادة معنى «هلك» في العربية في معنى «الموت» باعتباره نتيجة والمفازة باعتبارها المهلكة أي السبب[64]. لكن «هلك» تستعمل في معنى يبدو ثانويًا أو «خاصًا» وقد تهمله بعض المعاجم[65] وهو «الهُلاك: المنْتَجعون الذين

(60) إذا تحدثنا من دون تخصيص فإننا نعني العامية التونسية.

(61) فــي عامية كل من تونــس والجزائر، كمــا يذكر ذلك بوســي فــي: Marcelin Beaussier, *Dictionnaire pratique Arabe-Français* (Alger: La Maison des Livres, 1887), p. 109.

وعامية المغرب، كما جاء في معجم كولان للعامية المغربيــة، انظر: Georges Seraphin Colin, *Le Dictionnaire Colin d'arabe dialectal marocain*, 8 vols. (Rabat: Ed. el Manahil; Ministère des affaires culturelles, 1993-1994), vol. 1, p. 192.

(62) في عامية كل من تونس والجزائر: Beaussier, p. 417.

وفي عامية مصر، كما جاء في: الســعيد بــدوي ومارتن هايندس، معجم اللغــة العربية المصرية ([بيروت: مكتبة لبنان، 1986])، ص 356؛ وفي عامية المغرب، كما نجدها في: Colin, vol. 3, p. 672. حيث تعني «راحْ»: «الذهاب» و«الضلال» و«الهلاك».

(63) وهو نموذجي لأنه مُؤَمْثل - إذ إن الاستعمال قد يقفز فوق أحد العناصر أو يتوقف الإجراء الانتقالي عند الثاني... إلخ.

(64) وقد ينزلق الاستعمال ليشــير إلى الأرض الجدبة تعميمًا لمعنى «المفازة» وتوسيعا له قاطعًا بذلك علاقة التبرير التي تربطه بالمعنى الســابق، مثلما توســع معنى «الهلاك» إلى «الســقوط» ومنه إلى «الإشراف على السقوط» وحتى «التمايل الذي يوحي بالانهيار».

(65) انظر على ســبيل المثال: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشــري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باســل عيون الســود، 2 ج (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998)؛ أبو نصر إســماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبــد الغفور عطار، 6 ج، ط 2 (بيروت: دار العلم للملايين، 1979)، وأبو بكر محمد بن الحســن بن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق زين العابدين الموسوي، 4 ج (بيروت: دار صادر، 1980).

قد ضلوا الطريق»، ويذكرها المعجم الوسيط بهذه الصيغة: «هلك المنتجع: ضل الطريق»[66]. ونحن نعتبر هذا المعنى نفيسًا للغاية إذا أردنا إبراز تسلسل المعاني في تطورها، إذ يمثل هذا الاستعمال الحلقة الوسطى بين «ذهب» و«مات»، وهذا المعنى الأخير هو المعنى الذي نجده في اللغات الساميّة التي ذكرها فيشر، في حين أن «الهلاك» و«الذهاب» هما المعنيان اللذان نجدهما في الآرامية حيث تعني «ܗܠܟ» (هَلَك) «الموت والهلاك» وكذلك «الذهاب والابتعاد والمشي». أما في العبرية فلا تعني «הָלַךְ» (هَلَك) سوى «ذهب، مشى، وسافر». وذلك يفترض أن مادة «هلك» توقفت في العبرية عند المرحلة الأولى[67] ولم تعرف تطور «هلك» في العربية. وتكافِئُها في ذلك «ألك» التي توقفت هي الأخرى في حدود الذهاب والتنقل لتختص في العربية[68] بمعنى «حمل الرسالة»، إذ يرجع بعض اللغويين لفظة «ملَك» و«ملائكة» إلى مادة «ألك» وهم محقون. بل نستطيع القول إننا بذلك نقع على تأصيلٍ واقعي للفظة «ملائكة» أقرب إلى الصواب من اعتبارها من قبيل اللوك: «المَأْلُكة: الرسالة لأنها تُؤْلَك في الفم» (ل.ع.«ألك»)، إذ من المحتمل جدًا ألا يكون ذلك إلا من باب التأصيل الواهم. وتتقاسم «ألك» الانحسار ذاته في تطور استعمالها مع «سلك» التي لا تفيد سوى التنقل[69]. وقد يفسر انحسارها بأنها اختصت في معنى «الدخول». ولا شك في أن «هلك» و«ألك» و«سلك» تنتمي كلها إلى العائلة الكلمية نفسها. لكن، إذا كان لا أحد يعترض على إبدال الهمزة هاء، لأن

---

(66) إلى جانب معنى «التعب والإعياء» الذي سنجد له لاحقًا صدى في عائلة «أبد» الكلمية.

(67) لماذا يواصل ذاك اللفظ التطورَ حتى استنفاد الشكل 1 – 2 – 3 ويتوقف لفظ آخر يحمل معنى موازيًا عند المرحلة الأولى؟ هذا سؤال وجيه يتطلب دراسة مخصوصة ولا يمكن الإجابة عنه إلا بتساؤل آخر: لماذا انتحى فعل «صار» وأصبح من أخوات «كان» ولم يتح «عاج» أو «مال» مع أنها كلها أفعال مترادفة، إذ يقال: «صرتُ إلى صديق أسأل عن أحواله»، مثلما قيل: «... وعجت أسأل عن خمارة البلد»؟

(68) في حين تعني «ألك» (alāku) في الأكادية «ذهب» و«جاء». انظر: Delitzsch, pp. 66-67.

(69) وهي تلتقي في هذه الخاصية كذلك مع «فات» و«مضى»، فقد توقفتا هما أيضًا في المرحلة الأولى، ما يعني أن الشكل التطوري 1 <= 2 <= 3 له قدرة تفسيرية وليس له قدرة توليدية، أي إنه يفسر الموجود لكنه لا يتنبأ بما يمكن أن يوجد لاحقًا.

الأمثلة كثيرة متعددة، فإنه يبدو مـن الضروري، درءًا لكل لبس، أن نلفت النظر إلى أن الهاء والسين (وأختها الشين) تتبادلان أيضًا في العربية، وإن كانت بنسبة لا ترقى إلى ما لوحظ بين الهمزة والهاء. وهو ما لاحظه اللغويون العرب قديمًا بين «هملع» و«سملع»: «الهَمَلَعُ والسـمَلَعُ: الذئب الخفيف» (ل.ع. «سملع») ولاحظناه بين «أهرع» و«أسـرع» وبين «هلغف» و«شلغف» (الاضطراب وقبح المعاملة) وبين «هلت» و«سـلت» (قشـر) وبين «هجف» و«سـجف» (أرخى وأسـدل)، وبين «هبات» و«سـبات» (النوم والاسـترخاء وكلاهما في علاقة واضحة بـ«بات»)...

لكن، لتعاقب السـين والهاء أهمية قد تفوق أهمية تعاقب الهمزة والهاء، لأن تلـك الظاهرة تطرح مسـألة الأصول الأولى وأسـبقية السـين على الهاء أو العكس - أي هل إن تعاقبهمـا لا يعدو أن يكون مؤشـرًا على بقايا مرحلة قديمـة؟ - وهل هي متغيـرة لهجية اختياريـة؟ أم إنها تخضـع لقانون التطور الصوتي؟ خصوصًا إذا أدركنا انتظام تقابل السـين والهاء بيـن العربية وبعض اللغات الساميّة، مثل الأكادية في الشمال والسقطرية في الجنوب.

• من مظاهر تعاقب السين (أو الشـين) والهاء (أو الهمزة) في العربية ما كشفه بعض علماء اللغة من المستشـرقين(٧٥) في ما يتعلق بانصهار السين (أو الشـين) الجعلية كما نرى في «سمج» من «مج» و«سكن» من «كن» و«سكب» من «كب» و«سـقلب» من «قلب» و«شـمصر» من «مَصَـر»...، حيث لم يعد المسـتعمل العربي يعي بهذه الوظيفة الدلالية التصريفية، إذ اسـتعاضت عنها العربية بالهمزة كما في «ألبس» من «لبـس» أو بالتضعيف كما في «ضيق» من «ضـاق»(٧١).

---

(٧٥) انظـر مثـلاً: H. S. Nyberg, «Wortbildung mit Präfixen in den semitischen Sprachen!,» *Le Monde Oriental*, no. 14 (1920); R. Ružička, «Ein Fall des Kausativen s-Präfixes im Arabischen,» in: *O.L.Z.* (1923), p. 26, col. 5-6-7, and F. Praetorius, «Zur Kausativ Bildung im Semitischen,» *Zeitschrift für Semitistik und verwandte Gebiete*, vol. 5 (1927), pp. 39-42.

(٧١) التضعيف هو الشـكل المهيمن في العاميات، حاليًا، بعد أن اهترأت الأشـكال التصريفية الأخـرى.

• السين العربية – والشين في بعض اللغات الساميّة الأخرى، كما سنرى– تقابلها هاء في السقطرية والمهرية[72]:

«سِـــتة» («6» في العربية): «هيته»[*hite*] (في السقطرية) و«هِتْ» [*hitt*] (في المهرية)؛ بينما نجد «شِتِتْ» [štit] (في الشـــحرية)؛ و«شِشْ» [šeš] (في العبرية) و«سِث» [seṯ] (في الحميرية)[73].

وكي نقر بانتظام هذا التقابل، لا بد من تأكيد التواتر والاطراد:

«ســـبعة» (في العربية): «هُوبِخ»[*hóbeh*] (في السقطرية) و«هِيبَيْت» [*hibeyt*] (في المهرية)؛ بينما نجد «شـــبِعِت» [šəbʕet] (في الشـــحرية)؛ و«شيفع» [šębaʕ] (في العبرية)؛ و«سبع» [sbʕ] (في الحميرية)[74].

لكن، من المهـــم أن نلاحـــظ أن اتجـــاه التغيير، أي مـــن «س/ ش» في اتجاه «هـ»، قد يكون معاكسًـــا. فالعربية تســـتعمل الهاء فـــي ضميري الغائب: «هو»/ «هي»، بالتوازي مع بعض اللغات الســـاميّة الشـــمالية مثـــل الأوغاريتية «hw»\«hy»[75] والعبريـــة «הוא» (هُـــوَ) «היא» (هِـــيَ) والآراميـــة «hū»\«hī»[76] والكنعانية «הו» (هُـ)\«הי» (هِـ)[77] والفينيقيـــة «הא»\«הא»[78]، وكذلك الجنوبية،

(72) انظـــر: Wolf Leslau, «Rapports entre š et h en sémitiques,» in: Wolf Leslau, *Fifty Years of Research: Selection of Articles on Semitic, Ethiopian Semitic, and Cushitic* (Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1988), pp. 35-42.

(73) انظر: المصدر نفسه، ص 33.

(74) المصدر نفسه.

(75) انظر المداخل رقم 753 و758، تباعًا، في ترقيم غوردن: Gordon, *Ugaritic Textbook.*

(76) انظـــر: Carl Brockelmann, *Grundriß der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen*, 2 vols. (Berlin: Reuther and Reichard; New York: Lemcke and Buechner, 1908-1913), p. 302.

(77) انظـــر: Zellig S. Harris, *Development of the Canaanite Dialects: An Investigation in Linguistic History*, American Oriental Series; v. 16 (New Haven, Conn.: American Oriental Society, 1939), p. 89.

(78) يبدو أن التمييز بينهما قد اندثر، إذا أخذنا المكتوب على ما هو عليه. انظر: المصدر نفســـه، ص 6، هامـــش 1، و Zellig S. Harris, *A Grammar of the Phoenician Language*, American Oriental Series; v. 8 (New Haven, Conn.: American Oriental society, 1936), p. 47.

مثـل السـقطرية «hye»\«yhe»[79] والحبشـية «we»(ወእ)\«ye»(ይእ)[80] اللتـان تسـتعملان الهاء، أو ما يناسـبها صوتيًا (أي الهمزة أو الياء... إلخ)، وتستعمل الحبشـية أيضًا[81]، وبالتحديد الجعزية[82] الشكلين «wəʔətū» (ወእቱ:) \ «wəʔətī» (ይእቲ:) لضميري الغائب، المذكر والمؤنث، تباعًا، كما تستعمل لغة جفات «wət» للمذكر و«yət» للمؤنث،[83] وهما استعمالان نستطيع تفسيرهما بتعاقب الهمزة والهاء وهي عملية صوتية معروفة في الأدبيات العربية، كما أسلفنا. في المقابل، تستعمل الأكادية الشـين «šū»\«šī»[84] وبعض اللغات الجنوبية الأخرى السين، مثل القتبانية والمعينية «sw»\«syt»[85]. وفُسّر هذا التقابل بتطور س/ ش إلى هاء، ورسس الأصل السـامي باعتباره «شو»/ «شي» وليس «هو»/ «هي». وهذا طرْحٌ مشـكل كما يبدو أول وهلة دون زيادة تدقيق. فالمهرية -حيث لاحظنا انتظام تقابل السـين العربية فيها بالهاء- تتميز بتعاقب الصوتيـن في ضميري الغائب إذ تسـتعمل «he» في المذكر و«šiya» مع المؤنث[86]. أما السقطرية التي تعتمد الشكل الهائي فإنها تستعمل ضميرًا متصلًا - يوازي «ـه» في «كلبـه» - مجسدًا في «-š» كما في «heš» (=لَـهُ)[87] ويوحي بثنائية قديمة وسابقة في الاستعمال «هـ»/ «ش».

---

(79) Leslau, «Rapports entre s ś et h en sémitiques,» p. 468.

(80) August Dillmann, *Ethiopic Grammar*, 2nd ed. (London: Williams and Norgate, 1907), p. 121.

(81) Sabatino Moscati, ed., *An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages: Phonolgy and Morphology*, Porta Linguarum Orientalium. Neue Serie, 6 (Wiesbaden: O. Harrassowitz, 1964), p. 105.

(82) Wolf Leslau, *Etude descriptive et comparative du gafat, éthiopien méridional*, collection linguistique; 57 (Paris: Librairie C. Klincksieck, 1956), p. 263.

(83) المصدر نفسه، ص263.

(84) Delitzsch, p. 645, and Lev Aleksandrovich Lipin, *The Akkadian Language*, Translated from the Russian by D. M. Segal, Languages of Asia and Africa (Moscow: Nauka Publishing House, Central Dept. of Oriental Liberature, 1973), p. 105.

(85) الأولى لغة مملكة قتبان وتقع بجنوب اليمن والثانية بشرقه. انظر: Moscati, ed., p. 104, et J. Cantineau, «Accadien et sudarabique,» *Bulletin de la Société de Linguistique de Paris*, vol. 33 (1932), p. 188.

(86) انظر: Brockelmann, vol. 1, p. 302, and Moscati, ed., p. 104.

(87) Wolf Leslau, *Lexique soqotri: Sudarabique modern, avec comparaisons et explications étymologiques* (Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1938), p. 409.

هذه النظرة السريعة[88] في تعاقب السين (أو الشين وما يصاقبها) والهاء (أو الهمزة وما يصاقبها) مهمة للتأريخ للتطور التصريفي والدلالي في العربية، لأننا ندرك، حين نقع على مادة «هبي» طريقَ الجواب عن السؤال: ما هو حكم تناوب الصاد والهاء في «الهبي»، كما يذكره كل من لسان العرب والقاموس المحيط في مادة «هبو» عن ابن سيده: «الهَبَي الصبي الصغير، والأنثى هَبَيَةٌ؛ حكاهما سيبويه»؟ هل هو من باب تداخل اللهجات العربية الجنوبية بالشمالية؟ أم هو من باب تبادل السين والصاد؟ أم هو من بقايا نظام في طور التطور؟ أم هي ثنائية في الاستعمال لم يبق منها إلا ما لم يجد الوقت الكافي للتغير؟ أم إن ذلك مجرد شبه عائلي؟

• ضاع: «ضاع، يَضيعُ...: هَلَكَ وَتَلِفَ، وضاع الشيءُ: صارَ مُهْمَلًا، والضياعُ أيضًا: العِيالُ، أو ضُيعُهُم،... وتَضَيعَ المِسْكُ: فاحَ» (ق.م. «ضيع»). لا يفيدنا هذا المثال في تأكيد علاقة الضلال التي يستعمل بها فعل «ضاع» في العامية بقدر ما يهمنا لفت النظر إلى علاقة «ضيع» بـ«ضوع»: «ضاعَهُ ضَوْعًا: حَركَهُ، وأَقْلَقَهُ، وأفْزَعَه، وشاقهُ، وضاعَ السفَرُ الدابةَ: هَزَلها،... والضوائِعُ: الضوامِرُ من الإبِل. وانْضاعَ الفَرْخُ، أو الصبِي: تَضَورَ، أو بَسَطَ جَناحَيْهِ إلى أُمِهِ لِتَزُقهُ، كتَضَوعَ، فيهما» (ق.م. «ضوع»)[89]. تتقاطع معاني المادتين وتتنافران، فلا يمكن إرجاع معنى «العيال» إلى الضياع بمعنى «الضلال»، ولن يجدي تبرير الفيروزآبادي وغيره في ربطه بالمادة عن طريق حصر المعنى في الضيع منهم. بل نغنم من توظيف الشبه العائلي وتوسيع المادة إلى «رضع» و«ضرع» (خَضَعَ، وذَل،... الصغيرُ من كل شيءٍ، أو الصغيرُ السِن الضعيفُ) و«خضع» (خَضَعَ: تطَامَنَ، وتَواضَعَ... وخُضَعَةٌ: من يَخْضَعُ لكلِ أَحَد، ... ومن يَقْهَرُ أقْرانَهُ... واخْتَضَع: مَر سريعًا) و«وضع» (الوضاعة والتَواضَعَ: التَذَللَ، والتَخاشَعَ، وتواضع ما بيننا: بَعُدَ... ووضعت الناقةُ: أسْرَعَتْ في سَيْرِها) و«ضعع» (ضعضع: ضَعْضَعَه: هَدَمَه

(88) لأن العملية تتطلب دراسة دقيقة متأنية.

(89) مع ذلك، نذكر بمعاني التعب والإعياء وسوء الحال التي رأيناها متلازمة في «هلك» وسنراها في عناصر أخرى من عائلة «أبد» الكلمية...!

حتى الأرض. وَتَضَعْضَعَ: خَضَعَ، وذَلَ، وافْتَقَرَ). و«قضع» (قَهَرَ... وانْقَضَعَ عنه: بَعُدَ. تَقَضعَ: تَقَطعَ، وتَفَــرقَ). وهو ما يدعم وجهة نظرنا في تعدد المنابع للمادة الواحدة، وعدم الاقتصار على الجذر باعتباره وحدة مســتقلة بذاتها، بل عنصرًا في شبكة من العلاقات الصوتية والتصريفية والدلالية، على المعجم التاريخي أن يفك خيوطها ويُجندر ما امحى منها واندثر.

• تلف: «تَلِفَ: هَلَكَ. وأَتْلَفَهُ: أَفْنــاهُ. ومَتْلِف: المَهْلَكُ والمفَازةُ». (ق.م.، «تلف»). ورأينا انحســار اســتعمالها في العامية بمعنى «الضلال». أما العبارة التي تفسر بها لفظة «أتلفه»، أي «أفناه» فهي مبهمة من ناحيتين: الأولى أنها تفيد ما تفيده «بيــد» في صيغتها الجعلية «أباد»؛ والثانية أن «فناء» التي اشــتقت منها صيغة «أفنى» تشير إلى المكان الفسيح (فِناءُ الدارِ: ما اتسَعَ من أمامِها)[90]، وهو يحيلنا إلى المفازة والبيداء. ومما يؤكد ارتباط الاستعمال العامي بأصول قديمة لا تنكرها اللغة، وإنما أهملها الجمع، هو تواجد المعنيين في الســريانية حيث تعني «ܛܠܦ» (تلِپ = تلف) الموت والهلاك وكذلك الضلال[91].

• «طوح/ طيح/ طحــو: «طــاحَ يَطوحُ ويَطيــحُ: هَلَكَ، أو أشْــرَفَ على الهلاكِ، وذَهَبَ، وسَــقَطَ، وتاهَ في الأرض. وطَوحَهُ فَتَطَــوحَ: تَوهَه[92] فَرَمى هو بِنَفْسِه هاهنا وهاهنا....وطَوحَه: ضَرَبَه بالعَصا، أوبَعَثَه إلى أرض لا يَجيءُ منها،...وطَوحَ بزَيْدٍ: حَمَلَه على رُكوبِ مَفــازَةٍ مُهْلِكَةٍ... ونِيةٌ طَوَحٌ: بَعيدةٌ... وأطاحَ الشيءَ: أفْناه، وأذْهَبَه... وطَيحَ بثَوْبِه: رَمَى به في مَضيعَةٍ، وطَيحَ فلانًا: تَوهَه، وطَيحَ الشــيءَ: ضَيعَه». (ق.م. «طوح/ طيح). كذلك «طحو»: طَحا به قَلْبُه: ذَهَبَ به في كلِ شيءٍ. وطَحا يَطْحُو: بَعُدَ، وهَلَكَ،... والطحا: المُنْبَسِطُ من الأرضِ،..».، فتؤكد هذه المواد علاقة الذهاب والضلال (تاهَ في الأرضِ)

---

(90) تستعمل «פָּנָה» «فنى» في العبرية بمعاني «الدوران» و«الذهاب إلى مكان ما»، ومنه «الموت والهــلاك». انظــر: Wilhelm Gesenius, *Hebräisches und chaldäisches Handwörterbuch über das Alte Testament* (Leipzig: F. C. W. Vogel, 1834), pp. 359-360.

(91) قد تبدو المسألة دائرية إذا نبهنا إلى أن الضلال يعني بدوره «الموت والهلاك».

(92) إن من تشبع بفكر ابن جني وبما يقوله في شــأن تصاقب الألفاظ ليرى بين «طوح» و«توه» أختين، لأن الطاء ليست سوى تاء مفخمة والحاء أخت الهاء.

الذي يسبب الهَلاكِ. ولكنها تؤكد معنى «السقوط» في «هلك» حيث يستعمل عادة في شــكل «تهالك» أو «متهالك»... ومن المجدي أن نلفت إلى أننا إزاء تلازم دلالي يبدو قائمًا بين الموت والسقوط أو الوقوع في الاتجاهين، يتبادل فيه قطبا الســبب والنتيجة الأدوارَ. من ذلك «هوى: سقط» و«أهوى: ماتَ»، مثلًا.

• ودر: «وَدرَهُ تَوْديرًا: أوقَعَهُ في مَهْلَكَــةٍ، أو أغْراهُ حتى تَكَلفَ ما وقَعَ منه في مَهْلَكَة، ووَدرَ رســولَهُ: بَعَثَهُ، ووَدرَ الشــر: نَحاهُ، وبَعدَهُ..». (ق.م. «ودر»). هذه المادة مفيدة علــى الرغم مما يبدو من اختزالها. فهــي تحيلنا بدورها إلى معنى «الرســالة» في «ألك» (ملَك) ومن ثم إلى العلاقــة المنطقية بين الذهاب والتنقل من جهة والرســالة من جهة ثانية. فضلًا عن تأكيد التسلســل المنطقي الذي لاحظناه بين البعــد والهلاك، وعن تأكيد العلاقة بين الســقوط والموت الذي يعبر عنه فعل «وقع» في هذا المثال.

• توه/ تيه: تشــترك «توه» و«تيه» في إنجاز الشكل التطوري من الذهاب إلــى الهلاك، حيــث تضطلع «تــوه» بالمعنــى الأول والثالــث، أي الذهاب والهلاك: «تــوه: التوْهُ: لغة في التِيــهِ، وهو الهَلاكُ، وقيــل: الذهاب، وقد تاهَ يتُوهُ ويَتِيهُ تَوْهًا هَلَكَ». (ل.ع. «توه»). فــي المقابل، تختص «تيه» في المعنى الوســيط الذي يمر من خلاله معنى «الذهاب» إلى «الهــلاك»، وهو الضلال والضياع: «تيــه: التِيهُ: الصلَفُ والكِبْرُ. وقــد تاهَ يَتِيهُ تَيْهًــا: تكبر. ورجل تائِهٌ وتَياهٌ وتَيهان ورجل تَيْهانٌ وتَيهانٌ إذا كان جَسُــورًا يَرْكَبُ رأْسَه في الأُمور، ... والتيْهاء: الأَرض التي لا يُهْتَدَى فيها... والتِيه: المَفازَة يُتاهُ فيها... وفلاة تَيْهاءُ وأَرض تِيهٌ وتَيْهاء ومَتْيَهــة ومُتِيهَةٌ ومَتِيهة ومِتْيَهٌ: مَضِلة أَي يَتيه فيها الإِنســانُ؛ ...وتَيه الشيءَ: ضَيعَه» (ل.ع. «تيه»). وللقارئ أن يلاحظ شيئين. يتعلق الأول بعدم استقلال «الجذور» إذ تشــترك مادتان «توه» و«تيه» في تحقيق بنية فكرية واحدة[93]. ويهم الشيء الثاني معنيي «الصلف» و«التكبر» اللذين ذكرا في أول

(93) إلا إذا تعلق الأمر بنقص في الجمع.

المادة ولا يمكن أن يكونا، بحسب الشكل التطوري الذي قدمناه، إلا آخر، أي من باب الإقدام على المهلكة والمخاطرة ومن ثم الشـجاعة: «جَسُورًا يَرْكَبُ رأسَـه في الأُمور» ومنه التيه بمعنى «الإعجاب بالنفس». وهكذا لا يفسر هذا الاسـتعمال بضياع العقل كما تضيع الطريق، بحسب ما طرحه لسلو[94] تأثيلًا لمادة «أبـد» في الجعزية، بل بسـيرورة أخرى يلازم فيها المضي الشـجاعةَ، على غرار «الجسارة» من الجسـر (جَسَرَ يَجْسُرُ جُسُورًا وجَسارَةً: مضى ونفَذ) و«الإقدام» من التقـدم ولا أظن «الجرأة» إلا قريبة من الجري، على الرغم من أن الجري ملازم للخوف والفزع.

• مشـي: إذا كانت وظيفة المعجم التاريخي تصور التطور وتمثله من لغة الاحتجاج إلى عصرنـا الحاضر، من دون حواجز كما دعا إلى ذلك كثيرون من الباحثين فإن «مشى» لم تعرف إلا الطور الأول - أي الذهاب - في الفصحى، لكنها عرفت الطور الثالث - أي الفناء والتكسير والهلاك - في عاميات المغرب العربي، على الأقل. تعني «'مْشـى» في عامية كل من تونس والجزائر والمغرب الذهاب والهلاك[95]؛ ولم تحتفظ أي من العاميات بالمعنى الوسيط، إذ يبدو أنه يمثل جسر عبور ليس من قدره أن يعمر طويلًا[96].

• فوز: «الفَوْزُ: النجـاةُ، والظفَرُ بالخَيْرِ، والهَلاَكُ، ضِـد. فازَ: ماتَ، وفازَ به: ظَفِرَ، وفازَ منه: نَجا، ...فازَ به: ذَهَـبَ به.[97] والمَفَازَةُ: المَنْجاةُ، والمَهْلَكَةُ،

(94) يقول لسـلو في معجم الجعزية المقـارن: «the basic meaning is 'be lost, go astray' either by not finding the way or in one's mind (become mad, wild)», see: Leslau, *Comparative Dictionary of Ge'ez*, p. 3.

(95) انظر: Colin, vol. 7, p. 1832.

(96) أمـا إذا اعتبرنا الاسـتعمال الخاص الذي يستشـهد به ابن منظور عن اللحياني «أن نسـاء الأَعراب يقلن في الأُخَذ: أَخذْته بدُباءٍ مُمَلاٍّ من الماءِ مُعَلق بِتِرْشـاءٍ فلا يزال في تِمْشـاءٍ؛ ثم فسره فقال: التِمْشاءُ المَشْي. قال ابن سـيده: وعندي أَنه لا يستعمل إِلّا في الأُخْذة». (ل.ع.، «مشي») يمكن أن نقول عندها إن المعنى الشـائع في العامية يجد له أساسًـا في العربية القديمة، خصوصًـا إذا علمنا أن العامية تستعمل «الأخذَة» بمعنى الهلاك.

(97) كي نتمثـل علاقة الذهاب بالهـلاك، يمكن أن نسـتأنس مرة أخرى بما تظهـره اللغة في الاستعمال من تلازم دلالي مجسد في تلازم لفظي، فنجد في مادة «زهف»، مثلًا: «أَزْهَفَ الشيءَ: ذهَبَ به، وأَهْلَكَهُ». (ل.ع.، «زهف»).

والفَلاةُ لا ماء بها. وفَــوزَ: ماتَ، وفَوزَ الطريقُ: بدا وظَهَرَ، وفَوزَ الرجُلُ: مَضَى، وفَوزَ بإبِلِهِ: رَكِبَ بهــا المَفَازَةَ[98]. خلافًا لما دأبــت عليه المعاجم، لا نرى أن «فوز» من الأضداد لأن التركيب السلبي الذي يفيد «الهلاك» والتركيب الإيجابي الذي يفيد «النجــاة» يختلفان اختلافًا: «فــاز به: ظَفِرَ» مقابل «فــازَ منه: نَجا». والقول إن «فوز» من الأضداد، على الرغم من اختلاف التراكيب التي يستعمل فيها، لا يسنده منطق. فهو كمن يزعم أن «هرب» من الأضداد لأنه يفيد «الظفر» و«الهزيمة» بما أننا نســتطيع أن نقول «هرب به» في مقابل «هرب منه»؛ أو كمن يزعم أن «فزع» كذلك، لأننا نستطيع أن «نفزع منه» و«نفزع إليه». فلا سبيل إلى الحديث إذًا عن عملية تلطيف محظور عند الإشارة إلى المكان القفر باستعمال لفظ «المفازة» تيمنًا واســتجلابًا لحســن الطالع، لأن النواة الدلالية محايدة لا تفيد غير الذهاب أو الانتقال. فإن حدث فعل التنقل في مكان مقفر كان الموت والهلاك، وإن حدث الفعل بالحصول على شيء ما كان الفوزُ.

• ودأ: «ودأ دَأْدَأَ دَأْدأَةً ودِئْــدَاءً: عَدَا أَشَــد العَدْوِ، أو أَسْــرَعَ وأَحْضَرَ، ... والدأْدَاءُ: الفَضاءُ، وما اتسَــعَ من التِلاعِ والأَوْدِيَة. والوَدَأُ: الهَلاَكُ. ... وتَوَدأَتْ عنه الأخبارُ: انقطعَــتْ، كوَدِئَتْ، وتَوارَتْ،... والمُــوَدأَةُ: المَهْلَكَةُ، والمفَازَةُ». (ق.م.، «ودأ»)[99]. يمتد نطاق هــذه المادة إلى جل المعانــي التي رأيناها في المواد التــي تناولناها بالدرس وتنجز الشــكل النموذجي فــي التنقل والفضاء الواســع والهلاك. بل تعطي عبــارة «تَوَدأَتْ عنــه الأخبار» بمعنــى «انقطعَتْ وتَوارَتْ» صورة أخرى عن تشكل الحلقة الوســطى التي أشرنا إليها باعتبارها المرحلة الثانية في الشكل النموذجي لتطور «أبد» و«بعد»، و«هلك»... إلخ.

• خطر: يفترض ألا ننظــر في هذه المادة لأنها قفزت فوق المرحلة الثانية ولم تنجز المرحلة الثالثة، بل اكتفت بمقاربتهــا. فالخطر لا يعني الهلاك، كما رأينا في الأمثلة الســابقة، بل الخطر هو «الإشــراف على الهلاك»، انطلاقًا من

(98) ويجدر مقارنتها بأحد اســتعمالات «فيز»: «الانْفِيَازُ: الانْفِرَادُ»، وهو معنى مهم سنعود إليه لاحقًا.

(99) ولا يفوت القارئ الفطن علاقة «ودأ» بـ«وأد»، إذ تلتقيان في معاني عدة.

معنـــى «المرور» الذي لا يذكر مباشــرة في المادة المجموعة بل نستشـــفه من تعابيــرٍ من قبيل «خطــر ببالي» أي مر ببالي أو «خَطَرَ الشــيطانُ بين الإنســـان وقلبه: أوصل وَسْواسَـــهُ إلى قلبه». أو «وما أَلقاه إلا خَطْرَةً بعد خَطْرَةٍ» أَي مرة بعد مرة، حيث نلاحـــظ تكافؤ «خطرة» مع «مرة» في علاقتهما بالمرور، لافتين الانتباه إلى تلازم دلالي منتج. فليس من باب المصادفة إذًا أن تستعمل العامية التونسية لفظة «الخاطر»[100] للإشــارة إلى المارة. وقد يقدم معنى «الاجتياز» في المعاجم على أنه من المعانـــي الثانوية فيوضع في آخر البـــاب: «تَخَطرَهُ: تَخَطاهُ وجازَهُ» (ق.م. «خطر»)[101].

ومتـــى أدركنا أن الانتقال من مكان إلى مكان فـــي بيئة صحراوية يحكمها قانون القوة «مخاطرةً» حقيقية، نكون قد أدركنا كيف تم التطور الدلالي «بديهيًا» من «الذهاب» إلى «الضلال» ثم «الهلاك» ونكـــون قد تمثلنا كيفية بناء المعاني من التجارب اليومية للمجتمعات.

– نســـتطيع القول إن التلازم الدلالي الذي طرحناه مفهومًا إجرائيًا يؤهلنا لتفادي خطر الوقوع في التأثيل الشـــعبي قد مكننا – من خلال النظر في الأمثلة المقدمة– من تبرير أربعة معان على الأقل ذكرها فيشـــر فـــي تناوله مادة «أبد»، اثنان منها في العربيـــة («الذهاب» و«القفـــر») والآخران في اللغات الســـاميّة («الضلال» و«الهلاك»). ونود في ما يلي تناول معنيين آخرين تســـتعمل فيهما مادة «أبد»، كما ذكرهما فيشـــر وتذكرهما المعاجم العربيـــة، هما «الوحوش»

---

(100) انظر: Beaussier, p. 290.

(101) تعمدنـــا الإكثار مـــن الأمثلة، على الرغم من خطـــر التكرار وإملال القـــارئ، حتى نثبت أن التواتـــر والاطراد يقطعان الطريق أمام الصدفـــة وأن التلازم الدلالي يمكن اعتمـــاده منهجيًا من دون الخوف من الوقوع في الإســـقاطات المخلة من قبيل التأثيل الواهم. ومع ذلك، لم نســـتنفد كل الأمثلة وكان بالإمكان الاحتجاج بمادة «سفر»: «ذهب وخرج إلى السفر... ويقال سافرَ الرجلُ إذا مات» (ل.ع. «سفر») وتقديم «جَحْجَبَ» كما نجدها في الاســـتعمال: «جَحْجَبَ العَدُو: أهْلَكَهُ، وجَحْجَبَ في الشيءَ: تَرَددَ، وجاءَ، وذَهَـــبَ». باعتبارهما تمثلان المرحلتيـــن الأولى والثالثـــة. وكان بالإمكان طرح «غوي»: «الغَي: الضـــلالُ» وأَرْضٌ مَغْواةٌ: مَضَلة. والأغْوِيـــةُ: المَهْلَكة» وهي تنجز المرحلـــة الثانية والثالثة دون الأولى، لكنها مهمة أهمية التلازم اللفظي بين «الضلال» و«الهلاك»، لأنها تبين العلاقة السببية التي تربط بين 1 و3 في الشكل النموذجي.

و«التوحش»: «أَبَدَت البهيمةُ تأْبُد وتأْبِدُ أي توحشت...التأَبد: التوحش وأَبِدَ الرجلُ: توحش، فهو أَبِدٌ».

• قد يبدو معنى «التوحش» منعزلًا عن المعاني الأخرى التي تفيدها «أبد»، لكنه لا يعدو أن يكون متغيرة في سيرورة الذهاب والابتعاد، تمهد له معاني «النفور» و«الغربة» و«الغرابة» (يأتي بالغريب الشاذ).

قد يتبادر إلى الذهن أن معنى «التوحش» والإشارة إلى الوحوش والحيوانات بصفة عامة - «الأوابد: الوحوش مطلقًا» (102) - سواء الأليف منها، مثل الحمير والبقر أو البري منها، مثل النعام والقطا والظباء والوعول، مترابطين جينيًا بحكم تلازم صفة الوحشية والحيوانية، كما خيل إلى صاحب «القاموس المحيط» الذي يقرن بين معنيي الغضب والتوحش: «أَبِدَ: غَضِبَ، وتَوَحشَ» (ق.م. «أبد»). لكن، على الرغم مما يبدو من وجاهة هذه العلاقة(103)، فإن المقصود بالتوحش هنا هو الشعور بالغربة والابتعاد وليس البطش أو الوحشية: «الوَحْشةُ: الفَرَقُ من الخَلْوة...أَوْحَشَ المكانُ من أَهله وتوَحشَ: خَلا وذهبَ عنه الناسُ... وبَلَدٌ وحْشٌ: قَفْرٌ». (ق.م. «وحش»). وكذلك «أَوْحَشَ المكانُ إذا صارَ وَحْشًا..». (ل.ع. «وحش»). فالتوحش من الابتعاد والانفراد وليس من الغضب. وليس من باب المصادفة أن يقال للثور الوحشي «مسافر» (ل.ع. «سفر») وليس من باب المصادفة كذلك أن تعني «تحاشى» في العربية ابتعد وتجنب وتعني الإفراد في صيغتها الحرفية الأداتية «حاشى»، فعلاقتها واضحة بالحاشية، أي الهامش البعيد عن المركز. وكلها تعود في الواقع (أي تحاشى وحاشى وحاشية ووحش - وحتى حشيش -) إلى الحشى باعتبار الحشى عضوًا ثانويًا بالنسبة إلى القلب أو اللب الذي يُعتبر المحور والمركز. ويبرر

---

(102) Fischer and United Arab Republic, Academy of Arabic language, p. 46.

(103) فنجدها في ألفاظ يربطها شبه عائلي بـ«أبد»، من قبيل «عربد» «يقال غَضَب عِرْبد أي شديد... والعِربد حية حمراء رقشاء بكدرة وسواد..».. انظر: أبو الفيض مرتضى بن محمد الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج [وآخرون]؛ راجعته لجنة فنية من وزارة الإرشاد والأنباء، التراث العربي؛ 16، 40 ج (الكويت: حكومة الكويت، 1965-2001)، ج 8، ص 375، «عربد».

هذا الطرحَ - أي أن «حاشية» من «الحشى» - تلازمٌ دلالي آخر هو ترادفها مع «بطانة»، إذ لا أحد ينكر أن «بطانة» من البطن، كما يرادف «تحاشى» فعل «تجنب». ومن لا يرى فيه مشتقًا من الجنب، مثلما أن «تحاشى» مشتقة من الحشى، فلا حس لغوي له.

ما سبق يسمح إذًا بتفسير تسمية الوحش وحشًا: «الوَحْش: كل شيء من جواب البَر مما لا يَسْتأنس..».. ومن اللافت أن لفظة «الإنسي» التي تقابل «الوحشي» في العربية - تقابُل الأنس مع الوحشة مرتبطةٌ صوتيًا بالناس ودلاليًا بالجمع: «الإنْسُ: جماعة الناس، والجمع أُناسٌ، وهم الأَنَسُ. تقول: رأيت بمكان كذا وكذا أَنَسًا كثيرًا أي ناسًا كثيرًا». (ل.ع.، «أنس»). وهكذا، لا يمكن فصل معاني «الوحشة» و«القفر» و«الانفراد»[104] عن معنى «الذهاب» الذي نجده في «أبد» في شكلِ «الأوابد: بهائم توحشت ونفرت من الإنس»[105]، حيث تعني «نفر: نَفَرَ يَنْفِر نُفُورًا ونِفارًا إذا فَر وذهب... وتَنافَرُوا: ذهبوا» (ل.ع. «نفر»). ولا ندري[106] إن كان معنى «الحيوانات والوحوش عامة» يكشف هو الآخر عن تلازم دلالي أم إن الأمر مختلف، لأن في القرابة الدلالية بين الزائلة (الزوَال: الذهاب والاسْتِحالة والاضْمِحْلال) والماشية (من المشي والتنقل) والدابة[107] (من الدبيب: المشي رويدًا) ما يؤشر إلى وجود بنية فكرية تؤسس لذلك.

على كل حال، لا ينفصل معنى «أبد» في استعمالات من قبيل: «تأَبد المنزل أي أَقفر» و«تأَبدت الدار: خلت من أَهلها» عن معنى «الذهاب» الذي يستنتج من التوحش والنفور، كما رأينا، وليس لأنها «خلفتهم الوحش بها» أو

---

(104) نذكر بأن مادة «فيز» باعتبارها متغيرة من عائلة «فوز» نفسها التي تنتمي إليها «مفازة» تستعمل بمعنى «الانفراد».

(105) Fischer and United Arab Republic, Academy of Arabic language, p. 48.

(106) لأن الأمر يتطلب دراسة منفصلة لم نتفرغ لها بعد.

(107) من اللافت أن معنى «المشي رويدا» الذي تستعمل فيه مادة «دبب» العربية يناسب «abādāt» አበደት في الحبشية، كما ذكره: Cantineau, «Accadien et sudarabique,» p. 2 (qui marche très lentement).

«صار فيها الوحـــش ترعاه» (ل.ع. «أبد»). كما نعتبر معنـــى «الآبدة: الكلمة أَو الفعلة الغريبة» (ل.ع. «أبد») ومعنى «الأُبدِ، والدواهي، والقوافي الشردُ» (ق.م. «أبد») نتيجة طبيعية للابتعاد عن المركز والإقامة على الحاشية، أي الانفراد.

• أما معنى «الإقامة» في «أَبَدَ بالمكان يأْبِد أُبودًا: أَقام به ولم يَبْرَحْه» (ل.ع. «أبد») فهو لا يمثل معنى منفردًا، من ناحيـــة، ولا يمثل مع معنى «النفور» ضدًا إلا إذا قابله في المطلق وليس في سياقه التطوري، من ناحية ثانية.

ففي ما يتعلق بالشق الأول من المسألة، يقترن هذا المعنى بمعنى «التخليد» باعتباره مرادفًا له («خلد بالمكان: أقام». (ل.ع.، «خلد»)) ومعبرًا عن الامتداد في الزمان ومنه عن المكان الواسع القفر واختزله في لفظة «الدهر»، كما عودتنا اللغة على إســـقاط الزمان على المكان: «أبد: الأَبَدُ: الدهـــر، ...والأَبَدُ: الدائم والتأْبيد: التخليـــد». (ل.ع. «أبد»). ويترجم المكان الواســـع (القفر) إلى زمان واسع (الدهر)، ســـواء بالحضور (أَبَدَ بالمكان) أم بالغياب («أَبِد الرجُلُ: طالَتْ غُرْبَتُهُ»). فكلاهما يعبر عن طول مـــدة الحدث بصرف النظر عن محتواه: «أقام بالمكان، إقامةً وقامة: دامَ وأقام الشـــيءَ: أدامَهُ،» (ق.م.، «قوم»). وإذا وضعنا «أبد» في سياق علاقة الشبه العائلي التي تربطها بكل من «مدى» (تمادى في كذا من المكان، ومدى الدهر من الزمان) و«أمد»، و«مدة» و«دوام» اتضح لنا كيف إن امتداد الزمان هو بالفعل من المكان. وهذا كفيل بتفســـير الاتجاهين اللذين أخذتهما «أبد» عند انتحائها[108] في شكل «أبدًا»، حيث تستعمل بقطبي السلب (مرادفة لقَط) والإيجـــاب (مرادفة لدائمًا، أي في معنى «أبدي») للإشـــارة إلى الدهر بمعنى «المدة الطويلة غير المتناهيـــة»، بين الوجود الدائم وعدم الوجود الدائم. وامتدادا لهذين القطبين، نجد في لهجة دثينة - كما جاء عند لاندبرغ - أن الأوابد ليست الشوارد والغرائب بل الأغاني الشائعة والمألوفة[109].

---

(108) الانتحاء مصطلح يترجـــم «Grammaticalization»، أي تطور وحدة معجمية عادية وتحولها إلى أداة نحوية علائقية.

(109) انظـــر: Carlo de Landberg, *Glossaire datinois*, 3 vols. (Leiden: E. J. Brill, 1920-1942), p. 5, chansons courantes et bien connues.

أما في ما يتعلق بالشق الثاني من المســألة فإن «النفور» لا يضاد «الإقامة» إلا إذا اعتبرناهمــا كذلك في المطلق، اعتمادًا علــى أن النفور بمعنى الذهاب، كما رأينا، يســتهل السلســلة التطورية، بينما تقع الإقامة نتيجة المعنى الزماني وتفصلها عنه مراحل عديدة.

كي نتمثل هذه الظاهرة، لا مناص من أمثلة توضح ما قد حصل في العربية لتفضي هذه المادة المعجمية إلى التعبير عن معنيين متضادين ظاهريًا.

تصيب الحيرة المســتعمل إزاء معنى كلمة «حنيف» التي تشير أساسًا إلى «الميل والاعوجاج»، لكنها تستعمل في عبارة «الدين الحنيف». وقد يسارَع إلى القول إن «حنف» من الأضداد، لكن تاريخ استعمال اللفظة يبين أن الدين الذي حاد عن عبادة الأصنام وعن وثنية الجاهلية أصبح مرادفًا للاســتقامة. ونرى أن هذا هو ما حصل كذلك مع استعمال «عدل» إذا اعتبرناها في المطلق بين الحياد والعدول.

قد يرى الناظر في مادة «حمد» أنها أيضًا من الأضداد، لأن معناها الشــائع «الشكر والرضى» يناقض فيها معنى «الغضب»: «حمد، كفرِح: غضب» (ق.م. «حمد») وكذلك: «...حَمِدت على فلان حَمْدًا وضَمِدت له ضَمَدًا إذا غضبت» (ل.ع. «حمــد»). لكن ذلك لا يكــون إلا في المطلق. أما إذا اعتبرنا ســيرورة «حمد» وارتباطها بشــبكة من المواد المعجمية التي تكون عائلتها الكلمية، فإننا نرى لها علاقة وطيدة بمادة «حدم» تتقاسم معها معنى «الحرارة»: «يومٌ مُحْتَمِدٌ: شــديدُ الحَر»، ويكافئه: «يوم مُحْتَدِمٌ ومُحْتَمِدٌ: شــديد الحر. والاحْتِدامُ: شدة الحر» (ل.ع. «حدم»)، وكذلك «حمت: يَــوْمٌ حَمْتٌ، ولَيلةٌ حَمْتَةٌ، وقد حَمُتَ، ككَرُمَ: اشْــتَد حَرُهُ». (ل.ع. «حمت»). ويلازم معنى «الحــرارة» معنى «الغيظ والغضب» في العربية، كما يلازم السبب النتيجة. وهي تفصح كذلك عن حالة تلازم لفظي وحالة تلازم دلالي منتظمين[110]، نحتج لهما بالأمثلة التالية – ومن

(110) ليســت علاقة التلازم بين الحــرارة والغضب علاقة حصرية في العربية، فللغضب ســبل دلالية أخرى نبينها في الإبان.

دون إطالة لأن الأمر لا يتعلق بحالة شـاذة: «حرر: الحريرُ: من تَداخَلَتْه حرارةُ الغَيْظِ» (ل.ع.، «حرر»)، و«وغر: التوَقدُ من الغَيْظِ...تَوَغرَ: تَلَهبَ غَيْظًا» (ل.ع.، «وغر»)، و«حمس: الحَميسُ: التنـورُ، [...] واحْمَوْمَسَ: غَضِـبَ» (ل.ع.، «حمس»)، و«حمش: حمش حَمَشًـا وحَمْشَـةً: غَضِبَ،...وقد أحْمَشَ القِدْرَ، وأحْمَشَ النارَ: قَواهَا بالحَطَبِ» (ل.ع.، «حمش»)، و«شـوط: اسْتَشَـاطَ عليه: التَهَبَ غَضَبًا» (ل.ع.، «شوط»)، و«نفط: يَنْفِطُ: غَضِبَ، أو احْتَرَقَ غَضَبًا» (ل.ع. «نفط»)، و«ضَرِمَ: اشْـتَد جُوعُه أو حَرهُ، وضَرِمَ عليه: احْتَـدَمَ غَضَبًا، كتَضَرمَ» (ل.ع.، «ضـرم»)،... بل إننا نرى في لفظة الغيظ ذاتها شـبها عائليًا مع القيظ، حَمَارةُ الصيف: «غيظ: تَغَيظَتِ الهاجِرَةُ: اشْتَد حَمْيُها» (ل.ع.، «غيظ»).

بالتـوازي مع ما رأينا، تطرح مادة «حمم» إشـكالات لا حـل لها، إذا لم نعتبر السيرورة التاريخية ولم نأخذ بالاعتبار سياق الاستعمال وتفرعه والشبكة التصريفية والصوتية والدلالية التي تحكم تاريـخ المعجم العربي. فهذه المادة تطـرح ما لا يقل عن ثلاث مقابـلات: بين الماء البارد والماء السـاخن، وبين العامة والخاصة، وبين الأبيض والأسود.

يمكن أن نعالج زوجًا من المعاني المتضادة. لكن، ما السبيل إلى معالجة ثلاثة أزواج من التقابل؟ هل نصغي للمستسـلمين الذين يزعمون أنه بالإمكان أن نقول ما نشـاء في العربية، اعتمادًا على تعدد المعاني فـي المادة الواحدة، ناهيك عن تناقضها؟

1. أ. أحَم نَفْسَه: غَسَلَها بالماءِ البارِدِ،

1.ب. حَم الماءَ: سَخنَه، كأَحَمه وحَممَه،

2. أ. الحامةُ: العامةُ،

2. ب. الحامةُ: خاصةُ الرجُلِ من أهْلِهِ ووَلَدِهِ،

3. أ. الأَحَم: ...الأَسْوَدُ من كُلِ شـيء، ...اليَحْمومُ:...الجبَلُ الأَسْود... الحُمَمُ: الفَحْمُ، [ق.م.،]

3. ب. وفي حديث قُس: الوافد في الليل الأَحَمِ أي الأَسود، وقيل: الأَحَم الأَبيض؛ عن الهَجَري؛ [ل.ع.]

إذا اعتبرنا أن الحرارة قاسم مشترك بين العائلة الكلمية التي تنتمي إليها «حمم» (حمس، حمش، حمد، حدم، حمي، حمت،...) يفسر معنى «الماء البارد» بالحمام والعرق ويفسر «الأبيض» بـ«الحُمَم الذي يشير إلى «الرماد والفَحْم» وكذلك إلى الفحم البارد (ل.ع.، «حمم»). ولعل لون الرماد هو الممر الذي انزلق منه «اللون الأبيض» ولعل معنى «العرق» هو الذي سمح بمرور معنى «الماء البارد»[111]. أما الحامة بمعنى «العامة»، فالسبب الصوتي واضح وقد تنبه العرب إلى تبادل العين والحاء، في أكثر من مناسبة[112]. ويبدو أن معنى «العامة» تولد عن معنى «العمى» و«عدم التمييز» الذي يرتبط بدوره بالسواد والظلام[113]. أما عن معنى «حمم» «الخاصة من الأهل والأقارب» فإنه من جنس معنى الحميمية وصلة الرحم. وإذا نظرنا إلى القضية من وجهة نظر ابن جني وما يقوله عن تصاقب الأصوات والمعاني، نستطيع أن نرى في علاقة «حمم» بـ«حنن» من ناحية وبـ«حبب»[114]، من ناحية ثانية، مجرد متغيرات إبدالية.

بالرجوع إلى معنى «أقام» في «أبد بالمكان»، يمكن - تمهيدًا لتوظيف مفهوم الجذمور والشبه العائلي - أن نلفت إلى أن العائلة الكلمية التي تنتمي إليها «أبد»، كما سنبين ذلك، تُستعمَل في معنى «أقام» باعتباره الاستعمال الشائع مطلقًا. ومنها «ربد» (رَبَدَ رُبُودًا: أقامَ) خصوصًا «لبد» (لَبَدَ، لُبُودًا ولَبَدًا: أقامَ) ومقلوبها - أو العكس - «بلد» (بَلَدَ بالمَكانِ بُلودًا: أقامَ ولَزِمَهُ)[115]. أما

(111) وقد يكون من باب تلطيف محظور لغوي لأن العربية التونسية تسمي الفحم «البياض»!

(112) كما تجدر الإشارة إلى أن «حم حمه» تعني قصده وهو ما تعنيه «أم» و«هم»، ويتعلق بالسبب ذاته.

(113) مع الإشارة إلى أن «عمم» تعني السواد: «عُمَم، بالضم: سُودٌ» (ق.م.، «عمم»).

(114) حيث يتلاقى الحرفان الأولان (م-ن) في سمة الخيشومية والحرفان الأخيران (م-ب) في صفة الشفوية، نظرًا إلى أن الميم حرف شفوي وخيشومي.

(115) أهملنا المواد التي لا تعني «الإقامة» صراحة، وكان بالإمكان ذكر مادة «نبد»، مثلًا، كما جاءت في ل.ع.: «نبد: النهاية لابن الأثير في حديث عمر: جاءته جارية بسَويق فجعل إذا حركته ثارَ له قُشار وإذا تركَتْه نَبَدَ أي سكنَ وركدَ؛ قاله الزمخشري».

معنى «الإقامة» نفسه، وهو الذي تولد في الاستعمال من المعنى الزمني (الأبد)، فيربط أواصر القرابة صوتيًا ودلاليًا مع «أمـد» (الأَمَدُ: الغاية كالمَدَى؛ يقال: ما أَمدُك؟ أَي منتهى عمرك)[116]، وهو مما لا يدع مجالًا للشـك في انتمائها إلى العائلة الكلميـة ذاتها - يدعم بذلك مفهومي الجذمور و الشـبه العائلي، إذ لا سبيل إلى إنكار قرابة الباء والميم. ونضيف إليها «مدد» (المدة) و«مدي» (مدى) اللذين بلغا مرحلـة التعبير عن الحيز الزمني، بعد المـرور بالتعبير عن المكان الذي يُحتمَل تطوره، بحسـب الأنموذج الذي نتحرك داخله، من استعمال كان يعبر عن الكيان.

• أما معنيا «الأبَد»: «الولد الذي أتت عليه سنة» و«الإبِدُ»: «الأمة والضان والفرس تلد كل سنة»، فهما لا ينفصلان عن معنى «الأبدُ»: «الدهر الطويل» ولا يمثلان سـوى تعبيرين مجازيين عن الزمان، أحدهما بالتواصل (سنة بأكملها) والثاني بالتواتر (كل سـنة)، في محور أسـاس من حياة العربي وفي بيئة تتسم بالانتقاء الطبيعي. هل كان التعبير الأول تفاؤليًا تيمنيًا أو كهنوتيًا طقوسـيًا؟ هذا ما لا يمكن الجزم به. أمـا التعبير الثاني فيلفت إلى التوظيف النفعي المباشـر في اسـتعمال الأمَة خصوصًا، عوض المرأة عمومًا، أو الأنثـى مطلقًا. وعلى الرغم من العلاقة الصوتية والدلالية التي تربط «أبد» بـ«عبد»، إذ هما تشتركان في أكثر من معنى «الإقامة وطول الزمان»: «ما عَبـدَ أن فَعَلَ: ما لبثَ»، ومعنى «الذهاب والنفور»: «عَبدَ تعْبيدًا: ذَهَبَ شاردًا... والعَبابيدُ والعَباديدُ : الفِرَقُ من الناسِ والخَيْلِ الذاهبـونَ في كُلِ وجْهٍ، ... والطرُقُ البعيـدَةُ»، ومعنى «المكان القفر»: «المُعَبدُ:...بَلَدٌ ما فيه أثَرٌ ولا عَلَمٌ ولا ماءٌ»؛ إلا أننا لا نشاطر ابن منظور رأيه في تبرير معنى «أَتان أَبد: في كل عام تلد» بأن «الإبِد ههنا: الأَمة لأَن كونها ولودًا حرمان وليس بحد أَي لا تزداد إِلا شـرا». ومع ذلـك لا نرى أن تبريره

(116) تسـتعمل السـقطرية «آمـَـد» (?émed) بمعنى الحيز الزمني و«أمْـد» (?md) بمعنى المدة باعتبارها كمية زمنية وكذلك في معنى «الكمية» مطلقًا، انظر: Leslau, *Lexique soqotri*, p. 63.
من الجدير بالذكر أن كلمة «المُد» في العربية تشير إلى مكيال. ووهم بعض الباحثين في اعتبارها مقترضة من اللاتينية أو من اليونانية.

اعتباطي تمامًا، بل نراه يعتمد معنى «الهلاك والشر والمشقة وسوء الحال» الذي يسببه البعد[117] وطول الغربة.

بقي أن ننظر في معنيي «الغضب» (أبِدَ عليه: غضِب) و«الكلَف» (تأبدَ الوَجْهُ: كَلِفَ ونمش).

- في هذا المستوى، لن تكفي الآليات المستعملة إلى حد هذه النقطة لترسيس التسلسل التطوري، ولا بد من تدعيم التلازم الدلالي بمفهومي الجذمور والشبه العائلي، كي نربط بين معنى «الغضب» الذي نجده في ما يقابل «أبد» في اللغات الساميّة (الجعزية، مثلًا، إلى جانب الجنون والحمق) من ناحية، وفي عناصر من عائلة «أبد» الكلمية تربطها بها علاقات شبَه عائلي، من قبيل «أبت» (د-ت) و«عبد» (أ-ع)[118] و«أمد» (ب-م) و«وبت» (أ-و) و«ومد» (أ-و، ب-م)، وتوحي بأصل قديم، أقدم مما يبدو. فأن يكون معنى «الغضب» مشتركًا بين «وبد» و«ومد» [ب-م] و«عبد» و«أبد» [أ-ع] لافت ومهم لأنه يؤكد انتماء هذه العناصر إلى عائلة واحدة. لكن ورود معنى «الحَر» ملازمًا لمعنى «الغضب» في «أبت» («أبت: يومٌ أَبْتٌ، وليلةٌ أَبْتَةٌ، ...: كل هذا في شدة الحر؛ وأَبْتَةُ الغَضَبِ: شدتُه وسَوْرَتُه. وتَأَبتَ الجَمْرُ: احْتَدَمَ») و«وبد» (وَبِدَ عليه وبَدًا: غَضِبَ مثل وَمِدَ. والوَبَدُ: الحر مع سكون الريح كالوَمَدِ). و«ومد» (وَمِدَ عليه وَمَدًا: غَضِبَ وحَمِيَ كَوَبِدَ). وغيابه من «عبد» و«أبد» أمر يستوجب الدراسة والتدقيق. ألا يكون غياب معنى «الحر» من «أبد» و«عبد»، إذا اعتبرنا التلازم الدلالي الذي رأيناه آنفًا يدعمه وجودُه في «أبت» و«ومد» و«وبد»، من باب التقصير في الجمع وليس من باب الإهمال أو الشذوذ؟ وإنه لأمر مثير فعلًا أن يقرن لسان العرب في تمثيله معنى «الغضب» في «أبد» عناصر من عائلته

---

(117) وليس من المفاجئ في شيء أن يعترضنا في مادة «بدد» التي تربطها قرابة صوتية واضحة بـ«أبد» في الآن نفسه معاني «التفرق» و«التعب» و«الإعياء». كما نجدها في «بدد» وفي مقلوب «أبد» أي «دأب: جد وتعبَ». لا يكون من باب الصدفة، بل يبدو أنه تلازم دلالي بين معنى «الهلاك» ومعنى «التعب» نتبينه في أحد معاني «هلك» ذاتها، حيث تعني صيغة تفاعل «تهالك»: «السقوط من تعب أو من مرض».

(118) و«عربد» نتيجة تباين صوتي: «لقدْ غَضِبْنَ غَضَبًا عِرْبَدًا». وسبق ذكرها.

الكلمية دون غيرها: «أَبِدَ عليه أَبَدًا: غضب كَعَبِـدِ وأَمِدَ ووبِدَ ومِدَ عَبَدًا وأَمَدًا ووبَدًا ومَدًا». (ل.ع. «أمــد»)[119]. هل تمثل القدامــى القرابة المعجمية ولم يفصحوا عنها!؟ ذلك أن العناصر المذكورة، أي «أبد» و«أمد» و«وبد» و«ومد» و«أبت» لا تتقاســم معنى «الغضب» فحسب، بل تشــترك في علاقات ثنائية أو ثلاثية – على منــوال الجذمور – وتتلاقى من ثم فــي معاني متعددة. فنجد في «وبد» معاني «سوء الحال» و«الجوع» و«الإهلاك» (في «شدة الإصابة بالعين») و«الإفراد» و«الجهــل بالمكان»؛ وفي «أمد» معنى «الحيــز الزمني» وفي «بعد» «الذهاب» و«الموت»، ورأيناها بعد.

إذا اعتبرنا الأشياء من وجهة النظر التطورية الزمانية، اتضح لنا أن كل هذه العناصر الصوتية – الدلالية لا تمثل ســوى عُقد تفرع في جذمور بدائي جامع يحمل إمكانات متعددة للاستعمال، وأنها لا تمثل بأي حال من الأحوال جذورًا أصولا مستقلة بذاتها.

ويؤكد قدم التفرع وجوهريته وجود ما يؤشــر إلى أن الظاهرة ســاميّة، أي ســابقة للعربية. فليس من المبتذل الذي يمر من دون لفت النظر أن الســريانية تســتعمل بالتوازي «ܐܒܕ» (أبد) بمعاني «الضلال» و«الهلاك» و«سوء الحال» و«الداهية» إلى جانب «ܒܕ» (بد) التي تعني كذلك «الداهية» و«ســوء الحال» و«ذهاب العقل» مقابل «ܐܡܕ» (أمــد) بمعنى «نفر وذهب» إلى جانب «ܡܕ» (مد)[120] بالمعنى نفســه. وليس من باب المصادفــة المحض أن تضطلع مادة

(119) انظر كذلــك: الزبيدي، ج 7، ص 373، مادة «أبد». وجمع بينها ابن الســكيت في كتاب الإبدال: «ويقال: عبد عليه وأبد وأمد: أي غضب»، انظر: أبو يوســف يعقوب بن اســحاق بن السكيت، كتاب الإبدال، تقديم وتحقيق حسين محمد محمد شرف؛ مراجعة علي النجدي ناصف (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1978)، ص 67.

(120) انظر بالنســبة إلى تعاقب «ܐܒܕ» (أبد) و«ܒܕ» (بد): لويس كوستاز، معجم سرياني عربي، ط 3 (بيروت: دار المشرق، 2002)، ص 2، 11 و177 على التوالي.

وكذلك باين ســميث (Payne Smith) ص 2 وص 35 بالنسبة إلى تعاقب «ܐܒܕ» (أبد) و«ܒܕ» (بد)، تباعًا، وص 19 و251 بالنســبة إلى تعاقب «ܐܡܕ» (أمد) و«ܡܕ» (مد)، تباعًا، حيث تقدم «ܡܕ» على أنها بدلًا من «ܐܡܕ».

«بدد» بمعنيي «النفور» و«التفــرد» في «أبد» وبمعنى «الحيز الزمني»، موازية في ذلك «أمد» و«سمد» و«ســرمد»[121]، خصوصًا «مدد»[122]، كما ينوّه إليه لسان العرب عــن الجوهري: «أَبَد يده إِلى الأَرض مدهــا» (ل.ع. «بدد»). وكيف لنا أن نفســر لماذا نجد معنى «الهلاك» مشــتركًا بين اللغات الساميّة ولا نسترجعه في العربية إلا عن طريق الترســيس وإعادة البناء، في مــادة «بيد» (بيد: باد يبيد بيدا إذا هلك)[123] وليس في مادة «أبد»، كما هو الحال في الأكادية والحبشــية والآرامية والعبرية؟ وقد نجد الجواب عن هذا الســؤال في طرح طريف طرحه مؤلفا معجم الجذور الســاميّة *(Dictionnaire des racines sémitiques)*[124]، ويتمثل في اعتبار «أبد» صيغة ثانوية موســعة من شكل بدائي ثنائي «بد»[125] عن طريق الحشو، كما في الســريانية «ܦܘܕ» (پود) والإسباق، كما في الأكادية والحبشية والعبريــة وغيرها «أبد» والإلحاق، كما في العربية «بدو»، والســريانية «ܦܕܐ» (پدا)... إلخ. وقد يطال طرحَ كانتينو ومن معه الاحترازُ الملازم للنظرية الثنائية. لكن ذلك لا يهمنا بقدر ما يهمنا تأكيد هذا الطرح القرابةَ الجينية بين «الجذور». وما لا نتفق فيه معه يتعلق بجعلــه المادة الثنائية «بَدْ» أرومة مركزية والتوســعَ من الحواشــي، وهو ما لا نقبل به إذا قبلنا بالجذمور بديلًا من الجذر وتجاوزا له. فمفهــوم الجذمور يقــوم على نفي علاقــة المركز والحاشــية، أي أحادية العلاقة. وعلى مثل ذلك يتأســس مفهوم الشــبه العائلي. لهذا، لا نرى مؤلفي

(121) كما يؤكد على ذلك لسان العرب: وهو لك أَبدًا سَــمْدًا سَرْمَدًا؛ عن ثعلب بمعنى واحد» (ل. ع.، «ســمد»). وولدت «سرمد» من «ســمد» بتباين صوتي. كما يشير لســلو إلى أن «سبد» يوازي معنى «أمد» (أي «الدهر والحيز الزمني الطويل») وهو معنى لا نجده شــائعًا في العربية في «سبد» بل في «سمد» (ب-م) وفي «سرمد» نتيجة التباين الصوتي، كما أسلفنا) وأقل منه في «سبت» (السبْتُ: بُرْهةٌ من الدهر). انظر: Leslau, *Lexique soqotri*, p. 36.

(122) وهي مادة مهمة بالنسبة إلينا، إذ لا يمكن تبرير تعدد استعمالاتها بين «البرهة الزمنية»، أي «المدة» وبين معنى «الهرب والنفور» الذي يستعمل به الثنائي المضاعف «مدمد».

(123) كما تتقاسم مع «أبد» معاني الذهاب والقفر والأتان أو الحمر الوحشية.

(124) انظــر مــادة «CCCBD» فــي: David Cohen, *Dictionnaire des racines sémitiques: Ou attestées dans les langues sémitiques,* fichier comparatif de Jean Cantineau (Paris: Peeters,. 1970).

(125) يردفانه بمعنى أســاس لا يختلف كثيرًا عن المعنى الذي قدمه لسلو عن الجعزية واللغات الساميّة، وهو: «تجاوز الحدود (حدود القبيلة، أو العالم المألوف، أو الذات)، النفور والضلال والجنون».

معجم الجذور الساميّة يتســاءلان ولو بطريقة عابرة عن احتمال وجود متغيرات أخرى مثل «أفد» – مع ما خبرناه مــن تبادل الباء والفاء في العربية وفي اللغات الســاميّة – و«وفد» و«ومد» و«أبت» و«وبت» (وبَتَ بالمــكَانِ: أقامَ. ومقلوبها «بوت» (بات)) و«ســبت» و«هبت» (الهَبْتُ. حُمْقٌ وتَدْلِيَةٌ. ...المَهْبُوت: الطائر يُرْسَلُ على غير هِداية) و«سمت» (السمْتُ: السيْرُ على الطريق بالظن؛ وقيل: هو السيْرُ بالحَدْس والظن على غير طريق) التي تنفي مركزية «بد» وتثبت أن التوسع يحصل في كل الاتجاهات، وليس انطلاقًا من جذر أصل نحو فروع ثانوية. ولا نســتغرب البتة أن يثبت بحث معمق بين العربية واللغات الســاميّة والحامية أن لعائلة «أبد» الكلمية علاقة وطيدة بالموت باعتباره عضوًا من أعضاء الجســم، اندثر من الاستعمال ودفن تحت التعابير التلطيفية التي سعت إلى مداورته[126].

– أما «أبد» بمعنى الكلَف (تأبدَ الوَجْــهُ: كَلِفَ ونمش) فتختص به العربية ولا يوجد في أي من اللغات الساميّة التي تســنى لنا الاطلاع عليها. والكلَف: شيءٌ يَعْلو الوَجْهَ كالسِمْسِــم، ولَوْنٌ بين الســوادِ والحُمْرَةِ، وحُمْرَةٌ كدِرَةٌ تَعْلو الوَجْهَ» (ل.ع.، «كلف») وهذا المعنى مشكل. ولكنه ليس مشكلًا في ذاته، لأن تبريره ممكن اعتمادًا على التلازم الدلالي، فليس مــن باب المصادفة أن تعني كلمة «السفْر»: الأَثر الذي يبقى على جلد الإِنسان وغيره»، (ل.ع.، «سفر»)[127] وتبريره ممكــن كذلك اعتمادًا على تواتر معنى «ســوء الحال» في عائلة «أبد»، أي على مفهوم الشــبكة الدلالية والشــبه العائلي باعتبار وجود هذا المعنى في «ربد: الربْدَةُ: لَوْنٌ إلى الغُبْرَةِ،...، والربْداءُ من المَعَزِ: السوْداءُ المُنَقطَةُ بحُمْرَةٍ»؛

(126) وأنجزنــا بحثًا – ينشــر لاحقًا – ينظر في تأصيــل الموت في اللغات الســاميّة والحامية ونطرح فيه بالأساس أن الرحم الدلالي الذي ينبثق منه هذا المفهوم متعلق بعضو من أعضاء الجسم. مع الملاحظ أن مؤلفي معجم الجذور الساميّة يريان في دال «أبد» صيغة مجهورة من تاء أصلية (مهموسة)، كما في «abātu» الأكادية. لكن لم يثبتا أن باء «أبد» لم تكن هي الأخرى ميمًا!. انظر: Cohen, p. 2.

(127) قــد يكون في علاقــة واضحة مع ما يصيب الوجه من لفح الشــمس فــي ذهن اللغويين القدامى، يبرر الأزهري معنى السفْر والسفور، إذ يستشــهد به ابن منظور فيقول: «قال الأزهري: وسمي المُســافر مُســافرًا لكشــفه قِناع الكِنِ عن وجهه، ومنازلَ الحَضَر عن مكانه، ومنزِلَ الخَفْض عن نفسه، وبُرُوزِهِ إلى الأَرض الفَضاء، وسمي السَفَرُ سَفَرًا لأَنه يُسْفِرُ عن وجوه المسافرين وأَخلاقهم فَيظهر ما كان خافيًا منها» (ل.ع.، «سفر»).

وفي «رمد: الرمدة: لون إلى الغُبْرَة...»[128]. بل يتمثل الإشكال في الحقيقة في تبرير استعمال «أبد» في العامية اللبنانية، إذ يقول أنيس فريحة: «تأبد بمعنى تغمى العامية (راجع تأبد الوجه كلف): تصنع في حركاته وفي تصرفاته. تكلف الأناقة في الكلام أو في المشي»[129]. فكيف وصلت «أبد» إلى المعنى ذاته الذي انزلقت إليه «كلف» من معنى «المشقة» وأعراضها إلى معنى «التصنع»؟ هل نحن إزاء تلازم دلالي لم تتمكن المعاجم من جمعه؟ يتطلب الجواب عن هذا السؤال دراسة منفصلة لا يمكننا التسرع في تجاوزها.

خلاصة القول

إذا كانت وظيفة المعجم التاريخي الأساسية ضبط التطور الدلالي للوحدات المعجمية وإبرازها فإن من أشد العقبات في طريق إنجاز مثل هذه المعاجم يتمثل في الاشتراك اللفظي[130] والدلالي[131]. لذلك وجب التساؤل عن كيفية تخليص الحرير من الشوك في مادة مثل «حمم» التي تعد أكثر من خمسين استعمالاً في القاموس المحيط وحده أو في مادة مثل «رعب» التي تبدو شائعة الاستعمال ولا أثر فيها للغرابة، لكنها تستعمل في معاني متنافرة

---

(128) وكأننا بالكلف مرتبط أيضًا بالحمل والولادة وهو من أعراضهما إذ نجد في «رمد» معنى رابطًا: «رمدت الشاة والناقة وهي مُرَمِد: استبان حملها وعظم بطنها وورم ضَرْعها وحياؤها». (ل.ع.، «رمد»). ونضيف - للتأمل فحسب - كيف إن «رمد» تعني الهلاك: «الرمْد: الهلاك....ورَمَدَ القوم رَمْدًا: هلكوا». انظر كذلك «دمر» في علاقة قلب مكاني بها.

(129) معجم الألفاظ العامية، جمعها وفسّرها وردّها إلى أصولها أنيس فريحة (بيروت: مكتبة لبنان، 1973)، ص 1.

(130) انظر: عبد الرزاق بنور، «في عربية ما قبل التدوين، أو فيمَ تفيدنا معرفة ما وراء الجذر في إنجاز معجم تاريخي عربي؟،» في: أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية: قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية، 2 ج (فاس، المغرب: مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)؛ القاهرة: دار السلام، 2011). وحاولنا فيه النظر في مادة «نهر» (الزجر، والدعوة، والخلسة) و«نهر» (نهار) و«نهر» (سيلان)، و«نهر» (سمن) و«نهر» (إبطاء) و«نهر» (فرخ القطا وذكر البوم...) فهل نحن إزاء مشترك لفظي لأشكال لها روابط مختلفة تراكبت عبر الزمن، أم نحن إزاء مشترك دلالي يجب علينا الكشف عن الممرات التي بُني عليها؟

(131) من دون الحديث عن العشرات من الاستعمالات التي جمعتها المعاجم لألفاظ مثل «عجوز» أو «دين»، مثلًا، حيث أصبحت من النوادر.

جدًا[132]، كي نثبت تدرج توليد المعاني وأسبقية بعضها بالنسبة إلى بعضها الآخر. وكيف يكون ذلك إذا لم يتسن لنا ضبط العلاقات الدلالية المنطقية أو السياقية التي تربط المعاني الواحد بالآخر؟ يعتمد واضعو المعاجم التاريخية عادة على الدراسات الجزئية المنجزة أو على المعاجم التأثيلية - إن وجدت - وهي التي تحدد الاستعمال الأشد قدمًا، فتميز بين الأشكال الملتبسة. هذا في ما يتعلق بالمشترك اللفظي. أما في ما يتعلق بالمشترك الدلالي، فإن معالجته تقوم عادة على الشواهد وتواريخها.

أما العربية فإن معاجمها تزخر بمادة ثرية جدًا تعكس قرونًا من الاستعمال في مرحلة ما قبل التدوين، ولا نملك عنها إلا القليل النادر من الشواهد ويستعصي من ثم التأريخ لها. ولا ينفع الاستنجاد باللغات الساميّة التي دوّنت قرونا قبل العربية، لأننا لا نجد فيها إلا نواة من المشترك وتغيب عنها الآلاف من المواد المعجمية. ثم إنها تُدخل أحيانًا إرباكًا إضافيًا لأنها تثقل التعدد الدلالي باستعمالات أخرى تعقد المادة ولا تحل الإشكال.

لذلك، يمكن القول إن العرب ينطلقون في مشروع المعجم التاريخي مثقلين بعائقين من الصعب استدراكهما - إن لم نقل من المستحيل - في حال العجز عن إيجاد بديل يختصر الجهد ويجتنب المخاطرة بطرح الفرضيات التي لا نملك تأكيدها منهجيًا.

كان لزاما علينا إذًا البحث عن بدائل عملية - تقاس بمدى إنتاجيتها - شريطة أن تكون منهجية علمية - تقاس باطرادها وانتظامها. في هذا السياق بالذات، يتنزل منهجنا في ترسيس التطور، إذ نرى أنه يستطيع أن يمثل آلية مهمة نستعيض بها عن نقص الشواهد والتواريخ. ورممنا ما استطعنا من علاقات التسلسل في تطور المعاني وحاولنا إرجاع ما لا يدخل في باب التلازم الدلالي إلى مفهوم الشبه العائلي والجذمور... لكننا لم ندفع العمل الترسيسي إلى حدوده القصوى لأن ذلك يتطلب حيزًا أكبر بكثير مما يتيحه هذا المقام.

---

(132) نستخلص من لسان العرب أنّ لـ «رعب» عشرة معان: «1. الفَزَع والخَوْفُ. و2. الملء، و3. السّمن، و4. الصوت، و5. القطع، و6. الاضطراب و7. اللون الأبيض، و8. الجبن، و9. الرقية من السّحر، و10. القِصَر».

المراجع

1 - العربية

كتب

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن. **جمهرة اللغة**. تحقيق زين العابدين الموسوي. 4 ج. بيروت: دار صادر، 1980.

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق. **كتاب الإبدال**. تقديم وتحقيق حسين محمد محمد شرف؛ مراجعة علي النجدي ناصف. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1978.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا. **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر، 1979.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم. **لسان العرب المحيط**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1997.

أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية: قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية. 2 ج. فاس، المغرب: مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)؛ القاهرة: دار السلام، 2011.

بعلبكي، رمزي منير. **معجم المصطلحات اللغوية: إنكليزي - عربي، مع ٦١ مسردًا عربيًا = *Dictionary of Linguistic Terms: English-Arabic, with Sixteen Arabic Glossaries***. بيروت: دار العلم للملايين، 1990.

بيستون، أ. ف. ل. [وآخرون]. المعجم السبئي: بالإنجليزية والفرنسية والعربية = *Sabaic Dictionary: English, French, Arabic*. لوفان الجديدة، فرنسا: دار نشريات بيترز؛ بيروت: مكتبه لبنان، 1982.

جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية. المعجم الكبير. ج 1. القاهرة: دار الكتب، 1970. حرف الهمزة.

ـــــــ. المعجم الوسيط. ط 4. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2004.

الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد. المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم. حقق كلماته بإرجاعها إلى أصولها وذكر معانيها الأصلية وتتبع التغيرات التي طرأت عليها ف. عبد الرحيم. دمشق: دار القلم، 1990.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. 6 ج. ط 2. بيروت: دار العلم للملايين، 1979.

الزبيدي، أبو الفيض مرتضى بن محمد. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق عبد الستار أحمد فراج [وآخرون]؛ راجعته لجنة فنية من وزارة الإرشاد والأنباء. 40 ج. الكويت: حكومة الكويت، 1965-2001. (التراث العربي؛ 16)

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. أساس البلاغة. تحقيق محمد باسل عيون السود. 2 ج. بيروت: دار الكتب العلمية، 1998.

الفيروزآبادي، أبو الطاهر محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة؛ إشراف محمد نعيم العرقسوسي. ط 6 فنية ومنقحة ومفهرسة. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1998.

كوستاز، لويس. معجم سرياني عربي. ط 3. بيروت: دار المشرق، 2002.

مجادلة السـائد في اللغة والأدب والفكر: ندوة دولية نظمها قسم اللغة والآداب العربية، 23-24 نوفمبر 1996. أشـرف على تنظيم الندوة وأعد أعمالها للنشـر توفيق بن عامر. 2 ج. تونس: جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسـم اللغة والآداب العربية، 2002. (كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، سلسلة 7؛ 12)

معجم الألفاظ العامية. جمعها وفسّرها وردّها إلى أصولها أنيس فريحة. بيروت: مكتبة لبنان، 1973.

المعجم العربـي التاريخي: وقائع الندوة التي نظمتهـا جمعية المعجمية العربية بتونـس، 14-17 نوفمبـر 1989. تونس: المؤسسـة الوطنيـة للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، 1991.

نصار، حسين. المعجم العربي. بغداد: دار الجاحظ، 1980.

دوريـات

بنور، عبد الرزاق. «التأصيل الشـعبي، صنف حجاجي أهمله المنظرون». عالم الفكر (الكويت): السـنة 40، العـدد 2، تشـرين الأول/ أكتوبر - كانون الثاني/ ديسمبر 2011.

______ . «المضاعفة: من التوليـد المعجمي إلى التأثيـرات التداولية». مجلة المعجمية (تونس) العددان 16-17، 2000-2001.

فاضل، عبد الحق. «علم الترسيس». اللسان العربي (المغرب): العدد 5، 1967.

2 - الأجنبية

Books

Aitchison, Jean. *Language Change: Progress or Decay?*. Cambridge, [England]; New York: Cambridge University Press, 1997. (Cambridge Approaches to Linguistics)

The Assyrian Dictionary, Editorial Board Ignace J. Gelb [et al]. 21 vols. Chicago, Ill: Oriental Institute of the University of Chicago, Glückstad, Germany: J.J. Augustin Verlagsbuch handlung, 1956-2006.

Bannour, A. «Le sacré et le profane dans les littératures de langue française: [Communications présentées au colloque international, Hammamet, 5 -7 Avril 2002]». Textes réunis et présentés par Sonia Zlitni-Fitouri. Tunis: Sud éd.; Pessac: Presses universitaires de Bordeaux, impr. 2006. (Entrelacs)

Beaussier, Marcelin. *Dictionnaire pratique Arabe-Français*. Alger: La Maison des Livres, 1887.

Benveniste, Emile. *Problèmes de linguistique générale*. Paris: Gallimard, 1966.

Brockelmann, Carl. *Grundriß der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen*. 2 vols. Berlin: Reuther and Reichard; New York: Lemcke and Buechner, 1908-1913.

Cassirer, Ernst. *Philosophie der symbolischen Formen* [*Philosophy of symbolic forms*]. 3 vols. Berlin: B. Cassirer, 1923-1929.

Vol. 1: *Die Sprache* [*Language*].

Chantraine, Pierre. *Dictionnaire étymologique de la langue grecque*. Paris: Presses universitaires de France, 1999.

Clark, Matityahu. *Etymological Dictionary of Biblical Hebrew: Based on the Commentaries of Rabbi Samson Raphael Hirsch*. Jerusalem; New York: Feldheim Pub., 1999.

Cohen, David. *Dictionnaire des racines sémitiques: Ou attestées dans les langues sémitiques*. Fichier comparatif de Jean Cantineau. Paris: Peeters, 1970.

Colin, Georges Seraphin. *Le Dictionnaire Colin d'arabe dialectal marocain*. 8 vols. Rabat: Ed. el Manahil; Ministère des affaires culturelles, 1993-1994.

Costaz, Louis. *Dictionnaire syriaque-français = Syriac-English dictionary =* قاموس سرياني-عربي. Beyrouth: Dar el-Machreq, 2002.

Deleuze, Gilles et Félix Guattari. *Capitalisme et schizophrénie.* 2 vols. Paris: Editions de Minuit, 1980. (Critique)

vol. 2: *Mille plateaux*.

Delitzsch, Friedrich. *Assyrisches Handwörterbuch*. Leipzig: J. C. Hinrichssche Buchhandlung; Baltimore: John Hopkins Press, 1896.

Dictionnaire historique de la langue française. Sous la dir. de Alain Rey. 2 vols. 3ème èd. Paris: Dictionnaires Le Robert, 2000.

Dillmann, August. *Ethiopic Grammar*. 2nd ed. London: Williams and Norgate, 1907.

Fischer, A. and United Arab Republic, Academy of Arabic language. *Etymological Historical Arabic Lexicon*. Cairo: General Organisation of Government Printing Offices, 1967.

Gesenius, Wilhelm. *Hebräisches und chaldäisches Handwörterbuch über das Alte Testament*. Leipzig: F. C. W. Vogel, 1834.

Gordon, Cyrus Herzl. *Ugaritic Textbook: Grammar, Texts in Transliteration, Cuneiform Selections, Glossary, Indices*. Revised Ed. Rome: Pontifical Biblical Institute, 1998. (Analecta orientalia; 38)

Harris, Zellig S. *Development of the Canaanite Dialects: An Investigation in Linguistic History*. New Haven, Conn.: American Oriental Society, 1939. (American Oriental Series; v. 16)

———. *A Grammar of the Phoenician Language*. New Haven, Conn.: American Oriental society, 1936. (American Oriental Series; v. 8)

Hebräische Wortforschung. Festschrift zum 80. Geburstag von Walter Baumgartner. Leiden: E. J. Brill, 1967. (Supplements to Vetus Testamentum, v. 16)

Jean, Charles-François et Jacob Hoftijzer. *Dictionnaire des inscriptions sémitiques de l'ouest*. Leiden: E. J. Brill, 1965.

Landberg, Carlo de. *Glossaire datinois*. 3 vols. Leiden: E. J. Brill, 1920-1942.

Leslau, Wolf. *Comparative Dictionary of Ge'ez (Classical Ethiopic): Ge'ez-English, English-Ge'ez, with an Index of the Semitic Roots*. Wiesbaden: O. Harrassowitz, 1991.

———. *Etude descriptive et comparative du gafat, éthiopien méridional*. Paris: Librairie C. Klincksieck, 1956. (Collection linguistique; 57)

———. *Fifty Years of Research: Selection of Articles on Semitic, Ethiopian Semitic, and Cushitic*. Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1988.

———. *Lexique soqotri: Sudarabique modern, avec comparaisons et explications étymologiques*. Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1938.

Lipin, Lev Aleksandrovich. *The Akkadian Language*. Translated from the Russian by D. M. Segal. Moscow: Nauka Publishing House, Central Dept. of Oriental Liberature, 1973. (Languages of Asia and Africa)

Masson, Michel. *Matériaux pour l'étude des parallélismes sémantiques*. [Paris]: Presses de la Sorbonne nouvelle, 1999.

Mélanges de philologie, de littérature et d'histoire anciennes offerts à Alfred Ernout. Paris: C. Klincksieck, 1940.

Moscati, Sabatino (ed.). *An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages: Phonolgy and Morphology.* Wiesbaden: O. Harrassowitz, 1964. (Porta Linguarum Orientalium. Neue Serie, 6)

Periodicals

Bannour, Abderrazak. «La Mort des verbes et son influence sur les changements sémantiques». *Revue de la Lexicologie Arabe* (Tunis): no. 18, 2003.

Benveniste, Emile. «Analyse d'un vocable primaire: Indo-européen *bhâghu- 'bras'». *Bulletin de la Société de Linguistique de Paris*: vol. 52, no. 1, 1955.

Cantineau, J. «Accadien et sudarabique». *Bulletin de la Société de Linguistique de Paris*: vol. 33, 1932.

Nyberg, H. S. «Wortbildung mit Präfixen in den semitischen Sprachen!». *Le Monde Oriental*: no. 14, 1920.

Praetorius, F. «Zur Kausativ Bildung im Semitischen». *Zeitschrift für Semitistik und verwandte Gebiete*: vol. 5, 1927.

Ružička, R. «Ein Fall des Kausativen s-Präfixes im Arabischen». *O.L.Z*: 1923.

الفصل الخامس

المدخَل المُعجمي وتصميم الجذاذة

بسام بركة

سنحاول في هذا البحث أن نقدّم تصورًا لنموذج الجذاذة التي يمكن أن تُعتمد في وضع معجم اللغة العربية التاريخي، انطلاقًا من المفاهيم الأساسية التي تقدمها علوم اللسانيات والمعاجم والمعجميات، ومن خلال دراسة الأهداف التي على الباحثين العاملين في تأسيس هذا المعجم أن يضعوها نصب أعينهم لدى صوغ مواده.

لما كان معجم اللغة العربية التاريخي نتيجةً لقراءة المدوّنة واستخراج مضامينها اللغوية، فإنه من ثم نتيجةٌ لتحليل الاستعمالات التي قام بها المتكلمون العرب في كل عصر من العصور وعبر تداول الأزمنة والعصور. كما أنّ هذا المعجم يتوجه إلى عامة الناس المثقفين، وهو بالتالي ليس محصورًا باختصاصيي علم اللغة، لذلك لا بدّ من أن تُستعمل في صوغ مواده لغةٌ بسيطة وعلمية في الوقت نفسه، لكن غير مُقعَّرة. بكلمة أخرى، يجب الابتعاد عن مصطلحات «ما وراء اللغة» العلمية الخاصة بفئةٍ من الاختصاصيين دون غيرهم.

لكن، في أساس المعجم وفي مصدر تكوينه، لا بدّ من الاستناد إلى المعايير التي تعتمدها اللسانيات الحديثة وعلم المعاجم في وضع المعاجم، وتصنيفها، وصوغ مضامينها.

أولًا: المدخَل المعجمي

1 - معايير تصنيف المعاجم

هناك أنواع كثيرة من المعاجم التاريخية وغير التاريخية، ومن الضروري - قبل تقديم تصوّرٍ معين لهيكلية الجذاذة التي ستُعتمد في معجمنا - أن نحدِّد

طبيعة هذا المعجم والخصائص التـي يتحلّى بها مقارنـةً بالمعاجم الأخرى، اللغوية منها وغير اللغوية.

المعجم كتـاب ذو طبيعة خاصة، يمتـاز بأنه لا يُقرأ مـن أوله إلى آخره، بل يلجأ إليه مسـتعملُه من أجـل الحصول على معلومـات دقيقة يبحث عنها ومعارف محددة يبتغي الاطلاع عليها. لذلك، لا يوجد معجم واحد، بل معاجم متنوّعة تُصنَّف وفقًا لمعايير متعددة ترتبط إما بما يطلبه المسـتعمل، أو بطبيعة المعلومات التي يقدمها. وكي يسـهّل المُعجمُ الحصولَ على المعلومات نراه يتخذ أشـكالًا خاصة في تركيبته الكُبرى كما في تركيبته الصُغرى، وفقًا لطبيعة هذه المعلومات ومصادرها.

أ – تزامني – تعاقبي

تُدْرس الظواهـرُ اللغوية من منظورين مختلفين، حيث يُميز دي سوسـير بين اللسانيات التزامنية (أو الآنية) واللسانيات التعاقبية: **الأولى** تدرس الظواهر المسـتقرة للُّغة في زمنٍ محدَّد حاليّ أو سـابق من دون النظر إلى تطوّرها، أما **الثانية** فتمسّ تطوُّر هذه الظواهر من حقبة زمنية إلى أخرى.

يجب أن نأخذ هذا التمييز في الاعتبـار عند وضع نموذج الجذاذة: **يجب أن يكون المعجم التاريخي في الوقت نفسـه تزامنيًا وتعاقبيًا**؛ إذ تقوم الدراسـة التعاقبية في الواقع على مقارنةٍ بين دراسـاتٍ تزامنيـة لظواهرٍ لغوية متتالية في الزمن. هناك إذًا دراسـة لحالتين مـن الحالات اللغويـة: **أولًا** وصف المفردة في عملهـا الآني في كل مرحلة من مراحل تاريخ اسـتعمالات المفردة العربية في المدوّنة، ثـم **ثانيًا** وصف المفردة بالمقارنة بين هـذه المراحل الواحدة تلو الأخرى. وهذا يتطلـب أن تُعالَج مضامينُ المدوّنة بطريقة تُحدَّد بها لكل مفردة شرائحُ زمنية يفصل بينها تغيُّرُ المعنى أو تغيُّرُ الاستعمال عبر مرور الزمن.

ب – لغوي – موسوعي

هناك تصنيـفٌ آخر للمعاجم يقـوم على معيار المضمـون الذي يعالجه

المعجم. هل يهدف إلى تقديم معرفةٍ بحت لغوية ومحصورة بالكلمة فحسب، أم أنه يعمل على تحديد المعرفة الخاصة بالعالم الخارجي غير اللغوي؟

تعتمد اللسانيات التمييز بين الإشارة (أو العلامة) اللغوية التي تتكون من دال (صوت) ومدلول (معنى) من جهة، والمرجع من جهة أخرى. هذا ويستقي الدال والمدلول قيمتهما من العلاقة في ما بينهما، أو من علاقات كل واحدة منهما على حِدة بالإشارات الأخرى التي يتكوّن منها نظام اللغة. أما في ما يتعلق بالمرجع، فالمرجعية تُعَدّ بمنزلة «حدثٍ قصديّ يهدف إلى وضع علاقة بين الكلمات والعالم. [...] ويمكن تعريف الإحالة المرجعية على أساس أنها حدثٌ يتمثل في التقاط أشياء العالم (حسية أو متصورية) وتمثيلها في الخطاب»[1]. يتناول المعجم اللغوي الجانب الأول إذًا، ويختصّ الموسوعي بالثاني.

في المعجم اللغوي تُفسَّر الكلمة - المادة بكلمةٍ شاملة (ذات دلالة عامّة) يصحبها تعريفٌ يُخصِّص معناها ويحدّ من شموليتها وذلك بتحديد السمات الدلالية التي تميّز هذه الكلمة من سائر الكلمات التي تندرج ضمن الكلمة الشاملة. نأخذ مثالين على ذلك من المعجم الوسيط: «الحِصن: الموضع المنيع»؛ «الحصى: صِغار الحجارة». كلمة «موضع» هنا هي اسم شامل لحِصْن، أما «منيع» فخَصَّصت الموضع بكونه موضعًا يمتاز أساسًا بصعوبة اقتحامه. وبالنسبة إلى المثال الآخر، كلمة «حجارة» اسم شامل لحصاة، في حين أنّ «صغير» تحدِّد الحجارة الصغيرة الحجم فحسب من بين ما يدل عليه هذا الاسم الشامل. إضافة إلى ذلك، يقدِّم المعجم اللغوي معلومات عن استعمال الكلمة من حيث النطق (الصوت) والسياق (النحو) والاشتقاق (الصرف)، إلى ما هنالك من سماتٍ لغوية بحتة. إذًا، المعجم اللغوي يرتبط بالكفاية اللسانية ويقف عند حدود الدال (الصوت) والمدلول (المعنى، الدلالة).

---

(1) فرانك نوفو، قاموس علوم اللغة، ترجمة صالح الماجري؛ مراجعة الطيب البكوش (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2012)، مادة «مرجعية»، ص 414-415.

أما المعجم الموســوعي فلا يلتفت إلى التركيبة اللغويــة للكلمة (دلالة، صوت، نحو، صــرف...)، بل يتوجه إلــى تحديد العناصــر المعرفية المتعلّقة بوجود الشــيء الذي ترجع إليه. إذا أخذنا مثال «الحصن» نفسه لوجدنا أن هذا النوع من المعاجم يقدّم المعلومات الآتية: أنواع الحصون، مواقعها الجغرافية، تطوُّر بنائها، تاريخها، النماذج التــي نعرفها، صورة أو صُور عن بعضها، إلى ما هنالك. يقدِّم المعجم الموســوعي إذًا مجموعةً من المعلومات التي تهدف إلى تطوير المستوى الثقافي عند القارئ. وإذا كان المعجم اللغوي يتوجه إلى تنمية كفايته اللسانية، فالمعجم الموســوعي يعمل على تنمية كفايته المعرفية، كفايته الحضارية إذا صح التعبير، وهو يصل بالتالــي إلى أبعاد الثقافة والمعرفة العامّة والمتخصصة.

انطلاقًا من هــذا التمييز، لا بدّ من أن يُحدَّ معجم اللغــة العربية التاريخي على أنه لغويّ بحت وليس موســوعيًا، إنه يتناول تقديم المعلومات عن الكلمة وهو:

- ليس معجمًا يقدّم المعلومات عن الشيء الذي تدلّ الكلمة عليه،

- ليس معجمًا يقدِّم صورًا أو رُسومات (هذه فكرة من المُمكن أن يناقشها المشــرفون على وضع المعجم، وليس من المســتبعد أن تُعتمد طريقة إضافة الصور والرســوم في الحالات التي يكون فيها ذلك ضروريًــا. إلا أننا نرى أن تلك الطريقة ليســت ضروريةً، بل علينا حتى الإحجام عن اعتمادها في الحالة الراهنة)[2].

- ليس معجمًا للأفكار والمفاهيم والعقائــد التي يكوّنها عن الكلمة عددٌ من مســتعمليها أو عصرٌ من العصور. بالطبع تحمل كلُّ كلمــةٍ أثرَ الفكر الذي ابتدعها أو توجّهات أفراد المجتمع الذين تداولوها ووضعوا فيها رؤيتهم للعالم

(2) من الملاحظ أن المعاجم الكُبرى في العالم الغربي (الإنكليزية أو الفرنسية)، التي تُعَد بحث لغوية، لا تتضمن أيّ صورة أو رسم أو شكل. اللغة فحسب - ووحدها اللغة - تُستعمل من أجل الدلالة على عمل اللغة.

وللوجود، إلا أنّ المعجم لا يهدف إلى تقديم هذا الفكر أو هذه التوجّهات ولا إلى الدعوة إلى اعتمادها أو إلى تجنّبها.

ج - لغة واحدة - لغتان أو أكثر

نميّز من هذا المنظور المعجم أحادي اللغة من المعجم الثنائي أو متعدد اللغات. بالطبع، معجمنا أحادي اللغة. نحن نضع في تصوّرنا - كما سنرى في تصميم الجذاذة - إمكان تقديم بعض المعلومات عن المفردات التي تنتمي إلى لغاتٍ من العائلة الساميّة نفسها أو من اللغات الأجنبية التي لها علاقة بالمفردة والتي ترتبط ارتباطًا جذريًا بالكلمة المدخل (كما في عملية الاقتراض، مثلًا، أو نتائج الاحتكاك اللغوي بين العربية وهذه اللغات).

د - عام - متخصص

نميّز عادةً بين المعجم العام والمعجم المتخصص، في المعاجم اللغوية والمعاجم الموسوعية على حدّ سواء. فالمعجم اللغوي العام، مثل المعجم الوسيط، يقدّم اللغة العامة ولا يختصّ بميدانٍ معيّن أو اختصاص محدَّد. أما المعجم المتخصص (أو الاختصاصي)، فيتناول جانبًا وحيدًا من اللغة، مثل معجم القوافي، أو معجم الأفعال المتعدّية بحرف، أو معجم الكلمات المقترضة... إلخ.

كذلك الأمر بالنسبة إلى المعجم الموسوعي. هنالك الموسوعات العامة التي تتناول المفاهيم والمضامين المعرفية العامة (مثل دائرة المعارف)، والمعاجم المتخصصة التي تتناول المفاهيم المتعلقة بميدان واحد دون غيره (مثل معجم المصطلحات الطبية، أو النفسية، أو الاجتماعية... إلخ).

على المعجم التاريخي الذي نحن بصدده أن يتناول الوجهين معًا: هو عامّ في أساسه لكونه لا يستثني من اللغة أيّ كلمة أو استعمال[3]. وهو خاصّ في

---

(3) «تتحدد وظيفة المعجم اللغوي التاريخي في الإحاطة بالثروة اللفظية للُّغة دون استثناء، والتأريخ لها عبر سياقاتها في مختلف العصور، دون إغفال لا الغريب ولا المعرب ولا المولد ولا =

بعض مواضعه لأنه - إذا اقتضى الأمر - يحـدد الميدان أو الاختصاص الذي تُستعمل فيه الكلمة، وذلك في حال كانت هذه الكلمة مصطلحًا علميًا أو فنيًا أو غير ذلك. الواقع أنّ علوم اللغة تميز بين المفردة والمصطلح: الأولى تنتمي إلى اللغة بطريقة عامة، في حين أن الثاني وحدة تتعلـق بميدانٍ معرفي متخصص، ويكون لها تعريـف متواضَع عليه ضمـن جماعةٍ تقنية أو علميـة محددة. هنا تظهر مسـألة التمييز بين المُعجمين اللغوي والموسـوعي. لمجرد أنْ نتحدث عن المصطلح الـذي ينتمي إلى «ميدان معرفي» نخرج مـن إطار اللغة لندخل في إطار الموسـوعية. تُحَل هذه المسـألة بالاتفاق علـى أن يُعالَج المصطلح الاختصاصـي بوصفه «مفردة» لا بوصفه «مفهومًـا»، أي إنه يُعالَج كما يحصل مع مفردات اللغة (صرف، نحو، دلالة... إلخ) من دون التعرّض إلى التفاصيل الخاصة بالمفهوم بحدّ ذاته.

هـ - وصفي - معياري

يتّخذ دارس اللغة عمومًـا، وواضع المعجم خصوصًا، أحدَ موقفين اثنين: فهو إما أنْ يصف المادة اللغوية وصفًا موضوعيًا لا يتدخل هو فيه ولا يميز فيه بين ما هو جيد الاسـتعمال أو غير جيد، وإما أنْ يتخذ موقف المعلّم والناصح، فيضع معايير محددة لعمل هذه المادة في اللغة ويتوجه إلى مسـتعمل المعجم بنصائح على غرار «قـل ولا تقُل». وإذا كان المعجـم الأول موضوعيًا يحاول واضعُه أن يكون حياديًـا وأن يبعد ذاتيته قدر الإمكان، فإن الثاني يُصدر أحكامًا على الاستعمالات اللغوية، غالبًا من أجل الحفاظ على نقاء اللغة وحمايتها من سوء الاستعمال أو اللحن بسبب الاحتكاك بينها وبين اللغات الأخرى. الحقيقة أنّ اللسانيات الحديثة توصي باتخاذ الموقف الأول؛ إذ إنها تَحد نفسها بكونها دراسةً علمية وصفية لحالات اللغة.

بالطبع لا بـد لمعجمنا مـن أن يكون وصفيًـا بامتيـاز لا معياريًا؛ إذ إن

= الدخيل، لأنّ كل مفردة تدوولت [هكذا] واستخدمت كانت اسـتجابةً لضرورةٍ عبرت عن وجود حاجةٍ إليها فـي غياب ما يعوضها». انظر: عبد الغنـي أبو العزم، المعجم اللغـوي التاريخي: منهجه ومصادره (الرباط: مؤسسة الغني للنشر، 2006)، ص 24.

المطلوب وضع دراسةٍ توضّح طرائق اشتغال اللغة العربية على مرّ العصور، من دون تقويم هذه الطرائق أو تفضيل بعضها على بعض.

و - المحوران النظمي والاستبدالي

إذا اعتمدنا التمييز اللساني بين المحور النظمي والمحور الاستبدالي[4]، والنظرية اللسانية التي تنص على أنّ كل مفردة تستقي قيمتها من العلاقات التي تُقيمها مع المفردات الأخرى (علاقات مفارقة على المحور الأول، وعلاقات تضادّ على المحور الثاني)، فإننا نرى أنّ معالجة الكلمة في معجمنا يجب أن تأخذ في الاعتبار نتيجة عمل هاتين العلاقتين على طبيعة الكلمة. يجب إذًا أن يقدِّم المعجم:

- مجموعة كلمات ترتبط بالكلمة المدخل ضمن تركيبة أو تراكيب نحوية معيّنة ذات التواتر الأكبر إحصائيًا في المدوّنة.

- كلمة أو كلمات أخرى ترتبط في اللغة بالكلمة المدخل: علاقات دلالية (ترادف، طباق...)، علاقات شكلية (جناس...).

- كلمة أو كلمات سابقة زمنيًا وجاءت هذه الكلمة المدخل نتيجة لتطوّرها.

---

(4) «اللغة عبارة عن مجموعة من الإشارات يرتبط بعضُها بالبعض الآخر بواسطة علاقات محدّدة النظام اللغوي. وتتوزّع هذه العلاقات في جميع اللغات على محورين أساسيين اثنين: 1. المحور النظمي، ويحدّد العلاقات بين الإشارات التي تؤلّف جملة معيّنة، وهي علاقات مفارقة. فإشارة «تلميذ»، وإشارة «أستاذ»، مثلًا، ترتبطان في الجملة «يحبّ التلميذُ أستاذه» ضمن علاقات نظمية تميّز كلّ واحدة منهما عن الأخرى في السياق الواحد. وهذه العلاقات ذات طبيعة صوتية ومفرداتية ونحويّة. 2. المحور الاستبدالي، وتنتظم عليه العلاقات بين الإشارة الموجودة في المرسلة اللغوية وبين الإشارات الأخرى التي تنتمي إلى اللغة ذاتها. وهذه العلاقات - وهي علاقات تضاد - تربط في ذهن المتكلّم والسامع الإشارات التي تنتمي إلى مرتبة معيّنة دون غيرها، والتي يمكن أن تحلّ إحداها محلّ الأخرى (في المرسلة اللغوية الواحدة)، وذلك دون أن يطرأ خللٌ على النظام النحويّ. ونأخذ على سبيل المثال الجملة ذاتها: كلمة «يحبّ» ترتبط بعلاقات استبدالية مع «يكره»، «يمقت»، «يعشق»، «يطيع»، إلخ... كما أنّ الياء في الكلمة نفسها ترتبط بعلاقات استبدالية كذلك مع «أ» (أُحب)، ومع «ت» (تحبّ)، ومع «ن» (نحب)». انظر: بسام بركة، علم الأصوات العام: أصوات اللغة العربية (بيروت: مركز الإنماء القومي، 1988).

2 - ترتيب المداخل

إذا نظرنـــا إلى المعاجم التي تحفل بها المكتبـــة العربية، والتي ظهرت في حواضر العالم العربي على مـــدى قرون، لوجدنا أن ترتيب المداخل فيها عرف وجوهًا كثيرة ونُظُمًا مختلفـــة. ومن الممكن أنْ نحصرها فـــي أربعة اتجاهات عامة، على الرغم من الاختلافات التي نشـــهدها فـــي كل اتجاه منها بين معجم وآخر.

باختصار، هناك أولًا اعتماد المادة وفق التقاليـــب (الثنائي باء وراء يعطي صورتين هما «رب» و«بر»، والثلاثي جيم وباء وراء يعطي ســـت كلمات: جبر، برج، رجب، ربج، بجر، جرب. وهكذا بالنســـبة إلى الرباعي، 24 كلمة ممكنة، والخماســـي، 120 كلمة ممكنة). ويكـــون ترتيب المداخل فـــي هذا المنهج إما وفق مخارج الحـــروف (من المخرج الحلقي حتى المخرج الشـــفتاني) أو بحسب ترتيب الألفباء المعروف. وهناك ثانيًا اعتماد الحرف الأخير من الكلمة المجردة، أي بحســـب أواخر الكلمة المجردة، ثم بحسب أوائلها. وثالثًا، هناك منهج اعتماد الحرف الأول من الكلمة المجردة، وهذا منهج ســـاد لفترة طويلة ولا يزال مستعملًا حتى أيامنا هذه. ورابعًا وأخيرًا، هناك منهج الترتيب الألفبائي بحســـب الحرف الأول من المفردة، من دون التمييز بيـــن ما هو أصلي وما هو مزيد[5].

إلا أنّ أغلبيـــة المعاجم العربية تعتمد الترتيـــب الألفبائي للكلمة المجردة (الجـــذر)، لذا نقترح أنْ نعتمد فـــي معجمنا الجذر مدخلًا أساســـيًا وأنْ يكون ترتيب المداخل ألفبائيًا.

أما في ما يتعلق بترتيب المعاني داخل المـــادة الواحدة، فهناك احتمالات عـــدة: نبدأ بالأكثر شـــيوعًا إلى الأقل شـــيوعًا، أو نبدأ بالأقـــدم فالأحدث، أو

(5) لا يفسح لنا المجال هنا أن نتوسع في هذا الإطار، فهذا ليس هدفنا في هذا البحث. لمزيد من التفاصيل، انظر: رياض زكي قاســـم، المعجم العربي: بحوث في المادة والمنهج والتطبيق (بيروت: دار المعرفة، 1987)، ص 111-128.

الأحدث ثم رجوعًا في الزمن إلـى الأقدم، إلى ما هنالك. الطبيعي في المعجم التاريخي أنْ نبدأ بالتأريخ للمفردة منذ بدايـة ظهورها وحتى حالتها الراهنة في القرن الحادي والعشرين.

لكن مسألة ترتيب المواد في المعجم وطرائق توزيعها لا يطرح أي مشكلة نظرًا إلى أن كل مراحل تكوين هذا المعجم (من تأسيس المدوَّنة حتى استعمال مـواده على يد القـارئ العادي أو المتخصِّـص، مرورًا بالتخزيـن، والبحث، والترتيب، والجمع...) ستعتمد جوهريًا على آخر ما توصلت إليه الحاسوبيات من تقنيات وأدوات وتطبيقات رقمية. وإذا كان استعمال المعجم الورقي يكون خطيًا ومسـطحًا، فإنّ المعجم الإلكتروني يتيح البحث في مختلف الاتجاهات وانطلاقًا من أي بند من بنوده أو من أي مادة من مواده.

3 - التحديد الدلالي للمفردة ومعانيها

يقول عبد الغني أبو العزم في معرض دراسـته المعجمَ اللغوي التاريخي: «لا يتعلق الأمر بمُجرّد شَـرح المفردة لُغويًا، لأنّ وظيفة التأريخ لها تستدعي ما هو أعمُّ وأشـمل من الشرح اللغوي، أي معرفة سـياقها في مختلف النصوص الواردة فيها، وذلك للوقوف على طبيعتها الصوتية، وتطورها من خلال وثائقها المختلفة، وكيف تشـكلت، وأخذت دلالتها الحقيقيـة والمعنوية وكل صيغها البلاغية والاصطلاحية»[6]. نُشـير هنا إلى أنّ أبا العزم يعني بكلمة «لغوي» هنا الإطار المعجمي للمفردة، فما يذكره في الشـق الثاني من كلامه والذي يحدّه بأنه أعم وأشـمل مما هو لغوي، هو في الواقع لغوي (صـوت، دلالة، بلاغة، اصطلاح)، إلا أنه يقصـد من كلامه هذا أنّ المعجـم التاريخي لا يقتصر على اللسـان، بل يجب أن يتعداه إلى الكلام (أو الخطاب)، في المعنى الذي يعطيه دي سوسير للتمييز بين اللسان والكلام.

الواقع أنـه عندما نتحدّث عن معنـى كلمة ما، لا بد لنا مـن أن نميّز بين

(6) أبو العزم، ص 25.

«منطقين» مختلفين للُّغة، كما يقول ميشـال لو غوارن[7]، أي - في ما يخصنا - بين ما يمكن تسميته المعنى السياقي والمعنى المعجمي. يقول رياض قاسم في هذا المجال «إن تركيز المعجم على المفـردات ودوالها يؤدي إلى فصل معنى الكلمة عن معنى وجود الكلمـة في الجملة، أو معنى السـياق. وهو أمر يُفقد الكلمة جانبًا مهمًا مـن معناها، وقد يتعذّر علينا فهم معناها فهمًا صحيحًا إذا ما اكتفينا بحدود معناها المعجمي»[8].

الحقيقـة أن معنى الكلمة في اللغـة (أو المعجم) يتكوّن مـن «إمكاناتٍ دلاليـة» تنتظر أنْ يتحقق بعضُها في اسـتعمالٍ محدَّد من شـخصٍ محدَّد وفي ظروف زمانية ومكانية محدَّدة. هذا الاسـتعمال هو الذي يُعيننا في اسـتخراج السـمات الدلالية لكل كلمة. هكذا، تخضع مسـيرة عملنا في تكوين الجذاذة للمراحـل التالية: اسـتخراج معنى أو معانـي الكلمة الواحدة من السـياق أو السياقات التي نراقبها في المدوَّنة، فصل هذا المعنى عن سائر المعاني، تحديد السـمات الدلالية التي يتكوّن منها هذا المعنى، تثبيت السـياق (الجملة) التي تشهد على استعمال هذه الكلمة في هذا المعنى، تحديد الزمن الذي استُعملت فيه المفـردة في هذا المعنى، إذا كان مُغايرًا للمعنى أو المعاني المسـتعملة في أزمنةٍ أخرى، تحديد المكان الذي اسـتُعملت فيه المفـردة في هذا المعنى، إذا كان مُغايرًا للمعنى أو المعاني المستعملة في أماكن أخرى.

أ - تعريف المعنى

أمـا تعريف المعنى فيتخذ طرائـق عدة نذكر من أهمها: التفسـير بكلمة شاملة مع سـمات الاختصاص أو بالمغايرة أو بالمرادف أو بالسياق اللغوي والمثال... إلخ.

---

(7) Michel Le Guern, *Les Deux logiques du langage*, bibliothèque de grammaire et de linguistique; 16 (Paris: H. Champion, 2003).

(8) قاسم، ص 235.

انطلاقًا مما سبق، نجد أنه كي يكون وصف معنى كلمة ما وافيًا، يجب أن نتناول الكلمة في الأطر التالية:

- السياق أو الجملة التي وَرَدت فيها الكلمة، ويجب أن تكون الجملة وافية بحيث يستطيع القارئ أنْ يستنتج معناها منها أو أنْ يتأكد فيها من دلالتها التي تُحدّ في تعريف المعنى.

- المُستعمِل أو الشخص صاحب السياق الذي وَرَدت فيه الكلمة.

- الظرف الزماني، أي العام أو العقد أو العصر الذي استُعملت فيه هذه الكلمة في هذا المعنى وفي هذا السياق.

- الظرف المكاني، أي الموضع الجغرافي الذي استُعملت فيه هذه الكلمة في هذا المعنى وفي هذا السياق. وهذا يكون أساسيًا في بعض الأحيان للتمييز بين الفروقات الجغرافية في معاني الكلمات وطرائق استعمالها[9].

ب - المثال والشاهد

تحدثنا عن ضرورة تقديم التركيبة النحوية (المحور النظمي) التي تظهر فيها المفردة. الواقع أن المثال والشاهد هما من أهم ما يمكن استعماله (إضافة إلى المُتلازمات) من أجل تقديم صورة حية عن المفردة في استعمالاتها الفعلية.

يمكن تحديد الفارق بين الشاهد والمثال في الأمور التالية[10]:

- غرض الشاهد الإثبات وإقامة الحُجّة. أما المثال فغرضه الشرح والإيضاح والتمثيل.

---

(9) انظر في هذا المجال: إبراهيم بن مراد، «الشاهد والفصاحة في القاموس العربي،» في: المثال والشاهد في كتب النحويين والمعجميين العرب: وقائع ندوة جامعة ليون 2، أخرجه ونسقه حسن حمزة وبسام بركة (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 2011)، ص 55 وما بعدها، خصوصًا الفقرة «2- في أثر عاملي المكان والزمان في شواهد القاموس».

(10) انظر: حسن حمزة، «انقلاب الأدوار بين الشاهد والمثال في التراث النحوي واللغوي العربي،» في: المثال والشاهد في كتب النحويين والمعجميين العرب، ص 19-48.

- الشاهد خاص، والمثال عام. بمعنى أنّ كل ما يصلح شاهدًا يصلح مثالًا من دون العكس.

- الشاهد الذي يُستخرج من المدوَّنة ويُثبَت في المعجم كما هو يمكن أن يكون نثرًا أو شعرًا، فصيحًا أو غير فصيح، شفويًا أو كتابيًا. أما المثال فيكون إجمالًا من توليف واضعي المعجم.

هنا، لا بد من لفت الانتباه إلى أنّ المثال ليس من اختراع واضعي المعجم. صحيح أنهم يعتمدون على كفاياتهم اللسانية في تقديم الأمثلة، إلا أنهم يعتمدون على قراءتهم المدوَّنة من أجل استخلاص المثال الأكثر ورودًا فيها والأكثر تمثيلًا للمعنى الذي يُقدَّم له. والواقع أنه إذا كان مطلوبًا من واضعي المعجم بل مفروضًا عليهم أن يتحلّوا بالموضوعية والإيجابية، لكن في العلوم الإنسانية عمومًا، وفي معالجة اللغة خصوصًا، هناك حدود للموضوعية والإيجابية. لذلك، لا بدّ من أن يعمل في هذا المعجم عددٌ كبير من الاختصاصيين ينتمون إلى مختلف أصقاع العالم العربي ويأتون من مصادر علمية متنوعة.

ثانيًا: الجذاذة

1 - مضامينها

تتوزّع المعلومات التي لا بدّ من المعجم أنْ يتضمنها في المستويات التالية:

- **المعلومات الصرفية والاشتقاقية والنحوية:**

في ما يتعلق بـ الاسم:

• **المعلومات الخاصة بطبيعته: متصرّف/ غير متصرف، مجرَّد/ مزيد، مذكر/ مؤنث... إلخ.**

• **المعلومات الإحصائية**: نسبة استعمال هذه المفردة وتواترها في الفترة التي نُؤرّخ لها، مقارنة بمفردات المخزون اللغوي آنذاك (هنا، يمكن توسيع الإحصاء ليشمل تواتر المتلازمات أيضًا).

في ما يتعلق بـ الفعل:

• **المعلومات الخاصة بطبيعته**: تام/ ناقص، متعدٍّ/ لازم، معلوم/ مجهول، مجرَّد/ مزيد.

• **المعلومات الدلالية**: ترتّب المعاني المختلفة (في حال تعدّد المعاني) بحسب ظهورها في المدوَّنة من الأقدم إلى الأحدث.

• **المتلازمات**، أو التراكيب الثنائية أو الثلاثية التي تظهر فيها الكلمة مع كلمة أو كلمتين أخريين في عدد من التواتر كبير جدًا مقارنة بظهورها بصحبة الكلمات الأخرى. إضافة إلى تغيّر الدلالة في حال حصوله (تزامنيًا، تعاقبيًا، جغرافيًا).

• **المعلومات الدلالية**: ترتّب المعاني المختلفة (في حال تعدّد المعاني) بحسب ظهورها في المدوَّنة من الأقدم إلى الأحدث. هنا، لا شك في أنّ العاملين على وضع المعجم سيكتشفون أنّ الدلالات تذهب من المعنى الحسّي إلى المعنى العقلي، ومن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي أو الاصطلاحي، على الرغم من وجود بعض الاستثناءات.

– معلومات عن علاقة المفردة بمفردات اللغة الأخرى: جناس، ترادف، تَضادّ...

– معلومات عن المفردات التي تنتمي إلى العائلة نفسها، أو التي اشتُقّت منها...

– معلومات عن مستوى استعمالات المفردة: أدبي، عام، عامي، مبتذل... إلخ.

• المعلومات الزمنية: هنـــا نذكّر بما قلناه عن ضرورة دراســـة معاني كل مفردة في شرائح زمنية منفصلة. فلا بد من أن تُقدَّم لكل مفردة معلوماتٌ تتعلق بالزمان (سنة، عقد، قرن) الذي ظهرت فيه وبالمعنى الذي يُحدّد لها.

• المعلومات المكانية: تخصّ استعمالات محدّدة للمفردة في مكان معين من العالم العربي أو تقدِّم الفروقات التي يُمكن أنْ تطرأ على استعمال المفردة من منطقةٍ جغرافية إلى أخرى.

• المعلومات السياقية: تقدم المحيط «النظمي» للمفردة، ويمكن أنْ نقسم هذه المعلومات إلى فئات متعددة أهمها: المتلازم والمثال والشاهد.

• المعلومـــات الإحصائية: تتعلق بنســـب تواتر المفـــردة مقارنة بمفردات اللغـــة، وهي يمكن أن تكون عامـــة (مفردة في اللغة) أو خاصة (اســـم من بين الأسماء، شكل من بين الأشكال... إلخ).

2 – الجذاذة: أنواع المعلومات والمستويات الحاسوبية

أ – الجذاذة: طبيعتها ووظيفتها

يقدم المعجم – أيًا كان نوعه – مجموعة معلومات أساسية ترتبط بالعلم أو بالميدان المعرفي الذي يختصّ به. ولما كان يهدف إلى استعمال أفضل طريقةٍ في تقديم هذه المعلومات ومساعدة من يلجأ إليه في الحصول بسهولة على نوع المعرفة التي يبحث عنها، فإنه يقســـم مجمل المعارف الخاصة بالميدان الذي يتناوله إلى وحداتٍ تكون كل وحدة منها – إجمالًا – في شـــكل كلمة واحدة، ويخصّص لكل وحدة أو كلمة منها بطاقة تتخذ شـــكلًا واحدًا وتتكوَّن من بنية متجانسة ومتماثلة في كل المعجم.

هكذا، يتكوَّن المعجم، على أنواعه، من مجموعة جذاذات يتناول كلٌّ منها وحدة معرفية محدَّدة من الميـــدان الذي يختصّ به هذا المعجم. والجذاذة عبارة عن بطاقة تتضمَّن عناوين محددة ســـلفًا يهدف واضعهـــا إلى أن يُقدّم تحت كل عنوان منها معلومات دقيقة ومعينة عن الوحدة المعرفية المعيَّنة في رأس الجذاذة

(وحدة مفهومية، اصطلاحية، لغوية...). بعبارةٍ أخرى، تتخذ الجذاذة شكل بناءٍ يتضمَّن عناوين عدة يمثل كلٌّ عنوان منها بابًا خاصًا من جوانب المعرفة الخاصة بالوحدة التي تمثلها هذه الجذاذة والتي يريـد صاحبها أنْ يحدّد مضامينها. وإذا كان العنوان الواحد يرجع إلى جانبٍ عام وتمثيلي من جوانب المعرفة المطلوبة، ويكون بذلك مشـتركًا بيـن كل الجذاذات التـي يتكوّن منها المعجـم، إلا أنّ المعلومات المقدمة ضمنه تكون بالضرورة دقيقة ومحددة وخاصة بالوحدة التي تعيَّن في رأس كلّ جذاذة. وينحصر بالتالي عمل واضع المعجم بأمرين يتعلّقان بالتمييز المعروف بين البنيـة الكُبرى والبنية الصغـرى لأيّ معجم كان، وهما: الترتيب العام للمعجم، وهو يتناول الجذاذات والمواد التي تتصدَّر كل مادة منها رأس كل جذاذة، وترتيب الأبواب أو العناوين الفرعية داخل كل جذاذة.

لا يوجد نـوعٌ واحد من الجـذاذات، ولا تركيبة واحـدة تتألف منها كل الجذاذات. فالجذاذة تختلف في هيكليتها كما فـي أهدافها باختلاف اللغات، وطبيعة المعجم (لغوي أو موسوعي)، والمعارف التي يقدمها، والأهداف التي وُضع من أجلها.

تختص الجـذاذة التي نحـن بصددها بمعجـم اللغة العربيـة التاريخي، وعلى واضع المعجـم أن يتبنى، في بناء عمله، البنية التـي نقدم نموذجًا عنها. أما القارئ أو مسـتعمل المعجم فلا يكون بالضرورة على اطلاع بكل تفاصيل الجذاذة وتركيبتها، فهو يمكن أن يحدّد مبتغاه من مراجعة المعجم وينتقي منها العناوين التي تهمّه معرفة مضامينها، وهـو يطلع بالتالي على الجزء الذي يهمه من المعلومات التي تقدمها لا عليها كلها.

من ناحية أخرى، تقع أبواب الجذاذة في مسـتويات: هناك المسـتويات الأساسـية التي لا بدّ منها والتي تظهر في الصفحة الأولى من الجذاذة (مثلًا، في ما يتعلق بالمعجم اللغوي التاريخي، المدخل، أو العنوان الأول، أو المعنى الأساس، أو الأصل...)، وهناك المستويات الفرعية التي ليس ضروريًا جدًا أنْ تظهر علـى الفور في الصفحة الأولى (مثل المثال أو الشـاهد أو المترادف أو المرجع...).

هنا لا بد من التذكير بأنّ استعمال التقنيات الحاسوبية والرقمية يساعد في تقديم المعلومة الأساسية فحسب، أو الأساسية والفرعية معًا، أي إن التقنيات الحاسوبية تتيح ما لا تتيحه المعاجم الورقية، وهو تقديم المعلومات في شكل روابط يؤدّي كلٌ منها إلى الأخرى وتتبادل في ما بينها المعلومات في شكل مقارن أو متسلسل.

على مستوى البنية الكبرى للمعجم اللغوي التاريخي، وفي ما يتعلق بترتيب الجذاذات التي يتكوّن منها في عملية تكوين الجذاذات كما أسلفنا، يكون هذا الترتيب ألفبائيًا جذريًا. لكنّ المستعمل يستطيع استشارة جذاذات المعجم في الترتيب الذي يشاء، انطلاقًا من أيّ باب من أبواب الجذاذة، ما دامت التقنيات الحاسوبية الحديثة تتيح ذلك.

ب - معلومات عن الجذاذة بحدّ ذاتها

كي يسير العمل في وضع المعجم في إطارٍ صحيح وواضح، ومن أجل أن يستطيع القيّمون على وضعه متابعة تطوّر وضعه والاطلاع على سيرورة العمل فيه، هناك معلومات يجب أن تُثبت في كل جذاذة، وهي لا تتعلق بالمادة الأساس بل بما هو ما وراء الجذاذة، أي معلومات عن الجذاذة بحدّ ذاتها وعن ظروف وضعها وظروف ملء العناوين التي تتضمنها. يمكن أن تتوَزَّع هذه المعلومات كما يلي[11]:

رقم الجذاذة	اسم واضع الجذاذة	تاريخ وضعها	تاريخ تعديلها	المكان الذي وُضعت فيه (في حال كانت الفرق التي تعمل على وضع المعجم موزّعة في بلدان عربية عدّة) - أو الفريق الذي ينتمي إليه واضع المعجم.	المصدر أو المصادر التي استُعملت فيها	... إلخ

(11) يمكن أن تُجمع هذه المعلومات كلها في خانة واحدة يُرمز فيها إلى كل معلومة برقم معيّن أو بحرف مُحدَّد سلفًا.

ج - المدخل

المدخل هو رأس الجذاذة وعنوانها الأساس، وهو عبارة عن جذر الكلمة أو بالأحرى جذر الكلمات التي تنتمي إلى عائلة مفرداتية واحدة وتتفرّع كلها منه. ولا يكون المدخل كلمة موجودة في المدوَّنة، بل سلسلة من صوامت عدة تكوّن البنية الأساس والمجردة التي تتشكّل الكلماتُ انطلاقًا منها. ولا بدّ من تقديم عدد من المعلومات الأساسية عن هذا الجذر، ويمكن توزيعها وفق النموذج التالي:

المدخل	الجذر المجرد	تعريف المعنى المطلق (مقاييس اللغة)، المعنى بحسب المورفولوجيا،...	الأصل (في حال وجوده) [في لغات سامية، لغات أجنبية]
المثال 1	و ق ع	«يدلُّ على سُقوط شيء» (مقاييس اللغة)	
المثال 2	ت ل ف ن		«تل» (Tel) عن بُعد + «فون» (Phone) صوت [اتصال بالصوت عن بُعد]

د - المستويات المعجمية

انطلاقًا من الجذر، تنظَّم الجذاذة بطريقة يُحدَّد فيها عملُ كل مفردة، فتُقدَّم معلومات تقع في مستويين:

(1) المستوى السياقي: تُقدَّم فيه العلاقة بين المفردة ونظام اللغة، تزامنيًا وتعاقبيًا.

(2) المستوى اللغوي البحت: أي المفردة لذاتها، وتُقدَّم فيه معلومات صرفية ونحوية ودلالية عنها.

ترتَّب المفرداتُ داخل الجذاذة (المفردات المشتقة من الجذر المدخل) بالترتيب الزمني، من الأقدم إلى الأحدث. مثال: انطلاقًا من الجذر «ت ل ف ز» نبدأ بالمفردة «تلفزيون»، لا «تلفَزَ» أو «متلفز» أو «تلفاز»، لأنها الأولى في الاستعمال من بين تلك الكلمات. إلا أن هذا الترتيب الزمني ليس ضروريًا بضرورة الترتيب الزمني لمعاني كل كلمة؛ إذ يُمكن توزيع هذه المفردات وفق صيغها الاشتقاقية.

من الممكن أن يُتبع في تقديم هذه المعلومات النموذج التالي:

المفردة الرقم 1

(1) المستوى السياقي

المفردة (الجذع)	تاريخ أول ظهور لها (بحسب المدوَّنة)	مكان ظهور الكلمة أول مرة	الصيغة التي ظهرت فيها أول مرة	إحصاءات - في الحقبة التي ظهرت فيها 1. داخل ميدان علمي محدد 2. في اللغة بشكل عام	كلمة مشابهة في لغات سامية أخرى (ومعناها في هذه اللغة)، أو في لغة أجنبية إذا كانت الكلمة مقترضة (ومعناها في هذه اللغة)	المعنى عند ظهور الكلمة أول مرة	المثال	الشاهد (السياق: جملة مفيدة ومفهومة)، مع ذكر المرجع وصاحبه
مثال: تلفزيون	القرن العشرون (يُـحدَّد العام إذا أمكن)		تلفزيون (أو ربما تلفزيونات، تليفزيون... إلخ بحسب ما يُعثر عليه في المدوَّنة)		Télévision (fr)	جهاز كهربائي ينقل الصورة والصوت	شاهدَ التلفزيون	

(2) المستوى اللغوي الذاتي

هنا، تُقدَّم معلومات عــن المفردة في مضامينها اللغوية الخاصة بها، فيُقدَّم نوعان من المعلومــات: المفردة في اللغــة، أي في بنيتها الصرفيــة وطبيعتها النحوية، وعلاقاتها بالمفردات الأخرى القريبة منها، صوتيًا أو دلاليًا. والمعنى أو المعاني التي تكتسيها هذه المفردة عند استعمالها في الخطاب الفعلي.

(أ) المفردة في اللغة

المفردة (الجذع)	معلومات صرفية واشتقاقية ونحوية (اسم، فعل... صيغة...)	المرادف	المُضاد	ملاحظات أخرى
مثال: تلفزيون	مقترض	تلفاز، مِرنان، رائي		

(ب) المفردة في الخطاب

المعنى الرقم 1	العام، العقد، القرن (زمن ظهورها أول مرة)	تعريف المعنى	المتلازم (الكلمة أو الكلمات المرافقة الأكثر ورودًا)	المثال	الشاهد	ملاحظات أخرى
مثال: تلفزيون	القرن العشرون (العام----)	جهاز كهربائي ينقل الصورة والصوت	شاهدَ التلفزيون			
المعنى الرقم 2	العام، العقد، القرن (زمن ظهورها أول مرة)	تعريف المعنى	المتلازم (الكلمة أو الكلمات المرافقة الأكثر ورودًا)	المثال	الشاهد	ملاحظات أخرى

المفردة الرقم 2

هنا تأتي المعلومات عــن المفردة الرقم 2، وهي تُرتَّــب وتوزَّع كما هي الحال في المفردة الرقم 1. وكذلــك الأمر في ما يتعلق بالمفردتين الرقمين 3، و4... إلخ.

يمكننا أن نختصر توزيع العمل في كل مفردة على الشكل التالي:



أخيرًا، لا بد من التذكير بأن هناك عملًا يسبق تنفيذ الجذاذات التي يتكوّن منها المعجم وتغذيتها بالمعلومات الخاصة بكل جذاذة، وهو يقع في اتجاهين اثنين: **أولًا**، من الضروري أنْ يعمل اختصاصيو الحاسوبيات والترجمة على وضع نموذجٍ حاسوبي يتألف من مستويات متعددة على الصورة التي قدمناها، مع محرّك يتيح البحث في كل هذه الجذاذات وعن أي عنصر من عناصرها المكونة. **وثانيًا**، يجب العمل على المدوَّنة وتحليلها لغويًا وحاسوبيًا بحيث يستطيع العاملون على المعجم استعمالها استعمالًا حاسوبيًا مُجديًا.

المراجع

1 – العربية

ابن مراد، إبراهيم. **مسائل في المعجم**. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997.

______. **مقدمة لنظرية المعجم**. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997.

أبو العزم، عبد الغني. **المعجم اللغوي التاريخي: منهجه ومصادره**. الرباط: مؤسسة الغني للنشر، 2006.

أنيس، إبراهيم. **دلالة الألفاظ**. ط 2. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1963.

بركة، بسـام. **علم الأصوات العام: أصوات اللغة العربية**. بيروت: مركز الإنماء القومي، 1988.

ــــــ. **معجم اللسانية: فرنسي - عربي، مع مسـرد ألفبائي بالألفاظ العربية =** ***Dictionnaire de linguistique: Francais-arabe, avec un index alphabetique des termes arabes***. طرابلس، لبنان: جروس برس، 1985.

ــــــ. [وآخرون]. **قاموس لاروس المحيط: فرنسي-عربي**. بيروت: أكاديميا، بيروت، 2007.

الحمـزاوي، محمد رشـاد. **المعجم العربي: إشـكالات ومقاربـات**. تونس: المؤسسـة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، 1991. (بحوث ودراسات. لغة)

ــــــ. **من قضايـا المعجم العربـي: قديمًـا وحديثًا**. بيـروت: دار الغرب الإسلامي، 1986.

ــــــ. **النظريات المعجمية العربية وسـبلها إلى اسـتيعاب الخطاب العربي**. تونس: مؤسسات ابن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، [د. ت.].

حمزة، حسـن، بسـام بركة وإبراهيم بن مـراد (محررون). **المعنـى الحقيقي والمعنى المجازي في القاموس الثنائي الفرنسي-العربي= *Le Sens propre et le sens figuré dans le dictionnaire bilingue français-arabe***. طرابلس، لبنان: دار المنى، 2007.

العلايلـي، عبد الله. **المرجع: معجم وسـيط علمي، لغـوي، فني، مرتب وفق المفرد بحسب لفظه**. بيروت: دار المعجم العربي، 1963.

عمر، أحمد مختار. **صناعة المعاجم الحديثة**. القاهرة: عالم الكتب، 1998.

قاسـم، رياض زكي. **المعجم العربـي: بحوث في المادة والمنهـج والتطبيق**. بيروت: دار المعرفة، 1987.

القاسـمي، علي. **علم اللغة وصناعة المعجم**. الرياض: جامعة الملك سـعود، 1975.

ـــــــ . المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق. بيروت: مكتبة لبنان ناشـــرون، 2003.

المثال والشاهد في كتب النحويين والمعجميين العرب: وقائع ندوة جامعة ليون 2. أخرجه ونسقه حسن حمزة وبســام بركة. بيروت: دار ومكتبة الهلال، 2011.

ميقاتي، محمد باســم، محمد زهــري معصراني وعبد الله أحمد الدندشــي. القطوف من لغة القرآن: معجم ألفاظ وتراكيــب لغوية من القرآن الكريم. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2007.

نوفــو، فرانك. قاموس علوم اللغــة. ترجمة صالح الماجــري؛ مراجعة الطيب البكوش. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2012.

2 - الأجنبية

Books

Baumgartner, Emmanuèle et Philippe Ménard. *Dictionnaire étymologique et historique de la langue française*. Paris: Librairie générale française, 1996. (La Pochothèque. Encyclopédies d'aujourd'hui)

Dictionnaire historique de la langue française. Sous la direction d'Alain Rey. Nouvelle éd. augmentée par Alain Rey. 3 vols. Paris: Le Robert, 2012.

Le Guern, Michel. *Les Deux logiques du langage*. Paris: H. Champion, 2003. (Bibliothèque de grammaire et de linguistique; 16)

Pruvost, Jean. *Dictionnaires et nouvelles technologies*. Paris: Presses universitaires de France, 2000. (Ecritures électroniques)

Ricoeur, Paul. *Sur la traduction*. Paris: Bayard, 2003.

Walter, Henriette et Bassam Baraké. *Arabesques: L'Aventure de la langue arabe en Occident*. Paris: R. Laffont; Ed. du Temps, 2006.

Periodical

Robert Martin, «Le Trésor de la langue française et la méthode lexicographique». *Langue française*: no. 2, 1969.

الفصل السادس

مدوَّنة المعجم التاريخي للُّغة العربية

حسن حمزة

أولًا: المدوَّنة والمعجم

جاء فــي تصدير الطبعة الأولى من المعجم الوسـيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة في عام 1960: «ويوم أن أنشــئ «مجمع اللغة العربية»، نُصَّ في مرسوم إنشائه عام 1932 على أنَّ من أهم أغراضه:

(أ) «أن يحافظ على ســلامة اللغــة، وأن يجعلها وافيــةً بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر.

(ب) أن يقوم بوضع معجم تاريخي للُّغة العربية» (ص 9).

غير أن هذا المعجــم التاريخي لم يبصر النور بعد ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن. وكان رينهارت دوزي (Reinhart Dozy) فــي مقدمة **المعجم المفصل في أســماء الملابس عند العرب** - الصادر منذ أكثرَ من قــرن ونصف قرنٍ في عام 1845 - قد أشار إلى «أن الزمن الذي يمكننا فيه وضْعُ مثلِ هذا المعجم لا يزال بعيــدًا». لذلك نصحَ، في انتظــار أن يحينَ هذا الزمن، باعتمــاد ثلاث طرائق: **أولاها** «كتابة حواشٍ معجمية» ومســارد لغوية تكون «مُســتَدْرَكًا على المعجم [العربي]»، «**وثانيتها** هي جمعُ ألفاظِ مجالٍ بعينه»، «**وثالثُها** هي الاقتصار على تدوين لغة عصرٍ بعينه، أو مصرٍ بعينه»[1].

بيد أنــه يؤمَل في أن يكون هــذا الزمن الذي تحدث عنــه دوزي قد حان حقًا، وأن يكــون العمل الحالي بداية إنجاز هذا المشــروع الذي لم يعد ممكنًا الاستغناء عنه.

---

(1) إبراهيم بن مراد، «منزلة مُســتدْرَك دوزي من المعجمية العربية،» فــي: في المعجمية العربية المعاصرة: وقائع ندوة مئوية أحمد فارس الشــدياق وبطرس البســتاني ورنحرت دوزي، تونس في 15، 16، 17 أفريل 1986 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987)، ص 271-272.

لا بد للمعجم مــن مدوَّنة. ولئن كان إعــداد المدوَّنة أمــرًا ملحًّا في كل معجم، فإنه أكثرُ إلحاحًا في وضْع المعجم التاريخي للُّغة العربية التي تفتقر إلى مدوَّنة حديثة يمكن الركون إليهــا. وازدادت أهمية المدوَّنة في الأعوام الأخيرة بعد أن كانت اللسانيات البنيوية والتوليدية قد أهملتها إلى حد كبير، كما أهملت المعجم؛ ذلك أن المعجم كان في اللســانيات عمومًا ذيــلًا للنحو، وقائمة من الشــواذ[2]، وكان الاعتماد عليه عندهم يعني تفضيل النصوص الظرفية العابرة على النحو الذي يهتم بوصف كفاءة المتحدث النموذجي. غير أن أواخر القرن الماضي شــهدت عودة قوية إلى الاهتمام بالمدوَّنة، ولا ســيما في ظل التطور الســريع الذي شهده الحاســوب، وقدرته على جمع أعداد هائلة من النصوص وعلى تنظيمها ومعالجتها واستخلاص النتائج منها.

لكن علينا أن نوضح منذ البداية أنَّ المدوَّنة ليســت واحدة في كل معجم، بل تختلف باختلاف طبيعة المعجم، والأغراض المتوخاة منه، والجمهور الذي يتوجه إليه؛ فللمعجم المدرســي الموجَّه إلى تلامذة المرحلة الابتدائية - على سبيل المثال - مدوَّنة ليســت مدوَّنة المعجم المخصص لغيرهم من التلامذة، ولا مدوَّنة المعجم الموجه إلى المثقفين. وليســت مدوَّنةُ المعجم المتخصص مدوَّنةَ المعجم العام نفسها. وليست مدوَّنة المعجم اللغوي شبيهة تمامًا بمدوَّنة المعجم الموسوعي. وليست مدوَّنة المعجم المعياري مطابقةً لمدوَّنة المعجم الوصفي، وهلم جرًا.

لا بد إذًا من أن تكون للمعجم التاريخي المزمع إعدادُه مدوَّنة تغاير قليلًا أو كثيرًا مدوَّنة غيره من المعاجم. غير أننا لا نُعنى في هذه الدراســة بتبيُّن أوجه الخلاف بين المدوّنات، بل برســم الخطوط العامة في إعــداد مدوَّنة المعجم التاريخي للُّغة العربية، وهي الخطوط المتعلقة بالمســائل النظرية التي نرى أنَّ من الملائم اتباعَها في تأســيس مدوَّنة هذا المعجم. وقــد يحتاجُ عددٌ من هذه المسائل أو الأصول إلى نقاش قبل أن يُحسَــم الأمرُ فيه، لأنه يفتح الباب على

(2) إبراهيم بن مراد، مقدمة لنظرية المعجم (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997)، ص 11.

خيارات متعددة. وســوف نتناول تباعًا بعضَ هذه الأصول متوقفين في البداية أمــام الأصول المتعلقــة بالمدوَّنة عمومًــا، أيِّ مدوَّنة، ســواءٌ أكانت للمعجم التاريخي أم لغيره، وسواءٌ أكانت للمعجم عمومًا أم لغيره من الكتب والأبحاث في مختلف فنون المعرفة، ثم ننتقل إلى الأصول المتعلقة بمدوَّنة ما يقال عنه إنه «المعجم التاريخي لِلُّغة العربية» على وجه الخصوص لمعرفة ما يراد بـ «مدوَّنة المعجم التاريخي للُّغة العربية»؛ إذ لا بد فــي معالجة موضوع هذا البحث من الوقوف عند تحديد دقيق لكل واحد من ألفاظ هــذا العنوان قبل الوصول إلى رسم حدود المدوَّنة.

ثانيًا: الأصول العامة للمدوَّنة

لا بد من أن يتوافر في مدوَّنة المعجــم، تاريخيًا كان أم غير تاريخي، عددٌ من الشــروط التي نعتبرها أصولًا عامة في المدوَّنــة إذا كان يراد لها أن تعطي النتائج المرجوة منها.

1 - أصالة المدوَّنة

من أهم أصول المدوَّنة أصالتها. ونعني بالأصالة أن يكون النص الذي في المدوَّنة نصًا لم يُنشــأ ليكون جزءًا منها، بل أنشــئ للتواصل بين أبناء الجماعة اللغوية، كما تكون عليه الحال في رواية، أو مقالة، أو إعلان، أو بحث، أو خبر، أو عقد، أو وصية، أو في غير هذا من المجالات المختلفة. أما ما وُضِع لخدمة المدوَّنة فلا يكــون منها. مثال هذا أنك إن وضعتَ قائمــة بعدد من الألفاظ أو الجمل لتعرضها على أبناء اللغة العربيــة، أو على علمائها لتعرفَ ما يُقبل منها، وما لا يُقبل، وما يتردد الناس في قبوله، فشــأنه أن يُستبعَد من المدوَّنة لأنه يقيم استنتاجاته على مدوَّنة وُضعت للوصول إلى هذا الاستنتاج.

لئن كان مبدأ أصالــة المدوَّنة أمرًا ثابتًا لا يقبل الجــدل، فإننا نود في هذا الباب أنْ نثير نقاشًا في مسألتين اثنتين قد تكونان على صلة بمسألة الأصالة:

المســألة الأولى في موقع النص المترجم من المدوَّنــة: أهو جزءٌ منها أم يجب أن يظل خارج حدودها؟

نحن نميل إلـى الاعتقاد - بعد النظر في كثير ممـا تُرجم في أيامنا - بأن النصوص المترجمـة ينبغي ألّا تُعتمد في مصادر المدوَّنـة من دون قيود، وألا يؤخذ بجميع ما جاء فيها؛ إذ غالبًا ما يتأثر النص المترجم في أيامنا قليلًا أو كثيرًا بلغة المصدر. وقد يبتدع في العربية ما ليس له مسـوِّغ إما جهلًا بأصول اللغة، وإما رغبـةً في التميُّز والابتكار. ولهذا فإن كثيرًا ممـا يُبتدَع في هذه الترجمات يولد ميتًا، فلا تجد له صـدىً في ما تلاه، ولا يدخل العربية في حقيقة أمره. أما ما كتبت له الحياة حقًا فلا بد له من أن يظهر في غير المترجَم من النصوص.

قد يُعترَض علينـا هنا بما في التاريـخ العربي القديم مـن ترجمات عن الإغريقية والسريانية والفارسية أغْنت العربية بكثير من ألفاظ الحضارة والعلوم فصارت جـزءًا منها. وهـذا اعتراضٌ وجيهٌ له مـا يبرره. إلا أننـا نعتقد أنه لا يؤخذ بهذه الألفاظ من ترجماتها - وبعض هذه الترجمات كان سـقيمًا فاحتاج إلى إصـلاح - بل يُؤخَذ بما أُخِذ منها لأن أهل العربية اسـتعملوه في كتاباتهم ومخاطَباتهم، فصار لزامًا على المدوَّنة أن تأخذه في حسابها. ولو لم يكن الأمرُ على هذه الصورة، وبقيت هذه الألفاظ حبيسةَ الكتاب المترجَم، لَما كان لها أن تُؤخذ في الاعتبار، وتُسجَّلَ في مفردات العربية.

بناء عليه، نرى أن من الملائم أن يؤخذ فـي مدوَّنة المعجم التاريخي بما أُنشـئ بالعربية من أول أمره، وألا يؤخذ من النص المترجـم إلا بما كُتبت له الحياة من ألفاظه للاعتماد عليه في تحقيق ولادة اللفظ، أو في تغيُّر دلالته.

أما المسـألة الثانية فموقع المعجم العربي القديم والحديث من المدوَّنة. أيُعَد جزءًا منها فتُنسَخُ مداخله، أم يُترك خارج أسوارها؟

نحن نعتقـد أن المعجم العربـي، أكان قديمًا أم حديثًـا، ليس جزءًا من المدوَّنة بالمعنى الحقيقي لكلمة المدوَّنة، فشـأنه إذًا أن يُسـتَبعد منها، لأنه إن كان المعجم سجِلًا للمفردات التي يسـتعملها أصحاب اللغة فسوف تجد هذه المفردات طريقها إلـى المدوَّنة من خلال النصوص التي تعتمد المدوَّنة عليها؛ ذلك أنه يُفتـرَض أن المعجم الذي سـجَّلها في مداخله قـد اعتمد على هذه

النصوص في تســجيلها، وفي شــرحها. فإن لم يكن الأمرُ على هذه الصورة، أي إن لم تكن المداخل مســتخرَجةً من مدوَّنة حقيقيــة، وكان صانع المعجم هو مَن ابتدعها، فليس للمدوَّنة أن تهتم بها وتقوم بتســجيلها. ونحن نثير هذه القضية لأن كثيــرًا مما في المعجم العربي في أيامنا - ولا ســيما المتخصص منه - إنما هو مما يبتدعــه المعجمي أو يختاره ويســجله اعتمادًا على ذائقته اللغوية في قبول ما يُقبل ورفْضِ ما يُرفَض؛ فالشــائع في المعجم العربي، ولا ســيما المتخصص منه، أن واضعي المعاجم لا يسجلون عمومًا ما هو موجود قائم بالفعل في الاســتعمال، بل مــا يرَون أنه الأصوب والأقــدر على تمثيل المفهوم؛ فواضع المعجم في العربية ناقل ومنشئٌ في الوقت نفسه. وقد يكون منشئًا لا ناقلًا، فلا يقوم بوصف الواقع اللغوي مسجِّلا ما فيه، بل يفرض على هذا الواقــع ما يظن أنه الصــواب، فيبتدعُ مصطلحًا جديــدًا، أو يحمِّلُ اللفظ القديم مدلولًا جديدًا لأنه يعتبر هذا الابتداع أدقَّ دلالة، وأشــدَّ إيحاءً(3). فإن اســتثنينا عددًا قليلًا جدًا مــن المعاجم العربية من مثــل **معجم المصطلحات اللغوية** لرمزي بعلبكي(4) الذي يســجل ما هو متداوَل فيتبناه، أو يقترح غيره، فإن أصحاب المعاجــم العرب لا يميزون في مداخلهم ما هو متداول معروف مما هو من وضْعِهم، فيذهب الوهمُ إلى أن ما يســجله المعجم هو المصطلح الشائع المتداول، وقد يكون مما لم يستعمله أحدٌ قط.

بيد أنَّ هــذا الموقف المبدئي الــذي لا يعتبر المعاجــم العربية جزءًا من مدوَّنة المعجم التاريخي للُّغة العربية بالمعنــى الدقيق للكلمة يحتاج إلى مزيد من الإيضــاح والتفصيل حتى لا يســاء فهمُه؛ إذ قد يردُ في هــذه المعاجم من المداخل والشــواهد والمعاني ما ليس له نظير في مدوَّنة المعجم التاريخي، إما

---

(3) Hassan Hamzé, «La Terminologie dans le dictionnaire général arabe: Le Bilingue, un tremplin pour le monolingue,» dans: François Maniez et Pascaline Dury, dirs., *Lexicographie et terminologie: Histoire de mots, hommage à Henri Béjoint* (Lyon: Centre de recherche en terminologie et traduction, 2008), p. 188.

(4) رمزي منير بعلبكي، معجم المصطلحــات اللغوية: إنكليزي - عربي، مع 16 مســردًا عربيًا *Dictionary of Linguistic Terms: English-Arabic, with Sixteen Arabic Glossaries =* (بيــروت: دار العلم للملايين، 1990).

لِنَقص في جمع المادة، أو لضياعِ شيء منها، فيُعادُ إلى المعاجم السابقة لتدارك هذا النقص. غير أنَّ علـى المعجم التاريخي أن يتوخـى الحيطة والحذر، فلا يأخذ بالمعاجم السابقة من دون تدبُّر؛ فليست المعاجم العربية في مرتبة واحدة عند إنعام النظر فيها، ولا بد من التمييز بين مدوَّناتها ومداخلها وشـواهدها في تأسيس مدوَّنة تبتغي التأريخ للُّغة العربية:

لا إشـكال في الأخذ بـ الشـواهد المنسـوبة إلى أصحابها، لأنها تؤرِّخ للألفاظ ومعانيها، وقد تسد نقصًا في مدوَّنة المعجم التاريخي، أو تعزز ما جاء فيها.

أما المداخل ومعانيها فلها شـأن آخر، لأنها لا تسمح بالتأريخ للّفظ على وجه اليقين؛ إذ لا يمكـن القول إن مداخل المعجم العربـي تنتمي إلى العصر الذي وُضِعَ المعجم فيه وإن لم يكن للّفظ وجودٌ في المعاجم السـابقة؛ فوجودُ لفظٍ في لسان العرب على سبيل المثال، لا وجودَ له في معاجم سابقيه لا يمكن أنْ يُؤخَـذَ دليلًا على انتماء هـذا اللفظ إلى عصر ابن منظور فـي القرن الثامن للهجرة. ولا بد من البحـث والتحري عن اللفظ قبل نسـبته إلى عصر معيَّن. والأمرُ على هذا في المعاجـم العربية الحديثة والمعاصرة؛ فليس وجودُ مدخلٍ جديد فيها، أو معنـى جديد للفظٍ قديم دليلًا على انتمـاء هذا المدخل أو ذاك المعنى إلى العصـر الحديث؛ فقد يكون عمرُ هذا اللفـظ أو ذاك المعنى الذي ظهر أول مرة في المعجم الحديـث ألفَ عامٍ أو يزيد، لكـن المعاجم العربية المتعاقبة لم تأخذ به لأنـه جاء بعد عصر الروَاية. وقد تجـد في هذه المعاجم الحديثة مداخل أو معاني ماتت منذ زمان طويل، فلا يصلُحُ أن تُؤخذ دليلًا على الحداثة والمعاصَرة. بهذا تختلف المعاجم اختلافًا جوهريًا عن مصادر المدوَّنة الأخرى، ولهذا كان في الاعتماد عليها في التأريخ للألفاظ ومعانيها شـيءٌ من الخطورة يسـتدعي كثيرًا من الحذر خشـيةَ الوقوع في المزالق. مثال هذا لفظُ «الجبر» بمعنى العلم المعروف في الرياضيات؛ إذ لا يرد هذا اللفظُ بهذا المعنى الاصطلاحي في كتاب العين، ولا في مجمل اللغة لابن فارس، ولا في لسـان العرب لابن منظـور، ولا في القاموس المحيط للفيروزآبـادي. إلا أنه جاء في

تاج العروس للزبيدي – وهو من المتأخرين؛ إذ إن مؤلفه مات في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة – قوله: «والجبر في الحساب: إلحاق شيءٍ به إصلاحًا لما يريد إصلاحه». ثم ذكَره المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بهذا المعنى، فقال: «علم الجبر: فرعٌ من فروع الرياضة يقوم على إحلال الرموز محل الأعداد المجهولة أو المعدومة. (مج)». ويعني هذا الرمز الأخير (مج) أن هذا اللفظ مجمعي، أي هو لفظ «أقرَّه مجمع اللغة العربية». إن ورود لفظ «الجبر» بهذا المعنى الاصطلاحي في تاج العروس والمعجم الوسيط دون غيرهما من معاجم المتقدمين، وقول المعجم الأخير عنه إنه «مجمعي» لا ينفع بالطبع في التأريخ للَّفظ، بل قد يغري بالاعتقاد أنه من المصطلحات الحديثة العهد. على أنَّ مصطلح «الجبر» لا هو حديث العهد، ولا هو مجمعي لأن المعنى الاصطلاحي لهذا اللفظ قديم جدًا في العربية، وإنْ كانت المعاجم العربية لم تذكره طوال أكثر من عشرة قرون؛ فقد ورد في عنوان كتاب عالِم الرياضيات الشهير محمد بن موسى الخوارزمي المتوفى في حدود عام 234 للهجرة[5]: كتاب الجبر والمقابلة[6].

المدوَّنة الحقيقية هي التي تسمح بالتأريخ للألفاظ ومعانيها. أما مداخل المعاجم ومعانيها فليست من هذا القبيل، ولا تصلُح أن تُعامَلَ معاملةَ المدوَّنة الحقيقية على غرار الشواهد، لأن هذه معزوّة إلى أصحابها، فيمكنُ اعتمادُها في التأريخ للَّفظ ومعناه. أما مداخل المعاجم فيمكن العودةُ إليها للبحث والمقابلة، أو حين لا يكون للَّفظِ وجودٌ في ما جُمِع من نصوص المدوَّنة.

خلاصةُ قولنا في هذه المسألة أن المعجم ليس نصًا مثل غيره من نصوص المدوَّنة، وأنه ليس هدَفًا لذاته يُعتمد عليه كما يُعتمد عليها. ويرجع السبب في

---

(5) انظر: خير الدين الزركْلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج 8، ط 7 (بيروت: دار العلم للملايين، 1986)، والمنجد في الأعلام، ط 12 (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1982).

(6) أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي، كتاب الجبر والمقابلة، قام بتقديمه والتعليق عليه علي مصطفى مشرفة ومحمد مرسي أحمد (القاهرة: مطبعة فتح الله الياس نوري وأولاده، 1939).

هذا إلى اختلاف جوهري بينه وبينها؛ إذ لا يُعتمَد اللفظُ الذي في المعجم، حين يُعتمَد، لأنه ورد في المعجم، بل لأنه ورد في النصوص التي يُفترَض أن المعجم عاد إليها فسجَّل ما فيها؛ فإن لم يكن ما في المعجم تسجيلًا لِما تواضَعَت عليه الجماعةُ فلا يُؤخَذ به. مثال هذا مصطلحا «الصوتم» و«اللفظم» وغيرهما مما ورد في قاموس اللسانيات[7] لعبد السلام المسدي[8]؛ فلا يُؤخذ بهذين المصطلحين ولا بغيرهما من المصطلحات المولَّدة لأنهما وردا في المعجم، بل لأنهما صارا مما يُتداول في ما أُنشئ إنشاءً في نصوص أصيلة. وينسحبُ الأمرُ نفسُه على المعاجم العربية القديمة والحديثة، فلا عبرةَ بما يردُ فيها إن لم يكن هذا الواردُ معتمدًا على مدوَّنة. فإن لم يكن الأمرُ كذلك فسبيلُ هذه الألفاظ أن تبقى حبيسة المعاجم التي وردت فيها.

2 - الشمول والحوسَبة

ذكرنا أن المدوَّنة ليست واحدة في كل معجم، بل هي مرتبطة بطبيعة المعجم وأهدافه وجمهوره. فإن كان المعجم لغويًا تاريخيًا عامًا موجهًا إلى جمهور الباحثين والدارسين من علماء وأدباء وأساتذة وطلاب ومثقفين، فعلى مدوَّنته أن تكون شاملة جامعةً الوجوه التي يراد دراستها، وإن كان هذا الشمول نسبيًا في أي حال لأن الشمول الحقيقي محال؛ فليس مقبولًا، أو لم يعد مقبولًا، أن تتوقف المدوَّنة عند عدد محدود من المصادر لا تتعداه. فإن كان دوزي قد اعتمد على أكثر من أربعمئة مصدر في مدونته اليدوية[9]، فإن التطور الكبير في علم الحاسوب ومعالجة المعلومات ونشر الكتب يسمح بأضعاف هذا العدد، لأن مكتبات بأكملها موجودة على أقراص يمكن استغلالها. ولا يسمح التوسع والشمول بالاعتماد على مدوَّنة يدوية لأن آلاف المصادر، بل عشرات الآلاف

(7) عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات: عربي - فرنسي، فرنسي - عربي مع مقدمة في علم المصطلح (تونس: الدار العربية للكتاب، 1984).

(8) أخبرَنا المسدي أن واضعَ هذين المصطلحَين هو المرحوم صالح القرمادي.

(9) Reinhart Pieter Anne Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, 2 vols. (Beyrouth: Librairie du Liban, 1991), pp. v-xxx.

منهـا لا يمكن ضبطهـا ومعالجتهـا إلا بالاعتماد على قدرة الآلـة على جمع المعلومات وتخزينها واستخراجها وإعادة استغلالها.

المدوَّنة الواسعة الشاملة إذًا موسوعة محوسَـبة بالضرورة. غير أنه يجب التفرقة في مثل هذا النوع من المصادر المحوسَـبة بين مـا هو صورة للكتاب المطبوع، وما هـو إعادة كتابةٍ له، لأن مـا أعيدت كتابته قـد يلحقه التحريف والتشويه والاضطراب، فلا يسلم الاعتمادُ عليه إلا بعد مقابلته بالنص المطبوع، مع أن هذا النص أيضًا قد يكون مشـوهًا لقلة احتفال الناشـر العربي بالتدقيق والمراجعـة والضبط. لا بد إذًا من تدقيق نصـوص المدوَّنة وضبطها لأن كثيرًا من النصوص العربية المطبوعة لم يسلم من عبث الناشرين. ويجب أن يُستبعدَ الحاسوبُ وبرامجُه استبعادًا كاملًا في ضبط النصوص وتشكيلها، لأن مراجعة أخطاء البرامج الحاسوبية في هذا الباب يستغرق من الباحث جهدًا يفوق الجهد المبذول في الضبط أضعافًا مضاعفة.

3 – الوسم

لا بد، في أي مدوَّنة محوسَـبة، من وسْـم دقيق لها يسـمح باستغلالها، فيسـجل طبيعة الوثيقة، إذ يجـب أن يُذكر إن كانت كتابًـا أو صحيفة أو مجلة أو إعلانًا أو رسـالة أو منشـورًا دعائيًا أو فاتورة أو وصية، أو غير هذا. ويجب فـي كل وثيقة من الوثائق أن يُذكر تاريخها. وقد يُكتفـى من التاريخ في ما بعد بذكر العام، لأن المضي إلى أبعد من هذا بالغ الصعوبة، بل قد يؤدي إلى إثقال المدوَّنة بتفاصيل ليسـت لها أهمية كبرى في استغلالها. كما ينبغي أن يُذكَر في كل وثيقةٍ مؤلفُها، أو مؤلفوها إن كان لها أكثرُ من مؤلِّف واحد، ومكان نشرها، ونوعها إن كانت رواية، أو كتابًا مدرسيًا في فن من الفنون، أو مسرحية، أو غير هذا وذاك مما يمكن أن يكون له أثرٌ في تعريف ألفاظها.

بيد أن الوسـم عمل معقد يحتاج إلى كثير من المـران والدربة والفطنة؛ ففيه ما يمكن أن يكون مدعاةً للّبس في كثيرٍ من مسائله من مثل وسم المجال، وتحديد التاريخ، وانتماء المؤلِّف... وغيرها.

إن وســم المجال لا يخلو من المخاطر؛ ذلك أنــه إن كانت الوثيقة في مجال محدد فلا يعني ذلك أن ألفاظَها ومصطلحاتها مما ينتمي - بالضرورة - إلى هذا المجال الموســوم، نظرًا إلى تداخُل المجالات في الوثيقة الواحدة؛ فقد تجد في حُكْم قضائي، على ســبيل المثال، ما ليس من مجال القضاء ولا القانون ولا الافتاء ولا الفقه بأي وجه من الوجوه؛ فقد يتعلق الحُكم بحادثِ ســيرٍ أدى إلى وقوع قتلى وجَرحى، وإلى ضررٍ في السيارات، وإلى غير هذا مما يمكن تصــوُّرُه، فيكون كثيرٌ مما في الحُكم مــن مجالات أخرى مختلفة تمامًــا عن مجال القضــاء كالطب، أو الفيزيــاء أوالميكانيــك، أو غيرها من المجالات.

لا يقل تحديــد التأريخ صعوبة عن تحديد المجال، بــل قد يكون التأريخ أصعب مرحلة من مراحل الوســم. وليس وســمُ الوثيقة بتحديد تاريخ كتابتها، أو تاريخ صدورها، أو زمان كاتبها إلا قمــة جبل الجليد؛ فالنصوص في داخل الوثيقة الواحدة متداخلــة، وكل نص فيها فإنما هو في وجه من وجوهه نوعٌ من التناص الذي قد يتداخل فيه المؤلفون، وتتداخل فيه العصور، فلا ينتمي كل ما فيه إلى كاتبه حين يرادُ التأريخُ له؛ إذ قد تجد في نص حديث نصوصًا أقدمَ منه قد تسبقه بقليل أو كثير فتنتمي في حقيقة أمرها إلى العصور السابقة.

بل إنَّ وسْمَ الوثيقة بذِكْرِ مؤلفها ومكان نشرها، لتحديد البدائل الشائعة في هذا الجزء من العالَم العربي أو ذاك، وهو في ما يبدو من أبســط قضايا الوسْم، ليس دائمًا أمرًا ميسورًا؛ فقد يكون المؤلف مثلًا من بلد، وهو يعمل في بلد ثانٍ، وينشر في بلد ثالث، فتختلط نسبةُ الوثيقة إلى هذا البلد دون ذاك.

يبقى الفيصل في كل ما ســبَق ذكرُه من مسائل الوســم، وفي غيره مما لم يُذكر، ما يكشــف عنه محتوى الوثيقة[10] الذي يحتاج دائمًا إلى دراســة متأنية، وإلى طول باع لتحديد صاحبه وتاريخه.

---

(10) Tatiana El-Khoury, «La Terminologie arabe de la greffe d'organes: Fonctionnement discursif et relations intra- et inter-termes,» sous la direction de Hassan Hamzé (Thèse de doctorat, Université Lyon 2, Lyon, 2007), pp. 49-55.

4 – صحة التمثيل

نعني به أن تكون المدوَّنة صــورة حقيقية عن الواقع المــراد وصفُه. ولا تكون هذه الصورة حقيقية تمامًا إلا في مدوَّنة شــاملة تســتنفد النصوص كلَّها. لكن هذا الأمرَ ليس ممكنًــا من الناحية العملية؛ إذ لا يمكــن أن تجمع مدوَّنة لغوية كل النصوص فلا تترك منها شيئًا. ولا يمكنها إذًا أن تمثل الواقع إلا تمثيلًا نســبيًا. أما التمثيل الكامل فغايةٌ لا تُدرَك؛ ولهذا فإن المدوَّنة – مهما اتسعت – انتقائية بالضرورة، فهي تأخذ مــن المصادر بعضًا، وتهمل بعضًا آخر. بيد أنه لا بد في ما تأخذه المدوَّنة من أن يكون ممثلًا موضوعه على وجه مقبول. وبدهي أن الحديث عن التمثيل الحقيقي أو النســبي لا يستقيم إلا حين يكون المعجم المنشود معجمًا وصفيًا يرسم الواقع اللغوي، لا معجمًا معياريًا يفرض الوقائعَ اللغوية التي يريد وصفَها، وإن كان الخلاص من هــذه المعيارية أمرًا لا يمكن الفرار منه تمامًا في الوضــع الراهن. أما أوجهُ تمثيل المعجم للعربية الموصوفة فكثيرة متعددة يمكن أن نذكر منها تمثيل الشفوي والمكتوب، وتمثيل المنشور المطبوع والمنشــور الإلكتروني، وتمثيل لغة العلم ولغــة الأدب ومجالاتهما المختلفة من شــعر ومســرح ورواية وطب وقضاء وعهود وغير ذلك، وتمثيل المســتويات اللغوية المتعــددة، وتمثيل الفوارق الجغرافية الشــائعة في العالم العربي، وغير هذه من وجوه التمثيل المتعددة.

ثالثًا: أصول مدوَّنة المعجم التاريخي للُّغة العربية

ذكرنا في الفقرات الســابقة بعض الأصول العامة التــي يجب توافرها في المدوّنــات عمومًا. ونود أن ننتقــل الآن إلى النظر في الأصــول الخاصة التي تحكُمُ المعجم المزمَع وضعُه، أي المعجم التاريخي للُّغة العربية.

1 – المدوَّنة والقطيعة مع المعجم العربي السائد

إنْ كان مطلوبًــا إعدادُ مدوَّنــة للمعجم التاريخي فــأول أصلٍ من أصول الإعداد لهذه المدوَّنة قطيعةٌ شــبهُ كاملة مع المعاجم العربية القديمةَ والحديثة،

أو مع جُل هذه المعاجم. سـببُ هذه القطيعة ما كنّا قد ذكرناه في دراسة سابقة من قطيعة بين ما سمّيناه مدوَّنة حية من الدرجة الأولى، وما سميناه مدوَّنة ميتة، أي مدوَّنة من الدرجة الثانية أو الثالثة أو الرابعـة[11]؛ حيث إننا اعتبرْنا المدوَّنة في كتاب العين للخليل بن أحمد مدوَّنة حية من الدرجة الأولى، لأنه لم يعتمد فيها على أقوال العرب السـابقين له فحسـب، بل اعتمد على أقوال العرب في زمانـه أيضًا، فأحال في مواضـع كثيرة من كتابه على أشـعار العرب في القرن الثاني للهجـرة، وعلى كلام أهل الأمصـار وأهل المدن، وما اسـتحدثوه في لغتهم؛ فكانت مدونته مدوَّنة حية تصف اللغـة العربية حتى أيامه، وتجمع بين الشـفوي والمكتوب، كما تجمع بين ما نُقلَ عن العرب السابقين، وما نقله عن العرب في زمانه.

بيد أن علماء العربية في أواخر القـرن الثاني للهجرة قرروا أن لغة العرب فسـدت بسـبب اختلاط العرب بالأعاجم، فما عاد جائزًا أن يُحتج بكلامهم، فانتهى عصر الروايـة والاحتجاج، وأُقفلت المدوَّنة، ولـم يعد أمام المتأخرين سوى مدوَّنة المتقدمين يعودون إليها ليأخذوا منها، فصارت مدوَّناتهم مدوَّنات من الدرجة الثانية. يقـول ابن منظور، وهو صاحب أشـهر معاجم العربية، في مقدمة لسان العرب، إن ما في معجمه مأخوذ من الصحاح للجوهري، والتهذيب للأزهري، والمُحكم لابن سـيده، وحاشـية ابن بري على الصحـاح، والنهاية لابن الأثيـر الجزري[12]. وجل ما في هذه الكتـب المذكورة منقول بدوره عن السابقين؛ فمدونة صاحب اللسان منقولة عن مدونات مَن سبقه التي هي بدورها منقولة عن مدونات سابقة، وليست مدونات للغة العرب في زمان أصحابها.

أما مدوَّنـة المعجم الحديث فقد تكـون من الدرجة الثالثـة، أو يزيد؛ إذ هي - في معظمها - منقولة عن معاجمَ منقولةٍ بدورها عن معاجمَ سـابقة يأخذ المعجمُ منها مداخله، وقـد يتخيّر منها وصفه وشـروحه للمادة المعجمية في

(11) حسـن حمزة، «المعجم العربي وهوية الأمة،» تبيُّن للدراسات الفكرية والثقافية (الدوحة)، السنة 1، العدد 1 (صيف 2012)، ص 63-78.

(12) أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، [د. ت.])، ص 7-8.

أحيان كثيرة. وإن عاد إلى مدوَّنة، فعل ذلك في عدد قليل من مداخله؛ فالمنجد للأب لويس معلوف اليسوعي مثلًا يأخذ عن محيط المحيط لبطرس البستاني، والبستاني يأخذ عن القاموس المحيط للفيروزآبادي. والمعجم العربي الأساسي يأخذ من المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية في القاهرة، والوسيط يأخذ من لسان العرب لابن منظور، ولسان العرب يأخذ من صحاح الجوهري ومحكم ابن سيده وحاشية ابن بري، وهؤلاء يأخذون عمن سبقهم. بهذا يتحول المعجم نفسُه الذي يُعتمَد عليه إلى مدوَّنة. وفي هذا ما فيه من انقلاب الأدوار في العمل المعجمي.

يقول المنجد في اللغة العربية المعاصرة في مقدمته (ونحن ننقل النص الذي يشكل ما يقرب من نصف المقدمة كلها تتميمًا للفائدة):

«وقد يتساءل القارئ الكريم كيف تم جردُ تلك المفردات والعبارات. نجيب أنه قد تم على مرحلتين: في المرحلة الأولى أعدَّ فريقُ العمل معجمين مزدوجين، هما: المنجد الفرنسي العربي الذي ظهر العام 1972، والمنجد الإنكليزي العربي الذي أخرت الحرب اللبنانية صدوره إلى العام 1996. في هذه المرحلة، وجب على فريق العمل أن يجد في لغة الضاد الحديثة جميع المفردات والعبارات، ذات المعنى الحقيقي أو المجازي، التي تقابل ما ورد في المعاجم الفرنسية والإنكليزية، علمًا بأننا نعتبر هذه المعاجم جردًا للمفردات والعبارات التي يحتاج إليها المثقف الغربي للتعبير عن أفكاره ومشاعره. ولا نظن أن الأفكار والمشاعر هذه تختلف كثيرًا عن أفكار المثقف العربي ومشاعره، في عصر يسير فيه العالَم كله نحو التوحد.

أما مرحلة الجرد الثانية فكانت البحث، في المعاجم العربية الحديثة، عن جميع المفردات والعبارات المستعملة في أيامنا، التي ليس لها مثيل في اللغتين الفرنسية والإنكليزية، وهي تضم بحسب تقديرنا، ربع مفردات المنجد في اللغة العربية المعاصرة» (المقدمة، ص «ز»).

هو ذا معجم في اللغة العربية يقول في مقدمته إن مدونتَه المعاجمُ التي

سـبقته، ما كان منها أحادي اللغـة، وما كان منها ثنائي اللغـة. فإن ورد مصدر آخر من خارج المعاجم فإنما يرد عَرَضًا. وقيمـة المقدمة في هذا المعجم أنها تقول جهرًا ما يفعله الآخرون سـرًا. فإن قابلْنا هـذه المقدمة بما يكتبه المعجم الفرنسي الشهير *Le Petit Robert* (روبير الصغير) في مقدمته لعام 1993، تبيَّنَ لنا الفارق الهائل بينهما في مسألة المدوَّنة، والسبب الذي يدفع إلى القطيعة؛ إذ إن المستشـهَدَ بأقوالهم وكتاباتهم من المفكرين والأدباء وأهل الرأي في المعجم الفرنسي يربو على الألف، وليست هذه القائمة إلا جزءًا من المدوَّنة التي اعتمد المعجم عليها في إعداد مداخله، وفي وصفهـا. أما المعاجم العربية المعاصرة فليس في مقدماتها شيء من هذا؛ إذ لا يكاد المعجم العربي في العصر الحديث يعتمد على مدوَّنة في صناعته، بـل هو في أحيان كثيـرة لا يعتمد مدوَّنة على الإطلاق؛ ولهذا كانت القطيعةُ معه أول أصل من أصول تشكيل المدوَّنة.

2 – المدوَّنة والتاريخ

من شـروط المدوَّنة أنها ليسـت مفتوحةً في الزمان، بل لا بد لها من أن تكون مقفلة تبدأ من تاريخ محـدد وتنتهي في تاريخ محدد، إلا إن كان يُراد لها أن تُسـتكمَلَ في أعمال لاحقة، فتكون البداية فيها بدايـةً موقتة إن كان يُراد لها أن تعود إلى الوراء، وتكون النهاية فيها نهايـة موقتة إن كان يُراد لها أن تلاحق المراحل التالية.

يُعنى المعجـم التاريخي بالتأريـخ للُّغة من أول ظهورهـا في نصوصها الأولى التـي وصلت إلينا حتى تاريـخ إنجاز المعجم. وهـذا العمل بالتأكيد «ضربٌ مـن الجنون» كمـا يقـول ألان رِيّ (Alain Rey) فـي مقدمة المعجم التاريخي للُّغـة الفرنسـية (*Dictionnaire historique de la langue française*). إلا أن ما يُخفّـف من هذا الجنون في الفرنسـية ما قام به المؤرخون الفرنسـيون والمفكرون وعلماء التأثيل وغيرهم في مراحل سـابقة[13] من أعمال تشـكل

(13) انظر المقدمة في: Alain Rey, dir., *Dictionnaire historique de la langue française*, 2 vols., 3ème éd. enrichie par Alain Rey et Tristan Hordé (Paris: Dictionnaires Le Robert, 2000), p. 11.

تمهيدًا للمعجم التاريخي الفرنسي. أما العربية فليس فيها مِن هذا الذي قام به الفرنسيون في التمهيد لمعجمهم التاريخي إلا أقل القليل مع أن تاريخ العربية تاريخٌ طويل. قد يختار المعجم التاريخي للُّغة العربية إذًا أن يقسِّم هذا التاريخ الممتد إلى أحقاب متوالية، فيكتفي في مرحلة أولى من مراحل إنجازه بمدوَّنة الحقبة التاريخية الأولى قبل أن ينتقل إلى مدوَّنات الأحقاب التاريخية اللاحقة، فيجمع نقوش العربية ونصوصها الأولى في العصر الجاهلي قبل أن ينتقل إلى حقبة تاريخية ثانية. وقد يختار أن يبدأ بالحقبة الأخيرة، أي بما انتهت إليه اللغة في زمانه قبل أن يعود إلى البدايات. فإن كان الأمرُ على هذه الصورة الثانية فاللغة الموصوفةُ هي اللغة العربية المعاصرة.

الواقع أنَّ في تقسيم المشروع إلى مراحل والبدء بلغة حقبة تاريخية واحدة مزيةً واضحة من الناحية العملية إعدادًا وإنجازًا وتسويقًا. وقد يكون اختيار البدء بالعربية المعاصرة أكثر إغراءً في هذه المسألة لحاجة الناس إليها. غير أن في هذا الاختيار مفارَقةً لأنه يأخذ التاريخ في الاتجاه المعاكس، فيسير به من آخره إلى أوله؛ على أنَّ التأريخ للَّفظ في الحقبة المعاصرة يفترض ملاحقة استخدامه في الأحقاب السابقة. فإن لم يكن الأمرُ على هذه الصورة فأقصى ما يمكن الوصول إليه هو إنجاز معجم للُّغة العربية المعاصرة، لا إنجاز معجم تاريخي لها، وإنْ كان هذا المعجم - في أي حال - أمرًا لا بد منه في وضع المعجم التاريخي.

أما الحديثُ عن معجم تاريخي للُّغة العربية المعاصرة فلا يعني مجرد وصفٍ للألفاظ المستخدمة في العربية المعاصرة، بل يعني التأريخ لها، وإسقاط التأريخ للألفاظ العربية التي خرجت من الاستعمال. ويعني هذا أنَّ الحاجة إلى الأحقاب السابقة منذ بداية العمل لا تسقط؛ إذ لا يُتصوَّرُ التأريخ للَّفظ من دون معرفة ولادته ونشأته وتطوره وما طرأ عليه عبر العصور، بل تسقط الحاجةُ إلى التأريخ لألفاظ اللغة كلها في المرحلة الأولى من مراحل الإنجاز؛ فلن يكون الاقتصادُ في العمل في المرحلة الأولى حينئذٍ إعفاء من النظر في الأحقاب السابقة، بل إعفاء من النظر في جزء من مفردات العربية التي كانت وخرجت

من الاستعمال. وسيكون هذا النوع من العمل شبيهًا بما قام به **المعجم التاريخي للُغة الفرنسية** الذي صدرت طبعته الأولى عن دار روبير في عام 1993 لأنه، كما تقول الرسالة الموجهةُ إلى القرّاء في أوله، لا يؤرِّخ للألفاظ التي ماتت، بل «**يصف الألفاظ المستخدمة اليوم كلها**»[14]، ويضيف إليها مصطلحاتٍ نادرةً أو قديمةً بسبب قيمتها، وما تُلقيه من ضوء كاشف[15].

إنْ كان المقصود معجمًا تاريخيًا لكل لفظ استخدمته العرب، أو معجمًا لما لا يزال حيًا في لغة العرب دون غيره مما خرج من الاستعمال، على غرار ما هو في المعجم التاريخي للفرنسية، فإن الحاجة تظل ماسةً إلى معجم للعربية المعاصرة؛ ذلك أن المعجم التاريخي لا يغني عن معاجم تصف اللغة في كل حقبة من حقبها. لكنّ ثمة سؤالًا لا بد منه عما تعنيه «العربية المعاصرة». ونقترح أن يكون المقصودُ بها العربيةَ المستخدَمة في الكتب والصحف والمجلات والدروس والمحاضرات ونشرات الأخبار وغيرها، وهي العربية التي يتعلمها التلميذ العربي في مدرسته ومعهده وجامعته. ليست هذه العربية مقصورة إذًا على العربية الصافية التي كانت في عصر الرواية، لا عربية **صحاح** الجوهري في القرن الرابع، ولا عربيةَ **لسان العرب** الصادر في بداية القرن الثامن الهجري؛ فهذه وتلك تعودان إلى زمان واحد هو عصر الرواية ولا تتعديانه، وإن اختلفتا في مسألة الجمع. وهذه وتلك لا تأخذان إلا بما أنشأه العرب في الزمان القديم، زمان عصر الرواية. أما ما أنشأه المبدعون العرب جميعًا، كتّابًا وشعراء وعلماءَ بعد القرن الثاني للهجرة فلا مكان له في المعاجم. ومرادنا بالعربية المعاصرة ما أنشأه علماء العربية وكتّابها وأدباؤها وشعراؤها وفنّانوها ومثقّفوها ومُربّوها، وأهل الصنائع فيها في العصر الحاضر، سواءٌ في هذا ما وافقَ ما في العربية الفصحى عند القدماء، وما لم يوافقه. وأخشى ما يمكن أن يخشاه المرء في مثل هذه المواقف أن ينطلق البحث من دون تحديد ما تعنيه المعاصَرة، فنعيد ما كان في المعاجم القديمة من دون أن نتعداه.

---

(14) تسويد الحرف منا، وليس في الأصل.

(15) Rey, dir., p. ix.

لئن كان سـهلًا أن يُختارَ تاريخُ إقفال مدوَّنة فـي العربية المعاصرة فيقال مثلًا إنه تاريخ الشروع في بناء المدوَّنة، فليس من السهل تحديد تاريخ البدء بها في معجم يزعمُ أنه مخصص للعربية المعاصرة. ولا بد من أن يُحدَّدُ تاريخ لبدء فترةِ المعاصَرة: أهو القرن الحادي والعشـرون؟ أم هو هذا القرن والقرن الذي سبقه؟ أم هو غيرُ هذا وذاك؟ ويترتب على كل قرار نتائجُ تتعلق بحجم المدوَّنة وبوصفها. ونحن نعتقد أنه إن كان المقصود من هذه الدراسـة أنْ تصف اللغة العربية التي يسـتخدمها الناسُ في أيامنا، فمن الحكمة ألّا تمضي الدراسةُ بعيدًا في الزمان، وأن تكتفي بهذا الجيل والجيل الذي سـبقه، فتقتصر على السنوات الخمسين الأخيرة، فتبدأ في النصف الثاني من القرن العشرين، وهو تاريخ نشوء الدولة الحديثة في كثير من بلدان العالَم العربي.

قد يقال، والقول لا يخلو من وجاهة: ماذا نفعـل بالتراث اللغوي القديم وهو لا يزال حيًا فينا؟ وكيف نفصل بين القديـم والجديد، وليس هذا الجديد سوى استمرار للقديم، أو متابعة له؟ والجواب في رأينا أنَّ كل قديم ما زال حيًا في العربية المعاصرة فهو منها مهمـا كان تاريخ صدوره، وكيفما كانت صيغته. نريد بهـذا أن نقول إن اسـتخدام المعاصرين له، أو استشـهادهم به وعودتهم إليه في كلامهم وكتاباتهم يعني أنه يُمثّل جـزءًا من الرصيد المعاصر، وإن كان في أصـل وضعه من التراث القديم. مثال هذا أنَّ كتابًـا من كتب التراث يُحقَّق ويُنشَر في أيامنا لا يمثّل جزءًا من المدوَّنة المعاصرة اعتمادًا على تاريخ تحقيقه ونشـره، بل يُدرس في المعجم التاريخي على أنه ينتمي إلى الفترة الزمنية التي كُتب فيها. غير أن النصوص المنتزعة منه والتي لا يزال المعاصرون المستشهد بهم يتداولونها فيؤخذ بها على أنها لا تزال مستخدَمة في العصر الحاضر.

3 – المدوَّنة والمعجم العام

المعجم نوعان: عام ومتخصص. وليس المعجم التاريخي المنشـود مهما كانت درجة شموله واتساع نطاقه إلا معجمًا عامًا غير متخصص، سواءٌ أكان من المعاجم اللغوية أم من المعاجم الموسوعية.

بيد أنَّ للمصطلح العلمي والفني نصيبًا في المعجــم العام؛ فجمعُ المادة اللغوية العامة بالرجوع إلى المصادر التي يستخدمها الناس من كتب ومجلات وصحف ومقالات ومحاضــرات وعهود وعقود وإعلانات وغير ذلك، لا بد له من أن يؤدي إلى اعتماد عدد من المصطلحــات في المعجم العام الذي يمكن أنْ تُصَنَّفَ مفرداته في ثلاثــة أبواب: مفردات اللغة العامة، ومصطلحات العلوم والفنون، ومجموع ما يستخدمه واضعُ المعجم من مصطلحات معجمية ونحوية ومن رموز ومختصرات. وبيّنت الدراساتُ الحديثة أن المعجم العام يضم عددًا كبيرًا من المصطلحات، وأن هــذا العدد يتزايد يومًا بعد يوم؛ إذ يقدِّرُ ســيدني لانْدو (S. I. Landau) نســبة المصطلحات إلى مداخل المعاجــم العامة الكبيرة بأربعين في المئة[16] من مداخلها، وهي نســبة عالية جــدًا إذا ما نُظر إليها على إطلاقها؛ فهي أعلى بكثير من النســبة الموجودة في المعاجم العربية المعاصرة. وكنا قد أحصينا نســبة المصطلحات في معجم المنهل الفرنســي - العربي من خلال عيِّنــات أخذناها منــه، لأن المعاجــم العربية الأحادية عمومًا لا تسِــم مداخلها، وكثيرًا ما لا تميز بين المصطلح واللفظ العام، فوجدنا أن هذه النسبة تراوح بين 15 و20 في المئة، وقد تتجاوز هذه النســبة لتصل إلى ما يقرب من 30 في المئة إن أخذنا في اعتبارنا أن عددًا كبيرًا جدًا من المصطلحات إنما هو من باب المصطلح المركَّب، لا من باب المصطلح البسيط[17]. بيد أنه لا بد من أن نلاحظ أن هذا المعجم الثنائي يتســاهل كثيرًا في وَسْــم مفرداته، فكثيرٌ مما يسِمُه المعجم مصطلَحًا ولا سيما في مجالات الحيوان والنَبات كالبقرة والثور والبصل والثوم وغيرها إنما هي ألفاظ عامة ينتمــي أفرادها إلى هذا الجنس أو ذاك النوع من الحيوان أو النبات. وعلــى أي حال، فإن كثيرًا من المصطلحات لا يلبــث أن يتحول إلى لفظ عام لشــيوعه وانتشــاره على الألســنة؛ فشــيوع المصطلحات من أهم أسباب إثراء المعجم اللغوي العام بمفردات جديدة، إلى

---

(16) انظــر: Ingrid Meyer et Kristen Mackintosh, «‹‹L'Etirement» du sens en terminologie: Aperçu du phénomène de la déterminologisation,» dans: Centre de recherches en terminologie et traduction (CRTT), *Le Sens en terminologie*, sous la dir. de Henri Béjoint et Philippe Thoiron, travaux du CRTT (Lyon: Presses universitaires de Lyon, 2000), pp. 198-217.

(17) Hamzé, «La Terminologie dans le dictionnaire général arabe,» pp. 181-190.

جانب اكتساب المفردات القديمة دلالات جديدة. أما الألفاظ العامة الجديدة التي تدخل المعجم فنزرٌ يسير إذا ما قورنت بهذه المصطلحات. فإن تشدَّدْنا في تعريف المصطلح ولم نأخذْ بكل ما وسَمَه المنهل بهذا الوسْم فستَقِلُّ النسبةُ كثيرًا، وربما لا تتجاوز عشرة في المئة من مداخله.

أما في المعاجم العربية الحديثة الأحادية اللغة فالنسبة أقل من هذه؛ فهذه المعاجم فقيرة، بل هي فقيرة جدًا في باب الاصطلاح، مع أنه كثيرًا ما يرد في مقدماتها أنها تُفرد حيزًا للمصطلحات. يشير **المعجم الوسيط** في مقدمة طبعته الأولى إلى مخالفته المعاجم العربية الأخرى «سواءٌ منها القديم والحديث» لأن معظم هذه المعاجم «تصوَّنت عن إثبات ما وضع المولَّدون والمحدَثون في الأقطار العربية من الكلمات والمصطلحات والتراكيب» (ص 12). لكن المعجم لا يشير إلى المدوَّنة التي أخذ منها هذه الكلمات والمصطلحات «المولَّدة أو المحدَثة، أو المعربة أو الدخيلة، التي أقرها المجمع، وارتضاها الأدباء، فتحركت بها ألسنتُهم، وجرت بها أقلامهم» (ص 13)، وإن كان يشير إلى اعتماد المجمع على مدوَّنة حية لأنه يتحدث عن «تحرير السماع من قيود الزمان والمكان؛ ليشمل ما يُسمع اليوم من طوائف المجتمع، كالحدادين والنجارين والبنائين، وغيرهم من أرباب الحِرَف والصناعات» (ص 12). ولا ريب في أنَّ في **المعجم الوسيط** طائفةً صالحة من هذا المولَّد والمعرَّب والدخيل والمجمعي والمُحْدَث، لكن علينا ألّا ننسى أنَّ ما يضيفُه **الوسيط** إنما يضيفه إلى مفردات القرن الثاني للهجرة ليحاول أن يستدرك قليلًا مما فات خلال اثني عشر قرنًا من الزمان.

ليس في **الرائد** لجبران مسعود الصادر في طبعته الأولى في عام 1964، أي في الفترة نفسها تقريبًا، ما أضيفَ سوى «مئات الكلمات من فروع شتى كالفلسفة وعلم النفس والتربية والاقتصاد والحقوق والرياضة وغيرها» (المقدمة). لكنه لا يذكر من المصادر التي اعتمد عليها سوى **لسان العرب**، **وقطر المحيط** للبستاني، **والبستان** لعبد الله البستاني، **والوسيط** **والمنجد**، **والمعجم العسكري** في الجمهورية العربية المتحدة، **وقاموس التربية وعلم**

النفس التربـوي لفريد نجار، ومصطلحـات الاقتصاد السياسـي لمجمع فؤاد الأول، وعقد الجمـان في علم البيـان لناصيف اليازجي، ورسـالة في حدود الأشياء ورسـومها للكنْدي، وموسـوعة لاروس. أما «وعشرات الكتب الأدبية واللغوية والعلمية» فلا يُسمى واحدٌ منها خلافًا للمعاجم المذكورة[18].

ليس الأمرُ بأحسـنَ حالًا في المعجـم العربي الأساسـي الذي صدرت طبعته الأولى في آخر القرن العشرين، مع أنه يقول إن «للمعجم سمة موسوعية محددة، فهو يتناول عـددًا من المصطلحـات الجديدة، الحضاريـة والعلمية والتقنيـة» (ص 8)؛ فلا يبدو أن هـذا المعجم يعتمد علـى مدوَّنة محددة، بل يأخذ بما كان أخذ به المعجم الوسـيط لمجمع اللغة العربيـة في القاهرة، فلا تقول المقدمة من أين اسـتقت هـذه المصطلحات، ولا كيـف اعتمدتها. غير أنه ليس بعيدًا أن يكون بعض هذه المصطلحات قد أُخذ مباشـرة من المعاجم المتخصصة التي تشـير المقدمة إلى أن مكتب تنسـيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي أعدت هـذا المعجم أصدر أربعة وثلاثين معجمًا منها «تتناول تخصصات علمية مختلفة تستجيب للحاجات المعرفية في مراحل التعليم كلها، وهي معاجم المصطلحات الموحدة» (ص 7-8).

يبدو واضحًـا أن المصطلحات الجديدة في المعجـم العربي الحديث لا تؤخذ عمومًا من نصوص المدوَّنة، بل تؤخذ من المعاجم السابقة كما هي الحال في المعجم العربي الأساسي، أو منها ومن معاجم المصطلحات، كما هي حال الرائد، أو منها ومن المعاجم الثنائية الفرنسية - العربية أو الإنكليزية - العربية، كما هي حال المنجد في اللغـة العربية المعاصرة. وقد تأخذ بعض مصطلحاتها من أصحاب المهن أنفسـهم، كما يقول المعجم الوسـيط. ونفترض أن ذوق المعجمي هو الـذي يتحكم في اختيار هـذه المصطلحات، وبمـا يأخذه من المعجم المتخصص، وما يتركه حين يسـتقرئ مداخله، فيرفض هذا المصطلح ويعتمد ذاك. ودليلنا على هذا أن المعاجم المدرسـية العربيـة، وقد بحثنا في

---

(18) جبران مسـعود، الرائد: معجم لغوي عصري، ط 7 (بيروت: دار العلم للملايين، 1992) (نسخة إلكترونية).

خمسة منها صدرت حديثًا[19]، تتحدث في مقدماتها عن عنايتها بالمصطلحات الجديدة، مثلها في هذا مثـل معاجم الكبار. غير أن هذه مثل تلك، لا تشـرح المعايير التي تعتمدها في اختيارها. وكنا قد نظرنا في مقالة لنا سابقة في موقف المعجم المدرسـي من ألفاظ الحضارة الوافدة، فأخذنا عددًا من المصطلحات الحديثة التي أضحت أقرب إلى ألفاظ اللغـة العامة التي لا يكاد يجهلها تلميذ في العالم العربي، مثـل الهاتف المحمول أو الجوال أو النقال أو اللاسـلكي أو الخلوي أو الخليوي... إلخ، وشـاحِنِه، والحاسب أو الحاسوب، وفأرته أو مشـيرته، والناسـوخ أو الفاكس، وأفلام الكرتون، والتلفاز، والقارئ الضوئي، والطابعة، فكدنا لا نعثر لها على أثر، مع أن المعاجم الخمسـة التي اعتمدناها طُبعت في أوائل هـذا القرن[20]. وهذا دليل واضحٌ علـى غياب مدوَّنة حقيقية يعتمد المعجم عليها، وعلى انتقائية في اختيار المداخل إن وُجِدَ شـيءٌ مما قد يشبه المدوَّنة في وضع هذه المعاجم.

ليس في المعجم العربي الحديث إلا أقـل القليل من مصطلحات العلوم والفنون التي يجب أن تجد لها مكانًا في المعجـم التاريخي للُّغة العربية. لكنْ من أين تؤخذ هذه المصطلحات؟

لا تُؤخذ المصطلحات من المعاجم المتخصصة لسببين:

- **أولهمـا** أن المعجم العام يعجز عن تسـجيل المصطلحـات كلها في العلـوم والفنون كلها مهما كانت درجة اتسـاعه وتفصيلـه؛ إذ ازداد عدد هذه المصطلحات ازديادًا مذهلًا في العصـر الحاضر؛ وتتولد فيه مئاتٌ منها في كل

---

(19) هـذه المعاجم هي: منجد الطلاب، نظر فيه ووقف على ضبطه فؤاد افرام البسـتاني، ط 52 (بيروت: دار المشـرق، 2008)؛ جبران مسـعود، رائد الطلاب: معجم لغـوي عصري للطلاب، ط 28 (بيروت: دار العلم للملايين، 2004)؛ جرجي شـاهين عطية، قاموس المعتمد المدرسي: عربي - عربي (بيروت: دار صادر، 2005)؛ صلاح الدين الهواري، مشرف، المعجم الوجيز المدرسي: قاموس عربي - عربي (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 2009)، والمتقَن الوسيط (بيروت: دار الراتب الجامعية، [د. ت.]).

(20) حسن حمزة، «المعاجم المدرسية العربية من خلال مقدماتها،» اللسـانيات (الجزائر)، العدد 16 (2010)، ص 141-144.

يوم، فيعجز المعجم العام عن استيعابها لأن هذا يستدعي ملايين المداخل فيه[21].

- ثانيهما إنْ لم يأخذ المعجم العام بكل ما في معاجم مصطلحات العلوم والفنون لأنه لا يستطيع ذلك، بل بشيء مما جاء فيها فعلامَ يعتمد في أخْذ ما يأخذ وفي تزك ما يترك؟ ايعتمد على ذائقة المعجمي اللغوية، أم على ما هو شائعٌ بالفعل بين أبناء الجماعة اللغوية العربية؟

إن الذائقة اللغوية للمعجمي قد تصيب وقد تخطئ. وقد تهمل ما هو شائع متداوَل، وقد تنتقي ما هو أقل منه تداولًا. وهذا ينافي أبسط شروط تأسيس المدوَّنات. وكنا في الدراسة السابقة التي أشرنا إليها[22] قد توقفْنا أمام الصفحة الأولى من المعجم الوسيط، ونظرنا في مآل مفردات هذه الصفحة في خمسة من المعاجم المدرسية التي تقول كلها إنها عملت على إسقاط المُمات، وعلى تسجيل المفردات المستحدثة - لكنها لا تذكر مدوَّنة اعتمدت عليها، وأغلب الظن أنها اعتمدت على الذائقة اللغوية لأصحابها - فوجدنا منجد الطلاب يسجِّل «الإبريسم، والآبِدة»، ورائد الطلاب يسجل: «أباءَ بالمكان»، والمتقَن يسجِل «أبَّ»، والمعتمَد يسجل «أبَزَ» و«أبَشَ» و«أبِصَ»، والوجيز يسجل «أبأ» و«الأبـاب» و«الأبابة» و«المأبوت». لكنها كلها تُسقِط أو تنسى مما ورد في الصفحة الأولى من المعجم الوسيط: «الآجُر» - وأكثر الناس في أيامنا يعرفونه ويبنون بيوتهم به - وتُسقِط أو تنسى «الآنِسون» الذي تسميه العامة «يانسون»، وتستخدمه لمعالجة مغص المعدة، وتُسقِط أو تنسى «آمين» التي يعرفها كل المسلمين ويستخدمها كثير منهم في صلواتهم في كل يوم. وإنْ دلّ هذا التسجيل وذاك الإسقاط على شيء فإنما يدلان على خطورة الانسياق وراء الذائقة اللغوية في انتقاء ما يُنتقى، وفي رفض ما يُرفض.

---

(21) نشير إلى أن عدد كلمات المعاجم الكبرى مثل لسان العرب ومعجم روبير الكبير لا يتجاوز مئة ألف كلمة، وإلى أنّه ليس في المعجم الفرنسي روبير الصغير، على غناه واتساعه، سوى ستين ألف كلمة. أما المعاجم العربية المتوسطة الحجم من مثل المعجم الوسيط، والمنجد في اللغة والأعلام، والمنجد في اللغة العربية المعاصرة، والمعجم العربي الأساسي، وغيرها فلا تجاوز خمسين ألف كلمة.

(22) حمزة، «المعاجم المدرسية العربية من خلال مقدماتها،» ص 140.

لا بد للمعجم التاريخي العام إذًا من أن يسـجِّلَ مـن مصطلحات العلوم والفنون ما شـاع في الحياة العامة، وتداوله المثقفون والعلماء، أي ما ورَد حقًّا في نصوص المدوَّنـة التي يعتمد المعجـم عليها - لا ما انتُقـي من المعاجم المُتخصصة - فإن رُجِع إلى المعجـم المتخصص في إعداد المعجم العام فلا يُرجَع إليه في سـبيل اختيار بعض مداخله، بل يُرجَع إليه لاستشـارته في فهم المصطلح، وفي تعريفه، وفي إبراز علاقته بغيره من المصطلحات.

لا يُؤخَذُ المصطلَح من المعجم المتخصص، ولا يُؤخَذُ أيضًا من الكتب والمجلات والمنشـورات الموجهة إلى المتخصصيـن، لأن المعجم اللغوي العام ليـس معجمًا يجمع الاختصاصات ومصطلحاتهـا، وإنما يأخذ المعجم العام من هذه المصطلحات ما يشـيع في لغة الحيـاة العامة، أي ما يظهر منها في النصوص التي ليسـت موجهة إلى المتخصصيـن دون غيرهم في العقود والعهود والصحف والمجلات وكتابات الأدباء والعلماء ومنشـورات التعميم العلمي وفي الكتاب المدرسـي أيضًا بجميع أشـكاله وفروعه ومجالاته. أما الكتب الجامعيـة المخصصة للباحثيـن في المجالات المختلفـة، فليس لها أن تشـكل جزءًا من المدوَّنة، لأنهـا تتوجه إلى فئة مخصوصـة من الباحثين في مجال من مجـالات المعرفة بخلاف الكتاب المدرسـي الذي يتوجه إلى شرائح واسـعة من أبناء المجتمع، وبخلاف الزوايا المتخصصة التي قد تكون في الصحف والمجلات، وبخلاف كتب التعميم العلمي ومجلاته ومنشوراته لأنها تبتغي نشـر المعرفة وتعميمها على أوسع نطاق ممكن. ويمكن أن نمثِّل لهذا الأمر بمصطلحات الطب؛ فمنشـوراتُ التوعية الصحية مثلًا، والمجلات الطبيـة، والكتابُ المدرسـي الـذي يتناول قضايـا الصحة، وكتـبُ الأطباءِ الموجهـةُ إلى الجمهـور لتثقيفه والرد على استفسـاراته جزء مـن المدوَّنة. أما الكتاب الطبي الموجه إلـى طلبة الطب دون غيرهم فليـس منها، كما أن المعجـم الطبي الموجّه إلى المتخصصين دون غيرهـم ليس منها. وعلى هذا تقاس سائر فروع المعرفة الأخرى.

4 – المدوَّنة واللغة العربية

أ- المدوَّنة بين الشفوي والمكتوب

أصدر مجمع اللغة العربية الأردني في عام 2006 معجمًا سمّاه معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن.

كان من المفترَض أن يكون هذا المعجم واحدًا من سلسلة من معاجم تتناول ألفاظ الحياة العامة في كل بلد عربي تمهيدًا لإنجاز معجم عربي موحَّد لألفاظ الحياة العامة في العربية، إنفاذًا لإحدى توصيات اتحاد المجامع العربية. في سبيل إعداد هذا المعجم، ألّف المجمع الأردني لجنة توجيهية عليا قسمت الأردن إلى أربع مناطق، وألّفت في كل منطقة لجنة فرعية، واختارت كل لجنة فرعية فِرَقًا من الباحثين من حملة الماجستير والإجازة ومن المعلمين والموظفين العاملين أو القاطنين في منطقة البحث جابت الطرقات والبيوت والمزارع والمصانع والمؤسسات لجمع ألفاظ الحياة العامة في هذه المنطقة، أي الألفاظ التي يستخدمها الفلاحون والمزارعون والعمال والصناعيون وربات البيوت والمعلمون والسائقون وغيرهم من أصحاب الحرف.

سجلتْ هذه الفِرَقُ ما سمعته وما رأته، فأعدت بطاقة لكل لفظ يُذكر فيها عدد من المعلومات من بينها اسم الموقع الذي أخذت اللفظة منه، أي اسم المدينة أو القرية، والبيئة التي ينتمي إليها في الحاضرة أو في الريف أو في البادية، ومهنة مستخدم اللفظ عاملًا كان أو فلاحًا أو نجارًا أو حدادًا أو مهندسًا أو ربة بيت، أو غير ذلك، والمكان الذي يستخدم فيه اللفظ بيتًا أو مدرسة أو مقهًى أو عيادة أو مستشفًى أو مسجدًا أو مرآبًا أو ناديًا رياضيًا، أو غير ذلك، وموضوع اللفظ أي مجاله مثل الطعام والشراب والأثاث واللباس والدواء والأجهزة والنبات وغير ذلك. وزُوِّد الباحثون بآلات تسجيل وآلات تصوير ووُجِّهوا إلى المصانع والمزارع والأماكن الأخرى يجمعون ألفاظ الحياة العامة كما يستخدمها الناس ويفهمونها في ما يتداولونه عمليًا، فكانت حصيلة الجمع والتصنيف ما يقرب من خمسة وأربعين ألف بطاقة تتوزع على ما يقرب

من خمسة وعشرين ألف لفظ؛ فكانت هذه أول مدوَّنة عربية حية حقيقية في أيامنا[23].

يتقاطع معجم ألفاظ الحياة العامة مع المعجم اللغوي العام، ومع المعجم التاريخي في مرحلة من مراحل إنجازه؛ فهو يتناول ألفاظ الحياة اليومية محسوسةً ومجردة، كما يتناول المصطلحات الشائعة الواسعة الانتشار التي يتداولها أصحاب المهن والصنائع في علاقاتهم مع الجمهور الواسع، لكنه يعزف عن مفردات اللغة الأدبية الراقية، وعن كثير من المصطلحات العلمية والفنية التي تبقى وقفًا على أهل الاختصاص.

لا ريب في أن عملًا مثل هذا العمل استغرق جهدًا كبيرًا لا يمكن إلا أن تُقدَّر لمجمع اللغة العربية الأردني تضحيتُه في سبيل إنجازه. وهو عمل يُذكِّر بجهد اللغويين العرب القدامى الذين كانوا يجمعون اللغة من أفواه أهلها، فاستخدموا مصطلح «السَّماع» لأول أصلٍ من أصول النحو عندهم[24]، إذ كان يعني ما سُمِعَ من العرب مشافَهة، وإن كانَ يجمع ما هو مسموع وما هو مكتوب أيضًا، لأن المكتوب - كما يقولون - تصوير للشفوي المسموع.

بيد أن معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن يقف موقفًا معياريًا من مدوَّنته، فيتصرف بالمفردات التي جمعها تفصيحًا لعاميِّها ما أمكنه التفصيح، ومفاضلَةً بين مترادفاتها بانتقاء خيرِها وطرحِ ما عداه: «الكلمة الواحدة في الدلالة الكافية خير من الكلمتين»، و«الكلمةَ التي تحمل مدلولًا محدَّدًا أوْلى من تلك التي تحمل مدلولات متعددة»، و«الكلمة العربية أولى من الكلمة الأجنبية إذا كانت الكلمة الأجنبية يمكن الاستغناء عنها بالكلمة العربية»، و«الكلمة التي تأخذ سمتًا فصيحًا وسهلًا أوْلى من الكلمة التي قد تكون مغرِقة في العامية»، و«الكلمة الأجنبية المكوَّنة من كلمة واحدة أوْلى من الكلمة المكَونة من كلمتين

---

(23) انظر المقدمة في: مجمع اللغة العربية الأردني، معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2006).

(24) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ط 2 (حيدر آباد الدكن: جمعية دائرة المعارف العثمانية، 1940).

فأكثر»، و«المصطلح الأجنبي المتمشي مع قواعد الصوت العربي والوزن الصرفي العربي أوْلى بالأخذ من ذلك المصطلح الذي يختلف مع نواميس العربية في أصواتها وأوزانها»، والكلمة العربية «المشتقة أولى من الكلمة المنحوتة أو المركبة»، و«الكلمة الأوسع اشتقاقًا أوْلى من الكلمة الأضيق اشتقاقًا» (المقدمة، ع-ف).

لا خلافَ في سلامة المعايير المعتمدة في المفاضلة والاختيار بين المترادفات. غير أن عملية المفاضلة والاختيار هذه لا تقدِّم وصْفًا للُّغة المتداولة، بل للُّغة التي ينبغي أن تكون. وليس هذا ما تطمح إليه المدوَّنة إن كان يراد لها أن تصف اللغة التي تعتمدها الجماعة.

يُقدّم معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن تجربة رائدة في الاعتماد على الخطاب الشفوي في زمان تقوم معاجمه على نسخ ما هو مكتوب في المعاجم السابقة. وكان يمكن لهذا العمل أن يؤسِّس لقطيعة حقيقية مع المعجم العربي الحديث والمعاصر لو أنه لم يتصرف في مدوَّنته. والمعضلة التي يواجهها المعجم التاريخي، أو المعجم المعاصر في العربية، هي في مدى قدرته على استغلال مدوَّنة شفوية إلى جانب المدوَّنة المكتوبة، لأن بين الشفوي والمكتوب في العربية نوعًا من القطيعة في عدد من المجالات التي قد تبدو حِكرًا على واحد من الخطابَين دون الآخَر. أيستطيع المعجم التاريخي للُّغة العربية أن يقوم بما قام به معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن، فيكون له آلافٌ مؤلَّفة من الباحثين الساعين إلى جمع المادة اللغوية من أفواه الناس في مدارسهم ومعاملهم ومصانعهم ومزارعهم في أنحاء العالَم العربي كلّها؟ وماذا يُتوقَّعُ أن تكون الحصيلةُ إن استطاع القيام بهذا العمل؟

في رأينا أن نتيجة عملٍ قائم على تسجيل الخطاب الشفوي محكومةٌ سلَفًا بمقدماتها؛ إذ لن يكون المجموع إلا خليطًا من الفصيح والعامي والأعجمي، ولن يؤدي العمل - بالضرورة - إلا إلى إنجاز معجم للعامية، لا للفصحى، أو إلى معجم هجين لأن العرب لا يتحادثون في حياتهم العامة بالفصحى إلا في

مناسبات خاصة. وهذا بالضبط ما دفع معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن إلى التدخُّل في ألفاظه لتفصيحها ما وجد إلى ذلك سبيلًا.

إنْ كان المرادُ إنجاز معجم للعربية الفصحى، فــلا مناصَ من العودة إلى الخطاب المكتوب لأنه أقل كلفة، وأجدى نفعًا فــي وصف العربية الفصحى. وفي هذا المكتوب ما كان خطابًا شــفويًا في أصلِ وضعِه، ثم سُجِلَ في كتاب فبدا مثل الخطاب المكتوب.

غيــر أن اقتصار الفصحــى على خطاب مكتــوب لا يأخذ فــي اعتباره المستوى الحميم ولا كثيرًا مما يســتخدمه أصحاب الحِرَف والصناعات مثل الحداديــن والنجارين والبنّائين وغيرهــم، يجب أن يدفع إلــى أن تُعتمَدَ في المدوَّنة نصوصٌ ووثائقُ ليســت من نمط الخطــاب المكتوب المألوف الذي يعتمده عــادة صانعو المعاجم الذيــن يصرفون همهم إلى اللغــة الأدبية قبل غيرها. من هــذه النصوص والوثائق التي لا مفرَّ من العودة إليها، على ســبيل المثال لا الحصــر: الوصايا، والعهــود، والعقود، والفواتيــر، والإيصالات، والمراســلات المكتوبة بالعربية بين أصحاب المهــن والصنائع، وبينهم وبين زبائنهــم، وغير هذه وتلــك من الوثائق التــي غالبًا ما تبقى خــارج الخطاب الرســمي الذي تأخذ به المعاجــم، لأنه من دون هذا ســيبقى عدد لا بأس به من المفردات والمصطلحات الشائعة بين أهل المهن والصنائع وفي الخطاب اليومي الحميم غائبًا عــن المعجم. ويمكن أن يُعاملَ هــذا النوع من الوثائق معاملة خاصة، فلا تُشــترَطُ في مفرداته درجةُ التواتر التي تُشترَط في غيره إما لأن الفصحــى قلَّما تهتم به، كمــا هي الحال في كثير مــن مفردات أصحاب المهن والصنائع، أو لأن الســلطة الاجتماعية أو السياســية أو الدينية تفرض حظرًا على اســتخدامه، كما هي الحال في مفردات المســتوى البذيء النابي، فلا تُكتَب إلا في ما ندر مع أنه لا غبار على فصاحتها.

إنْ تُركَ هذا النوع من الوثائق خارجَ المدوَّنة فسيبقى عددٌ وافرٌ من مفردات اللغة خارج أســوار المعجم، إلا في حال العودة إلى المنهج السابق الذي يأخذ المصطلحات من المعاجم المتخصصة فينتقض مبدأ المدوَّنة من أساسه.

ب – المدوَّنة بين الفصحى والعامية

مدوَّنة المعجم التاريخي للُّغة العربية المنشودة – معاصرةً كانت أم قديمة – مدوَّنة للعربية الفصحى بلا ريب، وإن بقي وصفُ «الفصحى» مضمَرًا في الخطاب؛ فحين يُطلَق لفظ «اللغة العربية» في كتابات المؤلِّفين من دون تخصيص فإنه يعني – بصورة لا لبس فيها – اللغة العربية الفصحى. غير أن عبارة «العربية الفصحى» ينبغي ألّا تُؤخذ بالمعنى الذي كانت عليه عند العرب القدامى وعند كثيرين من المعاصرين؛ فالفصحى عندهم تعني العربية النقية الصافية التي لم تختلط بغيرها، أي العربية التي كان العرب يستخدمونها قبل أن يختلطوا بغيرهم فتختلط عليهم لغتهم[25]. ليست العربية الفصحى التي يعنيها المعجم التاريخي للُّغة العربية إذًا عربية صِحاح الجوهري الذي اتهمه صاحب القاموس بأنه «فاتَه نصفُ اللغة أو أكثر إما بإهمال المادة، أو بتَرْك المعاني الغريبة النادَّة»[26]. وما أضاع هذا النصف إلا لتشدُّدِه في معايير الفصاحة، وعدم قبوله بكل ما جاء عن العرب السابقين في عصر الرواية. ولئن كان الجوهري قد أضاع نصف اللغة التي كانت في عصر الرواية فاستدركها عليه القاموس، فقد أضاع صاحب القاموس الذي سمى كتابه «القاموس المحيط لأنه البحر الأعظم»[27] أيضًا نصف اللغة التي كانت في عصره، لأنه اكتفى بالعربية التي كانت في عصر الرواية لا تتجاوزه إلا قليلًا لتسجِّلَ مصطلحات أُخذت من كتب الأطباء والحكماء[28]. وهذا القليل وجد

---

(25) يقول الزجاجي: «ولهذه العلة فسدت لغاتُ مَن خالَط من الأعراب أهلَ الحضَر لأنهم سمعوا كلام غيرهم فاختلط عليهم كلامهم»، انظر: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، اشتقاق أسماء الله، تحقيق عبد الحسين المبارك، ط 2 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986)، ص 284.

(26) أبو الطاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، بأوله شرح ديباجة القاموس لنصر الهوريني (بيروت: دار الفكر، [د. ت.])، ج 1، ص 3.

(27) المصدر نفسه، ج 1، ص 3.

(28) إبراهيم بن مراد، «اللفظ الأعجمي في معجم العربية التاريخي: ملاحظات حول قضيتي الجمع والوضع،» في: المعجم العربي التاريخي: وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجمية العربية بتونس، 14–17 نوفمبر 1989 (تونس: المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، 1991)، ص 281–296.

من يقيم عليه النكيرَ فيه، كما فعل ابن الطيب الشرقي الذي «كان يطعن في كل الزيادات التي تباهى بها المجد، ويصفها بأنها إمــا ألفاظٌ أعجمية، وإما معانٍ مجازية، أو اصطلاحات أو لغة غيــر متَّفَقٍ عليها، أو أشــياء أُحدِثَتْ وولَّدَها الاســتعمال ولم تعرفْها [لغة العرب]»[29]. وكان لزامًا علــى صُناع المعاجم العربية بعده أن يســتدركوا عليــه ما فاته من هذه اللغة كما اســتدرك هو على الجوهري مــا فاته منها. لكنهم كانوا جميعًا مثــل صاحب القاموس وصاحب اللسان ومَن ســبَقهما مشــدودين إلى فكرة الفصاحة التي لا تخرج من دائرة عصر الرواية، ولا تتجاوزه، فلم يكن ممكنًا أن يأتوا بأكثرَ مما أتى به القاموس أو اللسان، وكانت معاجمهم بالتالي نســخًا لما فيهما، أو لبعض ما فيهما، لا تكاد تضيف إليهمــا جديدًا، بل تحذف منهما، أو تُغيّر فــي الترتيب والتبويب وطريقة العرض من دون أن تستطيع تجاوزَ ما فيهما.

ســلك المُحْدثون مســلك المتقدمين مع تعديلات طفيفة؛ إذ تابَع بطرس البســتاني في محيط المحيط الفيروزآبادي في قاموســه المحيط. أما قول علي الحمد عنه - وقوله صحيح: إنه «لم يقتصر على متن اللغة أو مفرداتها الفصيحة، بل تعدى ذلك ودوَّن ألفاظ العامــة وكلام المولَّديــن»[30] - فينبغي ألّا يُحْملَ على ظاهره؛ فليس من هذا العامي والمولد إلا أقــل القليل. لهذا يقول إبراهيم مدكور عن البستاني والشرتوني والمعلوف إنهم «لم يستطيعوا التخلص من قيود الماضي، ولم يجرءوا [كذا] على أن يســجلوا شيئًا من لغة القرن العشرين. وما كان لهم أن يفعلوا والأمرُ يتطلب سلطة أعظم، وحجة لغوية أقوى»[31].

ليست اللغة العربية الفصحى القديمة ولا اللغة العربية الفصحى المعاصرةُ بلغةٍ أمّ بالمعنــى الدقيق للكلمــة لأي واحد من العرب. إنهــا اللغة الأم على

---

(29) عبــد العلي الودغيري، قضايــا المعجم العربي فــي كتابات ابن الطيب الشــرقي (الرباط: منشورات عكاظ، 1989، ص 171 و173).

(30) علي الحمد، «بطرس البســتاني وجهوده المعجمية،» في: في المعجمية العربية المعاصرة، ص 322.

(31) إبراهيــم مدكور، تصدير الطبعة الأولى، في: جمهورية مصــر العربية، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط 3 (القاهرة: دار عمران، 1985)، ص 9.

سبيل التوســع والمجاز؛ فلا تتحدث الأم لأطفالها بهذه الفصحى، ولا يستمع الأبناء إلى حوارات آبائهم بهذه اللغة، ولا يتلقى الجنين همس الأم، ولا مناجاة الأبوين بها. لكنها ليست لغة أخرى مغايرة للُغة الأم تمام المغايَرة، بل هي بين بين، فالأميون يُصلّون بها، ويستمعون إلى شيء من الخطب والمواعظ ونشرات الأخبار وأحاديث المناسـبات بهذه اللغة. أما الاتصال الوثيق بها فلا يكون إلا على مقاعد الدراســة، هذا إن أتيح للأطفال في يوم مــن الأيام أن يكونوا على مقاعد الدراسة؛ فالأمية لا تزال فاشية في العالم العربي، والجلوس على مقاعد الدراسة على الرغم من انتشار التعليم ليس أمرًا عامًا شاملًا لا يتخلف في العالم العربي. وربما نافســت العربيةَ في التعليم لغةٌ أخرى، أو أكثر من لغة أخرى قد يبدأ الأطفال بدراســتها مع هذه اللغة الفصحى التي تبدو لغــة أُمًّا من الدرجة الثانية. أما اللغةُ الأم الأولى في كل بلد عربي فهــي لهجةُ هذا البلد أو عاميته، وإن كانت بينها وبين الفصحى وشائجُ قربى.

ليســت اللهجات والعاميات وَقفًا على العربية، غير أن المســافة الفاصلة بين الفصحى والعاميات العربية مســافة شاسعة، هي أوسع مما نجده في لغات أخرى مثل الفرنسية والإنكليزية وغيرهما. إن بين الفصحى والعاميات من البعد ما لا يســمح باعتبار ما بينهما من فروق مجردَ بدائل فــي لغة واحدة، لكن بين الفصحى والعاميات أيضًا من القرب ما لا يســمح باعتبارها لغات متباينة، إنما نحن في منزلة هي بين بين. ســبب هذا البعد بين الفصحى والعاميات أن علماء العربية القدامى جعلــوا للفصاحة حدودًا صارمة في الزمان، فجعلوا كل ما جاء بعد عصر الرواية - أو عصر الفصاحة، أو عصر الاحتجاج - فاســدًا لا يجوز اعتماده والاستشــهاد به، فتوقفت مدوَّنتهم عند أواخــر القرن الثاني للهجرة لا تتعداه. وما جاء بعد عصر الرواية فلا تعتدّ به كتب النحو، ولا تسجله المعاجم لأنه خــارج دائـرة الفصاحة. وحيــن قــام المعجم الوســيط الذي أعده مجمع اللغة العربية بالقاهرة في أواســط القرن الماضي بخطوة جريئة بتسجيل ما جد في لغة العرب، كان المعجمُ العربي يسجل مفارقة غريبة قد لا يكون لها مثيل: مفرداتٌ عربية قديمة عمرها أكثر من ألف عام يسجلها المعجم العربي على أنها من المولَّد؛ والمولَّد في عُرف اللســانيين لفظٌ حديــثُ الولادة، أو معنى جديدٌ

يأخذه لفظٌ قديمٌ للتعبير عن مفهوم جديد، فلا يمكن أن يظل مولَّدًا عشراتِ القرون[32].

يُسجَّل لـ **المعجم الوسيط** أنه سجَّل أخيرًا شيئًا من مفردات العربية التي كان العرب يستخدمونها عبر العصور وكانت مستبعدة من معاجمهم، قديمها وحديثها. كم عدد هذه المفردات المولَّدة التي سجلها المعجم؟ وكم عدد المفردات التي لم يسجلها؟ وكم عدد المعاني المولَّدة للألفاظ القديمة التي لم يسجلها هذا المعجم؟ لا نستطيع أن نحدد هذا الأمر على وجه الدقة لأننا لم نقم بعملية إحصاء له. لكننا نعتقد أنه لم يسجِّل إلا غيضًا من فيض؛ فعدد الألفاظ المولَّدة التي لا تسجلها المعاجم العربية، وعددُ المعاني الجديدة للألفاظ القديمة عدد كبير جدًا في أي حال، بل هو أكثر من كبير. يكفي أن ينظر المرء في المعجم الذي أعده رينهارت دوزي (Reinhart Dozy) في أواخر القرن التاسع عشر في **مستدركه على المعاجم العربية** (*Supplément aux dictionnaires arabes*) في ما يقرب من ألفي صفحة من القطع الكبير ليدركَ حجم هذا المتروك خارج حدود المعجم العربي الفصيح. إن كثيرًا من المولَّد الذي جاء في **المعجم الوسيط** متداول معروف في العاميات العربية، لكن الفصحى لم تأخذ به لأنه لا يستجيب للحدود التي فرضتها في الزمان. وهذا العامي «لا يكاد يوجد في غير كتب الأدوية المفردة، وخاصة عند ابن البيطار في كتبه **الجامع** و**المغْني** و**التفسير** و**الإبانة**»[33]. ومن المفارقات أن حدود الفصاحة هذه كانت سببًا في جمود اللغة الفصحى عند حدود القرن الثاني للهجرة، وفي تطور العاميات، لأن كثيرًا من الجديد الذي ترميه الفصحى خارج أسوارها كان يجد طريقه إلى

---

(32) انظر حد هذا المصطلح (néologisme/nelogism) في معاجم اللسانيات، على سبيل المثال: Georges Mounin, dir., *Dictionnaire de la linguistique*, Quadrige, 2ème éd. (Paris: Presses universitaires de France, 1995).

وانظر الإشكال الذي يثيره استخدام مصطلح «المولَّد» في العربية في: Hassan Hamzé, « Néologismes et consécration dans les dictionnaires arabes modernes, la mission impossible,» papier présentée à: «Néologie et néologismes en arabe,» (colloque international organisé dans le cadre du projet LTT, Université Lyon 2, 12-13 Juin 2008).

(33) إبراهيم بن مراد، **المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993)، ص 94-95.

العاميات حيث لا يتدخل مقص الرقيب، ولا يفرض على الناس شروطًا في ما يأخذون من خارج حدود الزمان.

العربيــة الفصحى لغة الكتابــة بلا منازع. أمــا العاميات فلغــة الخطاب الشــفوي، وإن كانت الفصحــى تنازعها في كثيــر من مجالاته مثل نشــرات الأخبار والمحاضرات والخطب والمناقشــات والحكايات. وفي قصص ألف ليلة وليلة وحكايات الظاهر بيبرس على ســبيل المثال، كثير من المزاوجة بين الفصيح والعامي[34]. وفي كثير من كتابات المعاصرين أيضًا نوع من أنواع هذه المزاوجة التي تبرز بشــكل واضح في الخطب والرســائل، وفي الروايات التي تعتمد الفصحى في الســرد، وتســتعين قليلًا أو كثيرًا بالعامية في مجال الحوار ســعيًا إلى الواقعية، لأن الخطاب الحميم بالعربية بين الأهل وفي الشارع وفي شؤون الناس في معاشهم خطاب بالعامية لا بالفصحى.

بيــد أنَّ المعاجم العربية المعاصــرة معاجم للفصحــى، لا تأخذ بالعامي ولا تعترف به، لأنها تجعلُ العامي من الكلام «ما نطَقَ به العامةُ على غير سَــنَن الكلام العربي». «وما خرج عن ســنن الكلام العربي فليس منه، وليس من شأن المعجم العربي الذي يسجِّلُ كلام العرب أنْ يُعنى بما خرج عنه»، على حد قول سلام بزي - حمزة التي تثير مســألة التناقض الواضح في موقف المعجم حين يُسجِّلُ الدخيل في مداخله؛ لأنه «إنْ جاز أنْ يُسجَّل الدخيلُ في المعجم العربي فتســجيل العامي فيه أوْلى بالجواز من غيره». غير أنها تلاحظ أن العاميَّ يتسلل إلى هذا المعجم بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة. ومن غرائب الأمور أنه «يظهر حين يكون في الفصيح ما يعبر عنه، ويختفــي حيث تدعو الحاجة إليه، لأنه ليس في الفصحى ما يحل محله»[35].

---

(34) في حكايات ألف ليلة وليلة كثيرٌ من العامي. انظر على ســبيل المثال: كتاب ألف ليلة وليلة من أصوله العربية الأولى، حققه وقدم له وعلق عليه محســن مهدي، 3 مج، الطبعة العلمية (ليدن: شركة أ. ي. بريل، 1984-1994)، ص 105-126. ولكن كثيرًا من هذا العامي فُصِّحَ في الطبعات المختلفة للكتاب.

(35) سلام بزي - حمزة، «العامي في المعجم العربي الحديث،» ورقة قدمت إلى: «المستويات اللغوية في القاموس العربي،» (ندوة اللقاء الدولي للقاموسية، تونس، 18-21/ 11/ 2009).

ما الذي يجب أن تأخذ مدوَّنة الفصيح به، وما الذي يجب أن تهمله؟

إننا نعتقد أن مدوَّنة المعجم التاريخي للُّغة العربية لا يمكنها أن تعتمد الفصيح بالرجوع إلى أصول اللغويين العرب في تحديد الفصاحة[36]، ولا يمكنها أيضًا أن تعتمد كل ما يقوله العرب مصدرًا. لا هذا ولا ذاك؛ فالوقوف عند حدود ما قرره اللغويون العرب يعطي في أحسن الأحوال نسخة جديدة من المعجم العربي القديم. واعتمادُ كلٍّ ما يقوله العرب ويكتبونه لا يأتي إلا بخليط من العاميات التي تمضي في كل اتجاه، وهو خليطٌ لا يمكنه أبدًا أنْ يكون بغية الساعي إلى إنشاء معجم عربي، أتاريخيًا كان هذا المعجم أم غيرَ تاريخي.

ما كُتب بالعامية أو بالعاميات، شعرًا أو نثرًا، في هذا البلد العربي أو ذاك، فسبيله أن يُستبعَدَ من مدوَّنة المعجم التاريخي من أول أمره؛ إذ لو أخِذَ النصُّ العامي مصدرًا من مصادر المدوَّنة لخرَج إلى الناس معجمٌ لا يشبه معجم الفصيح في شيء. أما العاميُّ الذي يرِدُ في النص الفصيح فيؤخَذ به، لأن المدوَّنة حين تُقفَل لا يعود ممكنًا أن تُستبعَد منها العناصرُ التي يرغب اللغوي عنها.

ما الذي يعنيه هذا؟

إنه يعني أن المصادر المكتوبة بالعربية الفصحى حين يؤخذ بها في المدوَّنة فلا يُستطاع بعد ذلك استبعادها إنْ تبينَ أنَّ فيها شيئًا من العامي، ولا يُستطاعُ استبعاد العامي منها؛ إذ لو كان الأمرُ على هذه الشاكلة لوجب استبعاد معظم كتابات الروائيين العرب المعاصرين لأنهم يطعِّمون كتاباتهم بشيء من العامية في الحوارات التي يُجرونها على ألسنة أبطالهم، ولوجب أن يُستبعَد أيضًا كثيرٌ من نصوص العربية التاريخية مثل نصوص الأدب الشعبي، ومعظمُ نصوص

(36) يقول عبد العلي الودغيري إن ««اللفظ الفصيح الحديث» ما توفَّر فيه ثلاثة شروط: 1- أنْ يرِد في نص مكتوب أي لا بد من أن يكون بعض كبار الكُتّاب أو الشعراء أو العلماء قد استخدموه [...]، 2- أن يكون قد شاع استعماله بين أكثر من كاتب أو مؤلف [...]، 3- أن يكون جاريًا ولو بوجه، على قواعد العربية وأقيستها وسننها في الاشتقاق والتوليد والتعريب»، انظر: عبد العلي الودغيري، «قضية الفصاحة في القاموس العربي التاريخي،» في: المعجم العربي التاريخي، ص 234.

الأدب الحديث مثل الخطب الرسـمية، وكل المقابلات الصحافية والإذاعية، وأكثر الخطابـات والكتابات والمحاضرات لرجال السياسـة والفكر والأدب، لأنك غالبًا ما تقع في ثنايا الخطاب والرسالة والمحاضرة والمقابلة على عنصر عامي لا تعترف الفصحى به. فإن حذفتَ كل هـذا لم يعُد عندك مدوَّنة حقيقية شـاملة، وإن حذفت ما فيه من عامي دون غيره بعد تكويـن المدوَّنة صار هذا نوعًا من التحكم فيها، وصارت معاييرُ الفصاحة المقررةُ سلفًا هي التي تتحكم في صناعة المدوَّنة بدلًا من أن تتحكم المدوَّنة في هذه المعايير، لأنها هي التي تنتجها، وصارت المدوَّنة أشـبهَ ما يكون بالمثال المصنوع الذي يضعه النحوي أو اللغوي على مقاس القاعدة التي يريد إثباتَها.

وقف معجم ألفـاظ الحياة العامة في الأردن أمام هـذا التداخل الذي لا فكاك منه بين أوجـه العامية والفصحى، فلم يكن ممكنًا له أن يُخلص نفسـه لهذا الوجه أو ذاك. يرد في مقدمة المعجـم أن حديثه عن ألفاظ الحياة العامة «لا يعني الحديث عن العاميات الدارجة»، لكنه مع ذلك يجد نفسه مُلزَمًا بها، لأنه يريد وصف لغة الحياة العامة. ومن أراد ذلك فلا سـبيل له إلى اسـتبعاد العامي، فإن سـعى إلى التخلص النهائي منها أدى به سعيُه إلى أن يتخلى عن مشروعه بإنشـاء معجم للغة الحياة العامة، لأن هذه اللغة، كما يقول «لغةٌ حية ونامية ومتغيرة ومستمرة اسـتمرار الحياة ذاتها، وهي في الوقت نفسه، سريعة التأثر بالأحداث والظروف السياسـية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية»... وربما كان لتمازج مفهوم «ألفـاظ الحضارة» و«ألفاظ الحيـاة العامة» باللغة المحكية في كل قُطـر عربي، وبالتالـي باللهجات المختلفـة، تأثير كبير في الإحجـام حتى الوقت الحاضر، عـن وضع «المعجم الموحـد لألفاظ اللغة العامة» (المقدمة، ص«و»).

إن كان معجـم ألفـاظ الحيـاة العامة فـي الأردن قد أقـدم حين أحجم الآخرون، فذلك يعني أنه كان لا بد له من أن تتقاطع الفصحى فيه مع ما يسميه «اللغة المحكية» تارة، وما يسميه «اللهجات المختلفة» تارة أخرى.

ج - المدوَّنة وفُصْحَيات العربية

من خصائص اللغة الحية، كلِّ لغة، أنها ليست واحدة متجانسة، بل هي متغيرة متنوعة مختلفة باختلاف الأزمنة والأمكنة. أما الزمان فأمرُه واضحٌ في مشروع المعجم التاريخي؛ لأن فكرة المعجم التاريخي تفترض أنَّ اللغة متغيرة في الزمان، وأنَّ من شأن المعجم التاريخي أن يرصدَ هذا التغيُّرَ الحاصلَ فيها بين زمان وآخر في توليد مفردات جديدة، وفي اكتساب المفردات القديمة مداليل جديدة، وفي غير هذا وذاك من وجوه التغيير المحتمَلة. أما المكانُ فله شأنٌ آخر. ولئن كان ممكنًا أن تُحصَرَ مدوَّنة المعجم التاريخي في حقبة من الأحقاب في مرحلتها الأولى، فيُكتفى بعربية النقوش، أو بعربية العصر الجاهلي، أو بعربية النصف الثاني من القرن العشرين، فإن حصرَها في المكان ليس أمرًا ممكنًا في المعجم المزمع إنجازه؛ إذ ليس ممكنًا أن توصف اللغة العربية المستخدمة في بلد عربي دون غيره في معجم يتوخى أن يكون موجهًا إلى العربية بشكل عام.

العربية الفصحى واحدة في مختلف أرجاء العالم العربي الكبير، وهي من أهم عناصر وحدة هذا العالم. غير أن هذه اللغة الواحدة لا تمنع من أن يكون في كل بلد عربي شيء من الخصوصية التي يُعرف أهله بها. وغالبًا ما تكون هذه الخصوصية في تركيب نحوي يستخدمونه دون غيرهم، أو في لفظ يتفردون باستعماله، أو يعطونه معنًى ليس معروفًا شائعًا عند غيرهم. وهذا العنصر الأخير المتعلق باللفظ المفرد وبالمعنى الذي يُعطى للَّفظ هو ما يهمنا في هذه الدراسة. وهو أمرٌ كان في العربية القديمة، وهو لا يزال في أيامنا. مر بنا حديثُ الخليل عن ألفاظٍ يختصُّ بها أهل مصر، أو أهل الشام، أو أهل البصرة، أو أهل اليمن. وكان ابن خلدون الذي تحدث عن اختلاف لغة الأمصار عن لغة مُضَر قد أشار إلى أن هذه اللغة «تختلف باختلاف الأمصار في اصطلاحاتهم؛ فلغةُ أهل المشرق مباينةٌ بعضَ الشيء للغة أهل المغرب، وكذا أهل الأندلس معهما»[37].

---

(37) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة: تاريخ العلامة ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق جمعة شيخة، ط 3 (تونس: الدار التونسية للنشر، 1993)، ص 727.

الأمرُ على هذا في أيامنا؛ فلفظ «الإشــهار» في بلــدان المغرب العربي - على ســبيل المثال - هو «الإعلان» في البلدان العربية الأخرى؛ فإذا نظرنا في المعاجم العربية المشــهورة التي بين أيدينا وجدنــا أن لفظ «الإعلان» بالمعنى الاصطلاحــي للكلمة، دخــل العربية الفصحــى منذ أكثر مــن نصف قرن من الزمان؛ إذ يقول المعجم الوســيط إنه لفظة «مُحدَثــة»، ويعني باللفظ المحدَث اللفظ «الذي اســتعمله المُحْدَثــون في العصر الحديث، وشــاع في لغة الحياة العامة»[38]. جاء في تعريف «الإعلان» في المعجم الوســيط: «إظهار الشــيء بالنشــر عنه في الصحف ونحوها (محدثة)». واعتمــدت المعاجم التالية هذا المعنى الاصطلاحي في تعريفها للفظ «الإعــلان»، إذ جاء في المعجم العربي الأساســي: «ما ينشــر في الصحف أو الإذاعة أو نحوها في نشرات خاصة مما يهم المعلن أن يطلــع الناس عليه ويســتجيبوا له "تخصــص بعض الصحف صفحات كاملة للإعلانات"». وجاء في المنجد في اللغة العربية المعاصرة: «ما ينشر في الصحف أو الإذاعة ونحوهما في منشــورات خاصة مما يهم المعلِن أن يطلع الناس عليه: "صفحة كاملة للإعلانات"». أما لفظ «الإشهار» فلا يأتي في هــذه المعاجم إلا بمعناه اللغوي العام، مع أنه يُســتخدم في بلدان المغرب العربي بالمعنى الاصطلاحي نفســه الذي للفظ «الإعــلان»؛ فهذه المعاجم لا تقول عنه ســوى إنه مصدر لفعل «أشــهر». وكان يمكن أن تقول هذه المعاجم فيه ما قالته في «الإعــلان»، أو أن تُحيل فيه إلى ما ذكرتــه في «الإعلان» حتى لا تتكرر شــروحها، فلا تذكر التعريف إلا في مكان واحد تعتبر أنه هو الأشهر الذي تعتمده، وتحيل في بقية الألفاظ المترادفة إليــه؛ ذلك أن المعنى اللغوي العام لـ «الإشــهار» هو المعنى اللغوي العام لـ «الإعلان». وليس في العربية ما يمنع من استخدام هذا اللفظ أو ذاك بالمعنى الاصطلاحي الذي تذكره المعاجم العربية لـ «الإعلان». إنما هو الاســتخدام الذي شاع لهذا اللفظ في مناطق من العالَم العربــي، ولذاك اللفظ في مناطق أخرى. غيــر أن الواقع اللغوي العربي الذي هو نتيجة للواقع السياســي العربي الممزق في غياب سلطة واحدة، وفي

(38) المعجم الوسيط، ج 1، ص 16.

غياب تنسيق حقيقي، زاد حدَّة الخلافات بين فصحى هذا البلد العربي وذاك، وجعل بلدانًا تختار واحدًا من اللفظين، وبلدانًا أخرى تختار اللفظ الآخر. ولا بد في معجم لغوي عربي يعتمد على مدوَّنة حقيقية من أن يقف أمام هذه المسألة لتدبر الحلول لها.

ما تواضع الناس على تسميته بالعربية الفصحى إذًا يختلف من مكان إلى مكان؛ في عربية مصر والشام والعراق والمغرب والخليج فروقٌ لا تخفى على الباحث المتفحص الذي يُمعِن النظر فيها، وهذا أمرٌ شائعٌ معروف في اللغات المحصورة في نطاق جغرافي ضيق، فما بالُك باللغات التي تنتشر على مساحة واسعة من الأرض كما هي حال العربية ؟ فإن كان يراد للمعجم التاريخي أن يقدِّمَ وصفًا للعربية في العالَم العربي فلا بد لمدوَّنته من أن تأخذ هذا في الاعتبار، وأن تكون النصوصُ التي يُعتمد عليها نصوصًا تغطي العالَم العربي، وتُمثّل تنوعه واختلافه. وينبغي ألّا يُفهم من هذا القول أن تُؤخذ نصوصٌ من هذا البلد العربي في مجال محدد، وأن تؤخذ نصوصٌ من بلد عربي آخر في مجال آخَر، بل أن يُؤخذ في كل علم وفي كل فن من هذه الأقطار بقدر يتناسَبُ مع مساهمتها فيه. وإن كنا نعرف أن تحديد هذه النسبة وتلك ليس بالأمر الذي يمكن قياسه بصورة دقيقة حاسمة، فنحن نعني إذًا أنَّ على المدوَّنة أن تأخذ هذه المسألة في حسبانها، وألّا تكتفي في نصوصها بعربية منطقة معينة لا تتعداها معتبرة إياها ممثِّلة حصرية للعربية في العالم العربي كله.

د – المدوَّنة ومستويات العربية

مسألة المستويات اللغوية، أو ما يمكن تسميته السجِلّ اللغوي، بالغة الأهمية في الدراسات المعجمية. غير أنه ليست في المعاجم العربية إشارةٌ إليها. ويمكن أن يعتبر الباحث هذا الأمر بالنظر في ما تعنيه عبارة «المستويات اللغوية» حين تُستخدم في العالم العربي؛ فليس في ما كُتب في الموضوع سوى ذكرٍ لِما يهم الباحث المؤرخ للُغة حين يقال له إن المستويات تعني الفصيح والمعرَّب والمولد والمجمعي والمحدث والدخيل، أي ما ورد في التصنيف الذي اعتمده

المعجم الوسيط في مقدمته في منتصف القرن الماضي، وهو التصنيف الذي تابعه فيه المعجم العربي الأساسي في آخر القرن. وليس هذا ما يعنيه الباحثون الغربيون بلفظ «المستويات» أو بلفظ «السجلّ»، لأنهم يعنون به ما يهم مستخدم اللغة من علاقة للمستويات بالصفة الاجتماعية للّغة، وبالمناسبة التي يجري الحديث فيها، وبالعلاقة الاجتماعية بين المتخاطبين، وبغير هذه وتلك من العلاقات الاجتماعية التي تنعكس في اللغة. وكنا قد تناولنا وجود هذه المستويات في دراسة لنا عن العربية المعاصرة[39]، بيّنا فيها أن ألفاظ الخطاب في العربية لا تنتظم في مستوى واحد، بل لها مستويات متعددة يجب أنْ تجدَ لها مكانًا في المعجم العام. كما كنا قد تناولنا في دراسة أخرى موقع هذه المستويات في المعجم العربي الحديث، فانتهينا إلى غيابها عنه بشكل كامل[40]. ولن نتناول في هذه الدراسة إلا واحدًا من هذه المستويات، هو البذيء النابي، لارتباطه ارتباطًا وثيقًا بشروط اختيار المدوَّنة التي ينطلق الوصف المعجمي منها.

كانت مدوَّنة المعجم العربي القديم مدوَّنة حية تنقل ما في اللغة الحقيقية التي يتداولها الناس في أيامهم؛ ولذلك كان المستوى الذي سميناه «البذيء النابي» كثير التواتر في معاجم القدماء. ولم يكن كبار العلماء والأدباء والفقهاء يتحرَّجون من ذِكْرِه، فتراه مبثوثًا في كتب الجاحظ وابن قتيبة وأبي حيان التوحيدي وبديع الزمان الهمذاني وغيرهم. بل قد تجد كتبًا تخصَّص كلُّها، أو يخصَّص جُلُّها، لهذا النوع مثل كتاب رجوع الشيخ إلى صباه في القدرة على الباه المنسوب إلى مفتي الديار الإسلامية ابن كمال باشا، وكتاب الروض العاطر في نزهة الخاطر للشيخ النفزاوي... وغيرهما.

يقول ابن قتيبة في مقدمة كتابه عيون الأخبار: «وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين. وإذا مر بك

---

(39) حسن حمزة، «المستويات اللغوية في العربية المعاصرة،» (كرسي مارغريت واير هاوزر جويت للدراسات العربية، الجامعة الأميركية في بيروت، بيروت، 2010).

(40) Hassan Hamzé, «Les Niveaux de langue dans le dictionnaire bilingue français-arabe,» dans: Hassan Hamzé, Bassam Baraké et Ibrahim Ben Mrad, éds., *Le Sens propre et le sens figuré dans le dictionnaire bilingue français-arabe* (Tripoli, Liban: Dar al-Mouna, 2007), pp. 119-140.

حديثٌ فيه إفصاحٌ بذكرِ عورة أو فرج أو وصفِ فاحشة فلا يحملنَّك الخشوعُ أو التخاشُع على أنْ تُصعِّرَ خدَّك وتُعرِضَ بوجهك، فإن أسماء الأعضاء لا تُؤثِم وإنما المأثَمُ في شتْم الأعراض وقول الزور والكذب وأكْلِ لحوم الناس بالغيب»، ثم يتابع مستشهدًا على ما يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [...]، وقال أبو بكر الصديق رضيَ الله عنه [...]، وقال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه [...]، وقال الشاعر في هذا المعنى بعينه [...] وقيل للشعبي [...] فقال [...]»، ثم يتابع فيقول: «وليس هذا من شكلِ ما تراه في شعر جرير والفرزدق لأن ذلك تعييرٌ وابتهار في الأخوات والأمهات، وقذْفٌ للمُحْصَنات الغافلات، فتفهَّم الأمْرَين، وافْرُق بين الجنسَين. ولم أترخَّص لك في إرسال اللسان بالرفَث على أنْ تجعلَه هَجِّيراكَ على كل حال، ودَيدَنَك في كل مقال، بل الترخُّصُ مني فيه عند حكاية تحكيها أو روايةٍ ترويها، تُنقِّصُها الكنايةُ ويذهبُ بحلاوتها التعريض. وأحببتُ أن تجري في القليل من هذا على عادة السلف الصالح في إرسال النفس على السجية والرغبةِ بها عن لِبْسَةِ الرياء والتصنُّع، ولا تستشعِرْ أن القوم قارَفوا وتنزَّهْتَ، وثَلَموا أديانَهم وتورَّعْتَ»[41].

غير أن هذا الأمر الذي هو من طبيعة البشر، وهو في كل اللغات، قد لا يقف منه أصحاب المعاجم موقفًا واحدًا في كل زمان وفي كل مكان؛ إذ قد يعتبر واضعُ المعجم ألفاظَ هذا المستوى مما لا يجوز ذكرُه، فيستغني عن نصوصه، أو يحذف من مدوَّنته الألفاظ التي تنتمي إليه تنزيهًا للِّسان عن ذِكرِه، أو استغناءً بغيره عنه، أو قد يتخفَّفُ منه، فلا يذكرُ منه إلا أقلَّ القليل، وإنْ كان هذا القليل لا يعكسُ الواقعَ اللغوي الحقيقي.

يبدو لنا أن ما قام به معجمُ ألفاظ الحياة العامة في الأردن إنما هو من هذا الباب الأخير الذي يحاول الحدَّ من هذا المستوى قدرَ ما يمكن. وتُظهِرُ عمليةُ مسْح سريعة لمفردات هذا المستوى الذي تعتبره الأعراف الاجتماعية والخلقية ساقطًا بذيئًا منحطًا لا يحسُن بالإنسان المهذب أن ينطق به - ولا نظن أن

(41) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، تراثنا (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، 1963)، مج 1، ص «ي-ك».

مفردات هذا المســتوى نادرة أو قليلة في عربية الحياة اليومية العامة في الشارع والمعمل والمزرعة وغيرها - أنه ليس في هذا المعجم منها إلا نزرٌ يســيرٌ يأتي غُفلًا من دون أدنى إشارة إلى المستوى اللغوي الذي ينتمي إليه(42).

لا يســجلُ معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن كلَّ ما هو حي مســتعمل في مدونتــه، بل يتخيَّر منه. وصرَّح المعجمُ في مقدمتــه بهذا الاختيار ليعلل به استبعاد عدد من ألفاظ المســتوى العامي حين يكون للمفهوم الواحد أكثرُ من لفظٍ يدل عليه؛ فالفصيح - كما يقول - أوْلى من «الكلمة التي قد تكون مغرقة في العامية». ويعني حديثه عن إغراق الكلمة في العامية ضمنًا أن العامي صنفان: صنف عامي عــادي، وصنف عامي مغرق فــي عاميته. ويبــدو أن المراد بهذا الصنف الثاني الكلمة العامية التي تكــون محصورة في بلد عربي واحد، أو في منطقة واحدة من هذا البلد. أما الصنف العامي العادي فالكلمة العامية الشــائعة في كل البلدان العربية كلهــا، أو في عدد منها (المقدمة، ع). أما المفردات التي تنتمي إلى هذا المســتوى الذي ســميناه «البذيء النابي» فلا يشيرُ المعجم فيها صراحةً إلى اختيار أو مفاضَلة. لكننا نفترض أنه اعتمد المنهج نفسه في الحذف والاختيار، وهو منهجٌ لا يقوم على كثرة الاســتعمال، بل على انتماء اللفظ إلى هذا المستوى دون ذاك.

يبدو مــن مقدمة معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن أنَّ المســحَ مســحٌ شــامل. غير أن نتيجة المسح المسجلة في المعجم ليســت شاملة، لأن مبضع الرقيــب يتدخل فيها فيحــذف جزءًا منهــا، لأنه لا يوافق العــرف الاجتماعي والأخلاق العامة، ولأن في ألفاظ اللغة ما يمكن أن يحل محله من المترادفات.

في اللغة ألفاظٌ قد لا تجد طريقها إلــى المعجم لأنَّ واضِعَه لم يعتمد في وضعه على مدوَّنة، فلم يجدها في المعجم الســابق الذي نسَخَ مداخلَه، أو لأنَّ المدوَّنة التــي اعتمد عليها كانت مجتزأةً فكان اســتقراؤه ناقصًــا، أو لأنه قرَّرَ

---

(42) حســن حمزة، «المســتويات اللغوية في القاموس الحديث بين الوصف والمعيار: معجم ألفاظ الحياة العامة في الأردن نموذجًا»، ورقة قدمت إلى: «المستويات اللغوية في القاموس العربي».

حذفها والاستغناء عنها فكأنها ليست مما يُتداول، مع أنها في مدونته. ومفرداتُ المستوى البذيء النابي من هذا الصنف الثالث في كثير من الأحيان: حضورُها في المدوَّنة وغيابُها سيّان. يقول الأب لويس معلوف في مقدمته للطبعة الأولى من المنجد، وهي الطبعة التي صدرت في عام 1908: «وقد تحرينا ما أمكنا المحافظةَ على عبارات الأقدمين، وأغْفَلْنا ذِكرَ ما يمس حرمة الآداب من الكلمات البذيئة التي لا يضر جهلُها، وقلّما أفادَ عِلْمُها»[43].

المراجع

1 – العربية

كتب

ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد. **المقدمة: تاريخ العلامة ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر**. تحقيق جمعة شيخة. ط 3. تونس: الدار التونسية للنشر، 1993.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. **عيون الأخبار**. القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، 1963. (تراثنا)

ابن مراد، إبراهيم. **المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري**. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993.

ـــــــ. **مقدمة لنظرية المعجم**. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997.

(43) لويس معلوف وفردينان توتل، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ط 15 (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1956).

ابن منظـــور، أبو الفضل محمد بن مكرم. **لســـان العرب**. بيـــروت: دار صادر، [د. ت.].

بعلبكي، رمزي منير. **معجم المصطلحات اللغويـــة: إنكليزي - عربي، مع 16 مســـردًا عربيًا** = *Dictionary of Linguistic Terms: English-Arabic, with Sixteen Arabic Glossaries*. بيروت: دار العلم للملايين، 1990.

الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن موسى. **كتاب الجبر والمقابلة**. قام بتقديمه والتعليق عليه علي مصطفى مشرفة ومحمد مرسي أحمد. القاهرة: مطبعة فتح الله الياس نوري وأولاده، 1939.

الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق. **اشتقاق أسماء الله**. تحقيق عبد الحسين المبارك. ط 2. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986.

الزِركْلي، خير الدين. **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمســـتعربين والمستشـــرقين**. 8 ج. ط 7. بيروت: دار العلم للملايين، 1986.

الســـيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بـــن أبي بكر. **الاقتراح فـــي علم أصول النحو**. ط 2. حيدر آباد الدكن: جمعية دائرة المعارف العثمانية، 1940.

في المعجمية العربية المعاصرة: وقائع ندوة مئوية أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني ورنحرت دوزي، تونس في 15، 16، 17 أفريل 1986. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987.

الفيروزآبادي، أبو الطاهـــر محمد بن يعقوب. **القاموس المحيط**. بأوله شـــرح ديباجة القاموس لنصر الهوريني. بيروت: دار الفكر، [د. ت.].

كتاب ألف ليلة وليلة من أصوله العربية الأولى. حققه وقدم له وعلق عليه محسن مهدي. 3 مج. الطبعة العلمية. ليدن: شركة أ. ي. بريل، 1984-1994.

مجمع اللغة العربيــة الأردني. **معجم ألفاظ الحياة العامــة في الأردن**. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2006.

مجمع اللغة العربية. **المعجم الوسيط**. ط 3. القاهرة: دار عمران، 1985.

المسدي، عبد السلام. **قاموس اللسانيات: عربي - فرنسي، فرنسي - عربي مع مقدمة في علم المصطلح**. تونس: الدار العربية للكتاب، 1984.

مسعود، جبران. **الرائد: معجم لغوي عصري**. ط 7. بيروت: دار العلم للملايين، 1992.

المعجم العربــي التاريخي: وقائع الندوة التي نظمتهــا جمعية المعجمية العربية بتونــس، 14-17 نوفمبــر 1989. تونس: المؤسســة الوطنيــة للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، 1991.

معلــوف، لويس وفرديان توتــل. **المنجد في اللغــة والأدب والعلوم**. ط 15. بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1956.

المنجد في اللغة العربية المعاصرة. بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 2000.

المنظمة العربية للتربيــة والثقافة والعلوم. **المعجم العربي الأساســي للناطقين بالعربية**. باريس: لاروس، 2000.

الودغيري، عبد العلي. **قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشــرقي**. الرباط: منشورات عكاظ، 1989.

دوريـات

حمزة، حســن. «المعاجم المدرســية العربية من خلال مقدماتها.» **اللسانيات** (الجزائر): العدد 16، 2010.

ـــــــــ. «المعجـــم العربي وهوية الأمة.» تبيُّن للدراســات الفكريــة والثقافية (الدوحة): السنة 1، العدد 1، صيف 2012.

ندوة

«المســتويات اللغوية في القاموس العربي.» (ندوة اللقاء الدولي للقاموســية، تونس، 18-21/ 11/ 2009).

وثيقة

حمزة، حسن. «المســتويات اللغوية في العربية المعاصرة.» (كرسي مارغريت واير هــاوزر جويت للدراســات العربية، الجامعة الأميركيــة في بيروت، بيروت، 2010).

2 - الأجنبية

Books

Béjoint, Henri et Philippe Thoiron (éds.): *Le Sens en terminologie*. Travaux du CRTT, Presses universitaires de Lyon, 2000.

Dozy, Reinhart Pieter Anne. *Supplément aux dictionnaires arabes*. 2 vols. Beyrouth: Librairie du Liban, 1991.

Hamzé, Hassan, Bassam Baraké, Ibrahim Ben Mrad (éds.). *Le Sens propre et le sens figuré dans le dictionnaire bilingue français-arabe*. Tripoli, Liban: Dar al-Mouna, 2007.

Maniez, François et Pascaline Dury (dirs.). *Lexicographie et terminologie: Histoire de mots, hommage à Henri Béjoint*. Lyon: Centre de recherche en terminologie et traduction, 2008.

Mounin, Georges (dir). *Dictionnaire de la linguistique*. 2ème éd. Paris: Presses universitaires de France, 1995. (Quadrige)

Le Nouveau petit Robert: Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française. Texte remanié et amplifié sous la dir. de Josette Rey-Debove et Alain Rey. Nouvelle édition. Paris: Dictionnaires Le Robert, 2004.

Thesis

El-Khoury, Tatiana. «La Terminologie arabe de la greffe d'organes: Fonctionnement discursif et relations intra- et inter-termes». Sous la direction de Hassan Hamzé (Thèse de doctorat, Université Lyon 2, Lyon, 2007).

Conference

«Néologie et néologismes en arabe.» (Colloque international organisé dans le cadre du projet LTT, Université Lyon 2, 12-13 Juin 2008).

الفصل السابع

المدوَّنة اللغوية
دراسة مسحية

عودة خليل أبو عودة

أولًا: تعريف المدوّنة وأصولها

يُعَد اصطلاح «المدوَّنــة اللغوية» اصطلاحًا جديدًا في ميدان الدراســات اللغوية المعاصرة، فعندمــا بدأتُ بحث مادة هذا الموضــوع وما يتصل به من معلومات وما تلزم العودة إليه من مراجع ودراســات وبحوث ومحاضرات... وجدت أن دلالته ومفهومه غريبان عن جمهرة المتخصصين بالدراسات اللغوية، بل إن بعضهم ممن لهم باع طويل في هذا المجال، وممن كانت دراستهم جلّها في تطور وجهات النظر في النظريات اللسانية، والدراسات اللغوية، أبدى رأيه، من دون تردد، بأنه لم يسمع بهذا المصطلح من قبل.

لعل في مراجعة هذه المادة في معاجم اللغة ما يؤســس لما آلت إليه من مصطلح علمي في مجال الدراسات الحديثة. جاء في تاج العروس: «والديوان بالكسر، قال ابن السكّيت: لا غير، ويفتح عَن الكسائي وحكاها سيبويه: مجتمع الصحف. وأيضًا الكتاب يكتب فيه أهل الجيــش وأهل العطية، عن ابن الأثير. ومنه الحديث: لا يجمعهم ديوان حافظ، وأول من وضعه عمر رضي الله عنه. قال الجوهري: أصله دِوّان فعوض من إحدى الواوين ياء [...] وقد دوّنه تدوينًا جَمَعه [...] وفي شــفاء الغليل: أطلــق على الدفتر، ثم قيل لــكل كتاب، وقد يخص بشعر شاعر معين مجازًا، حتى جاء حقيقة فيه»[1].

لم تُذكــر كلمة «مدوَّنة» في المعاجــم القديمة، لكــنَّ المعاجمَ الحديثة ذكرتها واحتفلت بها، كما هو منتظــر من معاجم تهتم بالتطور الدلالي لألفاظ

(1) أبو الفيض مرتضى بــن محمد الزبيدي، تاج العروس من جواهــر القاموس، 40 ج، التراث العربي (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2001)، ج 35، ص 34.

اللغة. سـأكتفي بمعجمين أساسـيين في العصر الحديث، أظنهما يغنيان عن إطالة بحـث غيرهما مـن المصنفات اللغويـة الكثيرة، وهما وفـق الترتيب الزمني:

- **المعجم العربي الأساسي** الذي أصدرته المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم في عام 1988.

- **المعجم الكبير** الذي يُصدر أجزاءه تباعًـا مجمعُ اللغة العربية بالقاهرة. صـدر منه الجزء السـادس الخاص بحرف الـدال في طبعتـه الأولى في عام 2006.

ورد فـي **المعجم الأساسـي** في مـادة «دان»: دوّنَ يـدوّن تدوينًا الكتبَ جَمَعَها ورتّبها، والديوانَ: أنشأه [...] ومُدَوَّنة جمعها مدوَّنات: مجموعة أحكام قانونية أو فقهية (مدونة القانون المدني)، مدوَّنة مالك: أشهر كتب الإمام مالك الفقهية»[2].

أما **المعجم الكبير** فأضاف إلى هـذه المعلومات بعضَ التفصيلات. قال: «دوّن الديوانَ: أنشأه ووضعه، وقال ابن الرومي يمدح عبيدَ الله بنَ عبد الله:

هل تَـرى ما أرى سَراةُ مَعَـدٍّ وصناديـدُ أختِها قحطـان

أنْ تلافَيْتَ مجدَهم بعدما شذْ ذَ فأضحى مُدوَّنَ الديوان

ودوّن فلانٌ شعره: جَمَعَه في ديوان، ودوّن الكتبَ: جمعها ورتبها».

بعد أن شـرح طويلًا معاني كلمة «الديـوان» وأنواعه، وسـاق أمثلة له، قال: «**المدوَّنة** (Code): مجموعة أحكام أو قوانيـن فقهية ج مدونات. **والمدوّنةُ الكبرى**: مجموعة فقهية جمعها قاضي القيروان عبد السلام بن سعيد المعروف بسـحنون (240هـ - 854م)... وأصبحت من أهم مصادر التشريع في الغرب

---

(2) المعجم العربي الأساسي للناطقين بالعربية (القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم؛ باريس: لاروس، [1989])، مادة (دوّن).

الإســـلامي كله. والمدوَّنة المدنية (Code civil) (F)، مصنف يضم قواعد القانون المدني»[3].

اعتمد علماءُ اللغةِ المعاصرون هذا الأســـاسَ التراثي لمعنى كلمة مدوّنة، وهو ســـلوك علمي صحيح ودقيق، وحَمَلوه على ما اتخذوه من مناهج جديدة في محاولة حصر ألفاظ لغة ما، أو دراســـة أشـــكال التطور الدلالي لألفاظ لغة معينة، أو تتبع الطريق التاريخية الطويلة التي ســـلكتها ألفاظ اللغة عبر القرون، وبيان المعاني والـــدلالات التي حملتها هـــذه اللغة في ســـطورها ونصوصها ومفرداتها ودواوينهـــا ومدوَّناتها. إنه لعمل جليل، ولعـــل أمتنا العربية تخلفت بعض الشيء عن إنجاز هذا المشـــروع الكبير الذي بدأته بعض الدول وأنجزته منذ أكثر من قرن من الزمان.

عرض هارتمـــان (R.R.K. Hartmann) وســـتورك (F.C. Stork) معنى المدوَّنة اللغوية وأهميتها ووظيفتها في كتابهمـــا *Dictionary of Language and Linguistics* (معجم اللغـــة واللغويات) وتحديدًا في مـــادة Corpus (بمعنى مدوَّنة)، ما نصُّه: «هي بيانات لغوية غير منظمة جُمعت خلال عمل ميداني، أو نصوص مكتوبة، ويقوم اللغوي بتحليل هذه البيانات ليكتب تقريـــرات عن الملامح الوظيفية أو الكتابية (Gaphemic) أو النحوية أو المعجمية للغة ما»[4].

أما في معجـــم *A dictionary of Linguistics and Phonetics* (**معجم للُّغويات والصوتيات**) لواضعه ديفيد كريستال (David Crystal)، فورد عن المدوَّنة اللغوية (Corpus) ما يلي: «**مجموعة بيانات لغوية سواء أكانت نصوصًا مكتوبة أم نسخة طبق الأصل عن كلام مســـجل**، ويمكنُ أن تُعَد هذه البيانات نقطة البداية للقيام بوصف لغوي أو وسيلة لإثبات صحة افتراضات معينة عن اللغة».

كانت الوُصُوفُ (جمع وَصْف) اللغويةُ ذاتُ المدوّناتِ المحددةِ موضوعًا

---

(3) جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية، المعجم الكبير (القاهرة: المجمع، 2006)، مادة (دون).

(4) R. R. K. Hartmann and F. C. Stork, *Dictionary of Language and Linguistics* (London: Applied Science Publishers, 1972), p. 55.

للنقد، ولا سيما من النحاة التوليديين الذين ينظرون إلى المدوَّنة اللغوية على أنها نموذج من الأداء اللغوي لا غير، وهم يرون أن المرء ما زال بحاجة إلى وسيلة إبراز (عرض) تتجاوز حدود المدوَّنة اللغوية إلى اللغة ككل. على أنه قد يكون من الصعب تجاوز المدوَّنة اللغوية في مجال العمل على لغة جديدة أو حين يتعلق الأمر بالدراسة التاريخية؛ لأن مثل هذه المدوّنة يكون محصورًا ويتعارض مع المدوَّنة اللغوية الممتدة.

أما في اللغات التي تكون فيها للُّغوي فرصة للوصول المُيَسَّر إلى متكلمين أصليين، أو حين يكون اللغوي نفسه متكلمًا أصليًا للُّغة، فإن نهجه يكون ثابتًا وينظر إليه على أنه قائم على مدوَّنة لغوية أساسية (Corpus-based) أكثرَ من كونه قائمًا على مدوَّنة لغوية محددة (Corpus-restricted)[5].

في **معجم المصطلحات اللغوية** *(Dictionary of Linguistics Terms)*، قال رمزي بعلبكي عن المدوَّنة اللغوية (Corpus): هي مجموعة المواد اللغوية المدوّنة، إما بالكتابة العادية أو بالكتابة الصوتية بغرض الدراسة والتحليل، التي تشكل بنية لغة بعينها[6].

من الإشارات اللغوية والمعجمية السابقة، يمكن تحديد دلالة المدوَّنة اللغوية بأنها مجموعة نصوص تمثل اللغة في عصر من عصورها، أو في مجال موضوعي من مجالات استعمالها أو في منطقة جغرافية معينة أو في مستوى من مستوياتها أو في جميع عصورها ومجالاتها ومناطقها ومستوياتها[7].

إن هذا الوصف الدقيق لمفهوم المدوَّنة اللغوية، كما استقر الآن، يذكّر بأصول هذا المصطلح وبداية استعماله، عمليًا، منذ عصر صدر الإسلام

---

(5) David Crystal, *A Dictionary of Linguistics and Phonetics*, 2nd ed. (Oxford, [Oxfordshire]; New York: B. Blackwell and A. Deutsch, 1985), pp. 77-78.

(6) رمزي منير بعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية: إنكليزي - عربي، مع ٦١ مسردًا عربيًا = *Dictionary of Linguistic Terms: English-Arabic, with Sixteen Arabic Glossaries* (بيروت: دار العلم للملايين، 1990)، ص 128.

(7) انظر: <http://www.wata.cc/forums/shothread.php?>.

والعصر الأموي وما بعده، خصوصًا في أوائل العصر العباسي الذي يُعَد عهدَ التدوين، وعهدَ نشأةِ كثير من العلوم اللغوية والدينية والأدبية وغيرها من تاريخ الفكر العربي.

إن ديوانَ الشعر العربي - الشامل - الذي يمكن أن نصنعه اليوم، سيعتمد يقينًا على مدوَّنات فرعية لفنون الشعر ونصوصه المختلفة، مثل ما وجدناه في: **المفضليات والأصمعيات وجمهرة أشعار العرب** لأبي زيد القرشي، والحماسات المتعددة، وأشهرها **حماسة** أبي تمام، **والشعر والشعراء** لابن قتيبة، **وطبقات الشعراء** لابن سلام الجمحي، وغير ذلك كثير.

كما أن الحديث النبوي الشريف يمكن أن يعتمد في جمعه على كتب الحديث الصحيح، والمدوَّنات الكثيرة التي كتبت في العصور الأولى، التي كانت تُسمى كتب المسانيد، مثل: **مسند الزهري، ومسند ابن مسعود**، ومثل **موطأ مالك، وصحيح البخاري وصحيح مسلم**، وبقية الكتب الجامعة الأربعة عشر التي صنع منها آرِنت يان ونسنك (A. J. Wensinck) فهرسه الكبير، **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**.

مثل ذلك يمكن أن يقال عن كتب اللغة وكتب النحو وكتب البلاغة وما إلى ذلك من «مدوَّنات» كثيرة، كانت أساسًا أو يمكن أن تكون، لوضع الموسوعات الكبيرة لتاريخ تلك العلوم وتطور دلالاتها.

تُبنى المدوَّنات اللغوية في الأصل لدراسة اللغة، ولا يزال الاختلاف في وجهات النظر بين المهتمين والمتخصصين باللغة في ما إذا كانت المدوَّنة تمثل اللغة كلها أو تمثل جانبًا محددًا منها. ولا أجد سببًا مقنعًا لهذا الاختلاف؛ إذ إن المدوَّنة تُبنى وفق هدف أو أهداف محددة للبحث، وربما يمكن لعدد من المدوَّنات في الموضوعات المتقاربة وفق تخطيط دقيق أن تكون قريبة من تمثيل لغة ما تمثيلًا قريبًا من الدقة والصواب.

أجاب علي القاسمي عن هذه الملاحظة إجابة علمية دقيقة في مقالة له بعنوان «الخطة العلمية للمعجم التاريخي للُّغة العربية» جاء فيها: «نقترح

أن تتألف مدوَّنة المعجم التاريخي للُّغة العربية مــن بليون كلمة [مليار = ألف مليون كلمة]، وأن تقســم إلى عشــرين مجالًا موضوعيًا، ونصوص كل مجال من هذه المجالات تســمى مدوَّنة فرعية (Subcorpus)، وكل مدوَّنة فرعية مقسمة هي الأخرى إلى مجموعة من المجــالات الموضوعية المتخصصة. فإذا أخذنا المدوَّنــة الفرعية المتعلقة بمجــال الرياضة، مثلًا، نقســمها إلى عدة مجالات متخصصة، مثل: كرة القدم، كرة السلة، الملاكمة، السباحة... إلخ بحيث يمكن القول إن تركيبة هذه المدوَّنة متوازنة موضوعيًا»[8].

في مقالته هذه تحدث القاســمي تحت عنوان: «خطوات تصنيف المعجم التاريخي للُّغــة العربية»، جعل مــن هذه الخطــوات: «رابعًا»: إنشــاء مدوَّنة محوســبة، فتحدث عن المدوَّنــة في اللغــة والاصطلاح، وتاريخ اســتخدام المدوَّنات في صناعة المعجم العربي والمدوَّنة الحاســوبية الحديثة وأنواعها، وعن نقاط فرعية كثيرة، كل ذلك من أجل بيان كيف يمكن إنشاء مدوَّنة المعجم التاريخي للُّغة العربية[9].

الجديــر بالذكــر أن مُعدي المدوَّنــات اللغويــة، قديمًا وحديثًــا، كانوا يرسمون أسسًا دقيقة وشروطًا واضحة لبناء المدوَّنة وتحديد موضوعها وتنظيم محتوياتها. وإن الذي يطالع الأســس التي اشــترطها علماء الحديث الشريف، خصوصًا الإمام البخاري والإمام مســلم، لَيَعْجَب أشــد العجب من أن يكون إمكان أن يكون نظام بشــري بهذه الدقة والنظام في ميز السند، وتحقيق المتن في تخريج الحديث الشريف وروايته، ومثل ذلك فعل أصحاب كتب الطبقات في علــوم الفقه وعلوم اللغة والأدب والنقد والشــعر، مثل طبقات ابن ســعد وطبقات فحول الشعراء والشــعر والشعراء، وغير ذلك من المصنفات الخالدة في التراث العربي.

---

(8) محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية: وثائق ونماذج (القاهرة: دار السلام، 2008)، ص 217.

(9) المصدر نفسه، ص 214.

ثانيًا: خصائص المدوَّنة اللغوية

تُعَد المدوَّنة من أهم الأسس التي يقوم عليها بناء العمل المعجمي الحديث، ولعل كلمة «معجم» هذه أصاب دلالتها بعض التطور؛ إذ لم تَعد الكلمة تعني العمل المعجمي الذي يجمع ألفاظ اللغة ودلالة كل منها فحسب، بل إن هذا المصطلح أصبح يُطلق على كل دراسة موسوعية تتناول موضوعًا واحدًا كبيرًا بفروعه وأقسامه كلها، فأصبحنا نرى الآن معاجم كثيرة للمصطلحات المتنوعة لكثير من العلوم، مثل معجم المصطلحات الطبية أو الزراعية أو النحوية أو التربوية وغير ذلك كثير.

لكن سياق العمل في إعداد المعجم التاريخي للُّغة العربية لا يزال هو الذي يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن المدوَّنة اللغوية: أما إذا أطلقت كلمة «المدوَّنة» من دون هذا القيد أو هذا الوصف، فإنها قد تشمل أي علم من العلوم التي سبقت الإشارة إليها.

يرى محمود إسماعيل صيني أن المدوّنة اللغوية ينبغي أن تمتاز بالخصائص التالية:

- الواقعية والتمثيل الحقيقي للغة.

- الشمول من حيث المصادر والاستعمالات اللغوية والأساليب والأجناس الأدبية والتخصصات العلمية، وذلك بشروط مراعاة ذلك عند إعداد المدوّنة.

- إمكان إخضاعها للتحليل الإحصائي من جوانب مختلفة ولأغراض مختلفة، مثل التعرف إلى شيوع الكلمات، ومصاحباتها اللفظية وسياقات استعمالها (من خلال الكشافات السياقية – Concordance)، وغير ذلك من أنواع التحليل الصرفي للُّغات الاشتقاقية مثل العربية.

- التعرف إلى شيوع الكلمة وشيوع معانيها المختلفة، ونسبة شيوع الكلمة مقارنة بمجموع الكلمات في المدوَّنة، إضافة إلى شيوعها أو عدمه في أنواع

النصوص المختلفة، وهو ما يفيد في استخلاص المصطلحات الشائعة في كل تخصص من التخصصات العلمية والتقنية.

- إمكان التعرف إلى شيوع الأوزان والصيغ الصرفية المختلفة.

- إمكان إجراء أنواع من التحليل النحوي والتركيبي، مع توافر بعض المتطلبات اللازمة.

- إمكان إجراء التحليل الصوتي (بوصف الحروف تمثيلًا للأصوات في العربية بصورة عامة) للوصول إلى معلومات مختلفة عن الأصوات العربية من حيث شيوعها ومواقعها في الألفاظ إلى غير ذلك[10].

ثالثًا: أمثلة عن المدوّنات اللغوية

سأورد في هذه الدراسة بعض الأمثلة عن المدوَّنات اللغوية جمعتها من عدد من البحوث المتخصصة بالموضوع، ومن بعض المراجع في صناعة المعاجم، خصوصًا البحوث والمعاجم التي توجه اهتمامها منذ عقود عدة إلى المعجم التاريخي العربي الذي نرجو أن نراه حقيقة واقعة في المستقبل القريب.

1 - المدوَّنات العربية

أ - مدوَّنة «صخر»

كانت في بداية تأسيسها شركة ضمن مجموعة العالمية للإلكترونيات في عام 1982. وكان من أهدافها تطويرُ اللغة العربيّة ودعمُها، لتُوائمَ العصرَ الجديدَ من تكنولوجيا المعلومات.

(10) محمود إسماعيل صالح، «الجانب اللغوي للمعجم الحاسوبي للغة العربية،» ورقة قدمت إلى: الاجتماع الثاني لخبراء المعجم الحاسوبي التفاعلي للغة العربية (عقدته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، الرياض، 5-7/ 5/ 2008)، على الموقع الإلكتروني: <http//www.globalarabnetwork.com/science-a-it/2784-2011-04-04-14-19-07>.

ب - المدوّنة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية

تسـعى في مرحلتها الأولى إلى جمع 700 مليـون كلمة. وتطمح إلى أن يزداد حجمها إلى أن يصل إلى مليار كلمة في مرحلة لاحقة. راعى تصميم هذه المدوَّنة اللغويـة العربية معاييرَ خارجيّة عدة لاختيـار نصوص المدوَّنة، تعتمد على خمس ركائز أساسية:

- البعد الزمني،
- البعد الجغرافي،
- الوعاء المعلوماتي،
- المجال المعرفي،
- التصنيف الموضوعي[11].

ج - المدوَّنة «خليج 2004»

يبدو أن هـذه المدوَّنـة اهتمـت بجمـع آلاف المقالات مـن الجريدة اليومية أخبـار الخليج قصـد جمع علامـات التنقيط: مثل النقطـة والفاصلة وعلامة الاسـتفهام... إلخ، بغية اسـتعمالها في تصنيف النصـوص والتعرف الموضوعي[12].

د - المدوَّنة «وطن - 2004»

تحتوي هذه المدوَّنة على نحو عشـرين ألف مقالة، هي مجموعُ مقالات جريدة الوطن العمانية لعام 2004. صُنفت المقالات بحسـب الحقول التالية: ثقافة، دين، اقتصاد، أخبار محلية، أخبار عالمية، رياضة[13].

(11) المصدر نفسه.

(12) المصدر نفسه.

(13) المصدر نفسه.

هـ - مدوَّنة العربية المعاصرة

مدوَّنة لغوية شاملة (في حينها - 2004)، ومن مميزاتها أنها تعكس صور اللغة العربية على حد قول الباحثة لطيفة السليطي التي نظّمتها وأنشأت استفتاء لها، وهي تلبي حاجات الباحثين[14].

و - مدوَّنة العربية الفصحى

أعدّ هذه المدوَّنة المعتز بالله السعيد، المدرس في دار العلوم في جامعة القاهرة، ولعلها هي رسالته لدرجة الماجستير. هي مدوَّنة للعربية المعاصرة، زاد حجمها على ستة ملايين كلمة وتنوعت موضوعاتها إلى أكثر من موضوع. اعتمد واضعها في بناء قاعدة البيانات الأساسية على مدوَّنة لغوية من خلال Language Corpus، مستمدة من لغة الصحافة المعاصرة، إضافة إلى مجموعة من الكتب والمؤلفات العربيّة المعاصرة في شتى العلوم والمجالات[15].

ز - مدوَّنة المعجم التاريخي للُّغة العربية

هي أيضًا من إعداد المعتز بالله السعيد، وهي أطروحته للدكتوراه بإشراف محمد حسن عبد العزيز. جمعت المدوّنة 116 مليون كلمة من العصر الجاهلي حتى العصر الحاضر، ومن مختلف المناطق[16].

كما وجدتُ في الموقع الإلكتروني الذي سبقت الإشارة إليه[17] جدولًا يضم أسماء عدد من المدوَّنات العربية والجهات التي صنعت كلًا منها وغرضها ومصدرها (الجدول (7-1)).

---

(14) انظر: المعتز بالله السعيد، «مدونة معجم عربي معاصر معالجة حاسوبية،» إشراف سلوى السيد حماده ومحمد حسن (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 2008)، على الموقع الإلكتروني: <http://www.comp.leeds.ac.uk/latifa/research.htm>.

(15) المصدر نفسه.

(16) هذه المعلومة من الدكتور المعتز بالله السعيد نفسه إثر محادثة شفوية بيننا عن هذا الموضوع.

(17) <http://www.comp.leeds.ac.uk/latifa/research.htm>.

الجدول (7-1)
مدوَّنات عربية والجهات الصانعة لها

اسم المدوّنة	صنعها	الوسط أو المجال	الحجم	الغرض	مصدر المادة النصية
مدونة باكووتر العربية 1968-2003	تم ولتر	نصوص مكتوبة	3:2.5 بليون كلمة	معجمي	المصادر المنشورة على الشبكة
مُدَوَّنة ليوفن	الجامعة الكاثوليكية في بلجيكا	نصوص مكتوبة ومنطوقة	3 مليون منها700.000 منطوقة	لعمل قاموس هولندي عربي والعكس لمتعلمي اللغة	من الشبكة وكتب تعليم العربية أما المادة المنطوقة فمن البرامج الإعلامية.
مدونة نيوزوير العربية 1994	جامعة بنسلفانا	مكتوبة	80 مليون كلمة	في التعليم وتطوير تقنياته	وكالة فرنسا للصحف
مدونة كلفرند 1995	جامعة بنسلفانا	محادثات	60 محادثة تلفونية	تطوير تقنيات اللغة	متحدثو المصرية
مدونة نيميجن 1969		مكتوبة	أكثر من 2 مليون كلمة	لعمل معجم هولندي عربي والعكس لمتعلمي اللغة	مجلات وروايات

يتبع

تابع

كولهوم 1997	جامعة بنسلفانا	محادثات	120 محادثة تليفونية	التعرف على اللغة من خطوط الهاتف	متحدثو المصرية
كلارا 1997	جامعة تشالرز	مكتوبة	50 مليون كلمة	للعمل المعجمي	الدوريات العلمية والكتب والشبكات من 1995: الآن
مصر 1999	جامعة جون هوكينز	مكتوبة	غير محدد	الترجمة الآلية	مدونة ثنائية اللغة للقرآن الكريم
الأخبار الإذاعية 2000	جامعة بنسلفانا	منطوقة	110 برنامج إذاعي	التعرف على الكلام	إذاعة صوت أميركا
مدونة دينار 2000	جامعة ليون دو الفرنسية بالتعاون مع جامعة نيميجن بهولندا	مكتوبة	100 مليون كلمة	أغراض معجمية ومعالجة اللغات الطبيعية عامة	غير معروفة
مدونة النهر 2001	اللرا	مكتوبة	140 مليون كلمة	أغراض بحثية عامة	صحيفة النهار اللبنانية
مدونة الحياة 2002	اللرا	مكتوبة	18.6 مليون كلمة	هندسة اللغة والمعلومات	صحيفة الحياة اللبنانية

يتبع

تابع

أربك جيجا ورد Arabic word	جامعة بنسلفانا	مكتوبة	400 مليون كلمة	معالجة اللغات الطبيعية – استعادة البيانات– نمذجة اللغة	صحف النهار والحياة وأكسأوا
مدونة متوازية ع/1 2003	جامعة الكويت	مكتوبة	3 مليون كلمة	تدريس الترجمة والمعجمية	منشورات القنصلية الكويتية
مدونة متعددة الأغراض 2004	إنكلترا	مكتوبة	106 مليون	دراسة المركبات في العربية	http://www.kisr.edu.kw/science
مدونة العربية الفصحى 2004	إنكلترا	مكتوبة	5 مليون كلمة	تحليل معجمي	www.muhaddith.org and www.alwaraq.com الشعر العربي قبل الإسلام إلى القرن الحادي عشر الهجري
مدونة متعددة اللغات	إنكلترا	مكتوبة	107 مليون/ مليون عربية	الترجمة	صفحات تقنية المعلومات
مدونة سوتيتل	سوتيتل لتقنية المعلومات وتونس	مكتوبة	8 مليون كلمة	معجمي	مواد أكاديمية أدبية ومجلات علمية

هناك مدوَّنات أخرى أشـــار إليها هذا البحث نفســـه نجدها في الجدول (7-2).

الجدول (7-2)
مدوَّنات أخرى

مدونة العربية العامية	جامعة مانشستر	مكتوبة		خاصة بالباحث	مجلة (علم وتقنية) الكويتية
مدونة العربية المعاصرة 2004	لطيفة السليطي	مكتوبة ومنطوقة	(843209) كلمة	تعليم اللغة العربية للأجانب	مدونات سابقة وصفحات الشبكة

2 – المدوَّنات غير العربية

في البحث نفسه إشـــارة إلى أهم المدوَّنات اللغوية غير العربية المعروفة عالميًا، ومنها:

أ – مدوَّنة براون

مدوَّنة براون (Brown Corpus) من أشـــهر المدوَّنـــات العالمية وتتألف من مليون كلمة مزوّدة برمـــوز أجـــزاء الـــكلام (Part-of-Speech Tagging)، جُمعت في جامعة براون في الفترة بيـــن 1960 و1970. تســـتخدم المدوّنة 80 رمزًا لأجزاء الكلام، وفي محاولة منها لتمثيل اللغة الإنكليزية الأميركية، فإنها تغطي مجموعة متنوعة من النصوص ســـواء الصحفيـــة (Press) أو الأدبية (Fiction) أو العلمية (Scientific).

ب – مدوَّنة لانكستر أوسلو برجن (Lancaster-Oslo-Bergen Corpus)

وهي النظير البريطاني للمدوّنة براون.

ج – مدوَّنة كانيدين هانسيردس (Canadian Hansards Corpus)

تتألف هذه المدوّنة من تسجيلات البرلمان الكندي، حيث تعد من أفضل

المدوَّنات ثنائية اللغة (Bilingual Corpora)، فالفرنسية والإنكليزية لغتان رسميتان في كندا.

د – مدوَّنة أكسفورد (Oxford Corpus)

هي أكبر مدونة للُّغة الإنكليزية أنشـــأتها جامعة أكسفورد، تحوي أكثر من مليار كلمة. ويمكن الاستعانة بها في دراسة اللغة الإنكليزية وثقافتها، فهي تضم نصوصًا مختلفة باللغة الإنكليزية المستخدمة لا في بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية فحسب بل في الهند وكندا واستراليا أيضًا. ومن ثم، فهي تُعَد نموذجًا حقيقيًا للُّغة الإنكليزيـــة المكتوبة في العصر الحديث، يصلح من خلالها إطلاق تعميمات على اللغة ككل. لا يعنينا هنا كبر حجم هـــذه المدوَّنة بقدر ما تهمنا العناية البالغة بانتقاء مادتها. كما أنه اعتُمد على هذه المدوّنة عند إصدار الطبعة الثالثة لـ معجم أكسفورد التاريخي.

هـ – مدوَّنة كامبريدج العالمية (Cambridge Corpus)

مدوَّنة كبيرة للُّغة الإنكليزية أنشـــأتها جامعة كامبريدج في السنوات العشر الأخيرة للمساعدة في تأليف كتب لتدريس اللغة الإنكليزية. تضم هذه المدوَّنة نصوصًا إخبارية وأخرى مستقاة من الروايات الأدبية والمجلات ورسائل البريد الإلكترونـــي وبرامج الإذاعـــة والتلفزيون والمحادثـــات اليومية وخلافه. وهي مخزنة في قاعدة بيانات إلكترونية يسهل البحث فيها.

و – مدوَّنة كنكود للُّغة المنطوقة (Cancode)

شاركت في إنشائها جامعتا كامبريدج ونوتنغهام (Nottingham) وهي مدوَّنة للُّغة الإنكليزية المنطوقـــة (Spoken English) تحوي 5 ملايين كلمة. وتمثل هذه المدوَّنة جزءًا من مدوَّنـــة كامبريدج العالمية، وتتألف من تســـجيلات جُمعت من أنحـــاء بريطانيا كلها بيـــن عامَـــي 1995 و2000. مكتوبـــة بحروف لغة أخرى ومخزَّنة كذلك في قاعدة بيانات إلكترونية يســـهل البحث فيها. تشـــتمل تســـجيلاتها على محادثات في مختلف الأمور وبين مختلف الفئات والأفراد.

وأهم ما يميزها من غيرها من المدوَّنـــات المنطوقة أنها صُنفت بناءً على طبيعة العلاقة بين المتحدثين، فهناك محادثات بيـــن أصدقاء وأخرى بين غرباء. ومن فوائـــد مدوَّنات اللغة المنطوقة أنـــه يمكن من خلالها التعـــرُّف إلى العديد من ســـمات الاتصال الاجتماعي من مهارات الاســـتماع والتحدث وإدارة الحوار وغيرها.

ز - المدوَّنة الإنكليزية العالمية (The British National Corpus)

تتكون مـــن 100 مليـــون كلمة، صُممـــت لمثل تنوعات مـــن النصوص المنطوقة والمكتوبة. وهي معنية برموز أجزاء الكلام والمعلومات البنائية.

ح - البنك الإنكليزي للُّغات المكتوبة والمنطوقة

يستخدمه الباحثون وهيئة COBUILD للكتب.

ط - BNC للُّغات المكتوبة والمنطوقة

يستخدمه الباحثون في جامعة أكسفورد وهيئة Longman للنشر.

قدم البحث أيضًا قائمة تحدد أغلب المدوَّنـــات العالمية (List of Corpora) بـ22 صُنفت كالآتي:

- قائمة هجائية (Alphabetical).
- قائمة تاريخية (Historical Corpora).
- قائمة المدوَّنات الصوتية (Speech Corpora).
- قائمة اللغات الأخرى غير الإنكليزية (Languages other than English).
- قائمة المدوّنات الإنكليزية المتاحة على الشبكات (Available on-line).
- مصادر نصية أخرى (Other Text Resources).

ربما يكون مفيدًا عرض قائمة بمواقـــع الصحف التي يمكن الحصول من

خلالها على المدوَّنات باللغة العربية:

- Al-Ahram (Cairo): <http://www/ahram.org.eg>.
- Al-Bayan (UAE): <http://www.albayan.co.ae>.
- Al-Dustur (Amman): <http://www.addustour.com>.
- Al-Hayat (London): <http://www/alhayat.com>.
- Al-Nahar (Beirut): <http://www/annaharonline.com>.
- Al-Raya (Qatar): <http://www.raya.com>.
- Al-Riyadh (Riyadh): <http://www.alriyaah-np.com>.
- Al-Safir (Beirut): <http://www.assafir.com>.
- Al-Sharq Al-Awsat (London):<http://www.asharqalawsat.com>.
- AlWatan (Qatar): <http://www.al-watan.com>.

الفصل الثامن

المدوّنات العربية المحوسبة:
دراسة مسحية

عبد المجيد بن حمادو

مقدمة

استفادت صناعة المعاجم كثيرًا من التقدم الحاصل في مجال المعلوماتية (أو علم الحاسوب) في العقود الأخيرة باستغلال الإمكانات الهائلة التي يوفرها الحاسوب من طاقة تخزين للمعلومات وإتاحة منظومات معلوماتية متطورة لبناء قواعد بيانات كبيرة الحجم ومعالجتها آليًا وتقنيات لتنقيب النصوص (Text Mining) لاستخراج معلومات لغوية مهمة. فظهرت التي لها أحجام هائلة المعاجم الإلكترونية وتطورت بسرعة على مستوى هيكلة المداخل وثراء محتواها وتنوع الخدمات التي يمكن أن تسديها إلى المستخدم. والأهم من ذلك هو التطور الذي شهدته منهجية بناء المعاجم حيث إنها أصبحت تعتمد كثيرًا على المدوّنات الحاسوبية (المكتوبة والمنطوقة) لإنجاز مرحلة تجميع المعلومات المعجمية التي سيحتويها المعجم. هذه المقاربة الجديدة نسبيًا والتي تندرج ضمن ما يسمى «لغويات المدوّنة» أو لسانيات المدوّنة» (Corpus Linguistics)، اعتُمدت لبناء أشهر المعاجم مثل معاجم أكسفورد الإنكليزية[1]. ويصبح الاعتماد على هذه المقاربة ضروريًا عند بناء المعاجم التاريخية لأنها تستمد مادتها المعجمية من النصوص المكتوبة في العديد من مجالات العلوم والآداب والفن على امتداد حقبة زمنية طويلة.

في هذه الدراسة سنحاول إلقاء الضوء على هذه الجوانب حيث سنبدأ بتعريف المدوّنة بوضع هذا المفهوم في سياقه المنهجي بالتعرف إلى علم لغويات المدوّنة، ثم نمر إلى فوائد استعمال المدوّنة في بناء المعاجم بصفة عامة والمعاجم التاريخية بصفة خاصة. عرض أهم المدوّنات العربية المتاحة

---

(1) B. T. Sue Atkins and Michael Rundell, *The Oxford Guide to Practical Lexicography* (Oxford; New York: Oxford University Press, 2008).

(مفتوحة المصدر أو بمقابل) سيأخذ حيزًا مهمًا في هذه الدراسة. نختم بتقويم المدوّنات المتاحة بحسب معايير محددة قصد استبيان إمكانات الاستفادة منها لبناء المعجم التاريخي العربي.

أولًا: تعريف المدوّنة المحوسبة

1 - لغويات المدوّنة

قبل الشروع في تعريف المدوّنة يجدُر وضعها في إطارها بالتطرق إلى علم لغويات المدوّنة الذي يدرس اللغة من خلال الأمثلة المستمدة من واقع استعمالها. ويحمل هذا العلم في طياته نظرية مستقلة بذاتها ومنهجية عمل. تطور هذا العلم منذ التسعينات على الرغم من مآخذ بعض اللغويين وفي مقدمتهم نوعام تشومسكي الذي يعتبر أن اللغة لا يمكن أن تُختزل في مجموعة من نصوص مهما كبر حجمُها.

هذا التطور مرجعه يكمُن في الفوائد العديدة التي تُتيحها هذه النظرية عند دراسة اللغة في مجالات عدة نذكر منها:

- الفونولوجيا أو علم الأصوات.
- اكتساب المعارف اللغوية.
- رصد اختلاف اللغات بين الجهات والأقطار.
- رصد تطور اللغة على امتداد حقبة زمنية معينة.
- بناء نماذج حاسوبية للغة.
- اختبار النماذج الحاسوبية للغة...

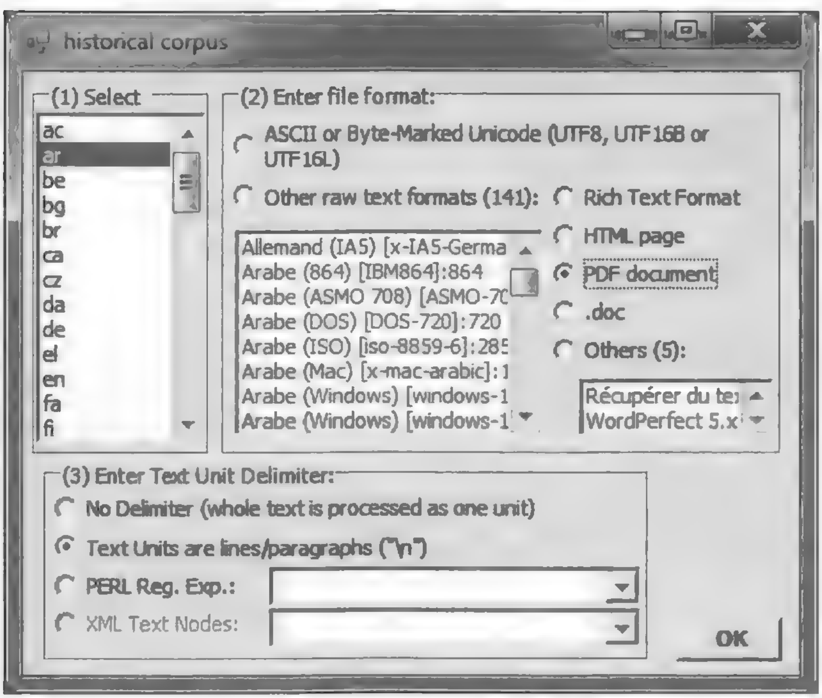
2 - المدوّنة المحوسبة

المدوّنة يمكن أن تُعرَّف بمجموعة ضخمة من النصوص اللغوية (منطوقة أو مكتوبة) يقع اختيارها من بين ما هو متوافر بحسب معايير محددة قصد استغلالها في إعداد دراسات لغوية مختلفة.

المدوّنة تصبح محوسبة (مدونة حاسـوبية) عندما تتحول هذه النصوص الورقية إلى صيغتها الرقمية وتُخزَّن في قاعدة بيانات لتسـهيل عملية المعالجة عبر برامج حاسوبية متخصصة.

تخزين النصوص في قواعد بيانات نصية غالبًا ما يتم عن طريق نظام حاسوبي لمعالجة اللغات الطبيعية مثل نظام «نوج (NOOJ)» مفتوح المصدر[2] الذي يُعطي المستعمل (أو مؤلف المدوّنة) إمكانية اختيار اللغة المستعملة (عربية، إنكليزية، فرنسية، ألمانية...) وتحديد فورمات (Format) النصوص المجمَّعة (RTF, HTML, PDF, doc) كما يُبينه الشـكل (8-1). كذلك يمكن ذكر نظـام «غايت GATE»[3] الذي له إمكانات مشابهة لنظام «نوج» بالنسبة إلى اللغة العربية.

الشكل (8-1)
شاشة اختيار لغة المدوّنة والفورمات



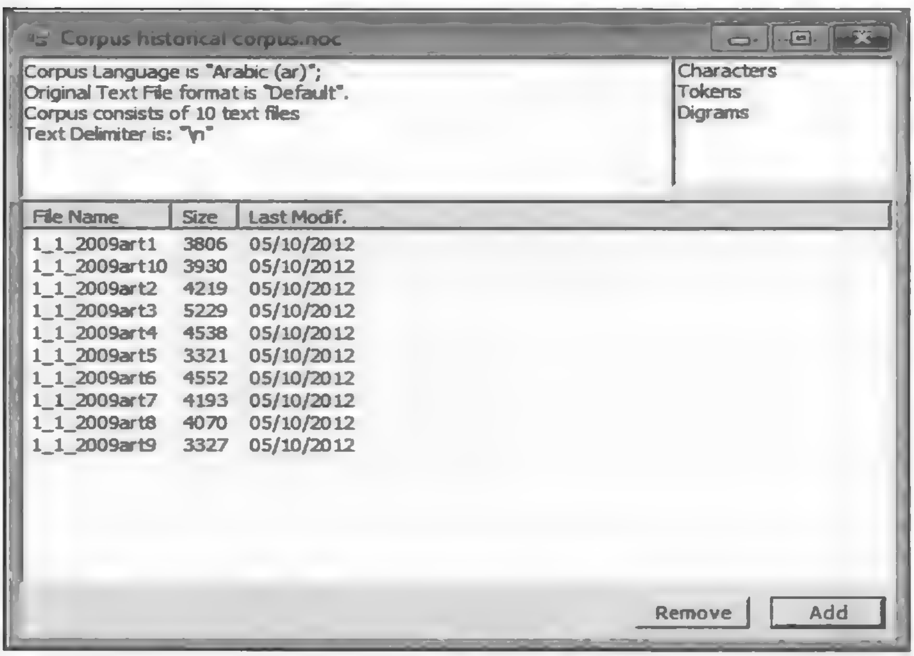
Max Silberztein, «NooJ: A Linguistic Annotation System For Corpus Processing,» (Proceedings of HLT/EMNLP 2005, Demonstration Abstracts, Vancouver, October 2005). (2)

<http://gate.ac.uk>. (3)

عملية البناء تتم بتسمية المدوّنة وإدخال النصوص الواحد بعد الآخر. تحيين المدوّنة يتم في كل وقت بإضافة نص أو حذف نص. (انظر الشكل 8-2) الذي يُظهر مدونة تجريبية اسمها Historical Corpus وقع بناؤها بسرعة وتحوي عشرة نصوص.

الشكل (8-2)

مثال مدوّنة تجريبية اسمها Historical corpus



تجدر الملاحظة هنا أن عملية بناء المدوّنات يطرح قضايا عدة لها تأثير مباشر في نتائج الدراسات اللغوية التي تستند إليها من حيث القيمة العلمية وجودة النتائج المتحصل عليها. ومن أهم هذه القضايا نذكر:

- اختيار العينة من النصوص (Sampling) ومدى تمثيليتها (Representativeness) لـلُّغة من حيث المجال والحقبة الزمنية والتنوع الجغرافي.

- حجم المدوّنة يجب أن يكون كافيًا لإضفاء الحد الأدنى من المصداقية

على نتائج التحاليل الإحصائية التي تجرى على المدوّنة. ويمكن أن نلاحظ في هذا السياق أن مدونة بمليون (1000000) كلمة يمكن أن تكون كافية للقيام بدراسات لغوية معينة. وفي هذا السياق يمكن أن نذكر على سبيل المثال مدونة «براون» (BROWN) المكونة من مليون كلمة[4]، وكذلك مدونة «لوب» (LOB).

- تشفير الحروف يجب أن يكون موحدًا بالنسبة إلى كل نصوص المدوّنة (UTF8, UTF19...). هذا الإشكال يمكن أن يحصل عند تجميع نصوص إلكترونية من مصادر وجهات مختلفة لها طريقتها للتشفير.

- اختلاف الفورمات (Format) التي توجد فيها النصوص (RTF, HTML, PDF, doc).

- تحديد الوحدات التي سيقع توسيمها داخل المدوّنة: الاقتصار على النص بكامله أو الذهاب إلى مستوى الفقرة أو الجملة أو الكلمة داخل الجملة...

3 - توسيم المدوّنة المحوسبة

توسيم (أو ترميز) المدوّنة (Corpus Annotation) يتم بإضافة معلومات عامة (أو ببليوغرافية) عن المدوّنة (تاريخ بنائها، مصدرها أو مصادرها، مؤلفها...) وعن كل نص تحويه (تاريخ الإصدار، اسم المؤلف، مكان الإصدار، مجال التخصص...) ويمكن كذلك أن تضاف معلومات دقيقة عن الفقرات أو الجمل التي يحتويها النص (الشجرة التركيبية مثلاً Syntactic tree) والكلمات التي تحتويها الجملة (قسم الكلام، الخصائص الصرفية، الترجمة إلى لغة أخرى...). هذا التوسيم يتطلب جهدًا بشريًا إضافيًا لا يُستهان به وكثيرًا من الوقت، لكنه في المقابل يقدم خدمات إضافية مهمة للدراسات اللغوية التي

---

(4) W. N. Francis and H. Kucera, «Brown Corpus Manual: Manual of Information to Accompany A Standard Corpus of Present-Day Edited American English, for Use with Digital Computers,» (Brown University, Providence, 1979), on the Web: <http://khnt.hit.uib.no/icame/manuals/brown/index.htm>.

تستند إلى المدوّنة. ولتخفيف هذه الأعباء يمكن الاستعانة بالحاسوب للقيام بعملية التوسيم الآلي على مستوى الجمل والكلمات وذلك بتوفير نظام تحليل صرفي ونظام تحليل نحوي أو تركيبي. غير أن هذه النظم غالبًا ما ترتكب الأخطاء أو تعطي احتمالات عدة أو كذلك تعجز على تحليل بعض التراكيب أو الكلمات. وهنا يأتي دور اللغوي (المعجمي) للقيام بعملية مراجعة نتائج التحليل الآلي وتصويبها. نتحدث في هذه الحالة عن توسيم شبه آلي.

تجدر الملاحظة أن التوسيم الثري يسمح باستغلال أفضل للمدوّنة خصوصًا في مجال المعالجة الآلية للّغات الطبيعية.

4 - تصنيف المدوّنات

يمكن تصنيف المدوّنات باعتبار المعايير المهمة التالية:

- **كيفية إتاحتها للمستعمل**: بمقابل أو مجانية أو مجانية بشروط.

- **درجة توسيمها**: نصوص خام من دون رموز أو مرمَّزة على مستوى النص الواحد أو مرمَّزة على مستوى الفقرة أو مرمَّزة على مستوى الجملة أو مرمَّزة على مستوى الكلمة.

- **أهدافها**: دراسة اللغة أو تعليم اللغة أو المعالجة الآلية للغات الطبيعية...

- **مجالاتها**: أدبي أو علمي أو سياسي أو اقتصادي أو ترفيهي أو متعددة المجالات...

- **الصيغة التي توجد فيها**: مكتوبة أو صوتية أو مزيج من الاثنين.

- **الحقبة الزمنية التي تمثلها**: معاصرة أو تاريخية مع تحديد الحقبة الزمنية.

- **نوعية محتواها**: فصحى أو دارجة أو مزيج من الاثنين.

- **التمثيل الجغرافي**: البلدان التي أخذت منها النصوص.

- **عدد اللغات الممثلة**: أحادية اللغة/ متعددة اللغات.

ثانيًا: المدوّنة المحوسبة وبناء المعجم التاريخي

1 - علاقة المدوّنة بالمعجم

يُعتمد غالبًا في عملية بناء المعاجم إلى الموارد اللغوية التالية:

- الكفاءة اللغوية للمعجمي أو لفريق المعجميين.

- المعاجم المتوافرة.

- نصوص مكتوبة تمثل اللغة كما هي فعلًا مستعملة. هذه النصوص يمكن أن تجمَّع في صيغة مدوّنة.

أصبحت المدوّنة في العقود الأخيرة تأخذ حيزًا كبيرًا في عملية بناء المعاجم، خصوصًا بعد توافر المدوّنات الإلكترونية واستعمال الحاسوب وسيلة عمل لدى أغلب المعجميين. فأضحى هذا المورد (المدوّنة) يضاهي الموردين الأولين في ضوء التقدم المنهجي الذي حصل في مجال علم لغويات المدوّنة. وتمثل معاجم أكسفورد خير نموذج يمكن ذكره واعتماده لاستعمال المدوّنة لبناء المعاجم[5].

أما بخصوص اللغة العربية فاستعمال المدوّنة لبناء المعاجم لا يزال محدودًا جدًا إن لم نقل منعدمًا. بناء المعاجم اقتصر على الموردين الأولين (الكفاءة اللغوية والمعاجم المتوافرة) على الرغم من وفرة المدوّنات اللغوية العربية وإتاحة نظم معلوماتية مفتوحة المصدر تُمكّن من بناء مدونات عربية بطريقة سهلة وسريعة وكذلك معالجة البيانات التي تحويها لغويًا وإحصائيًا، مثل نظام «نوج»[6] ونظام «غايت» (GATE)[7].

(5) Atkins and Rundell, *The Oxford Guide to Practical Lexicography*, and <http://www.oxforddictionaries.com>.

(6) Silberztein, «NooJ».

(7) GATE: General Architecture for Text engineering, on the Web: <http://gate.ac.uk>.

السؤال الذي يُطرح هنا: ما هي العلاقة التي تربط المدوّنة بالمعجم وكيف يمكن استغلال هذه العلاقة؟

علاقة المدوّنة بالمعجم وطيدة ومتشعبة ويمكن تفريفعها إلى شقين:

- من المدوّنة إلى المعجم الذي يهتم بكيفية استفادة المعجم من المدوّنة،

- ومن المعجم إلى المدوّنة الذي يعنى بكيفية استفادة المدوّنة من المعجم.

في ما يلي سنركز على الشق الأول الذي له انعكاسات مباشرة على عملية بناء المعجم التاريخي علمًا أن الشق الثاني مهم كذلك في عملية بناء المدوّنة وتوسيمها واختبارها.

2 - فوائد استعمال المدوّنة لبناء المعجم

برهنت دراسات عدة عن جدوى اللجوء إلى المدوّنة لبناء المعاجم في جوانب عديدة نذكر أهمها:

- تحديد الوحدات المعجمية التي ستمثَّل في المعجم،

- إثراء المداخل بمعلومات إضافية دلالية مستخرجة من الاستعمال الحقيقي للكلمات،

- تحديد درجات تواتر الوحدات المعجمية والتعرف إلى نسبة شيوع الكلمة مقارنة بمجموع الكلمات في المدوّنة،

- تحديد الكلمات التي لها معانٍ متقاربة،

- تحديد الكلمات المترادفة لربط مداخلها بعضها ببعض دلاليًا،

- اختبار نموذج المعجم،

- تحديث المعجم (الموجود) بإضافة مداخل جدد أو تحيين المعلومات اللغوية الموجودة بالمدخل، إضافة أو بالتغيير،

- التعرف إلى شيوع الأوزان والصيغ الصرفية المختلفة.

بالنسبة إلى المعجم التاريخي يمكن إضافة الجوانب التالية:

- رصد التحولات الدلالية والصرفية التي طرأت على استعمال الكلمات عبر الحقبة الزمنية الممثلة وتأريخ هذه التحولات.

- رصد التحولات التركيبة (أو النحوية) التي طرأت على استعمال الجمل عبر الحقبة الزمنية الممثلة وتأريخها.

- توثيق هذه التحولات بأمثلة مأخوذة من النصوص التي استعملت فيها الكلمات أو الجمل المرصودة.

- التعرف إلى أسماء العلم وأسماء المؤسسات (Named Entities) لإثراء المعاجم التاريخية بهذه المعلومات.

ثالثًا: المدوّنات المحوسبة للُّغة العربية

على الرغم من أهمية اللغة العربية عالميًا فإن الاهتمام بالمدوّنات العربية لا يفي بالحاجة. والسبب يرجع أساسًا إلى عدم انتشار علم لغويات المدوّنة في المنطقة العربية. وهذا ما يفسره وجود أغلب المدوّنات العربية في البلدان الأجنبية (أميركا وأوروبا) بنيت على أيدي باحثين عرب أو بالتعاون معهم، والأمثلة لذلك كثيرة.

فمنذ العشريتين المنقضيتين وقع بناء عدد محدود من مدونات اللغة العربية المكتوبة والمنطوقة لأغراض مختلفة: تعليم اللغة العربية، بناء المعاجم والمعالجة الآلية للُّغة العربية. ويمثل تعليم اللغة والمعالجة الآلية للُّغة العربية أكثر مجالات استعمال هذه المدوّنات كما سنبينه لاحقًا.

تنقسم المدوّنات على مستوى الاستعمال إلى شقين: مدونات مفتوحة المصدر ومدونات تجارية.

وفي ما يلي سنقدم مسحًا لأهم المدوّنات المتاحة مع التركيز على المدوّنات مفتوحة المصدر من خلال عرض أهم المعلومات التي تخصها (المصدر، المجال، الأهداف، الموقع، طريقة التوسيم، الحقبة الزمنية...).

1 - المدوّنات مفتوحة المصدر

هذه المدوّنات يمكن استغلالها مجانًا لأغراض علمية أو تعليمية غير تجارية. ويمكن أن يتطلب استغلال المدوّنة ترخيصًا مسبقًا من المنتج أو المساهمة في إثرائها. أغلب هذه المدوّنات أنجزت بمجهود فردي في نطاق بحث أكاديمي لنيل شهادة الماجستير أو الدكتوراه.

أ- المدوّنة اللغوية العربية لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية

أعدت هذه المدوّنة مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بتجميع ما يقارب عن سبعمئة مليون كلمة من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث ومن مختلف المناطق والبلدان.

المصادر: مخطوطات، صحف، كتب، مجلات، دوريات علمية، إصدارات رسمية...

المجالات: متنوعة (الأخبار الاجتماعية، الأخبار السياسية، الأخبار الرياضية، الأخبار الاقتصادية، أصول الفقه الشافعي، أصول الفقه الحنبلي، أصول الفقه المالكي، المعتقدات، علوم العربية، العلوم الطبيعية، الآداب...).

الأدوات الملحقة: أدوات محدودة للبحث والتحليل اللغوي والإحصائي (قيد التطوير والاختبار).

التوسيم: يخص النص وحدة مستقلة.

الموقع: <http://www.kacstac.org.sa/About/Pages/Home.aspx>.

ب- المدوّنة العربية العالمية (ICA International Corpus of Arabic)

أعدّت هذه المدوّنة مكتبة الإســكندرية في مصر منذ عام 2006 لتشجيع البحوث في اللغــة العربية وذلك بتجميع ما يقــارب 100 مليون كلمة مكتوبة بالفصحى. روعي فــي تجميع النصوص التنوع الجغرافي ليشــمل كل البلدان العربية.

المصادر: كتب وجرائد والإنترنت.

المجالات: علمية وأدبية وسياسية.

التوسيم: يخص النص كوحدة مستقلة ويشــمل المعلومات التالية: مكان الإصدار، تاريخ التأليف، الجهة أو المؤلف، ومجال التخصص.

الموقع: <http://www.bibalex.org/unl/Frontend/Project.aspx?id=9>.

الأدوات الحاسوبية الملحقة: تتمثل بأدوات عامة للبحث عن نص بحسب الموضــوع الذي يعالجــه وأدوات البحث عــن الكلمات والتعابيــر المنتظمة (Regular expressions) داخل المدوّنة. كما جرى تبني نظام «باكولتر» (Buckwalter) للتحليل الصرفي. وتقع مراجعة نتائج التحليل يدويًا عند الحاجة.

ج - المدوّنة العربية مفتوحة المصدر (OSAC: Open Source Arabic Corpora)[8]

المؤلف: معتز سعد

تحوي هذه المدوّنة ثلاث مجموعات:

- المجموعة الأولى: BBC Arabic

مســتخرجة من موقع بي بي ســي العربي وتحتوي على 4763 مســتندًا

(8) Motaz K. Saad and Wesam Ashour, «OSAC: Open Source Arabic Corpora,» pp. 118-123, Paper Presented at: The 6th International Conference on Electrical and Computer Systems (EECS'10), Lefke, Cyprus, 25-26 November 2010.

نصيًا فـــي مجالات الفنون والثقافـــة، الصحافة العالمية، العلـــوم والتكنولوجيا والرياضة...

- **المجموعة الثانية:** CNN Arabic

مســـتخرجة من موقع ســـي أن أن العربي وتحوي 5.070 مســـتندًا نصيًا في مجالات الفنون والثقافة، الصحافة العالمية، العلـــوم والتكنولوجيا، الترفيه والرياضة.

- **المجموعة الثالثة: مواقع صحف ومجلات عربية**

مســـتخرجة من مواقع تضم 22,429 مســـتندًا نصيًا في المجـــالات التالية: الاقتصاد، التاريخ، الترفية، التعليم والأسرة، الدين والفتاوى، الرياضة، الصحة، الفضاء، القانون، قصص، وصفات الطبخ.

الموقع: .<http://sourceforge.net/projects/ar-text-mining/files/Arabic-Corpora>

يمكن تحميل أنظمة لمعالجة هذه المدوّنة مثل نظام كشاف السياق العربي (Concordancer) المفتوح المصدر.

د- مدونة العربية الحديثة (CCA Corpus of Contemporary Arabic)

أعدت هـــذه المدوّنـــة جامعـــة «ليـــدز» (Leeds) منذ عـــام 2004 وذلك بتجميـــع 415 نصًا، ما يقابل 842684 كلمة، وذلك لاســـتعمالها لتعليم اللغة العربيـــة لغير الناطقيـــن بها والمعالجة الآليـــة. وتعتبر هـــذه المدوّنة من أوائل المدوّنات التي بنيت للعربية.

المؤلفة: لطيفة السليطي.

المصادر: مواقع الويب (الإنترنت).

المجـــالات: متنوعـــة (الاقتصاد، قصـــص الأطفال، مقابـــلات، التعليم، الفضاء، الدين، الرياضة، الصحة، الفضاء، ســـياحة، علـــوم الاجتماع، العلوم، السياسة).

التوسيم: يخص النص كوحدة مستقلة ويشـمل المعلومات التالية: مكان الإصـدار، عنوان النص، عنـوان الموقع، المؤلف، تاريـخ التأليف، المصدر، ومجال التخصص، اسم مجمِّع النصوص.

النصوص موضوعة في صيغة ملفات «إكس أم آل» ومشـفرة UTF-8 (انظر الشكل (8-3))

الموقع: <http://www.comp.leeds.ac.uk/latifa/research.htm>.

الشكل (8-3)

عينة من توسيم ملفات مدونة CCA

```
<?xml version="1.0" encoding="UTF-8"?>
<tei.2>
  - <teiHeader id="Edu07">
     - <fileDesc>
        - <titleStmt>
             <title> ملامح الثقافة في العراق ...أرض أول من كتب </title>
             <author> د. يوسف توما </author>
           - <respStmt>
                <resp>compiled by</resp>
                <name>Latifa Al-Sulaiti</name>
             </respStmt>
          </titleStmt>
        - <publicationStmt>
             <publisher> Ministry of education, Saudi Arabia </publisher>
             <pubPlace>Saudi Arabia </pubPlace>
             <date>2003</date>
          </publicationStmt>
        - <sourceDesc>
             <p>created in machine-readable form in http://www.almarefah.com/</p>
          </sourceDesc>
       </fileDesc>
     - <encodingDesc>
        - <projectDesc>
             <p>Texts collected for use in the Corpus of Contemporary Arabic project, June,
                2003</p>
```

هـ - مدونة المعجم التاريخي للُّغة العربية

وقع بناء هذه المدوّنة في نطاق إعداد أطروحة دكتوراه في جامعة القاهرة وذلك بتجميـع ما يقارب عـن 116 مليون كلمة من العصـر الجاهلي وحتى

العصر الحديث ومن مختلف المناطق والبلدان (شـــبه الجزيرة العربية، بلاد ما بين النهريـــن، أرض وادي النيل، منطقة المغرب العربـــي الكبير صقلية ومنطقة فارس وما وراء النهر)[9].

المؤلف: المعتز بالله السعيد ومن معه.

المصادر: مخطوطات، أمهات الكتب...

المجالات: متنوعة (الشـــعر العربـــي، القرآن الكريـــم، الحديث النبوي، الكتاب المقدس، النثر العربي، علوم العربية وآدابها، النثر العلمي واصطلاحات العلوم، التاريخ والأنساب، الطبقات والتراجم، الجغرافيا والرحلات والبلدان، القوانين والأحكام، الملل والعقائد، الموسوعات والمعجمات، والصحافة...).

الأدوات الملحقة: ليست متوافرة.

التوســـيم: يخص النص كوحدة مســـتقلة بإضافة المعلومات الببليوغرافية التالية: عنوان النص، تاريخ التأليف، المؤلف، عدد الكلمات.

الموقع: غير متوافر والمدوّنة على ملك الباحث؛ لكنَّها مُتاحةٌ في صورتها الخام لمن أرادَ الاستفادة منها للأغراض البحثيَّة.

و- مدونة الوطن والخليج

وقع بناء هذه المدوّنة لاستغلالها في مجال المعالجة الآلية للُّغات الطبيعية وبالتحديد للتعرف إلى مواضيـــع النصوص (Topic Identification) وذلك بتجميع مقالات من جريدتي الوطن والخليج. وتحوي هذه المدوّنة ما يقارب 3 ملايين كلمة[10].

المؤلف: مراد عباس

---

(9) المعتز بالله الســـعيد [وآخرون]، «مدونة المعجم التاريخي للغة العربية: المنهج والمعالجة،» مجلة أبحاث الحاسوب، السنة 10، العدد 1 (2012).

(10) Mourad Abbas and Kamel Smaili, «Comparison of Topic Identification Methods for Arabic Language,» Paper Presented at: International Conference on Recent Advances in Natural Language Processing, Borovets, Bulgary, 21-23 September 2005.

الأدوات الملحقة: ليست متوافرة.

المجالات: الأخبار العالمية والأخبار المحلية والاقتصاد والرياضة.

الموقع: <http://sourceforge.net/projects/arabiccorpus/files/>.

2 – المدوّنات التجارية

هذه المدوّنات ليست مجانية ويمكن استغلالها بمقابل لكن من دون قيود. وتمتاز هذه المدوّنات من غيرها مفتوحة المصدر بأهم الخصائص التالية:

– دقتها النسبية.

– ثراء المعلومات الإضافية التي تحتويها (التوسيم).

– توافر الوثائق اللازمة لتيسير استعمالها مثل دليل المستعمل ودليل التوسيم (Annotation Manuel)

– إتاحة برامج حاسوبية لاستغلالها كالكشاف السياقي وأدوات للتحليل الإحصائي والتنقيب عن النصوص.

أ – المدوّنة العربية (LDC Arabic Treebank) Part 3 - v3.2 ATB

أعد هذه المدوّنة مجمع البيانات اللغوية (Linguistic Data Consortium) وذلك بتجميع ما يقارب 340 ألف كلمة مكتوبة بالفصحى.

المؤلفون: محمد المعموري ومن معه.

آخر إصدار: جانفي (كانون الثاني/ يناير) 2010.

المصادر: مقالات من جريدة النهار اللبنانية.

المجالات: متنوعة.

التوسيم: يخص النص وحدة مستقلة بإضافة المعلومات التالية: مكان الإصدار، تاريخ التأليف، المصدر أو المؤلف ومجال التخصص. ويشمل

كذلك الفقرة (أو الجملة) والكلمات بإضافة المعلومات التالية (انظر الشكلين (8-4) و(8-5)):

- الشجرة التركيبية للفقرة أو الجملة (Syntactic Treebank Annotation).
- قسم الكلام (Part-of-speech).
- معلومات صرفية.
- الترجمة الإنكليزية للكلمات (Gloss Annotation)...

البرامج الملحقة: المحلـــل الصرفي SAMA الذي يُخـــرج ملفًا في صيغة إكس آم آل يحوي المعلومات الصرفية المحتملة للكلمة مرتبة بحسب السياق.

الموقع: <http://w.w.w.ldc.upen.ed>.

الشكل (8-4)
توسيم الكلمات

```
INPUT STRING: جنديا
    IS_TRANS: jndyAF
     COMMENT: []
       INDEX: P1W2
     OFFSETS: 4,11
 UNVOCALIZED: jndyA
   VOCALIZED: junodiy~+AF
         POS: NOUN+CASE_INDEF_ACC
       GLOSS: soldier + [acc.indef.]
```

الشكل (8-5)

الشجرة التركيبية للجملة:

650 جنديًا أمريكيًا إلى الفيليبين من اليوم في بعثة تدريبية للقضاء على «أبو سياف»

```
(FRAG (NP (NOUN_NUM 650) (NP (NOUN+CASE_INDEF_ACC junodiy~+AF)
(ADJ+CASE_INDEF_ACC >amiyrokiy~+AF))) (PP-DIR (PREP <ilaY) (NP
(DET+NOUN_PROP Al+fiyliyb~iyn))) (PP-TMP (PREP min) (NP
(DET+NOUN+CASE_DEF_GEN Al+yawom+i))) (PP (PREP fiy) (NP (NP
(NOUN+NSUFF_FEM_SG+CASE_INDEF_GEN biEov+ap+K)
(ADJ+NSUFF_FEM_SG+CASE_INDEF_GEN tadoriybiy~+ap+K)) (PP-PRP (PREP li-)
(NP (NP (DET+NOUN+CASE_DEF_GEN -Al+qaDA'+i)) (PP (PREP EalaY) (NP (PUNC
") (NOUN_PROP >abuw) (NOUN_PROP say~Af) (PUNC "))))))))
```

ب - مدونة صحيفة الحياة اللبنانية (ELRA W0030)

هــذه المدوّنة وقع بناؤها في نطاق مشــروع بحث في جامعة «إســكس» بالتعاون مــع الجامعة المفتوحة لاســتعمالها في مجال المعالجــة الآلية للّغة العربية واســتخراج المعلومات[11]. تحوي هذه المدوّنة ما يقارب 18٫6 مليون كلمة مأخوذة من صحيفة **الحياة** وموزعة على 7 قواعد بحسب المواضيع التي تتداولها الصحيفة.

المجالات: مواضيع عامة، معلوماتية، اقتصاد، علوم، رياضة...

الموقع: المدوّنة متاحة على أقراص مضغوطة (CD-ROM).

ج- مدونة «نملار» NEMLAR (ELRA W0042)

بُنيت هذه المدوّنة في نطاق مشــروع «نيملار» NEMLAR[12]. وتتكون من 500000 كلمة فصحى.

المجالات: متنوعة (الأخبار السياسية، النقاش السياسي، النص الإسلامي، كلمات، برامج إذاعية، الأعمال، الأدب العربي، أخبار عامة، مقابلات، الصحافة الرياضية، مداخل قواميس، نصوص من المجال القانوني).

---

(11) <http://www.elda.org/catalogue/en/text/W0030.html>.

(12) <http://www.nemlar.org>.

المؤلف: «نملار» (شبكة موارد اللغة الأوروبية والمتوسطية).

الحقبة الزمنية: بين عامي 1990 و2005.

التوسيم: المدوّنة متوافرة في 4 صيغ: نصوص خام ونصوص مشكولة، ونصوص موسمة على المستوى الصرفي ونصوص موسمة على مستوى الجزء من الخطاب.

الموقع: المدوّنة متاحة على أقراص مضغوطة (CD-ROM).

تم التحقق من صحتها من طرف شريك خارجي ويتم توفير تقرير التصديق (بحسب ما كتب في الموقع: <http://catalog.elra.info/product_info.php?products_id=873>).

رابعًا: إمكانات الاستفادة من المدوّنات المتوافرة لبناء المعجم التاريخي العربي

بعد تقديم المدوّنات العربية المتوافرة مجانًا أو بمقابل نمرُّ إلى تصنيفها بالاعتماد على المعايير التالية: مدى تمثيلها التراث العربي وتنوع مصادرها ومجالاتها وثراء المعلومات المضافة للنصوص (التوسيم) قصد توسيع مجال الاستفادة من محتواها وأخيرًا حجمها. هذا التصنيف سيساعد في استبيان إمكانية الاستفادة منها بالطريقة المثلى لبناء المعجم التاريخي العربي.

1 - مدى تمثيل المدوّنة التراث العربي

باستثناء مدونة مدينة الملك عبد العزيز ومدونة المعتز بالله، جل المدوّنات المتبقية استمدت مادتها من نصوص حديثة ترجع إلى العشريتين الماضيتين في أحسن الحالات. ويمكن تفسير ذلك بأن الأهداف التي بنيت من أجلها هي أساسًا تعليم اللغة العربية المعاصرة والمعالجة الآلية للُّغة العربية. لم تكن دراسة تطور اللغة العربية من بين الأهداف الأساسية المطروحة. هذا الأمر يجعل الاستفادة من هذه المدوّنات محددة بالمدة الزمنية القصيرة التي تمثلها. في المقابل نجد في مدونة مدينة الملك عبد العزيز ومدونة المعتز بالله نصوصًا ملائمة للحقبة الزمنية التي تهم المعجم التاريخي.

2 – مدى تنوع المصادر والمجالات

أغلب مواد المدوّنات المتوافرة مستمدة من صفحات الواب. القليل منها ينوّع مصـادره بالرجوع إلى المخطوطات والكتب الأدبيـة والمقالات العلمية ورسائل البحث. كذلك المجالات التي تعالجها المدوّنات محدودة في أغلبها لأنها أعدت لأغراض معينـة لا لأغراض عامة. كلا الأمريـن يحُد من تمثيلية المدوّنة للُّغة العربية.

3 – ثراء التوسيم

باسـتثناء المدوّنـات التجارية، لا تحـوي المدوّنات مفتوحـة المصدر معلومات إضافية ثرية من شـأنها توسـيع مجال الاسـتفادة منهـا في صناعة المعاجم. توسـيمها يقتصـر على معلومـات ببليوغرافية تخـص النص ككل ولا مكوناته بالتفصيـل (مكان الإصدار، تاريخ التأليـف، المصدر أو المؤلف والمجـال...). وهذا يرجـع كما ذكرنا إلـى التكلفة الباهظة لعملية التوسـيم الدقيق. وكلما كبر حجم المدوّنة ارتفعت التكلفة وأصبحت تفوق إمكانية الفرد الواحد وكذلك تصبح إتاحتها مجانًا صعبة إن لم نقل مستحيلة.

فـي المقابل نجد أن المدوّنـات التجارية تعطي عملية التوسـيم وإثرائها بصفة متواصلة أهمية بالغة. وهذا الاهتمام يرجع إلى أن الأهداف الأساسية من بنائها هي تعليمية والمعالجة الآلية للُّغة العربية التي تحتاج فعلًا إلى توسيم ثري للمدونة.

4 – الأدوات الحاسوبية الملحقة

للاستفادة من مدونة ما، يجب توفير الأدوات الحاسوبية اللازمة للقيام بدمج النصوص وتوحيد توسـيمها وبمعالجة النصوص لغويًا وإحصائيًا وبالتنقيب عن البيانات. أغلب المدوّنات المتاحـة لا توفر مثل هذه الأدوات والقليل منها يوفر أدوات قيد التطوير والاختبار ولا يمكن الاعتماد عليها بصفة حصرية.

5 - حجم المدوّنة

حجم المدوّنات مفتوحة المصدر كبير إذا قارناه بالمدوّنات التجارية وهذا يرجع أولًا إلى أنها ليست موســـمة بالقدر الكافي (نصوص خام) وثانيًا إلى أنها في الأغلب مســتخرجة من صفحات الويب. هذا المصدر يســهل عملية البناء لأن النصوص مرقْمَنة بطبيعتها ويمكن إخضاعها لـ «الفورمات» التي نريد بتوافر الأدوات اللازمة لذلك. وأُذكِّر هنا أن العبرة ليست بالحجم إنما بتمثيلية المدوّنة للُّغة العربية. احترام هذا المبدأ ضروري لبناء المعاجم لكن في الوقت نفسه يجب أن يكون حجم المدوّنة كافيًا لإضفاء الصدقية على نتائج المعالجة الإحصائية.

6 - اقتراح طريقة عملية للاستفادة من المدوّنات المتوافرة

انطلاقًا من هذا التقويم لأهم المدوّنـــات المتوافرة يتضح أن لكل واحدة منها مواطن قوة ومواطـــن ضعف. وأنه لا يمكن الاعتمـــاد على مدونة واحدة لبناء المعجم التاريخي ويجب الأخذ بمواطن القوة لكل مدونة.

للاستفادة المثلى من هذه المدوّنات نقترح إنجاز المراحل التالية:

- انتقـــاء عينة من النصوص ممثلة للغة على امتـــداد العصور من مدونات متوافرة مجانًا على أن يكون معدل عدد الكلمات لا يفوت المليوني كلمة تقريبًا لكل عصر.

- إثراء هذه العينة بنصوص تعالج مواضيع لم تعالجها العينة لتوسيع مجال المدوّنة وتحسين التمثيلية اللغوية والتحصل على نتائج متماسكة.

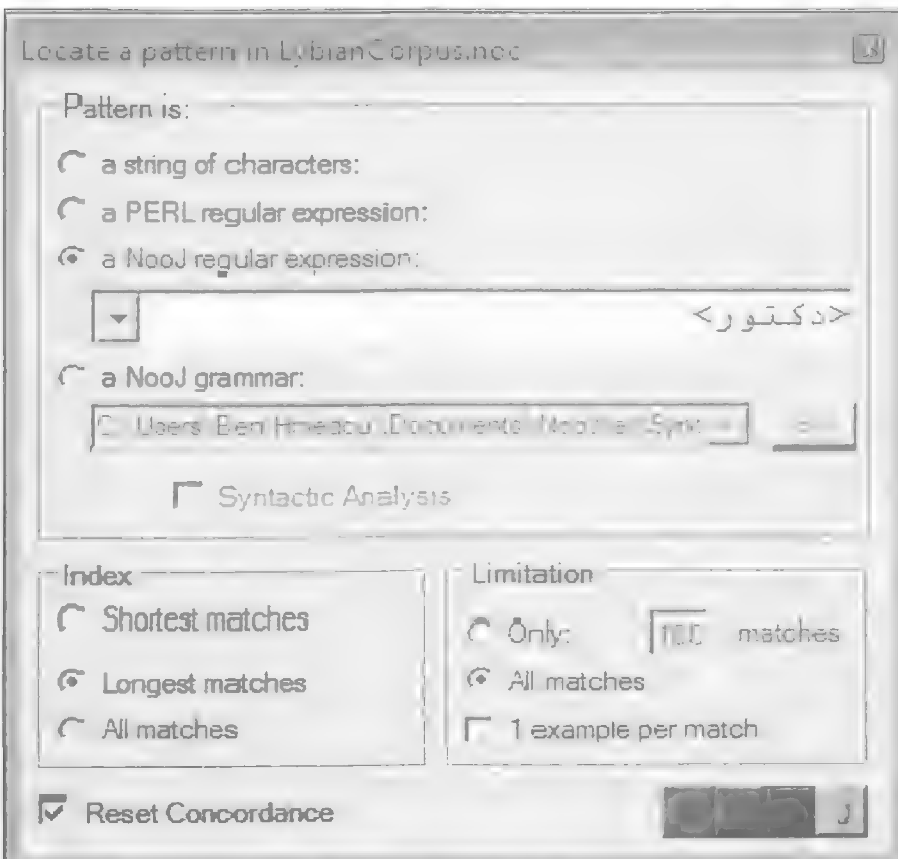
- وضع النصوص المختارة في «فورمات» موحد ليتسنى معالجتها لاحقًا.

- اختيار نظام حاســوبي لتخزين نصوص المدوّنة تكون فيه اللغة العربية من اللغات التي يعالجها ويقبل الفورمات الموحـــد. هذا النظام يجب أن يوفر لمســتعمليه أدوات متطــورة لمعالجة المدوّنـــات لغويًا وإحصائيًـــا مثل نظام «غايت» ونظام «نوج» كما يبينه الشـــكل (8-6) والشـــكل (8-7) بالنسبة إلى كشاف السياق (Concordancer) والشكل (8-8) للتعرف إلى شيوع الكلمات.

- الاستئناس بالمقياس العالمي لمنظمة «إيزو» (LMF) لهيكلة المعجم التاريخي العربي المزمع بناؤه خصوصًا على مستوى المداخل (Micro-structure)). هذا المقياس يضمن هيكلة جيدة ومتكاملة وقابلة للتطور عند الحاجة. لمزيد المعلومات عن استعمال هذا المقياس لهيكلة المعاجم العربية[1].

الشكل (8-6)

شاشة طلب كشف سياق كلمة «دكتور» بتغيراتها الصرفية كلها



(1) Aida Khemakhem, Bilel Gargouri and Abdelmajid Ben Hamadou, «LMF Standardized Dictionary for Arabic Language,» pp. 522-527, Paper Presented at: The 1st Taibah University International Conference on Computing and Information Technology (ICCIT 2012), Al-Madinah Al-Munawwarah, Saudi Arabia, 12-15 March 2012.

الشكل (8-7)

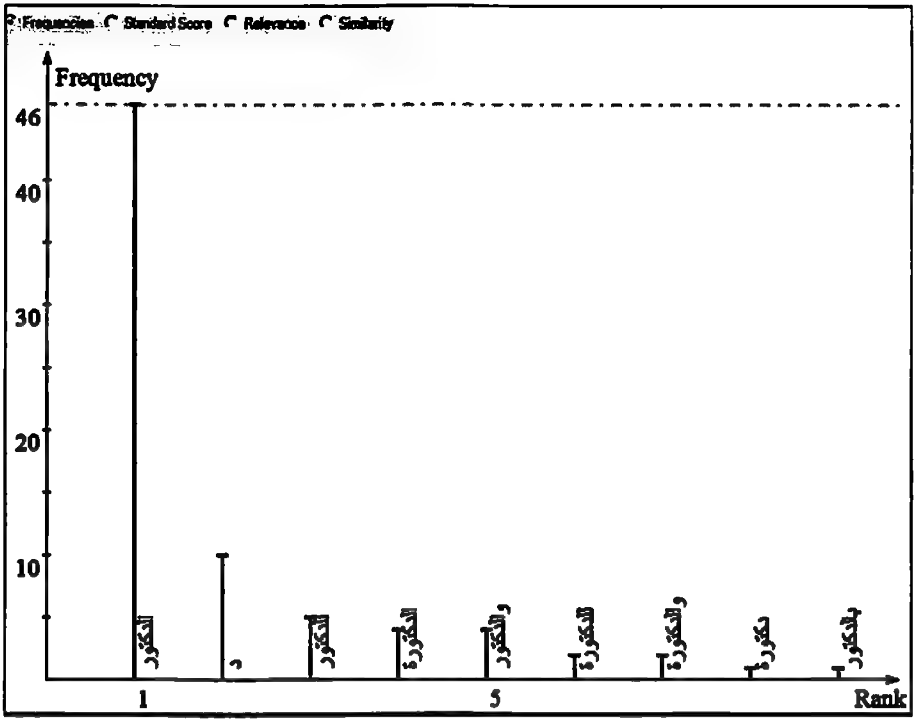
كشف سياق كلمة «دكتور» بتغيراتها الصرفية كلها داخل المدوّنة



After	Seq.	Before
خيرية [illegible] محاضرة [illegible]	الدكتورة	بهذا الفيروس، حيث كانت البداية
محمد قمو) أخصائي الأمراض المعدية)	الدكتور	وطرق الوقاية منه. كما ألقى
محمد الهنشيري) والدكتور (محمد عامر)	الدكتور	احصائيات منظمة الصحة العالمية. وألقى
محمد عامر) محاضرة علمية مشتركة)	والدكتور	العالمية. وألقى الدكتور (محمد الهنشيري)
رمضان قشوط) هذا الانجاز العلمي)	الدكتور	رئيس قسم هندسة الطيران بالكلية
عبد القادر الأمين مدير إدارة /	الدكتور	الوطنية للبحث العلمي على رأسهم
عبد السلام المريمي. أيها الأخوة /	الدكتور	أولها كلمة اللجنة التحضيرية. ألقاها
عبد المجيد بن حمادو مدير	الدكتور	ذلك كلمة الوفد التونسي ألقاها
خالد النغراط والدكتور / عبد السلام	الدكتور	وعلى حسن الضيافة وأخص بالذكر
عبد القادر الأمين مدير إدارة /	الدكتور	الهيئة الوطنية للبحث العلمي ألقاها
محمد منصور الشريف لجميع المشاركين	الدكتور	الوطنية للبحث العلمي وأمينها الأستاذ
علي حسين ورقة بعنوان / التعرف	الدكتور	بينها: محاضرة بعنوان / الحوسبة السحابية
رؤوف محاضرة بعنوان / التحليل الآلي	الدكتور	ورقة بعنوان / تقنيات إخفاء المعلومات
نماء بلغيث ورقة بعنوان / كشف /	الدكتورة	بعنوان / [illegible]
حنان بن عبد الله محاضرة	الدكتورة	ورقة بعنوان / كشف الأشياء المتحركة
رفيق بوعزيز محاضرة بعنوان / الكتابة	الدكتور	مشروع المؤسسة إلى آفاق البحث
على مفتاح هذا وقد	الدكتور	بعنوان / الكتابة العلمية و أساليبها
عبد المجيد بن حمادو مدير	الدكتور	[illegible] «الشمس» مع
لمياء بلغيث أستاذة محاضرة بكلية /	الدكتورة	المستقبل كما التفت « الشمس» مع
محمد المدني للشمس: جامعة ناصر	الدكتور	للأحداث بوجدان عربي متأثر للوطن
جمعة محمد بدر / كلية التربية .	.	في جعل الإنسان عنصراً فعّالاً
. محمد الشحات الجندي الأمين العام	الدكتور	كيف تحفظون القرآن في ليبيا)
يوسف صوان المدير التنفيذي للمؤسسة	الدكتور	المياه في العالم عرفه الإنسان
بشير محمد المجاني أخصائي أشعة	بالدكتور	انتظار الدور للتصوير. وقد التقت
فرج القرجاني رئيس قسم العمليات	الدكتور	أيدي أطباء متخصصين وقد حدثنا:
فرج بأن في هذا المكان	الدكتور	مركزي واحتياطي وقد ذكر لنا
فرج بأن هذه الحالة تعاني	الدكتور	محاولاتنا بات بالفشل وقد أخبرنا

الشكل (8-8)

درجة تواتر التغيرات الصرفية لكلمة دكتور في نصوص المدوّنة



خاتمة

في هذه الدراســة بدأنا بوضع مفهوم المدوّنة في سياق اللغويات التطبيقية وبالتحديد في سياق لغويات المدوّنة من الناحية المنهجية وبيّنّا في الوقت نفسه أهمية المدوّنة في بناء المعاجم بصفة عامــة والمعجم التاريخي بصفة خاصة. ثم قمنا بمسح للمدونات العربية مفتوحة المصدر والتجارية وصنّفناها بحسب معايير محددة تسهل استبيان إمكانات الاستفادة منها ثم استنتجنا أنه، نظرًا إلى الأهداف الخاصة التي أعدت من أجلها، لا يمكن الاقتصار على مدونة واحدة بل الأخذ من كل مدونة بمواطن قوتها على مســتوى مختلف المعايير (اتساع الحقبة الزمنية التي تمثلها، اتســاع المصادر والمجالات، ثراء التوسيم وتمثيلها للغة على امتــداد الحقبة الزمنية). وبخصوص حجــم المدوّنة يجب أن يحترم

مبدأ التمثيلية اللغوية فحسب على أن لا يكون مبالغًا فيه لأن معالجة مدونة كبيرة الحجم حاسوبيًا تصبح معقدة وبطيئة من دون فائدة تذكر. أخيرًا اقترحنا طريقة عملية متكوّنة من خمس مراحل أساسية للاستفادة المثلى من المدوّنات المتوافرة لبناء المعجم التاريخي المنشود للّغة العربية مؤكدين الاستئناس بالمقياس العالمي LMF لهيكلة المعجم.

مرجع إضافي

عز الدين البوشيخي، «التوجه الذهني في بناء المعجم التاريخي للغة العربية واقتضاءاته النظرية،» ورقة قدمت إلى: «المعجم التاريخي للغة العربية: قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية،» (ندوة من تنظيم مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) ومعهد الدراسات المصطلحية، فاس، 8-10 نيسان/ أبريل 2010).

الفصل التاسع

نحو إطار عام لمدوَّنة لغوية للمعجم التاريخي للُّغة العربية

عبد المحسن بن عبيد الثبيتي

مقدمة

لعل من نافلة القول الحديث عن أهمية المدوّنات اللغوية في دراسة اللغة وبناء المعاجم، حيث تتبدى أهميتها واضحة جلية في خدمة المعاجم الحديثة في اللغات الغربية، خصوصًا اللغة الإنكليزية؛ فـ **قاموس أكسفورد** بشقيه الحديث والتاريخي خير شاهد على هذا. والحق أن الإشارة إلى أهمية المدوّنات اللغوية في بناء المعجم التاريخي للُّغة العربية ليست خافيةً عن المهتمين بموضوعه، حيث يورد محمد حسن عبد العزيز[1] جهد أعضاء لجنة المعجم التاريخي، والنقاشات والاعتراضات التي دارت في شأن تصميم مدونة لغوية عربية اقترحها علي القاسمي، تتكون من ألف مليون كلمة عربية من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث تحوي خمسة عشر مجالًا موضوعيًا موزعة على خمس فترات زمنية.

لا تخلو بعض الدراسات الخاصة بالمعجم العربي من إشارات واضحة إلى المدوّنات اللغوية الخاصة بالمعجم التاريخي، انظر على سبيل المثال عبد العلي الودغيري[2] وإبراهيم بن مراد[3]. وعلى الرغم من هذا الاهتمام بالمدوّنات اللغوية في خدمة المعجم التاريخي للُّغة العربية – وإن كان نظريًا – فإننا لا نكاد نجد لها ذكرًا في الدراسات والأبحاث اللغوية

---

(1) محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية: وثائق ونماذج (القاهرة: دار السلام، 2008).

(2) عبد العلي الودغيري، «التأريخ لمعجم اللغة العربية: أسئلة وإشكالات،» التاريخ العربي، العدد 54 (2010).

(3) إبراهيم بن مراد، «قضية المصادر في جمع مادة المعجم،» مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، السنة 78، العدد 3 (2001).

الأخـــرى؛ ما يجعلنا بحاجة إلـــى التعريف بالمدوّنـــات وأنواعها والمتطلبات اللازمة لتصميمها قبـــل الحديث عن التصور المقترح للمدوَّنة اللغوية الخاصة بالمعجـــم التاريخي للّغة العربية؛ ليتســـنى للقارئ الوقوف معنا على أســـباب ودواعي التصميم وكذلك انتقاده.

إن المدوّنات اللغوية بمفهومها الحديث لم تبدأ إلا في نهاية الستينيات من القرن الماضي، حيث جُمعت أول مدونة لغوية محوســـبة وهي مدونة براون[4] (Brown Corpus) نسبة إلى جامعة براون الأميركية التي كانت تحوي مليون كلمة من الإنكليزية الأميركية المعاصـــرة في ذلك الوقت. ثـــم تبعتها مدونات عدة بالحجم والتصميم نفســـيهما بعد ذلك مثل مدوّنة LOB[5] التي جُمعت في عام 1980، والتـــي كانت نتيجة تضافر جهد جامعة لانكســـتر في بريطانيا وكل من جامعة أوســـلو والمركز النرويجي لحوسبة العلوم الإنســـانية في النرويج. ومع تزايد قدرات الحاســـب وإمكانية رقمنـــة النصوص توالـــت المدوّنات اللغوية الغربية وبالأخـــص الإنكليزية منها؛ فظهرت مدوّنـــات معروفة عدة مثل مدونة كوبيلد (COBUILD)[6] التي تحوي ما يقرب من ثلاثة مليارات كلمة استخدمت في بناء معاجم كوبيلد المتعددة، والمدوّنـــة اللغوية الوطنية البريطانية (BNC)[7] التي تحوي مئة مليون كلمة، ومدونة أكسفورد اللغوية التي تحوي ملياري كلمة وتستخدم خصيصًا في بناء معاجم أكسفورد الشهيرة وكذلك OEC[8].

لا شـــك في أن توالي ظهـــور المدوّنات اللغوية وتعدد اســـتخداماتها في بناء المعاجم ودراســـة اللغة كان نتيجة الفوائد والمنافع التي ظهرت نتيجة ذلك

---

(4) W. N. Francis and H. Kucera, «Brown Corpus Manual: Manual of Information to Accompany A Standard Corpus of Present-Day Edited American English, for Use with Digital Computers,» (Brown University, Providence, 1964).

(5) Stig Johansson, Geoffrey Leech and Helen Goodluck, *Manual of Information to Accompany the Lancaster-oslo/Bergen Corpus of British English, for use with Digital Computers* (Oslo: University of Oslo, Department of English, 1978).

(6) David Crystal, *An Encyclopedic Dictionary of Language and Languages*, Blackwell Reference (Oxford, UK; Cambridge, Mass.: Blackwell, 1992), p. 85.

(7) British National Corpus: <http://www.natcorp.ox.ac.uk/>.

(8) <http://oxforddictionaries.com/words/about-the-oxford-english-corpus>.

الاستخدام. ولندرة الحديث عن المدوّنات اللغوية باللغة العربية، سوف نورد في المبحثين الأول والثاني من هذه الدراسة مقدمة مختصرة عن المدوّنات اللغوية وأنواعها لأهمية ذلك للقارئ؛ حتى يستطيع الوقوف معنا على أسباب اختيارنا التصميم المقترح للمدونة اللغوية الخاصة بالمعجم العربي التاريخي الذي سنعرضه لاحقًا. ويعرض المبحث الثالث بعض التعريفات للمعجم التاريخي للغة العربية التي من خلالها سوف نضع الغرض الأساس للمدونة اللغوية العربية الخاصة بالمعجم. ويعرض المبحث الرابع تصميم ومواصفات مدونة المعجم، وفي المبحث الخامس نضع تصورنا للأدوات والتقنيات اللازمة للتعامل مع المدوّنة.

أولًا: تعريف المدوّنات اللغوية

تتفاوت التعريفات الخاصة بالمدوّنات اللغوية من كونها أي مجموعة من النصوص إلى كونها مجموعة من البيانات اللغوية المكتوبة أو المنطوقة. ومن أشهر التعريفات ما يراه سو أتكن[9] من أنها نصوص إلكترونية جمعت لغرض معين بناء على معايير واضحة. ويرى جون سنكلير[10] أن المدوّنة اللغوية مجموعة من نصوص اللغة في صورة إلكترونية تجمع اعتمادًا على معايير خارجية؛ لتمثل قدر المستطاع اللغة أو أحد صورها لتكون مصدرًا للأبحاث اللغوية. ويرى الباحث أن المدوّنات اللغوية ليست حكرًا على اللغويين أو لدراسة اللغة من منظور لغوي فحسب، بل إن نمذجة اللغة وحوسبتها أيضًا يُعدان منظورًا آخر للمدونات اللغوية، ولهذا فإن التعريف التالي قد يكون أعم وأشمل من التعريفات السابقة: المدوّنة اللغوية هي نصوص إلكترونية جُمعت لغرض معين بناء على معايير خارجية واضحة؛ لتكون ممثلة لمجال الدراسة.

---

(9) Sue Atkins, Jeremy Clear and Nicholas Ostler, «Corpus Design Criteria,» *Literary and Linguistic Computing*, vol. 7, no. 1 (1992), pp. 1-16.

(10) J. Sinclair, «Corpus and Text - Basic Principles,» in: Martin Wynne, ed., *Developing Linguistic Corpora: A Guide to Good Practice*, AHDS Guides to Good Practice (Oxford: Oxbow Books, 2005), pp. 1-16.

يحدد التعريف السابق الصيغة التي يجب أن تكون عليها نصوص المدوّنة بأنها إلكترونية، أي إنها بصيغة نصية بسيطة، وقابلة للمعالجة الآلية المباشرة من الحاسب، وهذا يخرج المواد التي لا يمكن معالجتها مباشرة مثل الصور أو الملفات بصيغة PDF. ثم يؤكد التعريف وجود غرض واضح ومحدد من جمع هذه النصوص، قد يكون هذا الغرض محدودًا مثل المدوّنة اللغوية العالمية للعربية[11] (The International Corpus of Arabic) التي تستخدم ضمن مشروع لبناء نظام للتواصل العالمي. وقد يكون الغرض عامًا وشاملًا مثل دراسة اللغة وحوسبتها كما في المدوّنة اللغوية العربية (المدوّنة العربية)[12].

يشدد التعريف أيضًا على وجود معايير واضحة تحدد ماهية النصوص التي سوف تضاف إلى المدوّنة. هذه المعايير يجب أن تكون خارجة عن النص وألفاظه وتراكيبه الداخلية، مثل المنطقة الجغرافية التي تجمع منها النصوص ومصدرها والفترة الزمنية التي ظهرت فيها. كما أن هذه المعايير يجب أن تحقق شرطين رئيسين مترابطين ومتداخلين: التوازن والتمثيل. ويقصد بالتوازن ألا تطغى نصوص ذات طبيعة معينة على باقي نصوص المدوّنة مثل أن تطغى مؤلفات كاتب معين على نصوص المدوّنة، أو يطغى فكر سياسي أو ديني معين ما لم يكن المقصود هو دراسة هذا الكاتب، أو هذا الفكر بالأساس، أو أن هذا هو الواقع خارج المدوّنة. أما التمثيل فهو قدرة المدوّنة، على تمثيل واقع اللغة في مجال الدراسة، أو الغرض الذي من أجله جمعت النصوص. وهذا الشق المهم كان ولا يزال محل دراسة من الباحثين. انظر على سبيل المثال محاولات بايبر لمعرفة تأثير تصميم المدوّنة وطريقة جمع نصوصها في قدرتها على تمثيل اللغة[13]. وكذلك الملاحظات التي أثارها خورشيد أحمد في شأن تمثيل المدوّنة

---

(11) Sameh Alansary, Magdy Nagi and Noha Adly, «Building an International Corpus of Arabic (ICA): Progress of Compilation Stage,» Paper Presented at: The 7th International Conference on Language Engineering, Ain Shams University, Cairo, Egypt, 5-6 December 2007

(12) <www.kacstac.org.sa>.

(13) Douglas Biber, «Representativeness in Corpus Design,» *Literary and Linguistic Computing*, vol. 8, no. 4 (1993), pp. 243-257.

اللغوية البريطانية - أشهر المدوّنات اللغوية الإنكليزية - اللغة الإنكليزية[14].

لحساسية موضوع قدرة المدوّنة على تمثيل اللغة محل الدراسة، وعدم الاتفاق في شأنه حتى الآن، يرى بعض الباحثين أن المدوّنة اللغوية لا تمثل اللغة بل تمثل نفسها فحسب، وأن النتائج التي نحصل عليها لا يمكن تعميمها على اللغة ككل بل على المدوّنة اللغوية فحسب. والحقيقة أن محط اهتمامنا في المدوّنات هو الأنماط الشائعة التي تظهر في استخدامات اللغة كما تظهرها المدوّنات اللغوية على المستويات كلها: اللفظية والنحوية والصرفية والقدرة على دراسة اللغة بشكل جديد بفضل الإمكانات التقنية المتاحة حاليًا لمعالجة الأحجام الهائلة من النصوص التي يمكن أن تحويها المدوّنات.

ثانيًا: أنواع المدوّنات اللغوية

يذكر سنكلير[15] خمسة أنواع من المدوّنات: المدوّنات المرجعية والمدوّنات الراصدة والمدوّنات المقارنة والمدوّنات المتوازية والمدوّنات المتخصصة. وسوف نلقي عليها الضوء بصورة مختصرة في ما يلي:

- المدوّنات المرجعية: هي المدوّنات التي تُصمم بحيث تعطينا معلومات مفصلة بقدر الإمكان عن استخدامات اللغة ويتحقق هذا من خلال احتوائها على عدد كبير من النصوص، بحيث تظهر صور التنوع اللغوي ذي العلاقة والمفردات المميزة له بشكل واضح. ومن سمات هذه المدوّنات تشارك الصور المختلفة للّغة في عدد كبير من المفردات والقواعد النحوية. فلو كانت لدينا مدونة مرجعية للغة الصحافة العربية في عصرنا الحاضر فيجب أن تكون بحجم كبير قدر المستطاع، وتحتوي على نصوص من صحافة الدول

(14) Khurshid Ahmad, «Being in Text and Text in Being: Notes on Representative Texts,» in: Gunilla Anderman and Margaret Rogers, eds., *Incorporating Corpora: The Linguist and the Translator*, Translating Europe (Clevedon; Buffalo: Multilingual Matters, 2008), pp. 60-94.

(15) John Sinclair, «Corpus Typology - a Framework for Classification,» in: Gunnel Melchers and Beatrice Warren, eds., *Studies in Anglistics*, Acta Universitatis Stockholmiensis. Stockholm Studies in English; 85 (Stockholm: Almqvist and Wiksell, 1995), pp. 17-33.

العربية كلها، وكذلك من أنواع متعددة مـــن الأخبار والمقالات والتقارير التي يمكن أن تحويها الصحافة. بذلك تكون المدوّنة قادرة على إبراز صور التنوع اللغوي بين البلدان العربية وموضوعات الصحافة، وســوف نلاحظ بلا شــك مشــاركة كبيرة بين الألفاظ والقواعــد النحوية المميزة للغــة الصحافة عمومًا لكننا ســنلاحظ بعض الفروقات بين الصحافة الســعودية والصحافة المغربية على ســبيل المثال لا الحصر (لاحظ مثلًا بنوك وأبناك - مليارات وملايير - عمل وشغل).

- **المدوّنات الراصدة:** مدونات مشــابهة للمدونات المرجعية، لكنها تنقح وتحدث بنصوص جديدة بصفة مســتمرة؛ لتعطي صورة عن التغيرات التي قد تطرأ على استخدام اللغة ومتغيراتها محل الدراسة، مثل ظهور ألفاظ أو تراكيب جديدة لم تكن معروفة من قبل، أو اضمحلال استخدام بعضها (انظر على سبيل المثال مصطلح الربيع العربي).

- **المدوّنات المقارنة:** مجموعات متشــابهة من النصوص من لغات عدة، مثل التعليقات السياســية الصحفية في الصحافة العربية والإنكليزية والفرنسية. وقد تكون من لغة واحدة، لكن من وسائل اتصال متنوعة مثل المقارنة بين لغة الصحافة ولغة الإذاعة، أو بين المناهج الدراســية التونسية والمصرية والقطرية. والقصد من هذه المدوّنات هو دراســة الفروقات اللغوية بشكل أدق بين صور اللغة المختلفة أو بين اللغات.

- **المدوّنــات المتوازية:** مجموعــة من النصــوص وترجماتها إلى لغات أخرى. وتستخدم عادة في أعمال الترجمة.

- **المدوّنات المتخصصــة:** مجموعة من النصوص ذات طابع محدد، مثل المقالات العلمية في مجال الفيزياء، أو النصــوص القانونية. وتُظهِر المدوّنات المتخصصة تشــابهًا لغويًا مع المدوّنات المرجعية، لكنهــا أيضًا تظهر بأنماط خاصة بها تميز لغتها بوضوح عن لغة المدوّنات المرجعية أو الراصدة.

تضيف سوزان هنستون[16] إلى ما سبق نوعين آخرين:

- المدوّنــات التاريخية: مجموعة من النصوص تجمــع من فترات زمنية مختلفة بقصد دراســة تطور اللغة مثل معرفة الألفاظ التي اندثرت أو استجدت أو تغير أساليب الخطاب.

- مدونات المتعلمين: مجموعة من نصــوص متعلمي اللغة، مثل كتابات طلاب معاهــد تعليم اللغــة العربية لغير الناطقيــن بها، أو تلامــذة المدارس المتوسطة. ويُســتَخدم هذا النوع من المدوّنات لدراســة الأنماط العامة لقدرة متعلمي اللغة على اكتســاب اللغة، ومعرفة المجــالات التي بحاجة إلى تطوير وتحسين في تعليم اللغة.

يتطلب بناء المدوّنات اللغوية الخطوات التالية:

• تحديد الغرض الذي لأجله ســوف تبنى المدوّنة وماذا نتوقع أن نحصل عليه منها.

• تصميم المدوّنة ووضع مواصفاتها، حيث تُحدَّد المعايير الخارجية التي تُجمع نصوص المدوّنة بناء عليها:

- حجم المدوّنة (عدد الكلمات التي تحويها المدوّنة).

- لغة المدوّنة (عربية، إنكليزية، فرنسية...).

- طبيعة النصوص (مكتوبة أو منطوقة).

- حجم العينة (كامل النص، جزء من أوله، أو من أوســطه، أو آخره وكم عدد الكلمات...).

- تاريخ النصوص (ســنة بعينها، أو ســنوات متفرقة، أو فترة محددة، أو فترات متعددة...).

---

(16) Susan Hunston, *Corpora in Applied Linguistics*, Cambridge Applied Linguistics Series (Cambridge: Cambridge University Press, 2002).

- المنطقة الجغرافية التي ظهر فيها النص (دولة معينة، أو مجموعة من الدول، أو منطقة بذاتها داخل الدولة...).

- الوعاء الذي ظهر فيه النص (الصحف، الكتب، النشرات الإخبارية، مواقع الإنترنت...).

- المجال الموضوعي (أخبار، مقالات صحفية، شعر، رواية، علوم طبيعية...).

- المعلومات التي يجب إضافتها للتعريف بالنصوص (اسم الكاتب، المنطقة، دار النشر، تاريخ النشر، وعاء النشر، المجال الموضوعي...).

- تحديد الأجهزة والبرامج التي تحتاجها المدوّنة بناء على حجمها والغرض منها.

- جمع النصوص وحفظها.

- استخدام المدوّنة وأدواتها.

- تنقيح تصميم المدوّنة ومحتوياتها بحسب نتائج الاستخدام.

ثالثًا: تعريف المعجم التاريخي

يتطلب وضع تصميم ملائم للمدونة اللغوية للمعجم التاريخي للُّغة العربية معرفة الغرض الأساس للمعجم وما هي حدود متطلباته، وما الذي يراد منه، وما سوف يضمه بين دفتيه. ولبيان هذا المطلب نعرض في ما يلي ثلاثة تعريفات للمعجم التاريخي للُّغة العربية أوردها بعض أهل الاختصاص، ثم نستخلص منها بعض النقاط المهمة التي تساعدنا في وضع التصور العام للمدونة اللغوية للمعجم التاريخي للُّغة العربية.

يعرّف علي القاسمي المعجم التاريخي بأنه «نوع من المعاجم يرمي إلى تزويد القارئ بمعلومات عن أصل الألفاظ وتاريخها ومعانيها من خلال تتبع

تطورها منذ أقدم ظهور مسجّل لها حتى يومنا هذا. وذلك يعني أمرين:

الأول، أن يضمّ المعجم التاريخي كل لفظ استُعمِل في اللغة، سواء يُستعمل في الوقت الحاضر أم لا.

الثاني، أن يوثّق المعجمُ تاريخَ كل لفظ في شكله ومعناه واستعماله ممثّلًا لهذا اللفظ بعدد من الشواهد»[17].

يعرف إحسان النص المعجم التاريخي بقوله: «والمعجم التاريخي للغة العربية هو المعجم اللغوي العام الشامل الذي يجمع أشتات الوحدات المعجمية العربية - ما دُوّن منها في المعاجم وما لم يدوَّن - وأن يؤرخ لظهورها في الاستعمال وما طرأ على دلالاتها من التطور بحسب ما توفره النصوص. فإن النصوص هي مصادر التأريخ، لأن التأريخ لوحدات المعجم ليس تأريخًا لأول ظهورٍ لها في اللغة عامة، بل هو تأريخ لأول ظهور لها في نص مكتوبٍ، قد يكون نقيشة وقد يكون صحيفة، وقد تكون الصحيفة مطبوعة وقد تكون مخطوطة، وتعتمد النصوص المتوفرة بمختلف أجناسها ومختلف المعارِف التي تمثّلها، ومختلف العصور والأمصار التي كتبت فيها»[18].

يرى محمد حسن عبد العزيز أن المعجم التاريخي للغة العربية ديوان «يضم بين دفتيه مفرداتها وأساليبها: مبانيها ومعانيها، ما استخدم منها وما أميت أو هجر، ما حدث لها من تغير عبر الأزمان والأصقاع، بل سيكون كذلك ديوانًا لتاريخ العرب والمسلمين..»[19].

من التعريفات السابقة نستخلص أن المعجم التاريخي لُّلغة العربية هو «التوثيق الجغرافي والتاريخي لمباني ومعاني الألفاظ العربية طوال فترة

---

(17) علي القاسمي، «المعجم التاريخيّ للغة العربية هل نستطيع أن ننجزه بعد مائة عام؟،» (عرب 48 (موقع إلكتروني)، 19/ 4/ 2006): <http://www.arabs48.com/?mod=articles&ID=36212>.

(18) إحسان النص، «مشروع المعجم التاريخي للغة العربية: مسيرة وتاريخ،» مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، السنة 82، العدد 1 (2007).

(19) عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية.

استخدامها مدعما بالشواهد». وباختصار فالمعجم التاريخي هو «السيرة الذاتية للألفاظ»[20].

حتى يتحقق لنا الغرض من المدوّنة اللغوية في بناء المعجم التاريخي للُّغة العربية؛ نحن بحاجة إلى جمع كل ما يمكن جمعه من نصوص كتبت بالعربية، وتزداد الحاجة إلـى هذا كلما كان تاريخ النص أقدم. وفي القســم التالي نضع الإطار العام للمدونة اعتمادًا على ما سبق ذكره في نهاية المبحث الثالث.

رابعًا: تصميم مقترح للمدونة العربية

ســبق الإيضاح أن تصميم المدوّنــة اللغوية يعتمد علــى تعريفنا للمعجم التاريخي الذي ذُكر في المبحث السابق. وفي ما يلي نتبع الخطوات التي ذكرناها سابقًا في متطلبات بناء المدوّنات في المبحث الثالث من هذه الدراسة:

- الغرض من بناء المدوّنة: المســاعدة في بناء معجم تاريخي للُّغة العربية يوثّقُ جغرافيًا وتاريخيًــا مباني ومعاني الألفاظ العربية طوال فترة اســتخدامها مدعمًا بالشــواهد آخذين في الاعتبار اختلاف الــدلالات باختلاف المجالات والسياقات التي قد تظهر فيها الألفاظ.

- معايير جمع النصوص:
  - حجم المدوّنة: 2,000,000,000 (ألفا مليون) كلمة.
  - لغة المدوّنة: اللغة العربية الفصحى.
  - طبيعة النصوص: النصوص المكتوبة مشكولة ما أمكن.
  - حجم العينة: كامل النص متى ما توافر.
  - تاريخ النصوص: من العصر الجاهلي حتى العصر الحالي.

---

(20) «للألفاظ سير ذاتية كالناس، ولها حظوظ متفاوتة في الحياة، فهي تولد وتنمو وتبلغ مرحلة النضج، ومنها مــا يعمّر، ومنها ما يصيبــه الهرم فيموت، وربمــا تبعث بعد موتها». انظــر: عبد الرزاق الصاعدي، في: المدينة (ملحق الرسالة)، 14/ 9/ 2012.

• المنطقة الجغرافية التي ظهر فيها النص: جميع البلدان والمناطق حتى إن لم تكن عربية.

• الوعاء الـــذي ظهر فيه النص: تســـعة أوعيـــة مقترحـــة: المخطوطات المحققة والكتب والصحف والمجلات والدوريات العلمية والرسائل الجامعية والإصدارات الرســـمية ومواقع الإنترنت والتواصل الاجتماعي (ما كان سليم اللغة مخصصًا للإنترنت فحســـب). بطبيعة الحال فإن هذه القائمة محل تعديل ونقاش وهي تتدرج من أسمى استخدامات اللغة كما في المخطوطات المحققة والكتب إلى ما هو أدنى من ذلك لكنه يكفل الســـلامة اللغوية في حدها الأدنى مثل الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي.

• المجال الموضوعي: لـــكل وعاء من الأوعية الســـابقة المجالات التي توافقه، ويندرج تحت كل مجال منها موضوعات متخصصة تناسبه. فعلى سبيل المثال فإن مجال الفقه الإســـلامي هو أحد مجـــالات المخطوطات المحققة، ويمكن أن يندرج تحته موضوعات عدة مثل: الفقه المالكي والشافعي والحنفي والحنبلي والإثني عشـــري والزيدي. ويجب أن نراعي هنـــا أننا مهتمون باللغة والألفاظ وليـــس الأفكار والمعتقدات. وأن التباين والتنـــوع في ما بين الأفكار والموضوعات يثري بلا شك حصيلة المدوّنة اللغوية. الجدول (9-1) يوضح الأوعية والمجالات الموافقة له تحت كل وعاء.

• المعلومات التـــي تجب إضافتها إلى التعريـــف بالنصوص: المعلومات التالية هي الحد الأدنى المطلوب للتعريف بالنص:

- عنوان النص: ما وضعه المؤلف كعنوان للنص أو ما اشتهر به.
- اسم المؤلف كاملًا قدر الإمكان.
- جنسيته وبلده الأصلي بالنسبة إلى القدماء من المؤلفين.
- جنسه ذكر أم أنثى.
- الوعاء الذي ينتمي إليه النص من أحد الأوعية المذكورة سابقًا.

- المجال الذي ينتمي إليه النص.

- موضوع النص المتخصص.

- تاريخ صدور النص الذي يمكن تحديده بدقة للنصوص الحديثة، أما بالنسبة إلى نصوص المخطوطات القديمة المحققة فيمكن استخدام متوسط زمن حياة المؤلف تاريخًا لصدور النص[21].

- مكان الإصدار والنشر وهذا موجود في النصوص الحديثة لكنه صعب بالنسبة إلى المخطوطات؛ لذا يكتفى بذكر البلد التي يعتقد أن المخطوط كُتب فيه.

- مصدر النص مثل اسم الصحيفة أو المجلة أو عنوان الموقع أو اسم الناشر.

قبل الانتهاء من التصميم المقترح والانتقال إلى الأدوات والوظائف الحاسوبية للمدونة تبقى الإجابة عن الأسئلة التالية: لماذا اختير حجم المدوّنة بهذا العدد من الكلمات؟ هل ستكون المدوّنة مفتوحة أم مغلقة؟ كيف سيوزَّع عدد الكلمات على الفترات الزمنية وعلى الأوعية والموضوعات؟

للحق فإنه من الصعب جدًا تحديد عدد الكلمات الملائم والكافي لبناء المعجم التاريخي، لكن القاعدة المهمة في أي مدونة لغوية هي أنه كلما ازداد حجم المدوّنة وتنوعّت مصادرها وموضوعاتها كان ذلك أفضل. والمعجم التاريخي للُّغة العربية يسعى إلى جمع ما يمكن جمعه من ألفاظ العربية وكل دلالة أو إشارة لمبنى أو معنى اللفظة سيكون ذا فائدة. ومهما كان الأمر فإن تحديد حجم المدوّنة مطلوب وضروري جدًا لنعرف أين سنقف، وما يجب جمعه من كل عصر ومن كل مجال. ومن دون معرفة ذلك لن نستطيع أن نخطط لجمع النصوص المطلوبة. إن جمع ألف مليون كلمة أصبح سهلًا وميسورًا

(21) في إحصائية أجريتها بنفسي على مدونة تاريخية عربية من عصر النبوّة إلى القرن الثامن عشر الميلادي كان متوسط عمر المؤلف سبعين عامًا وبذلك يكون منتصف عمره هو 35 عامًا ويكون تاريخ التأليف هو عام ولادته زائدًا 35.

جدًا، وبالتالي فإن جمع الألفي مليون كلمة قد يكون فيه بعض التحدي، لكنه ممكن التحقيق في فترة وجيزة. وبعد جمع العدد المطلوب يعاد النظر في ما أمكن وما لم يمكن، وهل نحن بحاجة إلى الزيادة أم لا؟ وما هي الفترات والمجالات التي نحن بحاجة إلى التركيز عليها وإضافة نصوص أخرى إليها متى توافرت؟ وما الفترات أو المجالات التي يكتفى بما جُمع من نصوص فيها؟ إن عملية المراجعة هذه عملية مهمة، ويجب أن تجري باستمرار بحيث تشمل كامل التصميم، ولا يتأتى ذلك من دون العمل على النصوص والأدوات المتوافرة، ومعرفة ما ينقص التصميم أو ما جُمع من نصوص. وهذا يتطلب أن تكون المدوّنة مغلقة في البداية، ثم تكون مفتوحة قابلة للإضافة بعد إنجاز النسخة الأولى من المعجم.

الجدول (9-1)

التوزيع المقترح للمجالات ومواضيعها على أوعية المدوّنة اللغوية للمعجم التاريخي للُغة العربية

المخطوطات المحققة	
المجال	الموضوع
أصول الفقه	المالكية والشافعية والأحناف والحنابلة والزيدية والاثنا عشرية والإباضية والظاهرية
الفقه الإسلامي	المالكية والشافعية والأحناف والحنابلة والزيدية والاثنا عشرية والإباضية والظاهرية
المعتقدات الإسلامية	السُنّة والشيعة والزيدية والإباضية
المعتقدات غير الإسلامية	المسيحية واليهودية والصابئة
الحديث	السُنّة والشيعة والزيدية والإباضية
علوم الحديث	السُنّة والشيعة والزيدية والإباضية
التفسير	السُنّة والشيعة والزيدية والإباضية

يتبع

تابع

علوم القران	السُنّة والشيعة والزيدية والإباضية
السياسة والقضاء	السياسة الشرعية والقضاء والسياسة
الأخلاق	الزهد والرقائق
السِيَر والتراجم	السيرة النبوية والتراجم
علوم اللغة العربية	النحو والصرف والبلاغة والمعاجم والشعر والإنشاء
العلوم الاجتماعية	التاريخ والجغرافيا والأنساب
العلوم الطبيعية	الفيزياء والكيمياء والرياضيات والفلك والطب
الثقافة والآداب	الشعر والرحلات والأدب
الفلسفة	الفلسفة الإسلامية والفلسفة اليونانية
الكتب والرسائل الجامعية والدوريات المحكمة	
المجال	الموضوع
أصول الفقه الإسلامي	المالكية والشافعية والأحناف والحنابلة والزيدية والاثنا عشرية والإباضية والظاهرية
الفقه الإسلامي	المالكية والشافعية والأحناف والحنابلة والزيدية والاثنا عشرية والإباضية والظاهرية
المعتقدات الإسلامية	السُنّة والشيعة والزيدية والإباضية
المعتقدات غير الإسلامية	المسيحية واليهودية والصابئة
الحديث	السُنّة والشيعة والزيدية والإباضية
علوم الحديث	السُنّة والشيعة والزيدية والإباضية
التفسير	السُنّة والشيعة والزيدية والإباضية
علوم القران	السُنّة والشيعة والزيدية والإباضية
السِيَر والتراجم	السيرة النبوية والتراجم والسير الذاتية

يتبع

تابع

علوم اللغة العربية	النحو والصرف والبلاغة والمعاجم والشعر والإنشاء واللسانيات الحديثة
العلوم الاجتماعية	التاريخ والجغرافيا والأنساب والاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع والإعلام والإدارة والسياسة والقانون والتعليم
العلوم الطبيعية	الفيزياء والكيمياء والرياضيات والأحياء وعلم الأرض والفلك والطب والبيئة
العلوم التطبيقية	الهندسة المدنية والهندسة الميكانيكية والهندسة الكهربائية والهندسة الكيميائية وهندسة الطيران والهندسة الصناعية والهندسة النووية والهندسة الطبية وتقنية المعلومات وتقنية الاتصالات
الثقافة والأدب	الشعر والنقد الأدبي والقصة والقصة القصيرة والرواية والمسرح والسينما والفنون التشكيلية
الفلسفة	الفلسفة الإسلامية وفلسفة العلوم وفلسفة العقل ونظرية المعرفة وفلسفة اللغة
القوانين والأنظمة	السياسية الاقتصادية والاجتماعية والأمنية والتعليمية والتجارية

الجدول (9-2)
التوزيع المقترح للمجالات ومواضيعها على أوعية المدوّنة اللغوية للمعجم التاريخي للغة العربية

الصحف	
المجال	الموضوع
الأخبار	الاجتماعية والرياضية والاقتصادية والتقنية والثقافية والسياسية والعامة والعلمية
المقالات	الرأي والافتتاحيات والاجتماعية والرياضية والاقتصادية والثقافية والسياسية والعلمية والتقنية والعامة والهوايات والدينية
التحقيقات	الاجتماعية والرياضية والاقتصادية والثقافية والسياسية والعلمية والتقنية والعامة والهوايات والدينية

يتبع

تابع

المجلات	
المجال	**الموضوع**
الاخبار	الاجتماعية والرياضية والاقتصادية والتقنية والثقافية والسياسية والعامة والعلمية
المقالات	الرأي والافتتاحيات والاجتماعية والرياضية والاقتصادية والثقافية والسياسية والعلمية والتقنية والعامة والهوايات والدينية
التحقيقات	الاجتماعية والرياضية والاقتصادية والثقافية والسياسية والعلمية والتقنية والعامة والهوايات والدينية والأمنية
الدراسات	علوم اللغة والعلوم الاجتماعية والدينية والأدب والثقافة والاقتصادية والعلوم الطبيعية والعلوم التطبيقية والقانونية والفلسفية الأمنية والعسكرية
الإصدارات الرسمية	
المجال	**الموضوع**
القوانين والأنظمة	السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية والصحية والأمنية والتعليمية والتجارية
التقارير	السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية والصحية والأمنية والتعليمية والتجارية
الإنترنت والتواصل الاجتماعي	
المجال	**الموضوع**
مواقع الإنترنت	الحكومية والاجتماعية والرياضية والاقتصادية والتقنية والثقافية والسياسية والعلمية والطبية والدينية
تويتر وفيس بوك	الحسابات الشخصية لأصحاب الفكر والرأي

إن حجم المدوّنة المقترح يجب أن يُوزَّع على الفترات الزمنية أولًا بما يلائم النشاط الفكري والنشر في كل زمن. والحق أن المتاح من النصوص القديمة بصيغة قابلة للمعالجة الآلية مباشرة نادر مقارنة بما هو متاح في العصر الحديث، وإن المتوافر من ذلك أيضًا تقل فيه النصوص العلمية التطبيقية. لذلك فإن أي نص يمكن جمعه وإضافته إلى المدونة من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي مرحب به. ومن تجربة للباحث في جمع نصوص عربية لهذه الفترة استطاع جمع 350 مليون كلمة، أكثر من 80 مليونًا منها كانت مشكولة. ومن المتوقع جدًا قدرة المعجم التاريخي - كونه مؤسسة لا فردًا - على جمع 500 مليون كلمة للفترة نفسها بكل سهولة. والجدول (9-2) يوضح التوزيع المقترح لكلمات المدوّنة على الفترات الزمنية. وهو تقدير لا يستند إلا إلى حقيقة واحدة وهي أن المعرفة الإنسانية وتوافر المعلومة يتطور بشكل متسارع، ويأخذ هذا التطور والازدياد منحنى أُسيًا مع مرور الوقت. يضاف إلى ذلك خبرات الباحث في العمل على المدوّنات.

نالت قضية توزيع الفترات الزمنية لمصادر ومدونة المعجم التاريخي للُّغة العربية نقاشًا مستفيضًا تباينت فيه وجهات النظر، وكان رأي لجنة المعجم التاريخي[22] تقسيم الفترات الزمنية إلى خمس فترات: العصر الجاهلي والعصر الإسلامي والعصر العباسي والعصر الوسيط والعصر الحديث. وما أراه ملائمًا هو أن تقسم الفترات السابقة إلى فترات أقصر طول كل فترة منها مئة عام تبدأ من عام 600 ميلادية، وأن تكون التقسيمات الخمس المقترحة من لجنة المعجم التاريخي أو غيرها من التقسيمات مظلةً أكبر لهذه التقسيمات مع مراعاة التالي: أن يكون ما قبل 600 ميلادية فترة واحدة، وأن يقسم القرنان التاسع عشر والعشرين إلى أربعة فترات، طول كل فترة منها 50 عامًا؛ والسبب في ذلك أنها فترات حراك ثقافي وسياسي كبير من المهم رصده بدقة أكبر.

(22) عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية.

الجدول (9-3)

توزيع محتوى المدوّنة على الفترات الزمنية والأوعية

الفترة الزمنية	الأوعية	عدد الكلمات
من عصر ما قبل الإسلام وحتى نهاية القرن الثامن عشر تقسم إلى فترات طول كل منها مئة عام	المخطوطات المحققة	500 مليون
القرن التاسع عشر	الكتب، والصحف، والمجلات	100 مليون
القرن العشرون	الكتب، والصحف، والمجلات، والرسائل الجامعية والدوريات المحكمة، والإصدارات الرسمية	400 مليون
القرن الحادي والعشرون	الكتب، والصحف، والمجلات، والرسائل الجامعية، والدوريات المحكمة، والإصدارات الرسمية، والإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي.	1000 مليون

بعد الاتفاق على تصميم المدوّنة وجمع النصوص هي بحاجة إلى أجهزة وبرامج حاسوبية للتعامل معها، والغوص في الكم الهائل من المعلومات المتوافرة، وما يمكن أن يستخرج منها من معارف.

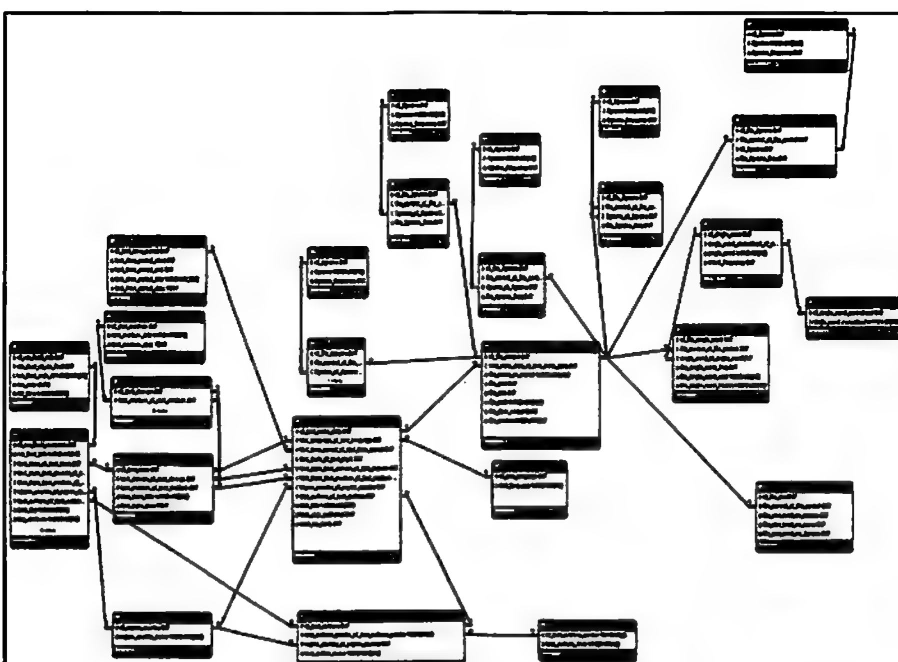
خامسًا: الوظائف الحاسوبية

تحتاج أي مدونة لغوية إلى برامج خاصة للتعامل مع النصوص، واستخراج ما يتطلبه مجال الدراسة من معلومات ومعارف. وأول ما تحتاج إليه المدوّنة اللغوية للمعجم التاريخي للُّغة العربية هو جهاز خادم ملائم لها، ومن الصعب تحديد هذا بالدقة المطلوبة، لكنه خادم حاسوبي يلائم الأعمال المتوسطة بحسب العرف الحاسوبي مع قدرات عالية في التخزين. وقد يكون توفير الأجهزة أسهل الأمور وأيسرها.

تأتي بعد ذلك كيفية حفظ النصوص والتعامل مع المعلومات المستخلصة منها. ومن الأســاليب الشــائعة اســتخدام واصفات XML، وأن تكون الرسوم ومعلومات النص محفوظة في داخل النص. وقد تكون هذه الطريقة مقبولة في المدوّنات الصغيرة أو التي لا تتعدى المئة مليون كلمة، لكن في حالة المدوّنات الكبرى مثل مدونــة المعجم التاريخي فنحن بحاجة إلــى تقنية أخرى. وأثبتت تقنيات قواعد البيانــات العلائقية كفاءة أعلى في التعامل مع المدوّنات الكبيرة. بحيث تُحفظ النصوص ومعلوماتها وما يستخرج منها من معلومات في جداول منفصلة لكنها مترابطة، ويمكن الوصول مــن خلالها إلى المعلومات المطلوبة بسرعه عالية. الشــكل (9-1) يوضح التصميم المقترح لقاعدة بيانات المدوّنة اللغوية للمعجم التاريخي للُّغة العربية.

الشكل (9-1)

تصميم لقاعدة بيانات علائقية لمدونة المعجم التاريخي للُّغة العربية



تحتاج المدوّنة إلى الأدوات الرئيسة التالية للمساعدة في بناء المعجم:

• ســرد الألفاظ في المدوّنة وتكرارها وتوزيعها الإحصائي على المناطق الجغرافية وعلى الفترات الزمنية والأوعية والمجالات والموضوعات.

• إمكانية البحث بلفظة أو بجزء منها، وســرد الألفاظ كلها التي ورد فيها الجزء المراد البحث عنه فيها وإمكانية الوصول إلى جميع المعلومات المتعلقة بها.

• إيراد جميع الســياقات التي وردت فيها لفظة معينــة مع إيضاح مصدر السياق وتاريخه ومكانه.

• إيضاح الألفاظ الأقوى ارتباطًا باللفظة محل الدراسة.

• ربط الألفاظ بالجذر والساق آليًا ويدويًا.

• ومــا ينطبق أعلاه على الألفــاظ المفردة فهو أيضًا مطلــوب للمتابعات اللفظية، وما يرتبط بها من معلومات.

• أن يتمكن العاملون على المعجم مــن الوصول إلى المدوّنة ومصادرها عن طريق الإنترنت.

إن كل ما ذكر أعلاه من أدوات ســهل وميســور جدًا، ويمكن إنجازه في فترة قصيرة ما عدا قضيتي الاكتشاف الآلي للجذع والجذر بدقة عالية، والوسم النحــوي الآلي للألفاظ العربية، فــلا يزال أمام ذلك وقــت طويل، وقد يكون المعجم التاريخي فاتحة خير لمثل هذا الجهد.

خاتمة

إن العمل على المدوّنات اللغوية يتطلب إعادة النظر فيها باســتمرار حتى يســتقيم بناؤها ومحتواها مع الغرض الذي وضعت لأجله. ومن خبرات سابقة لي ولغيري ممن عمل في هذا المجــال فإن ما يتبدى بعد الانتهاء من العمل أو في أثنائه يجعل إعادة النظر في التصميم أو بعض مكوناته أمرًا محتملًا. فما تبينه حقائق الواقع قد يختلف بعضه أو كله عما يظنه القائم بالعمل قبل مباشرته. وما

أظنه ملائمًا بالنسبة إلى مدونة المعجم التاريخي للُّغة العربية هو المضي قُدُمًا في أي تصميم يراه الأغلب ملائمًا، ثم يُطوَّر ويُعدَّل بعد العمل عليه والنظر إلى مخرجاته.

مهما اجتهد المجتهدون في هذا قبل العمل الفعلي فسيكون عملهم عرضة للانتقاد؛ بسبب اختلاف وجهات النظر في شأن المدوّنات، والمعجم التاريخي نفسه وما يجب أن يحويه. وبالإمكان التدرب ووضع الخطط لبناء المعجم التاريخي على مدونة صغيرة نسبيًا قد تتكون من مئة مليون كلمة. وعند جمع النصوص يجب التفكير أولًا في جمع ما توافر في الإنترنت وهو كثير، ثم الانتقال إلى مخاطبة دور النشر، والجهات المهتمة بالنشر، مثل الهيئات الثقافية، والجامعات ثم استخدام برامج التعرف الضوئي.

من المهم جدًا أن يكون المعجم منذ بداياته متاحًا على الإنترنت حتى وإن كان العمل قاصرًا لم يكتمل، وأن ندع الفرصة لكل محب للغة أن يبدي رأيه في ما يتم التوصل إليه. وسيكون من المفيد جدًا إتاحة المعجم في صورة رقمية على الإنترنت أو على أسطوانات ضوئية، ولا أعني بذلك أن نضع صورته الورقية بل أن يكون معجمًا بمستويات عدة بحسب اهتمامات الباحث، وأن يكون ثريًا بالوسائط المتعددة، وهذا ممكن ومتاح وليس صعبًا.

الفصل العاشر

نحو آلية لتطوير المدوَّنات
لتوليد جذاذات المعاجم العربية

حامد السحلي

مشكلة البحث وأهداف الدراسة

تواجه حوسبة اللغة العربية مشاكل متعددة، منها قصور الكتابة العربية التي لا تتضمن الحركات، وعدم اكتمال العديد من الدراسات اللسانية النظرية، وضعف المحتوى والذخيرة العربية واختلاطها بالعامية أو عدم فصاحتها عمومًا. وتشتت الجهد المبذول في هذا المجال وضعف التواصل بين الخبرات العربية، وكذلك قولبة معالجة اللغة العربية بقوالب اللغات الأوروبية التي سبقتنا بخطوات في هذا المجال سواءً على صعيد اللسانيات أم الحوسبة.

لهذا تسعى هذه الدراسة إلى إيجاد آلية تقنية تحقق استفادة مشاريع حوسبة اللغة بعضها من بعض وتضافر الجهد المبذول وزيادة تواصلها، وفي الوقت نفسه إيجاد حلول حاسوبية ملائمة للغة العربية من حيث كونها لغة اشتقاقية تتبع ميزانًا صرفيًا وخصوصيتها الثقافية من حيث كونها لغة حية مستمرة منذ ألفي عام على الأقل.

الهدف الرئيس من هذه الآلية الرقمية هو أن تتضمن في بنيتها الوسومات كلها التي تتطلبها المدوّنات الموسومة (Annotated Corpus) بما يتيح سرعة وسهولة في التعامل الآلي معها وتعدد أساليب عرضها والاسترجاع الآلي لكل المعلومات الدلالية المضمنة بما يتيح التوليد الآلي البسيط للجذاذات المعجمية.

أهمية البحث

تمثّل المعاجم أحد أهم أركان التوثيق والتصنيف الدلالي للغة وفي اللغة العربية هناك كثير من المشاريع المعجمية الناجزة أو الجارية أو حتى في طور

التخطيط، ثلاثة من هذه المشاريع تمثّل الحوسبة ركنًا أساسيًا من تصورها. هذه المعاجم الثلاثة هي المعجم الحاسوبي والمعجم التاريخي والمعجم الاشتقاقي. تتداخل هذه المشاريع بشكل كبير معًا ومع مشاريع أخرى في إطار حوسبة اللغة، أهمها المدوّنات المحوسبة التي تعاني حتى الآن قلةً وضعفًا باعتبارها ركنًا أساسيًا في تطوير واختبار برمجيات اللغة. هذه الحاجة إلى سد الثغرة في الأبحاث النظرية والتعاون بين الخبراء من تقنيين ولغويين يمكن حلها من خلال بنية تقنية تعكس خصوصية العربية وتحقق في الوقت ذاته التجميع الآلي لجهد خبرات متنوعة على مشاريع عدة متداخلة ضمن البنية نفسها التي تحقق جميع الأهداف.

على الرغم من أن الحل التقني غير كافٍ، بل لا بد من حل تنظيمي مركزي لمشكلة تشتت الجهد الذي ينتج منه تكرار العمل مثل ما ذكره محمد زكي خضر[1] من اضطراره إلى مراجعة تشكيل القرآن على الرغم من أن هناك مشروعين مدققين لهذه الغاية هما مكنز القرآن[2] (وهو بالمناسبة المكنز الوحيد الموسوم باللغة العربية والمتاح للعموم حتى الآن) ومشروع ترميز القرآن باليونيكود[3] لهذا لا بد من حل تنظيمي مركزي على الأقل لجمع معلومات عن كل الأعمال القائمة أو الناجزة لتجنب تكرار الجهد.

الأبحاث الحالية ومنهجية البحث

المدوّنات العربية الحالية هي مجموعة من النصوص المجموعة سواءً من الشابكة أم بالإدخال المباشر وقد تكون متنوعة في المدوّنات العامة ومثالها

---

(1) محمد زكي محمد خضر، «الجوانب البرمجية في إعداد المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة لفظًا في القرآن الكريم،» (موقع الأستاذ الدكتور محمد زكي خضر)، على الموقع الإلكتروني: <http://www.al-mishkat.com/khedher/?p=54#more-54>.

(2) «The Quranic Arabic Corpus - Word by Word Grammar, Syntax and Morphology of the Holy Quran,» on the Web: <http://corpus.quran.com/>.

(3) «Quran/Unicode,» (Wiki arabeyes (ويكي عربايز)),» on the Web: <http://wiki.arabeyes.org/Quran/Unicode>.

مدونـــة penn[4]، أو قد تكون نصوصًا منتقاة في مجـــالات محددة مثل الذخيرة النصية الفصحى لجامعة الملك سعود[5] وهي المدوّنات البسيطة التي تستخدم في استخراج قوائم الكلمات أو تدقيق واختبار البرمجيات في أثناء تطويرها.

تحتاج المهام الأكثر تطورًا إلى أكثر من المدوّنات البســيطة، مثل تصنيف النصـــوص، ووضع علامات ترقيم، وتقســيمها إلى جمـــل، أو إضافة دلالات إعرابية أو اشتقاقية وأشـــياء أخرى، هذه الإضافات تسمى وسومات Annotation or tags وتتم إضافتها عن طريق تقطيع النص وإضافة وســـوم (tag) إلى كل قسم مستقل الذي قد يكون فقرة أو جملة أو كلمة، كما هي في مدونة القرآن المعلمة لقيس دوكس[6]، ومكنز لطيفة السليطي أيضًا[7]، وعلى الرغم من أن المدونتين طورتا في الجامعة نفسها، ليدز، إلا أن أسلوب الوسم لم يكن متماثلًا.

من الســـهل ملاحظة أن جزءًا كبيرًا من هذا الجهد ليـــس باللغة العربية، وكثير من الباحثين يلجأ إلـــى رومنة (Transliterate) المدوّنـــة قبل القيام بجهد عليها لاستخدام الأدوات نفسها المســـتخدمة للغات الأوروبية كما في مكنز القـــرآن[8] أو كما فعلت منى دياب في الوســـم الآلـــي للنصوص: «We Adapt Highly Accurate Tools that Have been Developed for English Text and Apply them to Arabic Text»[9].

---

(4) Mohamed Maamouri [et al.], «The Penn Arabic Treebank: Building a Large-Scale Annotated Arabic Corpus,» pp. 102-109, Paper Presented at: NEMLAR Conference on Arabic Language Resources and Tools, Cairo, September 2004.

(5) «Corpus Files,» (King Saud University Corpus of Classical Arabic, July 2012), on the Web: <http://ksucorpus.ksu.edu.sa/?p=43>.

(6) «Kais Dukes - Publications,» on the Web: <http://www.kaisdukes.com/publications.html>.

(7) Latifa Al-Sulaiti, «Corpus of Contemporary Arabic (CCA),» on the Web: <http://www.comp.leeds.ac.uk/eric/latifa/research.htm>.

(8) Kais Dukes, «Quranic Arabic Corpus - Data Download,» (2011), on the Web: <http://corpus.quran.com/download/>.

(9) Mona Diab, Kadri Hacioglu and Daniel Jurafsky, «Automatic tagging of Arabic Text: From Raw Text to Base Phrase Chunks,» in: *HLT-NAACL-Short '04 Proceedings of HLT-NAACL 2004: Short Papers* (Stroudsburg, PA: Association for Computational Linguistics, 2004), pp. 149-152, on the Web: <http://dl.acm.org/citation.cfm?id=1613984.1614022>.

نلاحظ أيضًا أنه ليس من معيار موحد للرومنة (Transliteration). هذا وتختلف طرائق الكتابة باستخدام هذه اللغات من شخص إلى آخر وإن كانت الطريقة الأكثر شيوعًا هي استخدام قواعد بيكداش للترجمة الصوتية العربية (Bikdash Arabic Transliteration Rules)[10].

تستخدم أدوات متنوعة وغير متوافقة في كثير من الأحيان لمعالجة هذه المدوّنات إما بهدف تطويرها أو بغرض تطوير أو تحسين برمجية أخرى مثل أدوات الفهرسة أو الترجمة أو أدوات البحث اللغوي أو أدوات المعاجم الحاسوبية كمحلل الخليل الصرفي[11] المطور لمصلحة مشروع المعجم الحاسوبي[12].

في ما يلي سأقسم بحثي إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى أعرض فيها تصورًا لتوسيع الترميز المقترح للكلمة العربية ليشمل الدلالات الإعرابية والتاريخية وهو التوسيع المتوقع في التصميم الأولي أساسًا.

المرحلة الثانية أعرض فيها تصورًا للآليات والتراميز الوسيطة للانتقال من النص البسيط في المدوّنات إلى الترميز المقترح.

---

(10) عبد الرحمن سليمان السلامة وسعد صالح الداوود، «الرومنة والكرشنة الإلكترونية،» (بحث تعريب الحاسبات عال 428، جامعة الملك سعود، كلية علوم الحاسب ومعلومات)، المقدمة، ص 3، على الموقع الإلكتروني: <http://ccisdb.ksu.edu.sa/files/rep5900000.docx>.

(11) عز الدين مزروعي [وآخرون]، «البرمجيات الحرة: برنامج الخليل الصرفي،» (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة محمد الأول المملكة المغربية ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية)، على الموقع الإلكتروني: <http://www.alecso.org.tn/index.php?option=com_content&task=view&id=1302&Itemid=956&lang=ar>.

(12) «اجتماع خبراء المحلّلات الحاسوبية الصرفيّة للغة العربية،» (تنظيم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، بالتعاون مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، 26-28/ 4/ 2006)، على الموقع الإلكتروني: <http://www.alecso.org.tn/index.php?option=com_content&task=view&id=1234&Itemid=253&lang=ar>.

المرحلة الثالثة أعرض فيها تصورًا لتوليد الجذاذة المعجمية من المدوّنات المرمزة وفق البنية المقترحة.

ختامًا أقارن بشكل مبسط المحاسن والمساوئ بين استخدام ترميز خاص بالعربية واتباع نهج اللغات الأوروبية واستخدام أدواتها نفسها لكن هذه المقارنة ستكون تصورية لأنها تتطلب إثباتًا من خلال أدوات برمجية لما يتم تطويرها.

أولًا: توسيع ترميز الكلمة ليشمل الدلالات الإعرابية والتاريخية

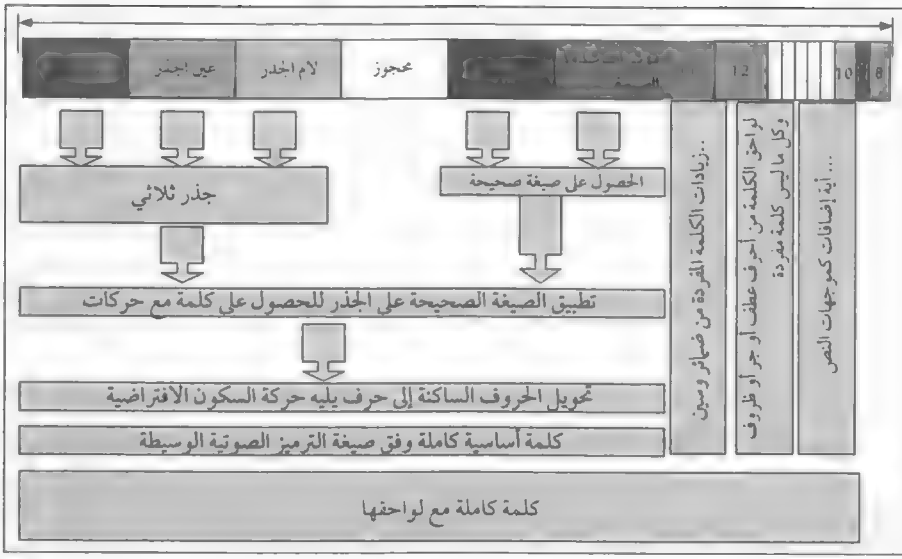
حيث إن فكرة الترميز المعنوي التي اقترحناها تعتمد على ترميز الكلمة العربية كوحدة وليس الحروف كما هو الوضع الحالي، وهي تنطلق من البنية الاشتقاقية الصارمة للغة العربية ووجود الميزان الصرفي وما تعكسه من علاقات مطردة بين الشكل والمعنى ليست موجودة في اللغات الأوروبية، إضافة إلى أن الترميز المقترح مفتوح لتقبل ودراسة علاقات دلالية أعمق مما يحمله الميزان الصرفي وهو ما سمّاه ابن جني في كتابه **الخصائص**[13] الاشتقاق الأكبر، وتابعه يدويًا حسن عباس في كتابه **خصائص الحروف العربية ومعانيها**[14]، لكن النظرية لا تزال بحاجة إلى إثبات أو نفي إحصائي وهو ما يأخذه الترميز المعنوي كأحد أهدافه.

إضافة إلى ذلك أخذنا في تصميم الترميز المعنوي اعتبار التوسع ليتضمن دلالات إعرابية أو أن تحوي كلمات معربة أو أعجمية بالكامل لا بد من وجودها أحيانًا في النص العربي، أي أخذنا في الحسبان الجملة والمقطع من النص.

---

(13) أبو الفتح عثمان بن جني، **الخصائص** (بيروت: دار الكتب العلمية، 2008).

(14) حسن عباس، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**: دراسة (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1998).



كما يوضـــح المخطط المرفق لوحـــدة الترميز التي هـــي 64 بت وتعتمد أسلوب تفكيك المتغيرات إلى متغيرات بســـيطة ثنائية الحالة فهي تتضمن وفق المقترح الحالي الأولي الذي لا يزال قيد التعديل:

- ثلاثة مواقع لحروف الجذر الثلاثي 3 * 8 = 24 بت.

- مؤشر للجذور الرباعية أو الخماسية.

- موقعًا لمؤشـــر جدولي للصيغـــة الصرفية الأساســـية ولا يوجد إحصاء مكتمل للصيغ الصرفية الأساسية لكن حاليًا هناك 8 بت أي حتى 256 صيغة.

- موقع مؤشر جدولي لشـــواذ الصيغة مثل قلب الحروف ولا يوجد أيضًا جدول شامل لهذه الشواذ.

- قد يتضمن مؤشـــر الشـــواذ إضافات الكلمة أي البادئات واللواحق أو يكون لها مؤشر جدولي مستقل.

- مؤشر لحالة الترميز هل هي نهائية أم وسيطة بت واحد.

- مؤشر للدلالة على نهاية الجملة مكتملة المعنى بت واحد.

- مؤشـــر للدلالة على ترميز غير اشتقاقي مثلًا كلمة أجنبية أو معربة لكنها لا تخضع للميزان الصرفي أو وسم من أي نوع، الوســـم التاريخي مثلًا، وهذا المؤشر ثابت في حالات الترميز كلها نهائية أو وسيطة وهو آخر بت في الترميز البت 64.

لتضميـــن الحالـــة الإعرابية للكلمة يجب وضع مؤشـــر جدولـــي للحالة الإعرابية، إضافة إلى مؤشر للعامل، أي تعليق هذه المفردة بمفردة أخرى ضمن الجملة وهو ما طبقه قيس دوكس في مدونة القرآن[15]. لكن خلافًا للأســـلوب الذي اتبعه قيس في إنشاء وسم للحالة الإعرابية ووسم للعامل من دون جدولة مســـبقة، فإنه في الترميز يجـــب حصر هذه الحالات ضمن جـــدول أو جداول ويختلف الاختيار بحسب الدراسة والغاية من التقسيم إلى جداول متعددة الذي يستهلك مساحة أكبر من عرض الترميز المحدود كحد أقصى بـ 64 بت.

فـــي المخطط 3 بحثه المذكـــور أحصى قيس دوكس وزمـــلاؤه 46 حالة إعرابية لكنها بحاجة إلى إكمال وتصحيـــح، ففيها بعض الإضافات من اللغات الأوروبية مثل الردع (Aversion) غير المســـتخدم بالعربية، وأشياء مجملة بحكم القالب الأوروبي لكن فيها تفصيل في اللغة العربية مثل الشـــرط وجوابه. ففي العربية الشـــرط أنواع وكذا جوابه وهناك نقص كثير، فالجدول هو ترجمة عربية للنحو الأوروبي لكنه عمل يمكن الانطلاق منـــه إن لم يكن هناك ما هو أفضل عربيًا.

قد يتخطى العامـــل الجملة الواحدة كما في («لم يلـــد» «ولم يولد»)[16] وهي حالة تصعب جدولتها خصوصًا في بعض النصوص التي يكون فيها العائد بعيدًا.

(15) Kais Dukes, Eric Atwell and Abdul-Baquee M. Sharaf, «Syntactic Annotation Guidelines for the Quranic Arabic Dependency Treebank,» in: *Proceedings of the International Conference on Language Resources and Evaluation, LREC 2010, 17-23 May 2010, Valletta, Malta* (Valletta: European Language Resources Association (ELRA); Evaluation and Language Resources Distribution Agency (ELDA); Istituto di Linguistica Computazionale (ILC), 2010), on the Web : <http://dblp.uni-trier.de/rec/bibtex/conf/lrec/DukesAS10>.

(16) <http://corpus.quran.com/treebank.jsp?chapter=112&verse=3&token=1>.

لا يمكن للترميز الصرفي الوسيط أن يتضمن الحالة الإعرابية لذا لا حاجة إلى بت يؤشـــر إلى وجود الحالة الإعرابية كونهـــا متضمنة أصلًا في كل وحدة ترميز كلمة.

لتضمين الدلالة التاريخية فـــي النص نعتبر النص دومًـــا جزءًا من كتاب، والكتاب له مؤلف، وقد يتضمن النص اقتباسات هي أجزاء من النص لها مؤلف آخر لهذا يجب حجز بتين في الترميز أحدهما يؤشـــر إلى كون الكلمة جزءًا من نص مؤرخ أم لا. وهذا البت يجب أن يكون محجوزًا حتى في التراميز الوسيطة لأن الوسم التاريخي ممكن قبل إكمال الوسم الصرفي والإعرابي، والبت الآخر هو للدلالة على أن هـــذه الكلمة جزء من مقطع نصي مقتبس، أي ليس للكاتب الأصلي. في نهايـــة الاقتباس يأتي ترميز التاريخ وهو ترميز وســـم وليس كلمة عربية، أي إنه البت الوحيد المشـــترك بين الترميز الاشـــتقاقي وغير الاشتقاقي يضاف إليه بت في الصيغة غير الاشتقاقية لتحديد أن هذا ترميز تاريخ.

ليس هناك شـــكل محدد لصيغة التاريخ، و32 بت أكثر من كافية لتتضمن معلومات رقمية كافية عن التاريخ بما فيها اليوم والساعة والدقيقة في حال استخدم هذا الترميز لترميز إدخال متسلســـل للبيانات، وقد يتضمن ترميز التاريخ مرجعًا جدوليًا لأســـماء المؤلفين كما في كتب الحديث مثلًا، حيث تظهر الحاجة إلى مرجع جدولي لكتب الجرح والتعديل. 20 بت يمكنها أن تسمح بأكثر من مليون مؤلف، كما أن ترميز التاريخ يمكن أن يتضمن أيضًا مرجعًا جدوليًا لتقســـيمات جغرافية للعالم العربي، بحيث يمكننا القول إن هذا النص مثلًا هو لابن جني في الموصل أو في بغداد. 10 بت المتبقية تسمح بجدول لأكثر من 1000 مدينة. بهذا سيكون لدينا أربع حقول إضافية في الترميز الاشتقاقي:

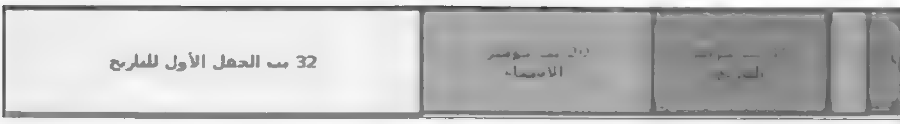
- مؤشر الاقتباس، أي إن هذه الكلمة جزء من نص مقتبس البت 63.

- مؤشر التاريخ في حال كان هذا النص مؤرخًا أم لا البت 62.

- مؤشر جدولي للحالة الإعرابية مبدئيًا 8 بت.

- مؤشر جدولي للعامل العائد.

أما في ترميز التاريخ فلدينا:



- البت 64 الأخير للدلالة على ترميز غير اشتقاقي.

- البت 63 للدلالة على أن هذا الترميز غير الاشتقاقي هو تأريخ.

- حقل أول 32 بت للتاريخ.

- حقل ثاني 20 بت هو مؤشر جدولي إلى أسماء الأشخاص.

- حقل ثالث 10 بت المتبقية هو مؤشر جدولي إلى الأماكن.

ثانيًا: آليات الانتقال من النصوص البسيطة إلى الترميز المعنوي والتراميز الوسيطة

هناك اختلاف تام في البنية بين النصوص العادية للمدونات سواء كانت موسومة (Annotated) أم لا فهي مكوّنة من محارف، وبين المدوّنة وفق الترميز المعنوي المقترح الذي يتكوّن من تراميز بطول 64 بت هي تراميز كلمات عربية وبعض التراميز الخاصة.

كما أن الانتقال المباشر دفعة واحدة من حالة المدوّنة النصية البسيطة إلى الترميز المعنوي أمر متعذر نظرًا إلى الحاجة إلى كثير من المعالجات بعضها آلي وبعضها يدوي إنساني، لإضافة معلومات غير موجودة، لهذا يتم الانتقال على مراحل من خلال تراميز وسيطة.

يستحيل التحديد المباشر لجذر الكلمة غير المشكولة ووزنها، وحتى التحليل الصرفي للكلمة المفردة سيعطي عددًا من الاحتمالات للجذر والوزن، أي عددًا من الكلمات، لذلك لا بد من خطوات لهذا الأمر، أولاها نقل

الكلمات إلى صيغة وسيطة حرفية، أي بتمثيل تتابع حروف الكلمة داخل الـ 64 بت باعتماد الصيغة الأصواتية للحروف التي تم وضعها بناءً على دراسة منصور الغامدي في الصوتيات العربية[17]، ويفترض من أجل دراسة القيود الصوتية في اللغة العربية أن تُختَصر البتات الثمانية المستخدمة حاليًا لترميز الحرف وهي جزء أساس من البحث الكامل الذي نقوم به.

اعتمادًا على الترميز الحرفي يمكن إضافة ترميز تاريخي قبل الانتقال نحو الترميز الكامل. من الترميز الحرفي الوسيط يمكن تضييق احتمالات الكلمة من دون الاعتماد على تحليل صرفي من خلال تطبيق نتائج الدراسة الإحصائية للقيود الأصواتية العربية التي أسعى إلى إنجازها في بحثي. بعد ذلك يمكن تطبيق تحليل صرفي ضمن السياق مع تحليل نحوي إعرابي للتوصل إلى جزم في شأن جذور الكلمات وأوزانها وإعرابها، أو أقترح هنا طريقة أتصوّرها أكثر فاعلية وأكثر تعاونية وهي اعتماد النمذجة الإحصائية للجمل والكلمات والنصوص، إضافة إلى توقع وجود أخطاء إملائية أو حتى نحوية في الإدخال أو من الكاتب نفسه (تصحيف في مصطلح المحققين).

تعتمد فكرة النمذجة الإحصائية على بناء مجموعة نماذج إحصائية للعلاقات انطلاقًا من نصوص مُشكّلة ومضبوطة، أهمها القرآن الكريم، ثم تطبيق هذه النماذج آليًا على النصوص غير المُشكّلة لحصر الاحتمالات بأقل عدد ممكن. مخرجات هذه العملية الآلية هي جمل مضبوطة الشكل ومُعرّبة تقوم برمجية مركزية (تطبيق ويب مثلًا) بعرضها على المستخدم كاحتمالات ضمن قائمة بأسلوب شبيه بالذي اتبعه قيس دوكس في عرض البنية الإعرابية للقرآن الكريم.

يقوم أشخاص عاديون لغتهم العربية جيدة بتصحيح النصوص وفق الخيارات التي سيعطيها البرنامج، ويقوم أشخاص أكثر كفاءة من الناحية اللغوية بالتصحيح أيضًا، إضافة إلى الإجابة عن مبررات سيطرحها البرنامج لسبب اختيارهم، بينما تنحصر مهمة الخبراء اللغويين بمتابعة النماذج التي

(17) منصور بن محمد بن سعيد الغامدي، الصوتيات العربية (الرياض: مكتبة التوبة، 2001).

يولدها النظام وتدقيق العلاقات الإحصائية التي يقترحها سـواءً لإنشاء النماذج أم لمقارنة النتائج، وهي العلاقات التي يجيـب عنها أولئك الذين لديهم كفاءة لغوية إضافة إلى الإشراف على سير العملية.

في مرحلة متقدمة تسـير عملية التدقيق بالتوازي مع التوليد الآلي للجذاذة المعجمية والتي يسـاهم تصحيحها وتدقيقها من الخبراء اللغويين إلى تسـريع عمليات التصحيح والترميز التام.

ثالثًا: توليد الجذاذة المعجمية من المدوّنات وفق الترميز الدلالي المقترح

ينطلق توليد الجذاذات المعجمية بعد تحقق عدة خطوات أساسية:

اكتمال التصنيف الأولي للقيود الأصواتية والمطـردة للغة العربية – وهو الجزء الأسـاس من بحثنا الحالي – بعد تفكيك متغيراتها إلى متغيرات ثنائية، وهو الذي قاد حتى الآن إلـى اعتماد ثمانية متغيرات ثنائية تحدد الحرف، وهذا يعطي 256 احتمـالًا، في حين أن فـي العربية 29 حرفًـا، أي يمكن وصفها بخمس متغيرات ثنائية. لكـن الإبقاء على الثمانية في هـذه المرحلة ضروري لدراسة القيود المطردة على مستوى الكلمات لا الحروف فحسب وهو ما يتناثر في كتب اللغة مثل قولهم إن الصاد والطاء لا يجتمعان[18]، ومثل تصنيف مقاطع العربية صامت + صائت قصير من بحث منصور الغامدي. وهذا سيسمح بتوليد فضاء كلمـات أولي جزء كبير منهـا غير مقبول أو غير مسـتخدم لأن القواعد المطردة لم تكتمل، وكذلك القواعد الإحصائية.

حيث إن المعاجم العربية المعروفة مثل لسان العرب والمحيط تمثّل جزءًا من المدوّنات العربيـة المتاحة حاليًا وهي في الوقت نفسـه المرجعية الأولى

(18) نصر أبـو الوفاء الهوريتـي، «تعليقات على صوتيـات القاموس المحيـط،» على الموقع الإلكتروني: <http://www.tebyan.net/index.aspx?PageSize=1&PageIndex=29&LANGUAGE=2&BOOKID=76492&PID=31143>.

لتوليد الجذاذة المعجمية بعضها مضبوطة الشكل. نأخذ فضاء الكلمات الأولي الذي تم توليده ونربط مفرداته بما نجده مــن مقابلات لها في المعاجم بعد أن نضع لكل معجم نموذجًا برمجيًا للتعامل معه، وســيكون لدينا خرج أولي بهذا الشكل مثلًا:

سبح:	القاموس المحيط	سبح بالنهر وفيه، كمنع، سبحًا وسباحة، بالكسر: عام، وهو سابح وسبوح من سبحاء، وسباح من سباحين.
	لسان العرب	السبح والسباحة: العوم. سبح بالنهر وفيه يسبح سبحًا وسباحة، ورجل سابح وسبوح من قوم سبحاء، وسباح من قوم سباحين ؛ وأما ابن الأعرابي: فجعل السبحاء جمع سابح وبه فسر قول الشاعر:
	مقاييس اللغة	السين والباء والحاء أصلان: أحدهما جنس من العبادة، والآخر جنس من السعي. فالأول السبحة، وهي الصلاة، ويختص بذلك ما كان نفلًا غير فرض

المدخل هو جذر وتحته شــروح للكلمات المشــتقة منه، بعضها بشواهد وأخرى من دون، وهذه هي الخطوة الأولى، أي تحديد الاقتباســات ونسبتها إلى أشخاص لنســبة هؤلاء إلى أماكن وأزمنة مثل قول اللسان «السبحاء جمع سابح» منســوبة إلى ابن الأعرابي فهذا اقتباس مع إســناده. أيضًا هناك معلومات دلالية مطردة الشكل، أي يمكن نمذجتها لمعجم معين مثل القاموس المحيط سبح بالنهر وفيه، أي إن الفعل يتعدى بحرفي الجر الباء وفي، وأيضًا قوله كمنع يقصد أن سبح على وزن فَعَلَ يفعَــل، أي إنه لا يقبل فَعِلَ وفَعُل ويفعِل ولا يفعُل (لا أدري مدى صحة هذا ولكنــه مثال). بعض هذه المعلومات مطردة الشــكل يمكن نمذجتها لتحويلها إلى معادلات آليًا لكن جزءً كبيرًا منها يحتاج إلى إدخال يدوي.

الإدخال اليدوي يقتصر على المعادلات فحسب، وما سوى ذلك يتم توجيه النظام لبناء معادلات جديــدة من خلال اختيارات، وهــذا الأمر مهم جدًا على الرغم من أن التقدم بداية مع كل معادلة جديدة تضاف إلى النظام، يتم مسح جديد لكامل المدوّنة وعرض التغيرات، لكن التغييرات ستتسارع مع تقدم الإدخالات إلى أن تكتمل النمذجة.

بعض القواعد (المعادلات بالنسبة إلى النظام) هي قيود أصواتية أو تابعة للذائقة العربية، وبعضها معنوي مثلًا أن فَعَل يفعُل هو دومًا متعدٍ (أيضًا مثال هو محل جدل) وهذه قواعد مطردة. وهناك قواعد أخرى إحصائية يعبّر عنها اللغويون بعبارات مثل: من النادر، قليلًا، لا يُعرف. أيضًا سينمذج النظام هذه القواعد، وسيكون الاعتماد الرئيس على تصحيحات أولئك الناطقين بعربية جيدة ولكنهم ليسوا خبراء، مع تدقيقات الخبراء التي ستكون بأن يعرض النظام بعد توليد قاعدة إحصائية نتائج عشوائية أو يتم اختيارها على أنها محل شك من النظام على الخبراء اللغويين لتدقيقها والموافقة على صحتها أو رفضها، وعندها توضع القاعدة محل دراسة مجددًا لتعديلها بإدخال متغيرات أخرى.

الجانب الآخر من توليد الجذاذة هو المتعلق بالمعجم التأثيلي، وهي تتعلق بشقيقات العربية أي بالدرجة الأساس السريانية والعبرية وبعض الموروث المندثر للبابلية والتدمرية والحميرية ولغات أخرى. وهذا الجانب مهم جدًا وليس مجرد ترف ثقافي لأنه متعلق بأسئلة متعددة متعلقة بالنمذجة الدلالية للغة العربية أهم هذه الأسئلة:

- مسألة أنواع الفعل الثلاثي وحركة عين المضارع.

- مسألة عدم كفاية الميزان الصرفي في فهم الجذور الرباعية والخماسية التي قد تكون التطور التالي للعربية وباب توسيعها.

- مسألة الاشتقاق الأكبر ومعاني تراكيب الحروف.

مسألة الأوزان السماعية التي قد تكون خاضعة لقواعد معقدة كثيرة المتغيرات لكنها مطردة.

خاتمة

السؤال الأهم هو مقارنة في الجدوى والفوائد والمساوئ بين الآلية التي أقترحها والآلية التقليدية المتبعة في اللغات الأوروبية مع بعض التعديل لملاءمة العربية:

- تبقى التعديلات المدخلة على الأدوات الغربية قاصرة ومشتتة لعدم وجود استراتيجية ملائمة أو جهة واحدة قائدة.

- بالتالي من الصعب جدًا تجميع هذه الأدوات المعدلة في منتجات حقيقية تفيد الناطقين العرب وتحسن استفادتهم من التقانة واللغة، وغالبًا يقوم بهذا شركات عالمية عملاقة على هامش مشاريعها المتعلقة باللغات.

- في الأغلب يختلف توجه هذه الشركات عن حاجة العرب، ويسيطر حاليًا اتجاه لفصل الفصحى الحديثة (Contemporary Arabic) عن العربية الفصحى (Classic Arabic) التي اصطلح بتسميتها عربية القرآن، وهي خطوة ستؤدي إلى إزالة الإعراب وتفكيك البنية الصرفية المطردة كما فعل الإسرائيليون بالعبرية. لاحظ حتى جامعة الملك سعود اتبعت النسق نفسه الذي بات دارجًا.

- الترميز يحتاج جهدًا برمجيًا وخبرات تقنية أكبر بكثير من الجهد والخبرات اللغوية خلافًا للآلية التقليدية التي تعتمد على جهد اللغويين، كما أن خبراء حوسبة اللغة التقنيين العرب أقل نسبيًا من الخبراء اللغويين العرب.

- لكن خبراء حوسبة اللغة التقنيين أكثر قدرة على الاستفادة من التقنية من اللغويين ويمكنهم العمل ضمن شبكة متباعدة من دون اتصال فيزيائي، وهذا يجعل قدرتهم على إنتاج عمل موحد أكبر بكثير من قدرة اللغويين وأقل كلفة من حيث قيمة الاستثمار المطلوب.

- ستنتج الآلية التي أقترحها نمذجة حاسوبية للغة العربية إضافة إلى المعاجم والذخيرة العربية المعلّمة، وهو أمر العربية بأشد الحاجة له كي لا تبقى على هامش التطبيقات العالمية.

- سيكون هذا النظام متاحًا للجميع، ومفتوح المصدر، وليس ملكًا للشركات العملاقة غير العربية، كما هي النتيجة المتوقعة للجهد الحالي.

لإعطاء فكرة عن فرق الأداء بين الآليتين، نضع مثالًا عن القيود الأصواتية: المتغير الأول (وضع الحبال الصوتية) فعال لا يمكن أن يتبع بالمتغير الثامن (اللسان عند الشفتين) فعال، ويمكن أن يكون هناك شرط إن كان المتغير الخامس فعالًا مثلًا وقد يكون الشرط ثلاثيًا أو حتى رباعيًا.

هذا الشرط هو عملية واحدة من عمليات المعالج الرقمي الذي يجري مليارات العمليات في الثانية، والقيود المطردة هي معادلات من هذا الشكل، وعدد هذه القواعد المطردة ليس كبيرًا، وفي تصوري هي عشرات على مستوى العربية، وحتى لو كانت مئات سيبقى الحاسوب الحالي العادي قادرًا على معالجة ملايين الكلمات في الثانية.

في حين أن تطبيق هذا الشرط وفق الآليات الحالية، أي روتين (Function) للتأكد من عدم تتالي حرفين من قائمة ثنائية معدة مسبقًا، سيتطلب 8 خطوات للمعالج على الأقل، وفي بعض لغات البرمجة قد يصل إلى عشرات الخطوات، وسيزداد هذا الفارق بشكل ضخم عندما يصبح الشرط معقدًا مثل الشروط الدلالية التي ضربنا عليها مثال بأن الوزن يفعُل هو متعدٍّ دومًا.

هذا على فرض وجود اتجاه لنمذجة اللغة بهذا الشكل، وهو غير موجود لأنه غير موجود أو ممكن في اللغات اللاتينية، بل الاتجاه الحالي هو اعتماد قوائم الكلمات وبعض الخوارزميات (القواعد) والمقارنة لتضييق الاحتمالات ثم المقارنة مجددًا وهكذا، وغير خفي الفارق الضخم في الأداء بين الأسلوبين.

المراجع

كتب

ابن جني، أبو الفتح عثمان. **الخصائص.** بيروت: دار الكتب العلمية، 2008.

عباس، حسن. **خصائص الحروف العربية ومعانيها: دراسة.** دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1998.

عبد العالي، عبد الوهاب محمد. **المعجم التأثيلي: دراسة تأصيلية في مفردات معاجم الدخيل.** مصراتة، ليبيا: جامعة ٧ أكتوبر، 2008.

الغامدي، منصور بن محمد بن سعيد. **الصوتيات العربية.** الرياض: مكتبة التوبة، 2001.

وثائق

«اجتماع خبراء المحلّلات الحاسوبية الصرفيّة للغة العربية.» (تنظيم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، بالتعاون مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، 2006/4/28-26)، على الموقع الإلكتروني: <http://www.alecso.org.tn/index.php?option=com_content&task=view&id=1234&Itemid=253&lang=ar>.

خضر، محمد زكـي محمد. «الجوانب البرمجية في إعـداد المعجم المفهرس للتراكيب المتشـابهة لفظًا في القـرآن الكريم.» (موقع الأسـتاذ الدكتور محمد زكي خضر)، على الموقع الإلكتروني: <http://www.al-mishkat.com/khedher/?p=54#more-54>.

السـلامة، عبد الرحمن سـليمان وسـعد صالح الداوود. «الرومنة والكرشنة الإلكترونية.» (بحث تعريب الحاسـبات عال 428، جامعة الملك سعود، كلية علوم الحاسب ومعلومات)، على الموقع الإلكتروني: <http://ccisdb.ksu.edu.sa/files/rep5900000.docx>.

السـليمان، عبد الرحمن. «مناقشـة مشـروع المعجم التأثيلي للغـة العربية.» (الجمعيـة الدولية لمترجمـي العربية، أيار/ مايـو 2006)، على الموقع الإلكتروني: <http://www.atinternational.org/forums/showthread.php?t=13>.

مزروعي، عز الدين [وآخرون]. «البرمجيات الحرة: برنامج الخليل الصرفي.» (المنظمة العربيـة للتربية والثقافة والعلوم، جامعـة محمد الأول المملكة المغربيـة ومدينة الملـك عبد العزيـز للعلـوم والتقنية)، علـى الموقع الإلكتروني: <http://www.alecso.org.tn/index.php?option=com_content&task=view&id=1302&Itemid=956&lang=ar>.

الهوريني، نصر أبو الوفاء. «تعليقات على صوتيـات القاموس المحيط.» على الموقع الإلكتروني: <http://www.tebyan.net/index.aspx?PageSize=1&PageIndex=29&LANGUAGE=2&BOOKID=76492&PID=31143>.

2 - الأجنبية

Books

HLT-NAACL-Short '04 Proceedings of HLT-NAACL 2004: Short Papers. Stroudsburg, PA: Association for Computational Linguistics, 2004.

Proceedings of the International Conference on Language Resources and Evaluation, LREC 2010, 17-23 May 2010, Valletta, Malta. Valletta: European Language Resources Association (ELRA); Evaluation and Language Resources Distribution Agency (ELDA) ; Istituto di Linguistica Computazionale (ILC), 2010.

Conference

NEMLAR Conference on Arabic Language Resources and Tools, Cairo, September 2004.

Documents

«Corpus Files». (King Saud University Corpus of Classical Arabic, July 2012), on the Web: <http://ksucorpus.ksu.edu.sa/?p=43>.

Dukes, Kais. «Quranic Arabic Corpus - Data Download». (2011), on the Web: <http://corpus.quran.com/download/>.

«Kais Dukes - Publications». on the Web: <http://www.kaisdukes.com/publications.html>.

Al-Sulaiti, Latifa. «Corpus of Contemporary Arabic (CCA).» on the Web: <http://www.comp.leeds.ac.uk/eric/latifa/research.htm>.

«Quran/Unicode». (Wiki arabeyes) on the Web: <http://wiki.arabeyes.org/Quran/Unicode>.

«The Quranic Arabic Corpus - Word by Word Grammar, Syntax and Morphology of the Holy Quran». on the Web: <http://corpus.quran.com/>.

الفصل الحادي عشر

تقنيات الإفادة من المدوَّنات المحوسَبة
في إنجاز المعجم التاريخي للُّغة العربية

المعتز بالله السعيد طه

مقدمة

المعجم التاريخي معجم لغوي عام، يستمد مادته من التراث الإنساني المكتوب، المدوَّن عبر العصور والأمكنة في مختلف العلوم والفنون والآداب، ويضم مفردات اللغة، ويُبين معانيها ومشتقاتها وأساليبها، ويُعنى بتأصيلها وتاريخ استعمالها أو إهمالها ودراسة تطور مبانيها ومعانيها عبر المراحل الزمنية المتعاقبة للُّغة. وجرت محاولات كثيرة سابقًا لبناء معجم تاريخي للعربية، منها: محاولة المستشرق الألماني أوغست فيشر (August Fischer) في عام 1907، ومحاولة الجمعية الألمانية للاستشراق في عام 1957، ومحاولة جمعية المعجمية العربية في تونس في عام 1990، وأخيرًا محاولة هيئة المعجم التاريخي في القاهرة في عام 2004. إلا أن هذه المحاولات توقفت كلها. ولعل المشكلة تكمن في عدم اعتماد أي منها على مدوَّنة لغوية ملائمة لطبيعة العربية وتاريخها المديد من ناحية، وعدم النظر إلى اتساع المدى الجغرافي للعربية التي امتدت عبر تاريخها في ثلاث قارات من ناحية أخرى. أضف إلى ذلك ما أحدثته ثقافات الأمم الأخرى في اللغة العربية من تأثير فكري وحضاري. والملاحَظ أن هذه المحاولات لم تسَع إلى الإفادة من التجارب الأمم الأخرى؛ مثل تجربة معجم اللغة الألمانية الذي أنجِزَ بين عامَي 1838 و1961، وتجربة معجم اللغة الهولندية الذي أنجِزَ بين عامَي 1849 و1998، وتجربة معجم أكسفورد الإنكليزي الذي أنجِزَ بين عامَي 1859 و1928، وتجربة معجم الأكاديمية السويدية الذي بدأ العمل عليه في عام 1884 ويُتوقع اكتماله في عام 2017، وغيرها من التجارب.

لما كانت العقبة الرئيسة أمام صناعة المعجم التاريخي للُّغة العربية عدم وجود مدوَّنة لغوية ممثِّلة للعربية عبر تاريخها، سعت هذه الدراسة إلى تقديم

منهج لبناء مدوَّنة محوسَبة للمعجم التاريخي المنشود، وركزت بصورة رئيسة على تقنيات الإفادة من مدوَّنة المعجم (أو مدوَّناته) المحوسَبة في إنجاز المعجم التاريخي للُّغة العربية. وتلتزم الدراسة المنهجَ الوصفي؛ إذ تقترح للمدوَّنة مادة مستمَدة من نصوص اللغة العربية المشترَكة والمؤرَّخ لها عبر عصور العربية. أما مجال البحث فيتنوع بين لسانيات المدوَّنة التي تُعنى ببحث الظواهر اللغوية وتفسيرها من خلال مجموعة من النصوص المحوسَبة التي تُمثِّل الواقع اللغوي، وعلم اللغة الحاسوبي الذي يُعنى بتوجيه الأنظمة الحاسوبية إلى فهم اللغات الطبيعية ومحاكاة الذكاء البشري.

أولًا: منهج بناء مدوَّنة المعجم التاريخي للغة العربية

تخضع صناعة المدوَّنات اللغوية لضوابط ومعايير تُحددها طبيعة اللغة والهدف من المدوَّنة اللغوية. والواقع أن منهج دراسة المدوَّنات اللغوية المحوسبة لا يزال جديدًا على اللغة العربية؛ إذ لم تعرف الطريق إليه إلا في ثمانينيات القرن الماضي، من خلال أطروحات علمية ومشروعات بحثية محدودة، تنوعت بين مشروعات لمدوَّنات أحادية اللغة، ومشروعات أخرى لمدوَّنات متعددة اللغات. كما أن بناء مدوَّنة لغوية للمعجم التاريخي أمر شاق، تزداد صعوبته بسبب طبيعة اللغة العربية الاشتقاقية ونظامها الكتابي. كذلك فإنَّ وضع خطة لبناء المعجم يتطلب الإحاطة بحجم التراث العربي المدوَّن، وإحصاء مدخلات المدوَّنة اللغوية، وغير ذلك من الأمور التي تساهم المدوَّنة اللغوية - إلى حد كبير - في تحديدها على وجه الدقة. ووفقًا لطبيعة المعجم المنشود، فإن بناء مدوَّنة لغوية تُحقق الغاية التي نصبو إليها يتطلب أربع خطوات منهجية:

- الخطوة الأولى: جمع النصوص

لما كان المأمول من المعجم التاريخي المنشود أن يكون ديوانًا للعربية، يؤرِّخ لألفاظها ومعانيها، ويُبين ما طرأ على تلك الألفاظ من تحوُّل وتغيُّر، كان لا بد لمدوَّنة هذا المعجم من أن تضم قدرًا وافيًا من النصوص التي تعكس واقع

اللغة العربية عبر عصورهـا التاريخية، وفي بيئاتها ومراكزهـا الثقافية والعلمية والحضارية التي شهدت مراحل نموها وتطوُّر ألفاظها وتراكيبها، لتكون بمنزلة قاعدة المعطيـات الجامعة لآثارهـا الأدبية وتراثها العلمـي المدوَّن. ويخضع اختيار النصوص - وفقًا لمنهج بناء المدوَّنات اللغوية - لإحدى الطرائق التالية:

- **الطريقة الأولى: تقوم على الاستبيان**؛ حيث يطرح صنّاع المدوَّنة مجموعة أسئلة واستفسـارات على أشـخاص يُمثّلون المجتمع اللغوي الذي تنتمي إليه النصوص؛ وتتعلق الأسئلة والاستفسـارات بالحقول المعرفية وعناوين الكتب وأسـماء الكتّاب والمصنِّفين وأوجه المفاضلة بينها. وفي ضوء نتائج الاستبيان يُحـدَّد حجم المدوَّنة اللغويـة والحقول المعرفية التي تُصنَّـف إليها النصوص ومصادر المـادة النصية والفترة الزمنيـة التي تنتمي إليها النصـوص والمنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها الكتّاب والمصنِّفون. تُستخدم هذه الطريقة - عادة - في بناء مدوَّنات الدراسات التجريبية، كما تُسـتخدم في بناء المدوَّنات اللغوية للمجتمعات الإقليميـة ومدوَّنات اللهجات المعاصـرة والمدوَّنات المصنوعة لأغراض تعليمية.

- **الطريقة الثانية: تقوم على الحصر الشـامل**؛ وتُلزم صنّاع المدوَّنة بحصر كل نصوص المجتمع اللغوي الذي تُمثّله المدوَّنة، وتسـتخدم هذه الطريقة - عادة - عند بناء مدوَّنات الدراسات المسـحية، مثل المدوَّنات المستخدمة في صناعة معجمات الأدبـاء. ويرى بعض الباحثين أن هذه الطريقة هي الوسـيلة المثلى لبناء مدوَّنة المعجم التاريخي للعربيـة، بل يرى بعضهم ضرورة احتواء المدوَّنة المؤلفاتِ العربيةَ الباقيةَ كلَّها وعلى كل ما جرى أو لا يزال يجري على ألسنة الناطقين بها. ويبدو هذا رأيًا غريبًا، لا يُعلم حدوثه في أي من المعجمات التاريخية للُغات الأمم الأخرى، فكيف باللغة العربيـة التي تمتلك تراثًا مدوَّنًا منذ ما يقرب من ألفي عام؟!

- **الطريقـة الثالثة: تقـوم على نظريـة العينات الإحصائيـة**؛ يختار صنّاع المدوَّنة من خلالها عينةً من النصوص التي تتفق وأهدافهم البحثية، سواء أكانت عينة عشوائية، أم غير عشوائية. يشيع اسـتخدام هذه الطريقة عند بناء مدوَّنات

المعجمات اللغوية العامة، وهي الطريقة التي تقترحها الدراســة، وذلك بجمع نصوص المدوَّنة اللغوية من التراث العربي المدوَّن (المكتوب) في صورة عيّنة قصدية (Purposive Sample) منتقــاة من المصنَّفات العربية فــي مختلف العلوم والفنون والآداب بحيث تغطي الفترات الزمنية للعربية - ســواء أعلى مستوى العصور الأدبية أم على مستوى القرون - وبحيث تغطي الحدود الجغرافية التي مثّلت المراكز الثقافية والحضارية للعربية.

- الخطوة الثانية: تصنيف النصوص

تقترح الدراســة تصنيف مادة المدوَّنة اللغوية للمعجم المنشــود تاريخيًا وجغرافيًا وموضوعيًا وفقًا لما يلي:

أ - التصنيــف التاريخي: يشــمل عصور اللغــة العربية - وفق التقســيم الخماسي الذي أقرّه مجمع اللغة العربية في القاهرة:

- العصر الجاهلي، ويضــمّ وثائق تنتمي إلى الحقبــة الممثّلة لأقدم نص عربي، أي إلى عام 1 ق. هـ/ 622م (العام السابق للهجرة النبوية).

- العصر الإسلامي، ويضمّ وثائق تنتمي إلى الحقبة من عام 1 هـ/ 622م (العام الأول للهجرة النبوية) إلى عام 131 هـ/ 749م (العام الســابق لسقوط دولة بني أميّة).

- العصر العباسي، ويضمّ وثائق تنتمي إلى الحقبة من عام 132هـ/ 750م (عام ســقوط دولة بني أميّة وقيام دولة بني العبّاس) إلى عام 655 هـ/ 1257م (العام السابق لسقوط دولة بني العباس).

- العصر الوســيط (عصر الدول والدويلات)، ويضــمّ وثائق تنتمي إلى الحقبة من عام 656هـ/ 1258م (عام سقوط دولة بني العبّاس وانقسام الدولة العربية إلــى دول ودويلات) إلى عام 1219هـ/ 1804م (العام الســابق لبداية حكم محمد علي باشا، مؤسس مصر الحديثة).

- العصر الحديث (عصر النهضة)، ويضمّ وثائق تنتمي إلى الحقبة من عام 1220 هـ/ 1805م (تولي محمد علي باشا حكمَ مصر) إلى وقت بناء المدوَّنة اللغوية للمعجم التاريخي.

ب - التصنيف الجغرافي: تقترح الدراسة أن يحتوي على سبعة حقول على النحو التالي:

- شبه الجزيرة العربية، تضمّ في العالم الحديث منطقة الخليج العربي (السعودية والإمارات والكويت وقطر وسلطنة عُمان ومملكة البحرين) وأرض اليمن.

- بلاد ما بين النهرين (الرافدين)، وهي العراق في العالم الحديث.

- أرض وادي النيل، تضمّ من المنطقة العربية في العالم الحديث مصرَ والسودان.

- بلاد الشام، وتشمل سورية ولبنان وفلسطين والأردن والمنطقة الجنوبية من تركيا.

- شبه جزيرة الأندلس (أيبيريا)، تضمّ في العالم الحديث إسبانيا والبرتغال وجبل طارق.

- منطقة المغرب العربي وصقلية، تضمّ في العالم الحديث تونس والجزائر والمغرب وليبيا، وتربطها أواصر تاريخية بجزيرة صقلية الإيطالية التي تقع في جنوب أوروبا.

- منطقة فارس وما وراء النهر (آسيا الوسطى)، تضمّ - من المناطق التي انتشرت فيها العربية - فارس (وهي إيران حديثًا)، وأقاليم بخارى وسمرقند وخوارزم، والحدود الهندية.

ج - التصنيف الموضوعي: تقترح الدراسة أن يحتوي على خمسة عشر حقلًا، هي: الشعر العربي، القرآن الكريم، الحديث النبوي، ترجمة الكتاب

المقدس، النثر الأدبي، علوم العربية وآدابها، النثر العلمي واصطلاحات العلوم، التاريخ والأنساب، الطبقات والتراجم، الجغرافيا والرحلات والبلدان، القوانين والأحكام، الملل والعقائد، الموسوعات والمعجمات، الصحافة، المعارف الأخرى.

- الخطوة الثالثة: تحرير النصوص

يُقصد بتحرير النصوص تحويلها من صورتها الورقية إلى صورة رقمية محوسَبة يمكن التعامل معها آليًا؛ وثمة ثلاث وسائل لتحرير نصوص المدوَّنات اللغوية:

الوسيلة الأولى: التحرير الآلي

يتم باستخدام أداتين:

- الماسح الضوئي، يستقبل نصوص الوثائق المدخلة بعد استكشافها ضوئيًا.

- القارئ الآلي، وظيفته التعرف إلى الحروف المدخَلة وتحويلها إلى صيغة نصّية محوسَبة.

الوسيلة الثانية: التحرير اليدوي

هي الوسيلة التقليدية المستخدمة في رقمنة النصوص. ويتم التحرير اليدوي مباشرة باستخدام محررات النصوص.

الوسيلة الثالثة: استخدام المادة المتاحة إلكترونيًا

توجد هذه المادة في إحدى الصور التالية:

- صيغة الوثيقة المتنقلة (PDF).

- صيغة صفحات الويب (HTML).

- صيغ الوثيقة النصية «DOC» و«RTF»، و«TXT». وتعالَج هذه الصيغ باستخدام محرِّرات النصوص.

- الخطوة الرابعة: ترميز النصوص

ترميز النصوص هو تحويلها من صورتها الأولية إلى صورة مشروحة مفصلة، أو بمعنى آخر: تحويلها من نصوص خام غير مشروحة - وهو الشكل الذي تظهر فيه النصوص عند تحريرها أوليًا - إلى نصوص مرمَّزة مذيَّلة بالخصائص الشكلية لنصوص المدوَّنة اللغوية (وتشمل لغة الترميز المستخدمة وصيغة تحويل الرموز/ الحروف وأنواع الخطوط وأحجام الخطوط وألوانها) والمعلومات البيليوغرافية للنصوص (وتشمل عنوان الوثيقة واسم المصنِّف واسم المحرِّر وتاريخ التحرير وعدد الكلمات «بحساب لغة الترميز»).

تتضح أهمية ترميز المدوَّنات اللغوية للعربية عند التعامل معها برمجيًا أو تحليل نصوصها باستخدام أدوات المعالجة الآلية؛ إذ لا تتعرف بعض لغات البرمجة إلى الترميزات التقليدية للعربية، الأمر الذي يؤدي إلى نزوح هذه اللغات وما بُني عليها من أدوات المعالجة الآلية عن الاستجابة للحروف العربية التي تظهر بصورة مشوّهة تُعيق الآلة عن أداء عملها. من ناحية أخرى، يساعد الترميز في التعامل مع المدوَّنة اللغوية والبرمجيات المساندة لها عبر الشابكة العنكبوتية من خلال استدعاء بيانات الويب، كما يُمكّن من التعامل المباشر مع تقنيات التنقيب عن البيانات، وما يتفرع عنها مثل البحث في النصوص والبحث في مستودعات البيانات، وغير ذلك من المجالات التطبيقية التي يُفيد منها صنّاع المدوَّنات اللغوية. وتُرمَّز النصوص عبر مرحلتين رئيستين:

- المرحلة الأولى: تشفير النصوص: تقترح الدراسة تشفير نصوص المدوَّنة اللغوية بصيغة الترميز UTF-8، وهي صيغة تحويل نظام الحروف الدولي الموحد بقوة 8 Bit التي اعتمدها المعهد الأميركي للتنميط (ANSI). تتوافق هذه الصيغة مع المعايير القياسية العالمية، كما تدعم كثيرًا من أبجديات اللغات الطبيعية، وإن كان يعيبها كبر المساحة التخزينية التي

تشغلها؛ إذ من خلالها يُشفَّر الرمز الواحد (الذي قد يُمثّل غرافيمًا، سواء أكان حرفًا أم حركــة أم رقمًا أم رمزًا رياضيًا...) في مســاحة تخزينية تراوح بين 1 بايت و4 بايت (1 Byte: 4 Byte/8 Bit: 32 Bit).

- المرحلة الثانية: توصيف النصوص: تقترح الدراســة لذلك لغة الترميز القابلة للامتــداد (XML) التي تُعَد لغة توصيفية مثاليــة؛ إذ تدعم نظام الحروف الدولي الموحَّد وتعمل مثل قاعدة معطيات مرمزة يســهل تناقلها عبر صفحات الويب.

ثانيًا: تقنيات الإفادة من المدوَّنة المحوسَبة في إنجاز المعجم التاريخي المنشود

تتشــكل أدوات المعالجة الآلية للمدوَّنات اللغوية بالتنسيق بين مستويات التحليل اللغوي الخمسة: **الصوتي**؛ ويُعنى بتحليل الوحدات الصوتية المشكلة لأصــوات الحروف (فونيمــات) ومــا ينجم عنها مــن أشــكال (ألوفونات) ومقاطــع. **والصرفي**؛ ويُعنى بتحليــل الوحدات الصرفية المجــرَّدة الدالة على معنى (المورفيمات) وأقســام الكلمة الناتجة من تجمُّع المورفيمات أو تفكُّكها (الجذور والجذوع والفــروع). **والتركيبي**؛ ويُعنى بتحليــل الوحدات المكوِّنة للتركيب النحوي/ أقســام الكلام (PoS)، ويتناول جانبَي الوصف (PoS Tagging) والإعــراب (Parsing). **والمعجمــي**؛ ويُعنى بتحليل الوحــدات المعجمية التي تتشكل عن المداخل الرئيسة للمعجم (اللكسيمات). **والدلالي**؛ ويُعنى بتحليل معاني الوحدات اللغوية سالفة الذكر ووظائفها.

للوقوف على منهج ملائم في المعالجة الآلية لنصــوص المدوَّنة اللغوية موضوع الدراســة وتعيين الآليات التي تحقق الغاية منهــا، يجب أن نقف أولًا على المعلومات الأساسية التي ســيُقدِّمها المعجم التاريخي المنشود، ثم نحدد المعلومات التي سنســتقيها مــن المدوَّنة اللغوية للمعجــم. وفي ضوء مفهوم المعجــم التاريخي، يمكن القــول إن المدوَّنة اللغوية للمعجــم التاريخي هي مصدر المداخل والوحــدات المعجمية، وهي مصدر المعانــي الوظيفية لهذه

الوحدات، كما أنها مصدر المعاني المعجمية والشـــواهد التي تؤرِّخ لاستعمال المفردات والتطوُّر الحادث فيها.

عليه، يُفتــرض أن تخضع نصــوص المدوَّنة اللغوية للمعجــم التاريخي للمعالجة الآلية على مستويين:

المعالجة على مستوى المبنى: ووسائلها:

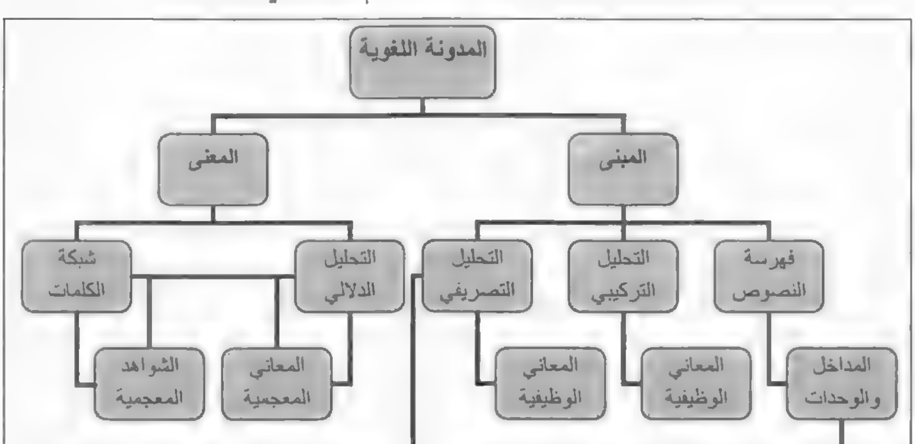
- آلية فهرسة النصوص (Text Indexing).
- آلية التحليل التركيبي (Syntactic Analysis).
- آلية التحليل التصريفي (Morphological Analysis).

المعالجة على مستوى المعنى: ووسائله:

- شبكة الكلمات العربية (Arabic WordNet).
- آلية التحليل الدلالي (Semantic Analysis).
- آلية التحليل الدلالي (Semantic Analysis).

الشكل (11-1)

الآليات [التقنيات] المستخدَمة في المعالجة الآلية لنصوص المدوَّنة اللغوية للمعجم التاريخي المنشود



1 - آلية فهرسة النصوص

تعتمد آلية فهرسة النصوص - في الأساس - على التحليل الصرفي، حيث تعنى المفهرسات الآلية بتحليل النصوص إلى فقرات وجمل، ثم تحليل الجمل إلى كلمات، ثم تحليل الكلمات إلى فروع تُكوّن الوحدات المعجمية المتفرِّعة عن المداخل. وتخضع عملية التفريع لطبيعة اللغة المفهرَسة، فتزيد قدرة المفهرسات الآلية على تفريع الكلمات عند فهرسة نصوص اللغات الإلصاقية (مَثل الألمانية والإنكليزية والفرنسية)، وتقل عند فهرسة نصوص اللغات الاشتقاقية (مثل العربية والعبرانية والحبشية)؛ لهذا، تُستخدم أدوات مساعدة للمفهرِسات الآلية عند تحليل النصوص العربية مثل المحللات التركيبية والصرفية. وإضافة إلى ما تتمتع به المفهرِسات الآلية من قدرة على إدارة النصوص وحصر تردداتها وإعادة تشكيلها فِي قواعد معطيات منتظمة، فإنها تحصر السياقات والتراكيب التي ترد فيها المفردات، كما تتيح عددًا من خيارات البحث والترتيب.

يُفترض أن تُستخدم في فهرسة نصوص المدوَّنة المنشودة آليتان: آلية الفهرسة الجذعية، وآلية الفهرسة الألفبائية.

الشكل (2-11)

نموذج لمادة مفهرسة جذعيًا من كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي

1	وبرز في علم القراءات وعمر مدرسة للقراء وسماها دار القرآن
2	الكريم الوجيهية قبلي المدرسة العصرونية والمسرورية وغربي
3	ابن المقير وحمل عنه الجماعة ودرس بالمسمارية وكان صدرًا محترمًا
4	الحمام وبناه سكنًا للشيخ المدرس بها انتهى. وقال الذهبي في
5	وهمذان ودمشق وحران من خلائق ودرس بالقدس الشريف في الصلاحية
6	من مغل القدس انتهى. ثم درس بدمشق في الشامية الجوانية
7	ثلاث عشرة سنة انتهى. ثم درس بالرواحية وهو أول من درس بها
8	ثم درس بالرواحية وهو أول من درس بها واشتغل وأفتى وكانت
9	وبرع فيه وتقدم وأفتى وناظر ودرس وناب عن أبيه في الحكم واشتغل
10	بعد أبيه مدة قليلة ثم عزل ودرس بالغزالية مدة كما سيأتي وباشر
11	وفي جمادى الآخرة منها درس الشيخ شهاب الدين أبو شامة عبد
12	أنه لم يراجع شيئًا حتى أورد درسه ومثله لايستكثر عليه ذلك

الشكل (11-3)

نموذج لمادة مفهرَسة ألفبائيًا من العهد القديم

أمِنًا أمَامَكَ، وَقَطَعْتَ مَعَهُ	**الْعَهْدَ**	أنْ تُعطِيَهُ أرْضَ الْكَنْعَانِيِّينَ
الشَّرَائِعَ، غَيَّرُوا الْفَرِيضَةَ، نَكَثُوا	**الْعَهْدَ**	الأبَدِيَّ. لِذَلِكَ لَعْنَةٌ أكَلَتِ
آلِهَةً أُخْرَى. وَلاَ تَنْسَوْا	**الْعَهْدَ**	الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَكُمْ، وَلاَ
وَيَصْغَى إِلَى الَّذِينَ تَرَكُوا	**الْعَهْدَ**	الْمُقَدَّسَ. وَتَقُومُ مِنْهُ أذْرُعٌ
آبَائِنَا قَطَعَ الرَّبُّ هذَا	**الْعَهْدَ**	بَلْ مَعَنَا نَحْنُ الَّذِينَ
بَادَ عَابِرُ السَّبِيلِ. نَكَثَ	**الْعَهْدَ**	رَذَلَ الْمُدُنَ. لَمْ يَعْتَدَّ
حَقِيرَةً وَلاَ تَرْتَفِعَ، لِتَحْفَظَ	**الْعَهْدَ**	فَتَثْبُتَ. فَتَمَرَّدَ عَلَيْهِ بِإِرْسَالِهِ
مُحْرَقَاتٍ. وَلكِنَّهُمْ كَآدَمَ تَعَدَّوْا	**الْعَهْدَ**	هُنَاكَ غَدَرُوا بِي. جِلْعَادُ
يَحْفَظُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ	**الْعَهْدَ**	وَالإِحْسَانَ اللَّذَيْنِ أَقْسَمَ لآبَائِكَ،
اللهُ، الإِلهُ الأَمِينُ، الْحَافِظُ	**الْعَهْدَ**	وَالإِحْسَانَ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ وَيَحْفَظُونَ

تعتمد المفهرِســات الآلية للنصوص العربية - بصورة رئيسة - على أحد ترميزين:

- الترميز UTF-8: صيغة تحويل نظــام الحروف الدولي الموحد (Unicode) بقوة 8 Bit، وهو الترميز القياســي لأكثر ألفبائيات اللغات الطبيعية، ولا ســيما ألفبائية اللغــة العربية. كما يدعــم كثيرًا من نظم التشــغيل الحــرة (مثل نظم التشــغيل «Linux» و«Unix» و«OpenSolaris»)، والتجاريــة (مثل نظام التشــغيل «MS Windows»)، وتخضع الصيغة لمواصفات أيزو (ISO/IEC 8859) التي أقرتها المنظمة الدولية للمعايير (International Organization for Standardization - ISO).

- الترميــز Windows-1256: صيغــة التشــفير CP-1256 (Code page 1256)، ويُســتخدم لترميز الألفبائية العربية (في اللغات العربية والفارســية والأردية)، ويدعم نظام التشــغيل «Microsoft Windows»، ولا تخضــع هذه الصيغة لمعايير منظمة أيزو (ISO).

ويدعم كثير من أدوات الفهرسة الآلية اللغةَ العربيةَ، منها:

- المفهرس الآلي aConCorde

المطـــور: الإنكليـــزي روبـــرت أنـــدرو (Roberts Andrew) - جامعة ليدز (University of Leeds).

النوع: مفتوح المصدر (Open Source Software).

الوظيفة: الفهرسة الألفبائية لنصوص المدوَّنات اللغوية.

السعة: الوثائق الصغيرة نسبيًا - أقل من 10 آلاف كلمة للوثيقة.

الإصدار الحالي: aConCorde-0.4.2 - 2008.

اللغات التي يدعمها: العربية والإنكليزية.

الترميز المستخدم: CP-1256.

بيئة التشغيل: MS Windows, All POSIX (Linux/BSD/UNIX-like OSes).

البيئة البرمجية: Java.

- المفهرس الآلي Concapp

المطور: مجموعة Chris Greaves - كندا.

النوع: مغلق المصدر (Proprietary Software).

الوظيفة: تجذيع الكلمـــات (Stemming)، وحصر الســـياقات التي ترد فيها الجذوع (Stems).

السعة: السعة التخزينية.

الإصدار الحالي: Concapp 5.0 - 2008.

اللغات التي يدعمها: العربية والإنكليزية والفرنسية والصينية واليابانية.

الترميز المستخدم: CP-1256.

بيئة التشغيل: MS Windows, All POSIX (Linux/BSD/UNIX-like OSes).

البيئة البرمجية: برنامج تنفيذي (EXE).

- المفهرس الآلي Concordance

المطور: مجموعة R.J.C.Watt - المملكة المتحدة.

النوع: مغلق المصدر (Proprietary Software).

الوظيفة: الفهرسة الألفبائية للنصوص وحصر سياقات المفردات.

السعة: السعة التخزينية.

الإصدار الحالي: Concordance 3.3 - 2009.

اللغات التي يدعمها: لغات Unicode - UTF-8.

الترميز المستخدم: UTF-8.

بيئة التشغيل: MS Windows, All POSIX (Linux/BSD/UNIX-like OSes).

البيئة البرمجية: برنامج تنفيذي (EXE).

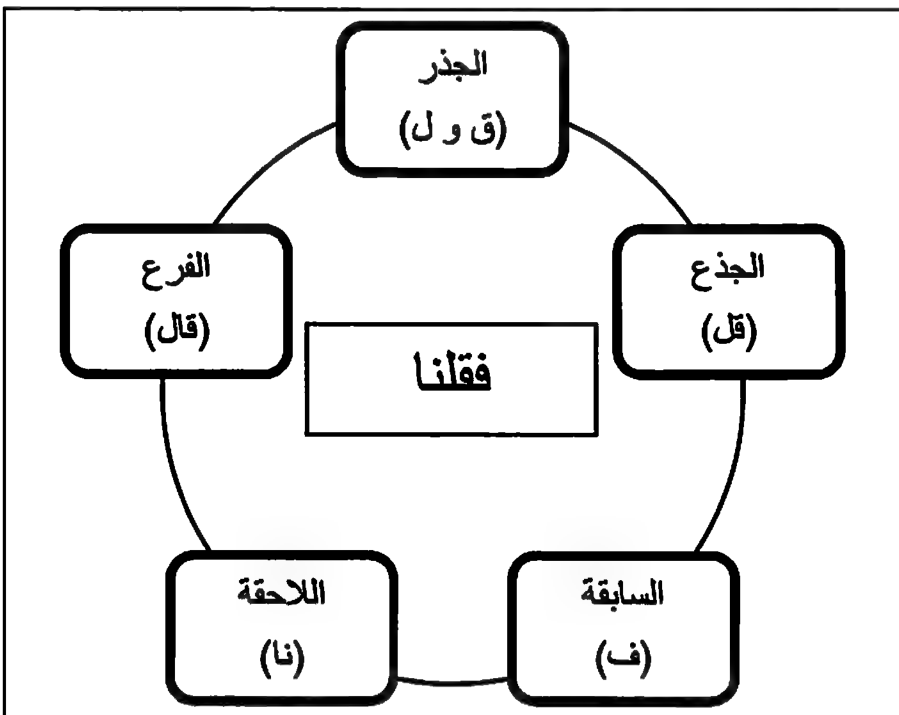
2 - آلية التحليل الصرفي

يُستخدم المحلل الصرفي في استرداد جذور المفردات، وتحديد التوصيفات الصرفية لكل مفردة على حدة؛ كما يُستخدم في صورته العكسية (المولد الصرفي) في توليد المشتقات اللفظية من الجذر اللغوي الواحد. وهو

- بذلك - يتمم عمل المفهرِس الآلي. وتتداخل المورفيمات (وحدات التحليل الصرفي) نتيجة التآلف بين عناصر الكلمة (الجــذر والجذع والفرع واللاصقة (السابقة واللاحقة)).

الشكل (11-4)

العناصر المكونة للكلمة العربية - نموذج «فقلنا»



وفقًا لهذه العناصر، تخضع آلية التحليل الصرفي لثلاثة إجراءات:

التجذير: يُقصد به تحليل الكلمات إلى جذور.

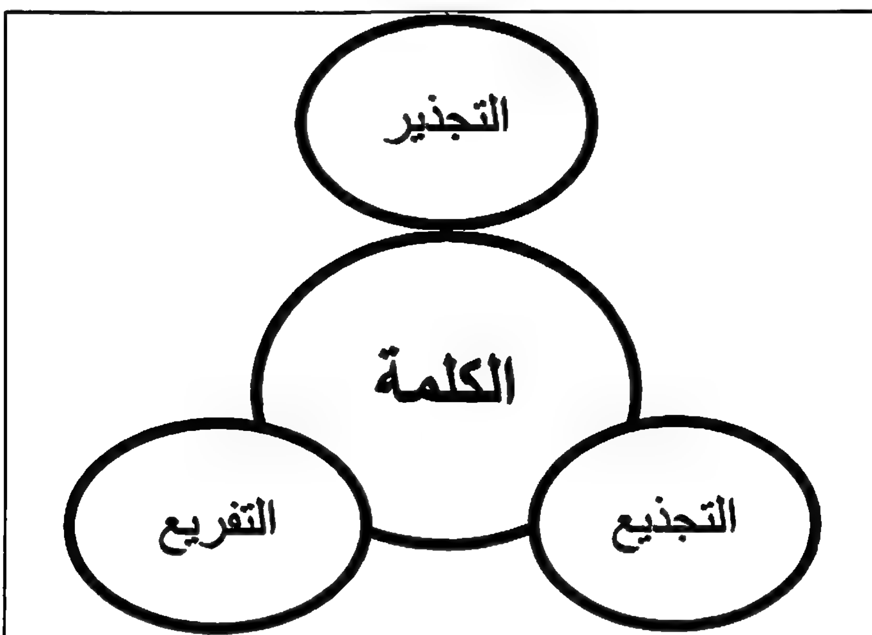
التجذيع: يُقصد به تحليل الكلمات إلى جذوع.

التفريع: يُقصد به تحليل الكلمات إلى فروع (وحدات المعجمية).

ســاعد النظام الصرفي القياســي للعربية فــي تطوير خوارزميــة التحليل الصرفي لها وتحسين أداء المحللات الصرفية لمفرداتها؛ إذ يقوم على معطيات ثابتــة لقواعد الصرف العربي تُبنــى من خلالها الآليةُ لتكون قــادرة على توليد الأبنية مــن عناصرها الأولية (الجذور والجذوع والفــروع) وتحليل الأبنية إلى عناصرها الأولية وفق ما تسمح به طبيعة اللغة العربية الاشتقاقية.

الشكل (11-5)

إجراءات التحليل الصرفي

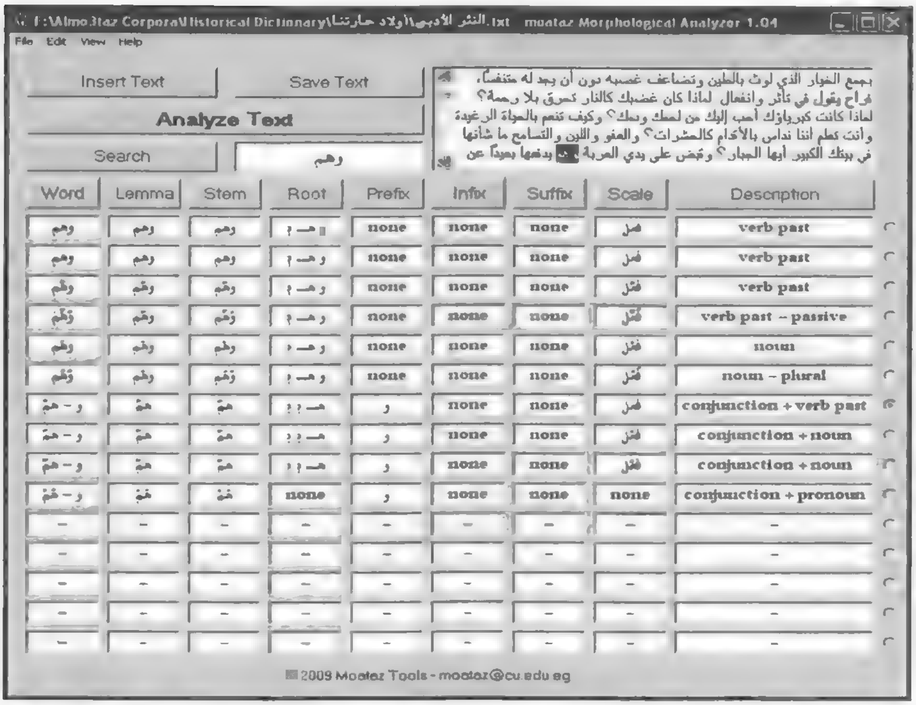


يُفترض بأدوات التحليــل الصرفي للعربية أن تراعــي نظامها الكتابي من حيث ضبط الحروف، لتكون قادرة على: التحليل الصرفي للكلمات المشكولة كليًا؛ والمشكولة جزئيًا؛ وغير المشكولة.

الشكل (11-6)

آلية التحليل الصرفي (Morphological Analyzer 1.04)

(نموذج من أولاد حارتنا لنجيب محفوظ)



ثمة كثير من أدوات التحليل الصرفي للُّغة العربية، منها:

- **آلية التحليل الصرفي** Morphological Analyzer

المطور: الباحث

النوع: مغلق المصدر (Proprietary Software).

الوظيفة: التحليل الصرفي للكلمات العربية.

السعة: السعة التخزينية.

الإصدار الحالي: Morphological Analyzer 1.04 – 2009.

اللغات التي يدعمها: العربية.

الترميز المستخدم: UTF-8.

بيئة التشغيل: MS Windows, All POSIX (Linux/BSD/UNIX-like OSes).

البيئة البرمجية: MS Visual Studio.Net - Visual C#.

- المحلل الصرفي AraMorph

المطور: الأميركي تيم بكوالتر Tim (Timothy) Buckwalter - LDC, Penn.

النوع: مفتوح المصدر Open Source Software - V 1.0.

الوظيفة: التحليل الصرفي لنصوص المدوَّنات اللغوية.

السعة: السعة التخزينية.

اللغات التي يدعمها: العربية.

الترميز المستخدم: CP-1256.

بيئة التشغيل: MS Windows, All POSIX (Linux/BSD/UNIX-like OSes).

البيئة البرمجية: JavaScript - Perl.

- المحلل الصرفي AraFlex

المطور الأميركي جيمس شوماخر James Shoemaker – قاعدة معطيات AraMorph.

النوع متاح على الشبكة العنكبوتية (Online Source Software).

الوظيفة: التحليل الصرفي للكلمات العربية، وتعيين أجزاء الكلمة.

السعة: كلمة واحدة.

اللغات التي يدعمها: العربية.

الترميز المستخدم: CP-1256.

بيئة التشغيل: MS Windows, All POSIX (Linux/BSD/UNIX-like OSes).

البيئة البرمجية: JavaScript - Perl - DHTML.

- نظام التحليل MADA+TOKAN

المطور: نــزار حبش وأوين رامبــو (Owen Rambow) – جامعــة كولومبيا (Columbia University).

النوع: متاح للأغراض البحثية.

الوظيفة: نظام متعدد المهام (تقطيع النصوص (Tokenization)، والتشــكيل (Diacritization)، وفك الالتباس الصرفي (Morphological Disambiguation)، وتعيين أقسام الكلام (PoS Tagging)، والتجذيع (Stemming)، والتفريع (Lemmatization).

السعة: السعة التخزينية.

اللغات التي يدعمها: العربية.

الترميز المستخدم: CP-1256.

بيئة التشغيل: MS Windows, All POSIX (Linux/BSD/UNIX-like OSes).

البيئة البرمجية: Perl.

- نظام الخليل Alkhlil Morpho sys

المطور: فريق بحثي من وحـدة المعالجة الآلية للُّغات الطبيعية في جامعة محمد الأول في المملكة المغربية، والباحث برعايـة ALECSO ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض.

النوع: مفتوح المصدر (Open Source Software).

الوظيفة: التحليل الصرفي للكلمات العربية، وتعيين أجزاء الكلمة.

السعة: السعة التخزينية.

اللغات التي يدعمها: العربية.

الترميز المستخدم: CP-1256.

بيئة التشغيل: MS Windows, All POSIX (Linux/BSD/UNIX-like OSes).

البيئة البرمجية: Java.

3 - آلية التحليل التركيبي

وفقًا لطبيعة المعجم التاريخي المنشـود، يتطلب تعيين المعاني الوظيفية للوحدات المعجمية - على المسـتوى التركيبي - إخضـاع نصوص المدوَّنة للمعالجة التركيبية عبر مرحلتين رئيستين، يحدَّد من خلالهما التوصيف النحوي (التركيبي) لوحدات المعجم:

- المرحلـة الأولى: تعيين أجـزاء الـكلام؛ تُعنى بتعيين أجـزاء الكلام ووظائفها في الجملة العربية، ومن تطبيقاتها في صناعة المعجم:

بالنسبة إلى الاسـم: تعيين نوعه من حيث الإفراد والتثنية والجمع، وتعيين جنسه من حيث التذكير والتأنيث.

بالنسـبة إلى الفعل: تعيين زمنه (ماضٍ أو مضارع أو طلبي)، وتعيين نوعه (متعدٍ أو لازم).

بالنســبة إلى الأداة: تعيين أدوات الاســتفهام، وحروف الجر، والعطف، وأدوات التعجب.

- **المرحلة الثانية: إعراب أجزاء الكلام؛** تُعنى بتعيين حركات أجزاء الكلام في حالتَي الإعراب والبناء، وتكون على النحو التالي:

الاســم: يأتي معربًا (وحالاته: الرفــع والنصب والخفــض)، ويأتي مبنيًا (وحالاته: بناء الضم وبناء الفتح وبناء الكسر وبناء السكون).

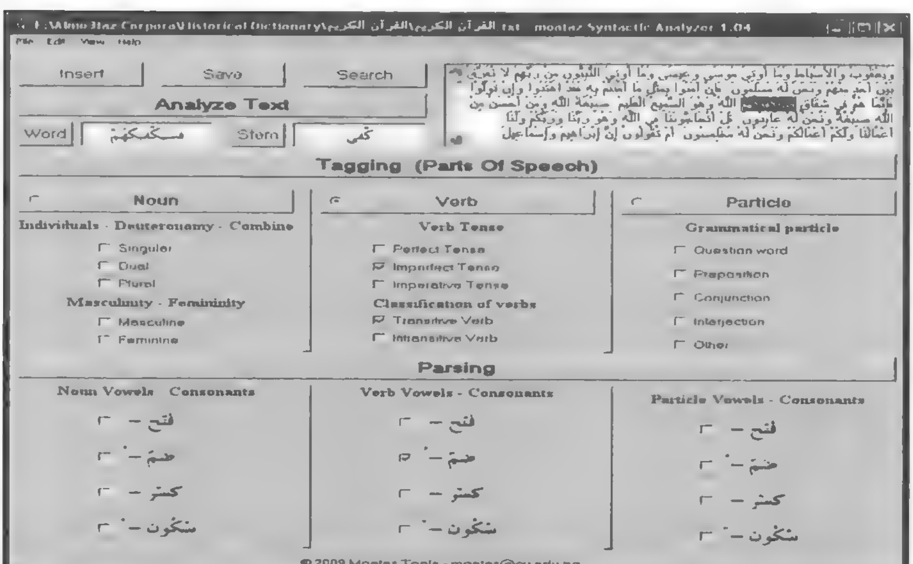
الفعل: يأتــي معربًا (وحالاتــه: الرفع والنصــب والجزم)، ويأتــي مبنيًا (وحالاته: بناء الضم وبناء الفتح وبناء الكسر وبناء السكون).

- **الأداة:** تأتــي مبنية (وحالاتها: بناء الضم وبناء الفتح وبناء الكســر وبناء السكون).

الشكل (11-7)

آلية التحليل التركيبي Syntactic Analyzer 1.04

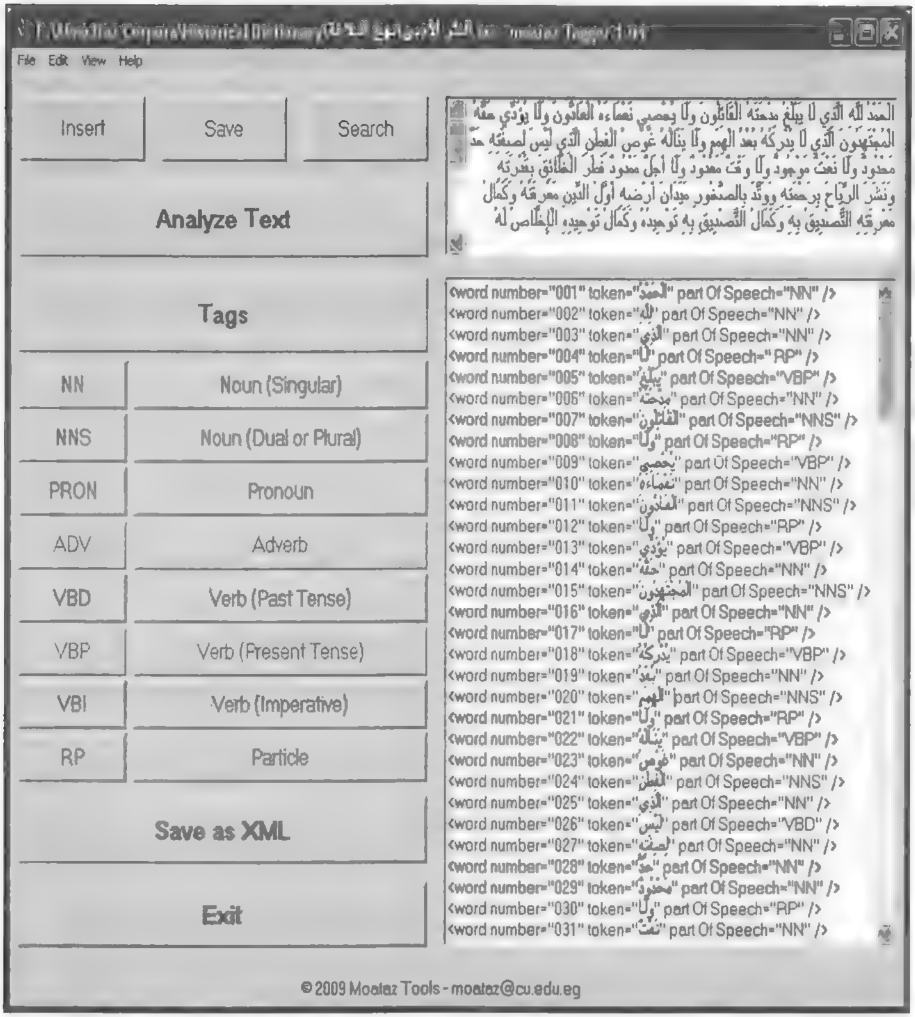
(نموذج من القرآن الكريم)



الشكل (11-8)

آلية تحليل أقسام الكلام Tagger 1.04

(نموذج من نهج البلاغة للإمام علي)



4 - شبكة الكلمات العربية

تُمثّل شبكة الكلمات قاعدة بيانات معجمية، تُحلّل فيها نصوص اللغة إلى أجزاء الكلام، ثم تُصنّف في مجموعات من المترادفات الإدراكية التي

تُعبّر عن مفاهيم واضحة وتترابط بشبكة من العلاقات الدلالية. وتحقيقًا للغاية من المدوَّنة اللغوية للمعجم التاريخي المنشود - باعتبارها مادة لمعجم من معجمات الألفاظ - يجب أن يكون التركيز عند الاستعانة بشبكة للكلمات العربية على التمييز بين الدلالات المختلفة لأجزاء الكلام المتفقة في الشكل الكتابي (الاسم N والفعل V والأداة P). فالشكل المجرد للكلمة العربية يحمل عددًا من الدلالات، كما في كلمة «من» التي تتنوع دلالاتها كما في الجدول (11-1).

الجدول (11-1)

التنوع الدلالي في المدوَّنة اللغوية (نموذج من القرآن الكريم)

م	الكلمة	المثال	الدلالة	PoS
1	من	﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾	طل يتزل من السماء	N
2	من	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾	التفاخر بالإنعام	N
3	من	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾	اسم موصول	N
4	من	﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾	اسم استفهام	N
5	من	﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾	أنعم	V
6	من	﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾	تفاخر بالإنعام	V
7	من	﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾	حرف جر	P

الواقع أن طبيعة اللغة العربية تدعو إلى ضرورة الوقوف على منهج قياسي عند بناء شبكة لكلماتها، بما يلبي حاجة المعجم التاريخي؛ وذلك بمراعاة طبيعة العربية على مستوى المباني والمعاني من ناحية، وبمراعاة منطقية اللغة من ناحية أخرى. ونستطيع أن نقول إن الإشكالية الحقيقية لشبكة الكلمات العربية تكمن في أمرين:

الأول: منهجيـــة العمل، ويُفترض بها أن تخضع لمعايير قياسية، مثل تلك التي سارت عليها شبكة كلمات برنستون (PWN) والشبكات المماثلة التي تتخذ معاييرها من شـــبكة الكلمات العالمية (Global WordNet)، مثل شـــبكة الكلمات متعـــددة اللغـــات (Euro WordNet - EWN)، وشـــبكة الكلمـــات العربية (Arabic WordNet - AWN)، بما يتلاءم مع المنطق اللغوي.

الثانـــي: الهيكل/ المحتوى، ويُفترض بـــه أن يكون موافقًـــا لطبيعة اللغة العربية الاشتقاقية ونظامها المعجمي، كما يُفترض أن يعكس صورة للعربية عبر عصورها بما يحقق الغاية بإثراء مـــادة المعجم التاريخي من ناحية، وبما يتلاءم مع تطبيقات الويب الدلالي والأنطولوجيا العربية من ناحية أخرى.

تجدر الإشارة إلى وجود هيكل مصغَّر لشبكة الكلمات العربية، حيث تمكن فريق من الباحثين في جامعتَي برشـــلونة ومانشيستر وبعض المؤسسات العلمية من بناء شـــبكة الكلمات العربية (AWN) وتطويرها في الفتـــرة بين عامَي 2005 و2007، بإشراف الباحثة الألمانية كريستيان فيلباوم (Christiane Fellbaum). تقوم الفكرة الأســـاس لهذه الشبكة على محاكاة شـــبكة كلمات برنستون الإنكليزية، حيث تصنـــف مفرداتها إلى فرعين: الأســـماء والأفعال، تتفـــرع عن كل منهما مجموعة حقول رئيســـة تضم مفردات في حقول فرعية، تضم بدورها مفردات أخرى... وهكذا.

- شبكة الكلمات العربية (AWN)

المطور: فريق بحثي بإشراف الألمانية كريستيان فيلباوم.

النوع: محتوى حر (Freeware).

الوظيفة: شبكة دلالية لكلمات اللغة العربية.

السعة: حقل دلالي.

الإصدار الحالي: Arabic WordNet 1.0 – 2007.

اللغات التي يدعمها: العربية والإنكليزية.

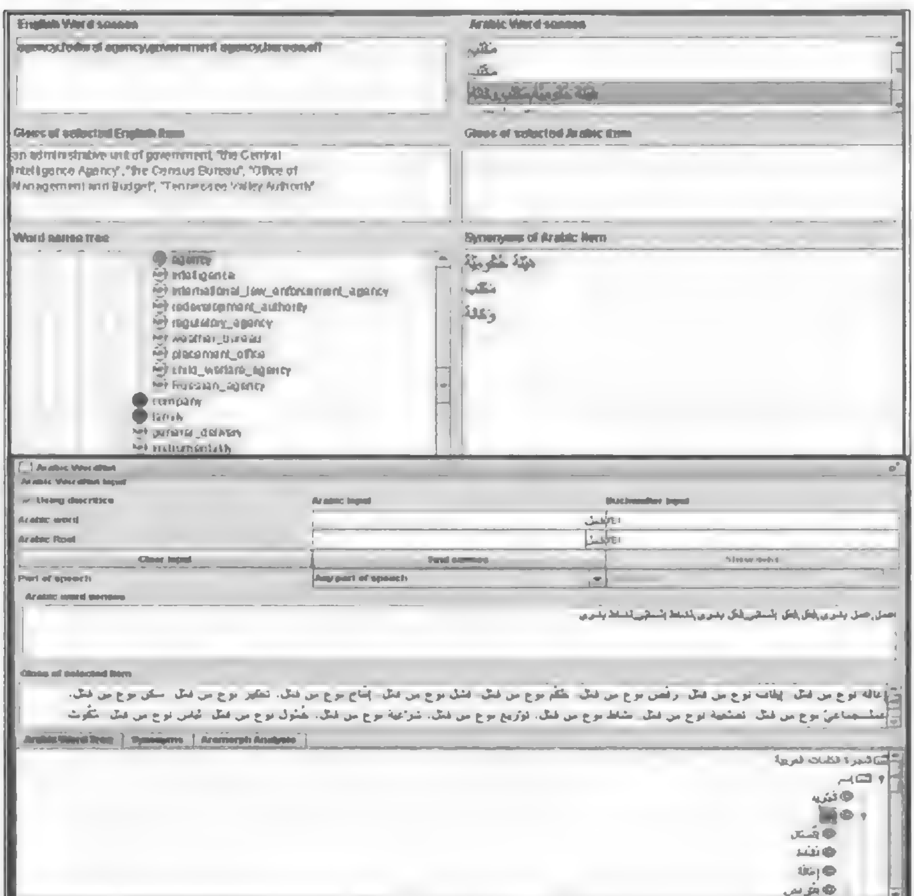
الترميز المستخدم: UTF-8.

بيئة التشغيل: MS Windows, All POSIX (Linux/BSD/UNIX-like OSes).

البيئة البرمجية: Java.

الشكل (11-9)

شبكة الكلمات العربية (AWN)



5 - آلية التحليل الدلالي

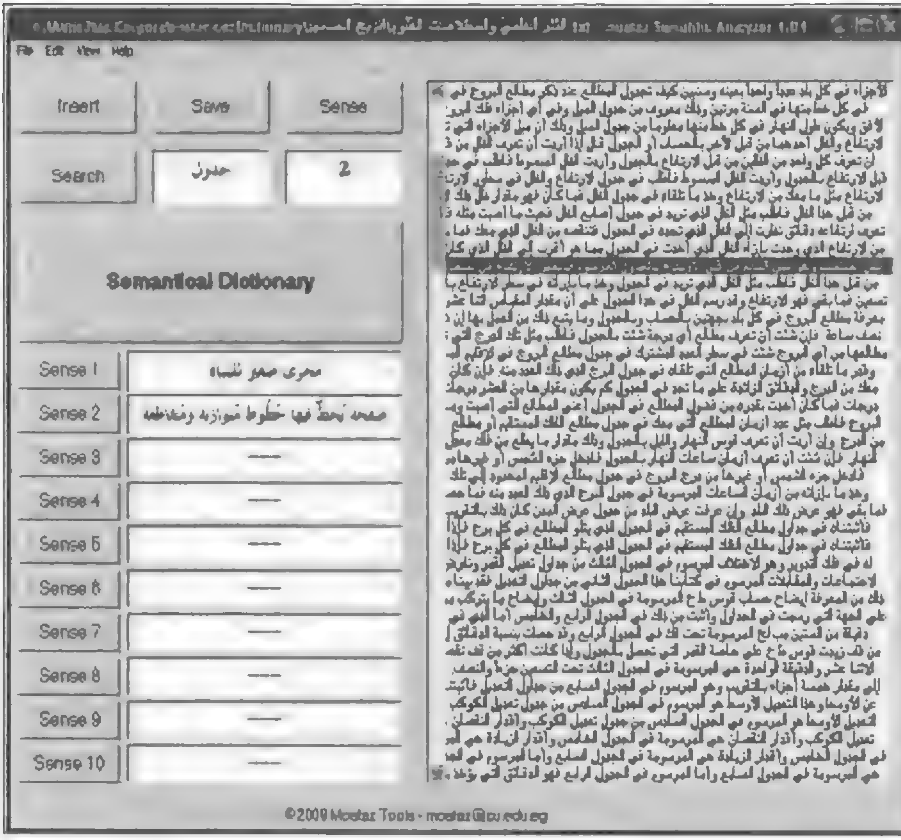
تُعَد آلية التحليل الدلالي إحدى تطبيقــات الذكاء الاصطناعي المتقدمة، حيث ترمــي إلى إخضاع الآلة لفهــم مفردات اللغة في جملة من الســياقات والأنماط التركيبية بالاعتماد على معطيات ســابقة يحددها الهدف الذي يُبنى لأجلــه المحلل الدلالــي. ووفقًا لطبيعــة المدوَّنة اللغوية موضــوع المعجم التاريخي والهدف منه، فإننا سنكون بحاجة إلى محلل قادر على فك الالتباس الدلالي للكلمات، أو بعبارة أخرى: سنكون بحاجة إلى أداة قادرة على تعيين دلالات المفردات بتحليل سياقاتها في هذا القدر من النصوص.

تســتمد آلية فك الالتباس الدلالي فكرتها مــن المتصاحبات اللفظية التي تتكوّن عن سلســلة من كلمتين أو أكثر، تتــلازم مفرداتها فــي علاقة تركيبية، كعلاقــة الفعل والفاعــل (مثل: صاح الديك، ســاد الصمــت) وعلاقة الفعل والمفعول (مثل: قدم اســتقالة، أحرز هدفًا) وعلاقة الإضافة (مثل: عابر سبيل، قاطع طريق).

لكن الآلية تأخذ بعدًا آخر إذ يكون التلازم على مســتوى السياق بأكمله؛ فالكلمة العربية ترتبط في دلالاتها بكلمات أخرى في حيز الجوار، سواء أكانت ســابقة لها أم لاحقة بها، وســواء أكانت مصاحبة لها أم منفصلة عنها؛ ويتكرر التصاحــب بين الكلمة ومتصاحباتها بصورة كبيرة نســبيًا، الأمــر الذي يجعلنا قادرين على الربط بين الكلمات الواردة في مجموعة من الســياقات، وبالتالي يقودنا ذلك إلى تعيين المعاني المعجمية لمفردات النصوص.

بناءً عليه، تقوم الفكرة الأســاس لآلية فك الالتباس الدلالي على استدعاء معنى الكلمة متعددة الدلالات من خلال الكلمات المصاحبة لها في السياق، إذ يغلب على هذه الكلمات أن تشترك معها في حقل دلالي واحد.

الشكل (11-10)
عمل آلية التحليل الدلالي Semantic Analyzer 1.04
(نموذج من كتاب الزيج الصابئ)



ثالثًا: تجربة في بناء مدوَّنة محوسَبة للمعجم التاريخي للعربية وتطويرها

تُمثّل هذه التجربة ثمرة أطروحة الدكتوراه التي أُجزنا بها من جامعة القاهرة في نيسان/ أبريل 2011، وكانت بعنوان «مدوَّنة معجم تاريخي للُغة العربية، معالجة لغوية حاسوبية»، بإشراف مشترَك بين محمد حسن عبد العزيز (أستاذ الدراسات اللغوية في كلية دار العلوم في جامعة القاهرة وعضو مجمع اللغة العربية في القاهرة) ومحسن رشوان (أستاذ هندسة الاتصالات والإلكترونيات في كلية الهندسة في جامعة القاهرة).

نعرض - في مـا يلي - توصيفًا موجـزًا للمدوَّنة اللغويـة التي أنجزناها لتكون مادة لأطروحته.

- هـي مدوَّنة لغويـة للعربية الفصحـى؛ تعكس واقع اللغـة العربية عبر عصورها الأدبية في الحقبة بين عامي 480 ق. هـ./ 157م (عام وفاة مالك بن فهم الدوسي الأزدي، صاحب أقدم وثائق المدوَّنة) و1431 هـ/ 2010م.

- جُمعت نصوص المدوَّنة من التـراث العربي المكتوب، في صورة عينة قصدية منتقاة من المصنَّفات العربية في مختلف المعارف بحيث تغطي الفترات الزمنية للعربيـة، وبحيث تغطي الحدود الجغرافية التي مثلـت المراكز الثقافية والحضارية للعربية.

- قُسمت نصوص المدوَّنة زمنيًا إلى مرحلتين:

تمتد الأولى منذ أقدم وثائق المدوَّنة في القرن الخامس قبل الهجرة حتى نهاية القرن الثاني الهجري، ويغلب على نصوصها الانتقال بالرواية؛ واشتملت المدوَّنة على كل ما أتيح لها من نصوص في هذه المرحلة.

وتمتد الثانية منذ بداية القـرن الثالث الهجري حتى أحدث وثائق المدوَّنة في القرن الخامس عشـر الهجري، ويغلب على نصوصهـا الانتقال بالتدوين؛ واقتصرت الدراسـة في اختيار مادة المدوَّنة لهذه المرحلة على أمهات الكتب في مختلـف العلوم والفنـون والآداب بما لا يقل عن مليـون كلمة لكل قرن زمني (وهو الحد المعيـاري الأدنى لاعتبار نصوص القرن الزمني مدوَّنة لغوية مستقلة)، مع مراعاة التنوع الجغرافي والموضوعي للنصوص.

- صُنفت مادة المدوَّنة تاريخيًا إلى خمسة حقول: العصور الأدبية للعربية (الجاهلي والإسلامي والعباسـي والوسـيط والحديث)؛ وجغرافيًا إلى سبعة حقول: شـبه الجزيرة العربية وبـلاد الرافدين ووادي النيل والشـام والأندلس ومنطقة المغرب العربي وصقلية ومنطقة فارس وآسيا الوسطى.

- صُنفت مادة المدوَّنة موضوعيًا إلى خمسـة عشر حقلًا: الشعر والقرآن

الكريـــم والحديث النبـــوي والكتاب المقـــدس والنثر الأدبي وعلـــوم العربية وآدابها والنثـــر العلمي واصطلاحـــات العلوم والتاريخ والأنســـاب والطبقات والتراجم والجغرافيا والرحلات والبلدان والقوانين والأحكام والملل والعقائد والموسوعات والمعجمات والصحافة العربية والمعارف الأخرى.

- بلغ عدد كلمات المدوَّنـــة 116.414.364 كلمة، تضمها 869 وثيقة. وضمّت المدوَّنـــة خمس مدوَّنات فرعيـــة تُمثّل العصور الأدبيـــة للُّغة العربية، بنسب متفاوتة على هذا النحو: العصر الجاهلي (161.502 كلمة، بنسبة 0.14 في المئـــة)، والعصر الإســـلامي (650.819 كلمة، بنســـبة 0.56 في المئة)، والعصر العباســـي (55.150.687 كلمة، بنســـبة 47.37 في المئة)، والعصر الوســـيط (40.132.211 كلمة، بنســـبة 34.47 في المئة)، والعصر الحديث (20.319.145 كلمة، بنسبة 17.45 في المئة).

- بلغت نسبة النصوص المشكولة كليًا إلى النصوص المشكولة جزئيًا إلى النصوص غير المشكولة 1 : 1.3 : 7.7 على الترتيب.

- عولجت نصوص المدوَّنة آليًا على مســـتوى المباني واســـتخدمت في معالجتها آلية فهرسة النصوص وآلية التحليل الصرفي وآلية التحليل التركيبي.

- عولجت نصوص المدوَّنة آليًا على مســـتوى المعاني، واستُخدمت في معالجتها آلية التحليل الدلالي؛ كما اقترحنا منهجًا للإفادة من شـــبكة لكلمات العربية في المعالجة على مستوى المعاني.

- اســـتُخدمت مادة المدوَّنة في بناء نموذج لمعجم تاريخي للعربية، شمل النموذج خمسة مداخل معجمية: ءدم، جمهر، سقف، غسق، وثب.

- بلغ عدد الوحدات المعجمية المنسدلة عن المداخل المعجمية الخمسة 57 وحدة معجمية.

خاتمة

وبعد؛ سعت هذه الدراسة إلى الوقوف على منهج لبناء مدوَّنة لغوية محوسَبة لمعجم تاريخي للُّغة العربية؛ وقدّمنا - من خلالها - تقنيات الإفادة من هذه المدوَّنة في إنجاز المعجم التاريخي المنشود. وخلصت الدراسة إلى ما يلي:

- قدمت الدراسة منهجًا مقترحًا لبناء مدوَّنة لغوية محوسبة للمعجم التاريخي للُّغة العربية، وعرض أربع خطوات منهجية، تمثلت بالجمع والتصنيف والتحرير والترميز.

- أبانت الدراسة عن ثلاث طرائق مستخدمة في بناء المدوَّنات اللغوية المحوسبة: طريقة الاستبيان وطريقة الحصر الشامل وباستخدام العينات الإحصائية؛ واقترحت الدراسة الإفادة من الطريقة الثالثة في جمع مادة المدوَّنة اللغوية للمعجم التاريخي للُّغة العربية بما يحقق الغاية منه.

- اقترحت الدراسة تصنيف مادة المدوَّنة اللغوية للمعجم المنشود تاريخيًا إلى عصور العربية الخمسة (الجاهلي والإسلامي والعباسي والوسيط والحديث)؛ وجغرافيًا إلى مراكزها الثقافية والحضارية السبعة (شبه الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين (الرافدين) ووادي النيل وبلاد الشام وشبه جزيرة الأندلس ومنطقة المغرب العربي وصقلية ومنطقة فارس وما وراء النهر)؛ وموضوعيًا إلى خمسة عشر حقلًا (الشعر العربي والقرآن الكريم والحديث النبوي والكتاب المقدس والنثر الأدبي وعلوم العربية وآدابها والنثر العلمي واصطلاحات العلوم والتاريخ والأنساب والطبقات والتراجم والجغرافيا والرحلات والبلدان والقوانين والأحكام والملل والعقائد والموسوعات والمعجمات والصحافة والمعارف الأخرى).

- عرضت الدراسة وسائل تحرير النصوص وكيفية الإفادة منها، كما عرضت مرحلتي ترميز النصوص، وأبانت عن أهمية الترميز في تهيئة النصوص للمعالجة الآلية.

- عرضت الدراســة تقنيات الإفادة من المدوَّنة اللغوية المحوسَبة في بناء المعجم المنشــود في ضوء مناهج الصناعة المعجمية؛ واقترحت مجموعة من التقنيات (الآليات) لمعالجة نصوص المدوَّنة على مستوى المباني والمعاني.

- اقترحت الدراســة معالجة المباني في نصوص المدوَّنة باســتخدام آلية فهرسة النصوص (جذعيًا وألفبائيًا) بهدف تعيين المداخل والوحدات المعجمية في المعجم المنشــود؛ وآلية التحليل الصرفي (البنيوي) وفق الإجراءات الثلاثة (التجذير والتجذيــع والتفريع) بهدف تعييــن المعاني الوظيفيــة (التصريفية) للوحدات المعجمية؛ وآلية التحليل التركيبي عبر مرحلتيها (تعيين أقسام الكلام وإعراب أقســام الكلام) بهدف تعيين المعاني الوظيفية - التركيبية - للوحدات المعجمية.

- اقترحت الدراسة معالجة المعاني في نصوص المدوَّنة باستخدام شبكة للكلمات العربية بهدف تيســير الحصول على مخرجــات العلاقة الدلالية التي تحقق الغاية من المدوَّنة اللغوية للمعجم التاريخي المنشــود (علاقة الترادف)، باعتباره معجمًا من معجمات الألفاظ؛ كمــا اقترحت إخضاع نصوص المدوَّنة لآلية التحليل الدلالي للمســاعدة في فك الالتباس الدلالــي لكلمات المدوَّنة اللغوية.

- عرضت الدراســة أخيرًا تجربة في بناء وتطوير مدوَّنة محوسَبة للمعجم التاريخــي للعربية، تمثلــت بأطروحــة الدكتــوراه الخاصة بنــا؛ وأبانت عن المنهج الذي اســتخدمته في بناء المدوَّنة اللغوية ومعالجتهــا آليًا؛ كما قدمت توصيفًا بمــادة المدوَّنة اللغوية موضــوع الأطروحة، حيث بلــغ عدد كلماتها 116.414.364 كلمة، تضمها 869 وثيقة. وشــملت المدوَّنة خمس مدوَّنات فرعية تُمثّل العصــور الأدبية للُغة العربية، بنســب متفاوتة: الجاهلي 0.14 في المئة، والإســلامي 0.56 في المئة، والعباســي 47.37 في المئة، والوســيط 34.47 في المئة، والحديث 17.45 في المئة.

المراجع

1 - العربية

دورية

«وقائع نـدوة المعجم العربـيّ التاريخي: قضاياه ووسـائل إنجـازه.» مجلة المعجميّة: العددان 5-6 (1989-1990).

رسالة وأطروحة

السـعيد، المعتز بالله. «مدوّنـة معجم تاريخـي للغة العربيـة «معالجة لغوية حاسوبية»». إشراف مُحَمَّد حسـن عبد العزيز ومُحسِن عبد الرَّازِق رشوان (رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 2011).

ـــــــ . «مدونة معجم عربي معاصر معالجة حاسوبية». إشراف سلوى السيد حماده ومحمد حسن (رسالة ماجسـتير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 2008).

2 - الأجنبية

Books

Armstrong, Susan [et al.] (eds.). *Natural Language Processing Using very Large Corpora*. Dordrecht: Springer Netherlands, 1999. (Text, Speech, and Language Technology; v. 11)

Bloomfield, Leonard. *Language*. With a New Foreword by C. F. Hockett. Chicago: University of Chicago Press, 1984.

Firth, John Rupert. *Papers in Linguistics, 1934-1951*. London; New York: Oxford University Press, 1957.

Kalton, Graham. *Introduction to Survey Sampling*. Beverly Hills: Sage Publications, 1983. (Quantitative Applications in the Social Sciences; no. 07-035)

Sampath, S. *Sampling Theory and Methods*. Boca Raton: CRC Press, 1996.

Conference

The 10th Conference on Language Engineering (Egyptian Society of Language Engineering (ESOLE), Cairo, December 2010).

Document

«GNU Free Documentation License». On the Web: <http://www.gnu.org/copyleft/fdl. html>.

الفصل الثاني عشر

التصميم الحاسوبي للجذاذة والمدوَّنة والمرصد

عبد الحق لخواجة وعز الدين مزروعي
ومحمد رقاس ومحمد ولد عبد الله ولد بباه

مقدمة

نقدم في هذه الدراسة التصميم الحاسوبي لنموذج أولي للمعجم التاريخي للُّغـة العربية. وقبـل تناول تفاصيل هـذا التصميم نعرض بعـض الخصائص الحاسوبية لتجربتين معجميتين مهمتين: التجربة الفرنسية من خلال ذخيرة اللغة الفرنسـية (*Trésor de la langue française*) والتجربـة الإنكليزية من خلال معجم أكسفورد للُّغة الإنكليزية (*Oxford English Dictionary*).

صمّمنا قاعـدة البيانات الخاصة بالمعجم التاريخـي للُّغة العربية وواجهة المعجم بالاعتماد على لغة العرض الموحـدة (UML). كما راعينا في التصميم الحاسوبي توافر المعجم على الخصائص التالية:

- القدرة على إيراد المفردات الأصلية والفرعية والقياسية كلها.

- القدرة على إيراد أهم الشواهد التاريخية للكلمة بحسب تسلسلها الزمني مع إمكان ربطها بالمدوَّنة.

- التمكن من إجراء عمليات بحث عاديـة أو متقدمة (البحث بالكلمة أو بالجذر أو بالشاهد أو بمؤلف الشاهد... إلخ).

- سهولة التحديث.

- سهولة التعامل معه والسرعة في الأداء.

- التوافر على موقع في الشابكة.

- إمكان اسـتعماله بطريقة متصلة (Online) أو غيـر متصلة (Offline)، وفي أنظمة تشغيل حاسوبية مختلفة وعلى الهواتف الذكية.

- إمكان توليد نسخة ورقية انطلاقًا من النسخة الحاسوبية.

وضُمّمت قاعدة البيانات الخاصة بالمدوَّنة التي يستند إليها المعجم التاريخي، بالاعتماد على لغة العرض الموحدة، ثم رُبطت بقاعدة بيانات المعجم.

أولًا: التجارب الدولية

للإفادة من التجارب الدولية السابقة في مجال إعداد المعاجم التاريخية سنعرض في هذه الفقرة تجربتين: **معجم أكسفورد الإنكليزي والذخيرة المحوسبة للّغة الفرنسية.**

1 - التجربة الإنكليزية

نقوم في هذه الفقرة بعرض التجربة الإنكليزية من خلال معجم أكسفورد الإنكليزي (*Oxford English Dictionnary*) المتاح في ثلاثة أشكال:

- النسخة المتاحة على الشابكة[1].

- النسخة المضغوطة المتوافرة على شكل قرص مدمج[2].

- النسخة الورقية[3].

أ- النسخة المتاحة على الشابكة

يمكن استعمال هذه النسخة من طرف المشتركين الذين هم في الأغلب مؤسسات، كما يمكن الأشخاص العاديين الاشتراك في هذه النسخة التي تُعَد

---

(1) <http://www.oed.com>.

(2) المصدر نفسه.

(3) John Simpson and Edmund Weiner, eds.: *The Oxford English Dictionary*, 20 vols., 2nd ed. (Oxford: Clarendon Press; Oxford; New York: Oxford University Press, 1989), and *Oxford English Dictionary: Additions Series*, 3 vols. (Oxford, [England]: Clarendon Press; New York: Oxford University Press, 1993-1997).

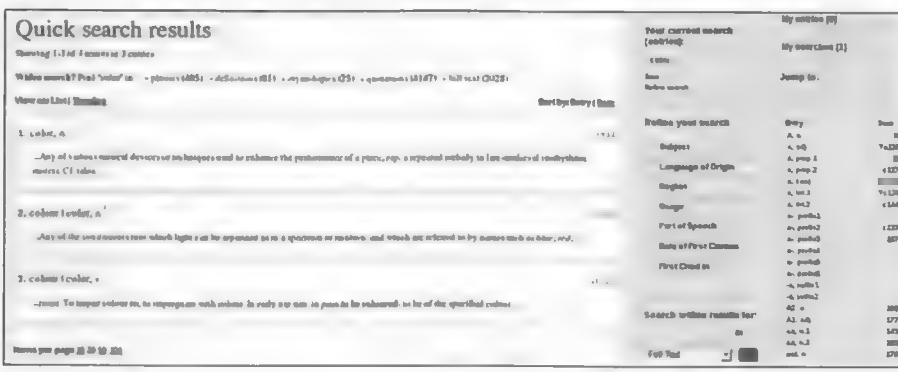
الأكثر تحبيبًا من بين الأشكال الثلاثة. بعد عملية دخول المشترك، تتيح الصفحة الأولى عملية البحث بطريقة سريعة أو بطريقة متقدمة.

البحث السريع

عند كتابـة كلمة أو عبارة في المربـع «البحث السـريع» وتأكيد العملية، يبحث البرنامج عن الكلمة ضمـن مداخل المعجم وتظهر نتائج البحث بطريقة مرقمة كما في الشكل (12-1).

الشكل (12-1)

نتيجة البحث السريع بالنسبة إلى الكلمة color



بعد الضغط علـى إحدى الكلمات المقترحة، نحصـل على صفحة تقدم المعلومات كلّها مرتبةً كما في الشكل (12-2):

- المدخل وتصحبـه الفئة النحوية (اسـم، فعل...)، كما تسـبقه بعض الأحيان علامة خاصة.

- طريقة النطق باللغتين الإنكليزية والأميركية باسـتخدام الألفباء الصوتية الدولية[4].

---

(4) *Handbook of the International Phonetic Association: A Guide to the Use of the International Phonetic Alphabet* (Cambridge, UK; New York: Cambridge University Press, 1999).

- التنوعات الهجائية.

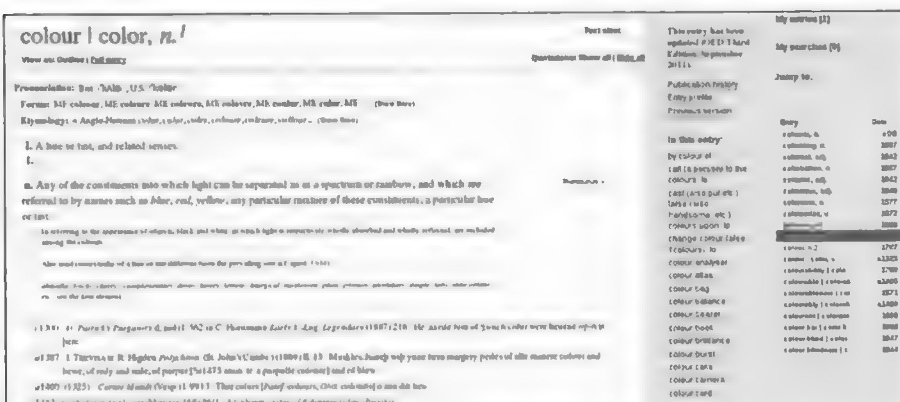
- التأثيل أو أصل الكلمة.

- التعريف أو التعريفات.

- الشواهد معروضة بطريقة تسلسلية تاريخية تعاقبية (مع ذكر الكاتب أو المصدر).

الشكل (12-2)

نتيجة البحث الخاصة بالكلمة color



البحث المتقدم

يسمح هذا البحث بتحديد مكان الكلمة المدخلة في نصوص المعجم كلها ويُرجعها أينما وجدها في المعجم. قد تكون الكلمة على شكل مدخل أو جزء من تعريف كلمة أخرى أو في شاهد... إلخ.

يمكن تحسين عملية البحث بطرائق عدة، نذكر منها:

- حصر عملية البحث في نوع معين من النص (على سبيل المثال الشواهد، تاريخ الشاهد، التعريفات... إلخ).

- حصره في أجزاء الكلام (Parts of Speech) (مثل ظرف، اسم، فعل... إلخ).

- استخدام أحرف البدل الخاصة (Wildcards) * و?.

- استخدام العوامل المنطقية (Boolean Operators) And وOr وNot للبحث عن مصطلحين أو أكثر في آن واحد.

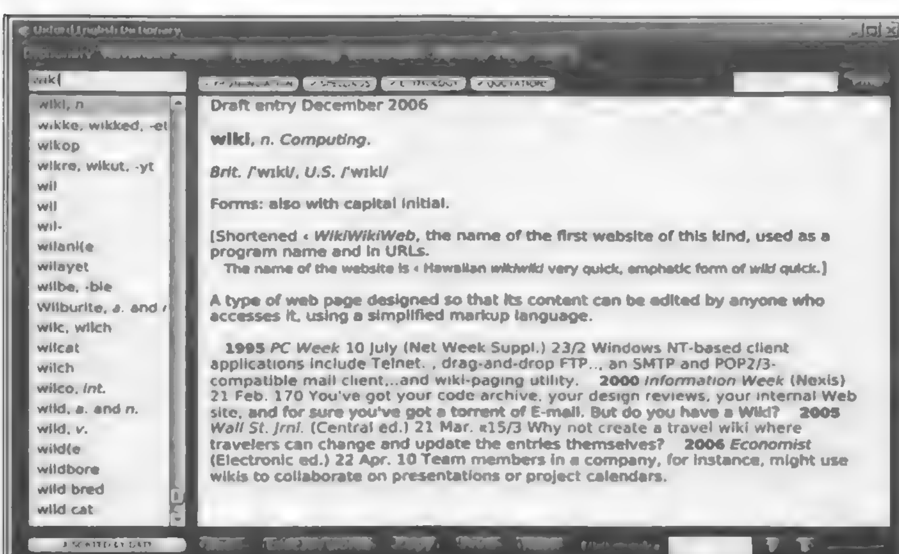
بهذه الطريقة يستطيع المستخدم تدقيق البحث بناء على المعلومات التي يودّ الحصول عليها. كما يمكن تحسين نتائج البحث عبر تحديد موضوع الكلمة (فنون، علوم سياسية... إلخ).

ب - النسخة المضغوطة

تُعَد هذه النسخة جزءًا من النسخة المتاحة على الشابكة وتتقاسم معها أهم الخصائص (عملية البحث بطريقة سريعة أو بطريقة متقدمة... إلخ). تُعرض نتائج البحث بالطريقة نفسها التي تُعرض بها نتائج نسخة الشابكة.

الشكل (12-3)

لقطة شاشة للمعجم في صيغته المضغوطة (النسخة4.0-2009)



ج - النسخة الورقية

تتكوّن النســخة الأصلية من 20 مجلدًا، أضيفت إليها ثلاثة مجلدات[5]. وتستنسخ هذه النســخة طريقة العرض المســتعملة في النســختين السابقتين نفسها[6].

2 - التجربة الفرنسية

نخص هذه الفقرة بالتجربة الفرنســية من خلال الذخيرة المحوســبة للُّغة الفرنسية (*Trésor de la langue française informatisé*) والمتوافرة في ثلاثة أشكال:

- النسخة المتاحة على الشابكة[7].

- النســخة المضغوطة وهي متوافرة على شــكل قرص مضغوط وتحوي النسخة الورقية[8].

- النسخة الورقية[9].

لم نتمكن من الاطلاع على النســختين المضغوطة والورقية، لكن بحسب التقديم الموجود علــى موقع المنتــج[10] فإن للنســخة المضغوطة خاصيات النسخة الموجودة على الشابكة نفسها.

كما تجدر الإشــارة إلى أن المعجم لــم يُحيَّن منذ عــام 1994، حيث

---

(5) Simpson and Weiner, eds., *Oxford English Dictionary: Additions Series.*

(6) Simpson and Weiner, eds. *The Oxford English Dictionary.*

(7) <http://atilf.atilf.fr>.

(8) France, Centre national de la recherche scientifique, Analyse et traitement informatique de la langue française (Nancy), *Trésor de la langue française informatisé*, préf. Jean-Pierre Pierrel; conception informatique Jacques Dendien, la référence du savoir. Le Dictionnaire de référence (Paris: CNRS éd., 2004), and <http://www.tlfi.fr/>.

(9) *Trésor de la langue française; dictionnaire de la langue du XIXe et du XXe siècle (1789-1960)*, publié sous la direction de Paul Imbs, 16 vols. (Paris: Editions du Centre national de la recherche scientifique; Gallimard, 1971-1994).

(10) <http://www.tlfi.fr/>.

إنه باستعمال البحث المتقدم لم نعثر على أي تاريخ لشاهد بعد هذا العام (1994).

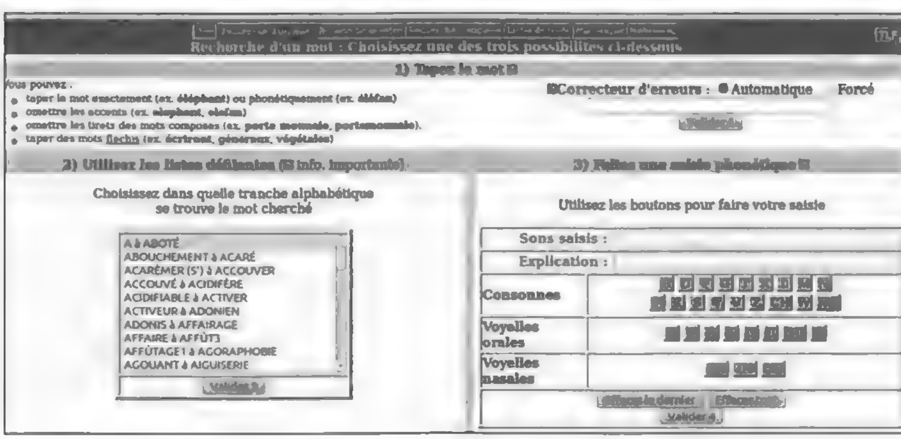
النسخة المتاحة على الشابكة

هذه النسخة متاحة مجانًا[11] وتتيح صفحتها الرئيسة العمليات التالية:

- البحث السريع (الشكل (12-4)).
- البحث مع مساعدة.
- البحث بطريقة متقدمة.

الشكل (12-4)

البحث السريع للمعجم الفرنسي



- البحث السريع

يمكّن البحث السريع من الحصول على دلالات الكلمة المدخلة كتابيًا أو صوتيًا (عبر تحريرها أو تحرير أصواتها) والموجودة ضمن مداخل المعجم. تتيح صفحة البحث السريع (الشكل (12-4)) ثلاث نوافذ للقيام بالبحث:

(11) <http://atilf.atilf.fr>.

• تُكتب الكلمة في النافذة الأولى بشكل سـليم (إملاؤها صحيح) أو مع أخطاء، وفي هذه الحالة يقترح البرنامج الكلمات الصحيحة الأقرب إلى الكلمة المُدخَلة:

– إذا كُتبت مثلًا الكلمة jeneral تُقتَرَح الكلمة Général.

– إذا كُتبت الكلمـة مصرَّفة كأن نُدخل الكلمـة habitent (يقطنون) تُقتَرَح الكلمتان habiter (قَطَنَ) وhabitant (مُواطن).

• يُبحث في النافذة الثانية عن الكلمة ضمن لائحة ألفبائية. إذا أردنا البحث عن كلمة Cadeau (هديـة)، يجب البحث في المجال الـذي يبدأ بكلمة Buteur وينتهي بكلمة Café لكون كلمة Cadeau تنتمي إلى هذا المجال.

• تُكتب الكلمـة صوتيًا كما تُنطق فـي النافذة الثالثة، وذلك باسـتعمال الأزرار المتاحة من طرف النافذة (مثلًا الكلمة examen تُكتب É-G-Z-A-M-IN).

البحث مع مساعدة

يُبحَث عـن الكلمة فـي كل المعجم، ويمكن تحسـين عمليـة البحث باستعمال بعض المعايير. نعرض في ما يلي بعض هذه الإمكانات:

– إذا أردنا البحث عن كلمات اللغة الفرنسية التي أصلها عربي، نبحث عن كلمة arabe (عربية) ومجال البحث langue empruntée (اللغة الأصلية للكلمة).

– إذا أردنا البحث عن الأفعال المستعملة مع الأشرعة في المجال البحري، يكفي اختيار verbe (فعل) في المجال code grammatical (الفئة النحوية) وmarine (بحرية) في المجال discipline (فرع معرفي).

– إذا أردنا تحديد عبـارات المعجم التي تحوي كلمة train (قطار)، تكون كلمة البحـث هي train (قطار) ومجال البحث هـو paragraphe quelconque (أيّ مكان من المعجم).

البحث بطريقة متقدمة

هذه الوظيفة مشابهة لعملية البحث السابقة، لكن مع إمكانات أكثر تشعبًا.

طريقة عرض النتائج

تعرض النتائج بعد عملية البحث على الشكل التالي:

- المدخل ويصاحبه الفئة النحوية (اسم، فعل...).

- التعريف أو التعريفات مرتبة بحسب درجة شيوع الاستعمال.

- الشواهد الخاصة بكل تعريف معروضة بطريقة تسلسلية تاريخيًا مع ذكر الكاتب أو المصدر.

- طريقة النطق والكتابة.

- التأثيل أو أصل المدخل وتاريخه.

- بعض الإحصاءات عن المدخل.

إلى يسار الصفحة شريط عمودي يتضمن ستة احتمالات بألوان مختلفة للتحكم بمضمون الصفحة التي طلبها المستعمل ومضمون كل الصفحات التي سيطلبها في ما بعد.

عندما ينقر المستخدم على أي لون من الألوان في الشريط، تظهر أمامه لائحة من الاختيارات يستطيع تحديد ما يريد تظليله منها بهذا اللون. وتتضمن اللائحة الاحتمالات التالية مرتبة ألفبائيًا:

- مؤلف الشاهد

- الرمز النحوي

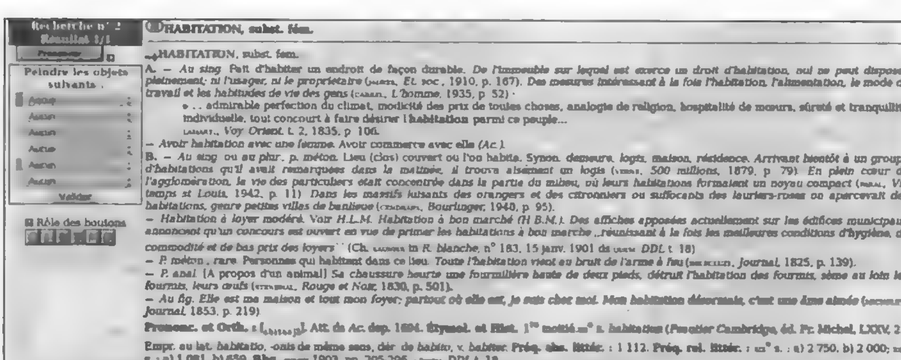
- التركيبة

- المعقوفتان

- تاريخ الشاهد
- التعريف الدلالي
- المجال التقني
- المدخل
- الشاهد
- المؤشر
- الكلمة المدخلة
- تصميم المادة
- النشر
- المصدر
- المترادف/ المتضاد
- العبارة
- عنوان الشاهد

الشكل (5-12)

نتيجة البحث الخاصة بالكلمة Habitation



ثانيًا: نموذج للتصميم الحاسوبي للمعجم التاريخي للُّغة العربية

1 - المستخدمون

يمكن تصنيف مستخدمي «المعجم التاريخي للُّغة العربية» بحسب الخدمات المتاحة لهم كما ما يلي:

أ - المستخدم العادي

(1) البحث عن الكلمة بطرائق متعددة:

- البحث بالكلمة.

- البحث بالجذر.

- البحث بحسب المجال الدلالي للكلمة.

- البحث المتقدم (أصل الكلمة، نوع الكلمة...)

(2) التحكم في طريقة عرض النتائج (تغيير الألوان، تقليص مادة العرض بحسب الحقبة الزمنية...)

(3) التسجيل في المعجم بغية الإفادة من خدمات إضافية.

(4) إنشاء مذكرة خاصة به تمكّنه من تصفح الكلمات التي بحث عنها سابقًا.

ب - المعجمي

علاوة على تمكُّنه من الولوج إلى مختلف خدمات المستخدم العادي، يستطيع المعجمي:

(1) اقتراح مداخل جديدة للمعجم.

(2) تعديل الاقتراحات التي قام بها أو المداخل الموجودة بالمعجم.

(3) التدقيق في مختلف الاقتراحات المدخلة فإما أن يقبلها أو يرفضها.

(4) تعديل الاقتراحات كلها.

ج - مسير المعجم

علاوة على تمكُّنه من ولوج مختلف خدمات المعجمي، يستطيع مسير المعجم:

(1) التحكم بحسابات المستخدمين كلها بمن فيهم المعجميون.

(2) إنشاء حسابات جديدة للمعجميين.

(3) قبول اشتراك المستخدمين الجدد أو رفضه.

(4) عرض إحصاءات وتقارير عن استخدامات المعجم.

2 - استعمال المعجم

نشرح في النقاط التالية مختلف الخدمات التي يتيحها المعجم.

أ - البحث

تكمن الوظيفة الأساس للمعجم في إمكان البحث عن المدخل، إلا أن طريقة البحث تختلف بالنظر إلى الاختيارات المتعددة التي يتيحها المعجم والتي يمكن إجمالها في ما يلي:

(1) البحث بالجذر

(أ) يُدخِل المستخدم الجذر.

(ب) تُعرَض مختلف مدخلات المعجم المشتقة من الجذر المدخل.

(ج) ينقر المستخدم على الكلمة التي يريد عرضها فتظهر له مختلف المعلومات الخاصة بها.

(2) البحث بالكلمة

(أ) يُدخِل المستخدم الكلمة.

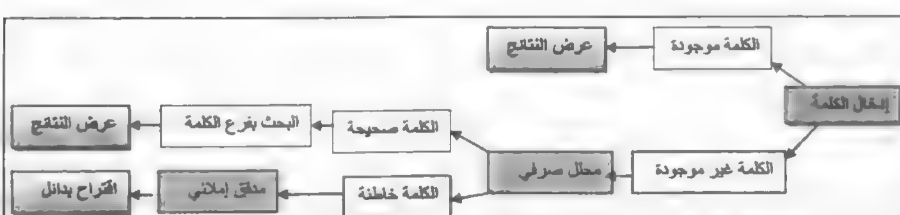
(ب) يبحث النظام عن المدخل في قاعدة بياناته:

- في حال وجود الكلمة في قاعدة البيانات تُعرَض مع المعلومات المرتبطة بها كلها (المعاني، الشواهد...).

- عند عدم وجود الكلمة في قاعدة البيانات، يقوم برنامج محلل صرفي آلي بتحليلها صرفيًا بالاعتماد فرع الكلمة ثم إعادة البحث عنه. مثلًا إذا أدخل المستعمل كلمة «مسؤوليات» يقوم برنامج المحلل الصرفي باستخلاص كلمة «مسؤولية» وتجري عملية البحث على كلمة «مسؤولية».

- إذا لم يتمكن برنامج «المحلل الصرفي» من تحليلها، تُدَقَّق إملائيًا. مثلًا إذا أدخل المستعمل كلمة «مسؤوول» تجري عملية التدقيق الإملائي الآلي وتُقترح الكلمتان «مسؤول» و«مسؤولية».

في التخطيط التالي نبين مراحل البحث عن الكلمة بالمدخل باعتبارها أهم خدمة يوفرها المعجم:



ب - البحث المتقدم

للمستخدم مجموعة اختيارات تُمكّنه من تدقيق بحثه بحسب نوع الكلمة، مجالها الدلالي، الحقبة الزمنية للكلمة...

(1) التسجيل في المعجم

نشرح في ما يلي كيفية التسجيل في المعجم وأهم الخدمات المتاحة بعد التسجيل.

(أ) التسجيل

- النقر على زر «تسجيل».

- إدخال المعلومات الضرورية للتسجيل.

- نقر زر «تسجيل».

(ب) تسجيل الدخول

- إدخال اسم المستخدم وكلمة السر.

- التأكد من أن المعلومات المدخلة صحيحة وأن عضوية المستخدم قُبلت.

(ج) القائمة المفضلة

- يتطلب الولوج إلى هذه الخدمة تسجيل الدخول.

- عند عرض الكلمة يمكن المستخدم النقر على زر «حفظ الكلمة».

- عند النقر على زر «القائمة المفضلة»، تظهر للمستخدم مختلف الكلمات التي احتفظ بها مسبقًا.

- عند الضغط على إحدى هذه الكلمات، تُعرّض المعلومات المتصلة بها.

(2) تسيير المشتركين والاقتراحات

(أ) قبول الاشتراك أو رفضه (خاص بمسير المعجم)

- الضغط على زر «مشتركون جدد».

- تظهر قائمة بأسماء جميع المشتركين الجدد والمعلومات عنهم.

- يُضغَط على زر «رفـض الطلب» أو «قبول الطلب» لكل مشـترك على حدة.

(ب) إلغاء عضوية مشترك (خاص بمسير المعجم)

- الضغط على زر «المستخدمين».

- تظهر قائمة بأسماء جميع المستخدمين والمعلومات عنهم.

- يُحدَّد المستعمل ويُضغَط على زر «إلغاء الاشتراك».

(ج) اقتراح مداخل جديدة (خاص بالمعجميين)

- النقر على زر «اقتراح مدخل».

- يختار المعجمي نوعية الاقتراح بالنقر على أحد الأزرار التالية:

(د) اقتراح مدخل جديد

- إدخال المدخل والمعلومات الصرفية والنحوية المرتبطة به.

- إدخال الدلالة المرتبطة به والمعلومـات الخاصة بها (المصدر، الحقبة الزمنية للمعنى...).

- إدخال الشـواهد المرتبطة بالدلالة والمعلومات الخاصة بها (الشاهد، مصدره، كاتبه...).

- إمكان إدخال أكثر من معنًى بإعادة النقطتين الثانية والثالثة.

(هـ) اقتراح دلالة جديدة لمدخل موجود

- البحث عن المدخل المراد إضافة دلالة جديدة إليه.

- عرض مختلف الدلالات المرتبطة به.

- إدخال الدلالة الجديدة والمعلومات الخاصة بها.

- إدخال الشواهد المرتبطة بالدلالة الجديدة والمعلومات المرتبطة بها.

(و) اقتراح تعويض شاهد بشاهد آخر

- البحث عن المدخل المراد تعويض شاهده بشاهد آخر.

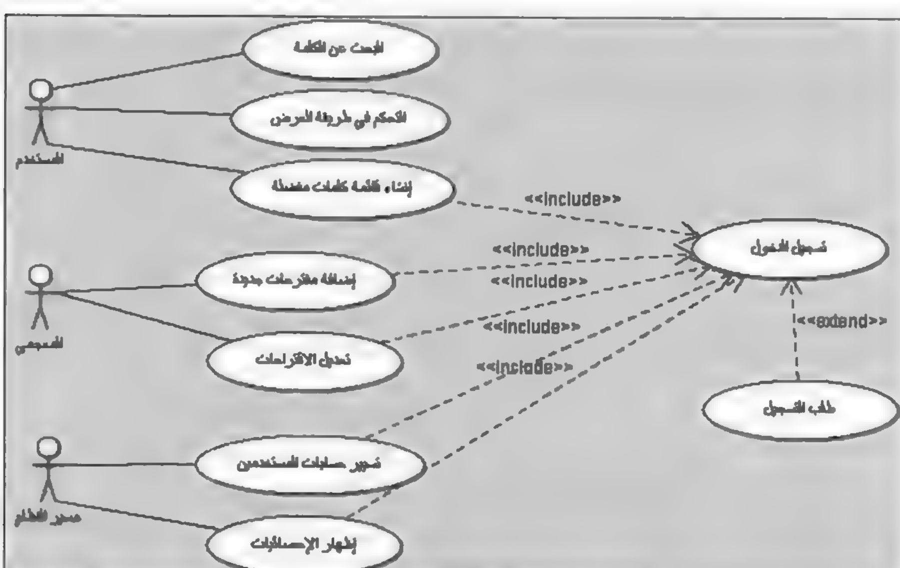
- تحديد دلالة المدخل المعنية بالشاهد.

- تعويض الشاهد القديم الخاص بهذه الدلالة بالشاهد الجديد.

3 - لغة العرض الموحدة

باعتماد لغة العرض الموحدة (UML) يمكن تمثيل مختلف حالات الاستعمال بالتخطيط الوارد في الشكل (12-6).

الشكل (12-6)
مختلف حالات استعمال المعجم



ثالثًا: التحليل

يهدف مشــروع «المعجم التاريخي للُّغة العربية» إلى تطوير برنامج يمكّن مســتخدميه من الوصول إلى شــرح الكلمة والمعلومات المتعلقة بها من دون معرفة قواعد اللغة التي تمكّنه من الرجوع إلى فرع الكلمة. كما يهدف المشروع إلى عرض مختلف المعاني والشــواهد وفقًا للحقبة الزمنية التي جرى تداولها فيها.

لكل كلمة مُدخَلة في المعجم قسمان من المعلومات المرتبطة بها:

- معلومات صرفية ونحوية.

- معلومات دلالية.

1 – المعلومات الصرفية

– لكل كلمة مجموعة من المعلومات الصرفية والنحوية تســمح بالتعرف إلى طبيعتها، كما تساهم في تسهيل عملية البحث عنها في المعجم.

– تتميز اللغة العربية بغناها الاشتقاقي، حيث يمكن إرجاع أغلب الكلمات إلى عدد محصور من الجذور والأوزان.

– تصنف الكلمات بناء على نوعها وهي تنقســم أساسًــا إلى ثلاث فئات نحوية: الأسماء والأفعال والأدوات.

– يمكن إسناد الكلمات العربية إلى «فروعها» (Lemmas) ويختلف «الفرع» تبعًا لنوع الكلمة:

• هو مفرد الكلمــة في حالة الأســماء. مثلًا: الفرع مــن كلمات معلمي ومعلمو ومعلمون ومعلمين هو المفرد معلم.

• هو الفعل الماضي المسند إلى الغائب في حالة الأفعال. مثلًا: الفرع من يكتب وتكتب وكتبت هو الفعل كَتَبَ.

• هو الكلمة نفسها إذا كانت أداة. مثلًا: فرع حرف الجر «في» هو «في».

- تصنف كلمات المعجم بحسب «أصلها»، منها العربي والمعرّب والدخيل (مثال لكلمة دخيلة: تكنولوجيا).

2 - المعلومات الدلالية

المعلومة الأساس التي يجب أن يوفرها المعجم هي «معنى» الكلمة الذي يجب أن يكون مرفقا بـ «شواهد» تمكّن من فهم جيد للمعنى.

تتعدد معاني الكلمات العربية بحسب الحقب الزمنية التي جرى تداولها فيها، غير أن معظم المعاجم العربية لا يرصد تغير المعاني بحسب الزمن، كما أنها لا تتيح سوى المعنى المتداول في زمن تأليفها.

لتجاوز هذا العجز واستنباطًا من تجارب المعاجم الإنكليزية والفرنسية ارتأينا تصميم برنامج يمكّن من عرض مختلف دلالات الكلمة بحسب ترتيب زمني يبين تطور المعاني بحسب الحقب الزمنية. كما راعى التصميم عرض المعلومات بطريقة تمكّن المستخدم من إبرازها بشكل واضح (مثال: إبراز كاتب الشاهد بلون مختلف).

رابعًا: تصميم قاعدة بيانات المعجم التاريخي للُّغة العربية

1 - الكينونات

انطلاقًا من التحليل الذي قمنا به، نعرف الكينونات (Entities) التالية:

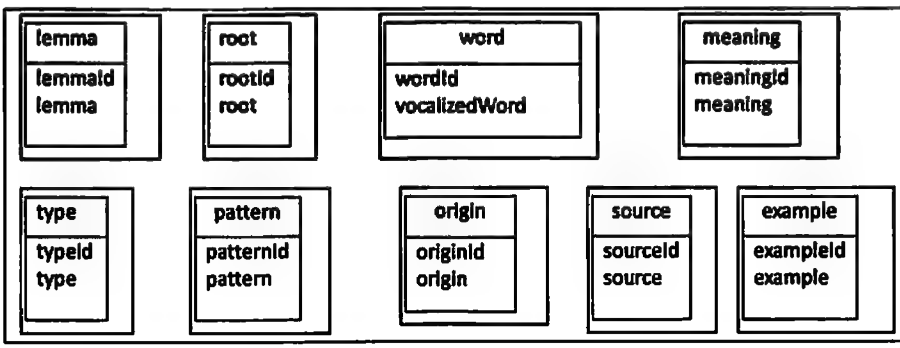
- الفرع.
- الكلمة.
- الجذر.
- الوزن.

- النوع.

- الشاهد.

- المعنى.

- المصدر.



2 – قاموس البيانات (Data Dictionary)

lemmaId	مفتاح الفرع
lemma	الفرع
rootId	مفتاح الجذر
root	الجذر
typeId	مفتاح النوع
type	النوع
patternId	مفتاح الوزن
pattern	الوزن
wordId	مفتاح الكلمة
vocalizedWord	الكلمة المشكولة

يتبع

تابع

مفتاح الأصل	originId
الأصل	origin
مفتاح المصدر	sourceId
المصدر	source
مفتاح الدلالة	meaningId
الدلالة	meaning
مفتاح الشاهد	exampleId
الشاهد	example

3 - العلاقات التي تربط الكينونات

نعرض في ما يلي مختلف العلاقات والقواعد التي تربط الكينونات المبيّنة أعلاه:

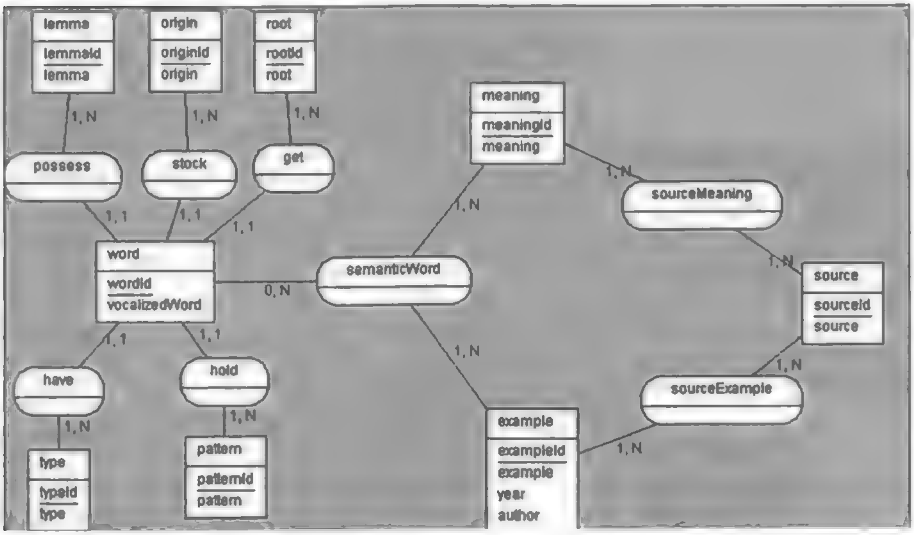
- «الجذر» تُشتق منه «كلمة» واحدة أو أكثر.
- «الوزن» ينتمي إلى «كلمة» أو أكثر.
- «النوع» يتضمن «كلمة» أو أكثر.
- «الفرع» يمكّن من الحصول على «كلمة» أو أكثر.
- كل «معنًى» يتوفر على «مصدر».
- لكل «شاهد» كاتبه والسنة التي ورد فيها و«المصدر».
- لكل «كلمة» «دلالات» عدة و«شواهد» عدة.

4 - رسم العلاقات بين الكيانات

بتطبيق العلاقات المبينة أعلاه نحصل على «رسم العلاقات بين الكيانات».

الشكل (12-7)

«رسم العلاقات بين الكيانات» الخاصة بالمعجم



5 - نموذج البيانات المنطقية

اعتمادا على «رسم العلاقات بين الكيانات» نحصل على « نموذج البيانات المنطقية» (Logical Data Model) التالي:

lemma (lemmaId, lemma)
type (typeId, type)
root (rootId, root)
pattern (patternId, pattern)
word (wordId, vocalizedWord, #lemmaId, #typeId, #patternId, #rootId, #originId)
meaning (meaningId, meaning)
example (exampleId, example, year, author)
source (sourceId, source) origin (originId, origin)
sourceMeaning (meaningId, sourceId)
sourceExample (exampleId, sourceId)
semanticWord (wordId, meaningId, exampleId)

خامسًا: نموذج أولي للمعجم التاريخي للُّغة العربية

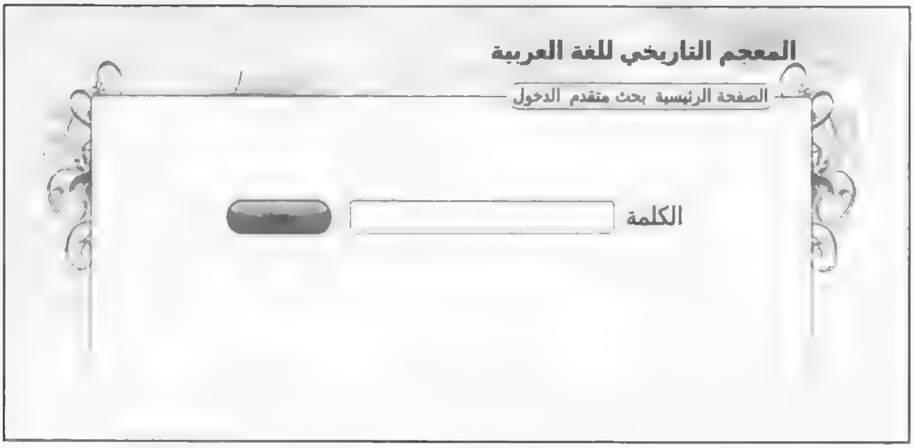
في مرحلة أوليـــة أعددنا نموذجًا أوليًــا للمعجم التاريخـــي للُّغة العربية. لتطوير النسخة الأولية، استعملنا لغة البرمجة جافا (Java) ولتدبير قاعدة البيانات اســتعملنا نظام إدارة قواعد البيانات (DataBase Management System) (ماي إس كيو إل) (MySQL)[12].

1 - الصفحة الرئيسة

في هذه الصفحـــة، يمكن البحـــث عن المدخـــل إضافة إلـــى قائمة من الاختيـــارات تمكّن المســـتخدم من الولوج إلـــى البحث المتقدم أو تســـجيل الدخول.

الشكل (12-8)

الصفحة الرئيسة للمعجم



2 - البحث المتقدم

تمكّن الصفحة الخاصة بالبحث المتقدم من تدقيق البحث عبر:

---

(12) <http://www.mysql.com/>.

- اختيار طريقة البحث

• إما بالمدخل، وهي طريقة البحث العادية نفسها.

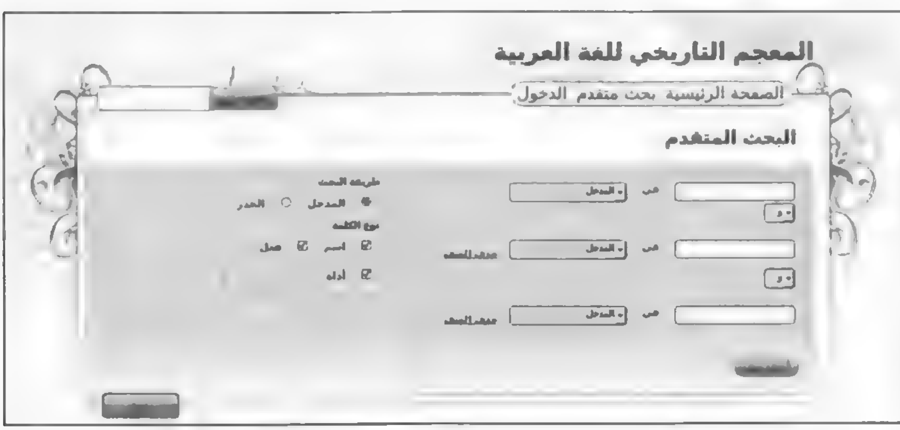
• أو بالجذر، وفي هذه الحالة تُعرَض مختلف الكلمات المشتقة من الجذر المدخل.

- تحديد نوع الكلمة (اسم أو فعل أو أداة)

• استخدام العوامل المنطقية and (و) وor (أو) وnot (ما عدا) لتحديد معيار أو أكثر من المعايير التالية: المدخل، المعنى، الشـاهد، كاتب الشـاهد، تاريخ الشاهد (العام)، مصدر الشاهد، أصل الكلمة.

- استخدام أحرف البدل الخاصة (Wildcards) * و?

الشكل (12-9)
صفحة البحث المتقدم



3 - عرض نتائج البحث

في حال وجود الكلمة فـي المعجم في صور مختلفـة، تُعرض مختلف هذه الحالات. في هذه المرحلة ينقر المسـتخدم علـى أحد الخيارات لعرض المعلومات الخاصة به.

الشكل (12-10)
صفحة النتائج الأولية



عند وجود حالة واحدة للكلمة، تُعـرَض المعلومات المتعلقة بها كما في الشكل (12-11).

الشكل (12-11)
عرض النتائج



يرتبط كل شــاهد بالمدوَّنــة من خلال الرابــط «المدوّنــة» الذي يعرض مختلف المؤلفات التي ورد فيها. ســنعطي لاحقًا تفاصيــل إضافية في الفقرة المتعلقة بتصميم المدوَّنة والمرصد.

4 - إضافة مقترَح

تمكّن هذه النافذة المعجمي من إضافة كلمة جديدة.

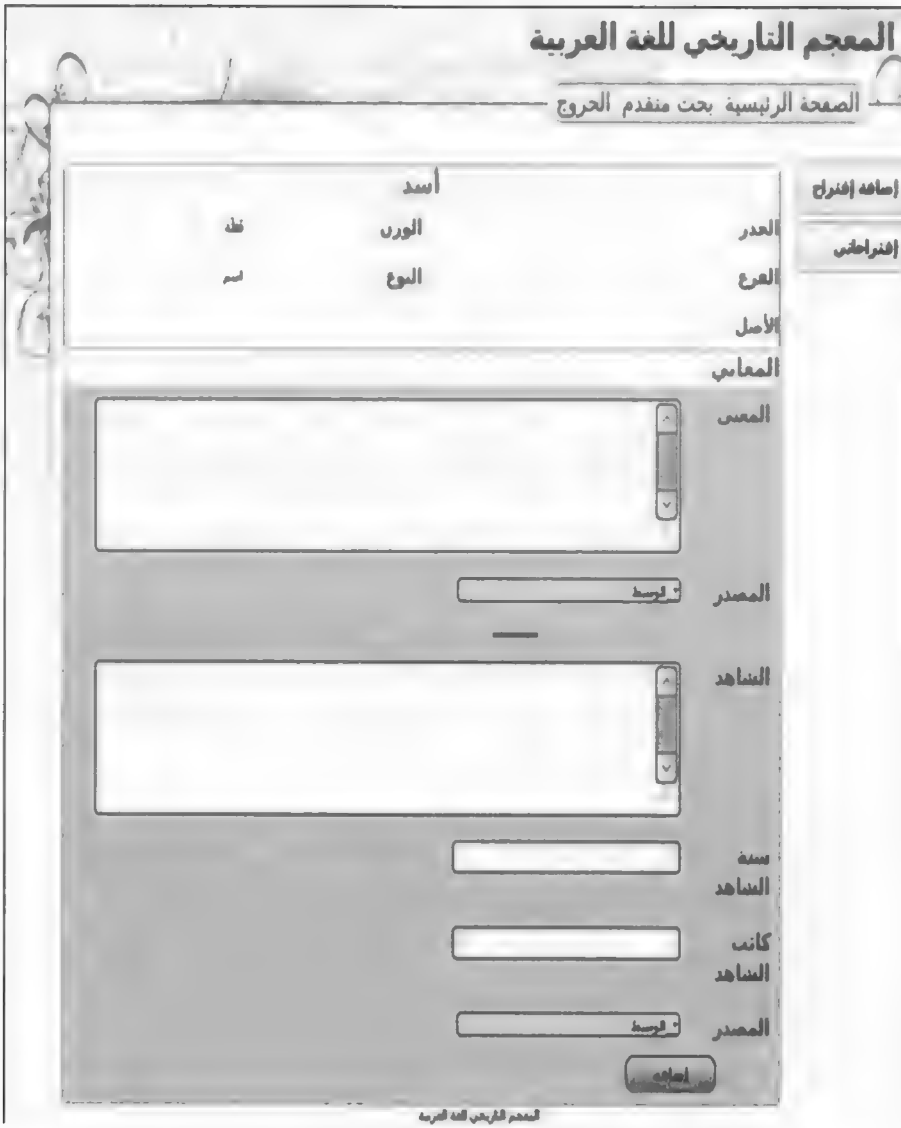
الشكل (12-12)
إضافة مقترح



يمكن المعجمي إضافة دلالات جديدة أو شواهد لدلالات كلمة موجودة بالبحث عنها أولًا ثم القيام بعمليــة الإضافة. في كلتا الحالتين تظهر للمعجمي النافذة الواردة في الشكل (12-13).

الشكل (12-13)

إضافة دلالات جديدة



كما يمكن المعجمي إضافة شواهد عدة لكل معنًى عبر النافذة الواردة في الشكل (12-14).

الشكل (12-14)

إضافة شاهد



سادسًا: النسخة المضغوطة

نقترح تطوير برنامج يُستخدَم من دون اتصال بالشابكة ويعمل على أي نظام تشغيل، كما يلي:

- أن تُستخدم لغة جافا لتطوير هذا التطبيق.

- استعمال نظام SQLite[13] لإدارة قواعد البيانات المحلية لما لهذا النظام من مزايا، أهمها التمكن من قراءة قواعد البيانات وكتابتها مباشرة على الأقراص من دون أي برامج أو أدوات وسيطة أخرى. للمزايا الأخرى يمكن الرجوع إلى الموقع الرسمي للبرنامج[14]، أو إلى موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا[15].

(13) <http://sqlite.org/>.

(14) المصدر نفسه.

(15) <http://ar.wikipedia.org/wiki/ >.

- تطبيقات تعمل على أجهزة الآي فون (iPhone) والآي باد (iPad) والأجهزة التي تستعمل نظام التشغيل أندرويد (Android).

سابعًا: النسخة الورقية

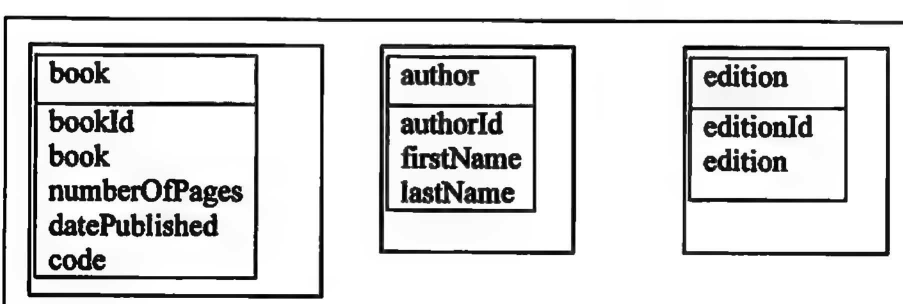
بما أن قواعد بيانات المعجم التاريخي للُّغة العربية سوف تكون مستقلة فإن عملية استخراج نسخة ورقية انطلاقًا من قواعد البيانات لن تتطلب مجهودًا كبيرًا لأن المجهود الأكبر سوف يكون في تزويد قواعد البيانات بالمعطيات.

ثامنًا: تصميم المدوَّنة والمرصد

1 - قاعدة بيانات المدوَّنة وربطها بالمعجم

استُعملت الكينونات (Entities) التالية:

- المؤلَّف وتشمل المعلومات التالية: اسم المؤلَّف، تاريخ الإصدار، عدد صفحات المؤلَّف، رمز المؤلَّف، الكاتب، الاسم الأول للكاتب، الاسم الثاني للكاتب، الطبعة، اسم الطبعة.



2 – قاموس البيانات (Data Dictionary)

bookId	مفتاح المؤلَّف
book	المؤلَّف
numberOfPages	عدد صفحات المؤلَّف
datePublished	تاريخ الإصدار
code	رمز المؤلَّف
author	الكاتب
authorId	مفتاح الكاتب
lastName	الاسم الثاني للكاتب
firstName	الاسم الأول للكاتب
editionId	مفتاح الطبعة
edition	الطبعة

3 – العلاقات التي تربط الكينونات

نعرض في ما يلي مختلف العلاقات والقواعد التي تربط الكينونات المبينة أعلاه:

– «المؤلَّف» ألفه «كاتب» واحد أو أكثر.

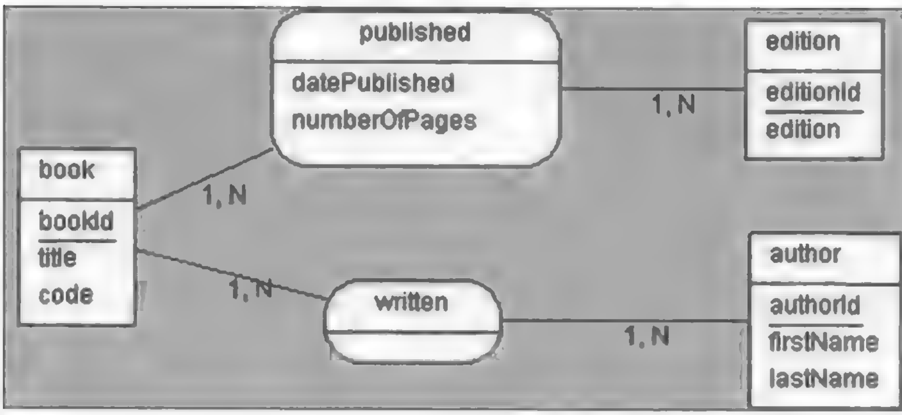
– «المؤلف» طُبع في «طبعة» واحدة أو أكثر بحسب تاريخ الطبع، كما أن عدد الصفحات يمكن أن يتغير مع اختلاف الطبعة.

4 – طريقة الكيانات والعلاقات

بتطبيق العلاقات المبينة أعلاه نحصل على «طريقة الكيانات والعلاقات».

الشكل (12-15)

«طريقة الكيانات والعلاقات» الخاصة بالمدوَّنة



5 - نموذج البيانات المنطقية

اعتمادًا على «طريقة الكيانــات والعلاقات» نحصل على «نموذج البيانات المنطقية» (Logical Data Model).

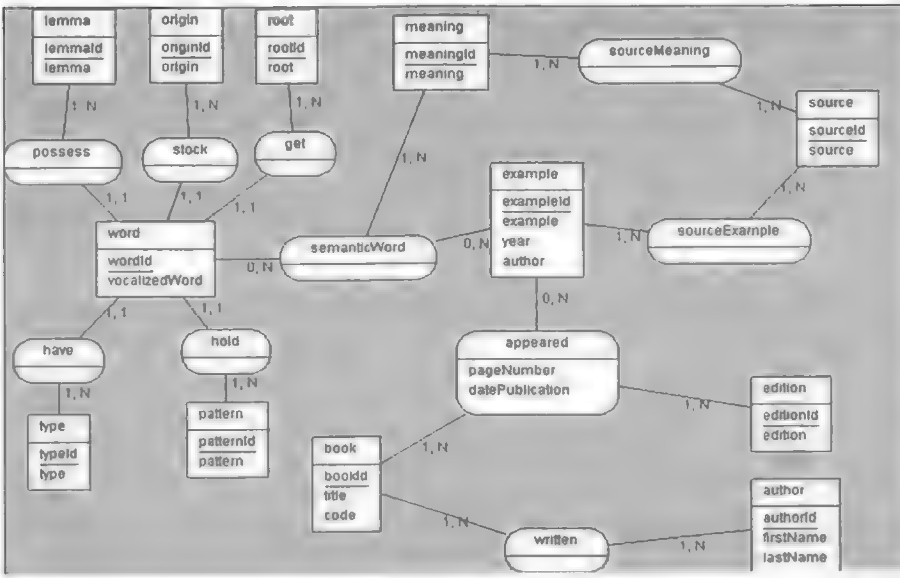
book (bookId, title, code)
author (authorId, firstName, lastName)
edition (editionId, edition)
written (bookId, authorId)
published (bookId, editionId, datePublished, numberOfPages))

في حال رُبط الشــاهد بالمؤلف نحصــل على العلاقة التالية: «الشــاهد» يظهر فــي «مؤلِّف» واحد أو أكثر ذي طبعة محــددة، تميز هذه العلاقة **الصفحة** التي ظهر فيها الشاهد **وتاريخ صدور الطبعة**.

6 - رسم العلاقات بين الكيانات

بتطبيق العلاقات المبينة أعلاه نحصل على «رسم العلاقات بين الكيانات».

الشكل (12-16)
«رسم العلاقات بين الكيانات» الخاصة بالمعجم والمدوَّنة



7 - نموذج البيانات المنطقية

اعتمادًا على «رسم العلاقات بين الكيانات» نحصل على «نموذج البيانات المنطقية» التالي:

```
lemma (lemmaId, lemma)
type (typeId, type)
root (rootId, root)
pattern (patternId, pattern)
word (wordId, vocalizedWord, #lemmaId, #typeId, #patternId, #rootId, #originId)
meaning (meaningId, meaning)
example (exampleId, example, year, author)
source (sourceId, source)
origin (originId, origin)
book (bookId, title, code)
author (authorId, firstName, lastName)
edition (editionId, edition)
sourceMeaning (meaningId, sourceId)
sourceExample (exampleId, sourceId)
semanticWord (wordId, meaningId, exampleId)
written (bookId, authorId)
appeared (bookId, exampleId, editionId, pageNumber, datePublication)
```

8 - عرض المدوَّنة

- كل شاهد يرتبط بالرابط «**المدوَّنة**» يمكّن من عرض مختلف المؤلَّفات التي ورد فيها.

- عنـد النقر على الرابـط تُفتح نافذة جديـدة تحوي أسـماء المؤلَّفات والمعلومات المتعلقة بها.

- يمكن عرض معلومات إضافية عن المؤلَّف وصفحة ورود الشاهد فيها عن طريق النقر على الرابط «**تفاصيل**».

- الرابط «**رجوع**» يمكّن من العودة إلى قائمة المؤلَّفات.

نعرض في ما يلي نموذج لقائمة المؤلَّفات والمعلومات التي تربط الشاهد بها.

الشكل (12-17)
ربط الشاهد بالمدوَّنة



خاتمة

قدمنا في هـذه الدراسـة التصميم الحاسـوبي لنموذج أولـي للمعجم التاريخي للُغة العربية. صممنا قاعدة البيانات الخاصة بالمعجم بالاعتماد على لغة العرض الموحدة. كما صممنا قاعدة البيانات الخاصة بالمدوَّنة التي يستند إليها المعجم وربطها بقاعدة بيانات المعجم.

المراجع

1 - العربية

كتاب

عبد العزيز، محمد حسـن. المعجم التاريخـي للغة العربيـة: وثائق ونماذج. القاهرة: دار السلام، 2008.

أطروحة

السـعيد، المعتز بالله. «مدوَّنـة معجم تاريخـي للغة العربيـة «معالجة لغوية حاسوبية».» إشراف مُحَمَّد حسـن عبد العزيز ومُحسِن عبد الرَّازِق رشوان (رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 2011).

ندوة

الاجتمـاع الثاني لخبراء المعجم الحاسـوبي التفاعلي للغـة العربية (المنظمة العربية للتربيـة والثقافة والعلـوم، إدارة العلوم والبحـث العلمي ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض، 5-7/ 5/ 2008).

2 - الأجنبية

France, Centre national de la recherche scientifique, Analyse et traitement informatique de la langue française (Nancy). *Trésor de la langue française informatisé.* Préf. Jean-Pierre Pierrel; conception informatique Jacques Dendien. Paris: CNRS éd., 2004. (La Référence du savoir. Le Dictionnaire de référence)

Handbook of the International Phonetic Association: A Guide to the Use of the International Phonetic Alphabet. Cambridge, UK; New York: Cambridge University Press, 1999.

Simpson, John and Edmund Weiner (eds.). *The Oxford English Dictionary.* 20 vols. 2nd ed. Oxford: Clarendon Press; Oxford; New York: Oxford University Press, 1989.

——. *Oxford English Dictionary: Additions Series.* 3 vols. Oxford, [England]: Clarendon Press; New York: Oxford University Press, 1993-1997.

Trésor de la langue française; dictionnaire de la langue du XIXe et du XXe siècle (1789-1960). Publié sous la direction de Paul Imbs. 16 vols. Paris: Editions du Centre national de la recherche scientifique; Gallimard, 1971-1994.

الفصل الثالث عشر

البرامج الحاسوبية المستخدمة في بناء المدوّنات المعجمية وتدبيرها دراسة تقويمية

عـز الدين مـزروعـي وعبـد الحـق لخواجـة
ومحمد ولد عبد الله ولد بباه ومحمد رقاس

مقدمة

تستمد المعاجم التاريخية مادتها من المدوّنات اللغوية التي تُبنى وفق معايير علمية تراعي الأبعاد التاريخية والجغرافية والموضوعاتية للنصوص[1]. فعند الانتهاء من تجميع نصوص المدوّنة تبدأ مرحلة معالجتها قصد استخلاص المعلومات الضرورية للوقوف على المعطيات الإحصائية الكفيلة بتحديد المفردات التي ستشكل مداخل المعجم ومختلف المعلومات المحددة لدلالاتها وتطور معانيها.

يمكن أن تتم بعض جوانب هذه المعالجة من خلال أدوات المعالجة الآلية للُّغات الطبيعية وهي مجموعة من البرامج الحاسوبية طُوّرت من أجل محاكاة الذكاء البشري في مجال التعامل مع اللغات الطبيعية.

عرف البحث العلمي في مجال المعالجة الآلية للغات الطبيعية تطورًا ملموسًا خلال العقود الأخيرة لكن بنسب متفاوتة بحسب اللغات. على سبيل المثال، قُطعت أشواط مهمة في هذا الباب بالنسبة إلى اللغة الإنكليزية، في حين نجد أن اللغة العربية لم تُعطَ حقها في مجال البحث ما انعكس سلبًا على عدد البرامج المطورة الخاصة بها ومدى دقتها.

في هذا البحث نجرد ونعطي تقويمًا أوليًا لأهم البرامج الحاسوبية للُّغة العربية التي يمكن استعمالها في معالجة المدوّنات المعجمية.

---

(1) المعتز بالله السعيد، «مدوّنة معجم تاريخي للغة العربية «معالجة لغوية حاسوبية»،» إشراف مُحَمَّد حسن عبد العزيز ومُحسِن عبد الرَّازِق رشوان (رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 2011).

أولًا: رقمنة نصوص المدوّنة

تتوزع أشكال نصوص المدوّنة المزمع إنشاؤها على ثلاث مجموعات:

- المجموعة الأولى: نصوص إلكترونية خاصة تهم النصوص المعاصرة وبعض النصوص التراثية التي رُقمنت (تحويلها من الصورة الورقية إلى صورة رقمية محوسبة). توجد هذه النصوص على إحدى الصور التالية:

• صيغ الوثيقة النصية: امتداد Doc (Document) وامتداد TXT (Text Document) وامتداد RTF (Rich Text Format).

• صيغة الوثيقة المتنقلة: امتداد PDF (Portable Document Format).

• صيغ صفحات الويب: امتداد HTML (Hyper Text Markup Language).

يمكن معالجة هذه الصيغ وتحويلها إلى الصيغة المعتمدة في تحرير المدوّنة المعجمية باستخدام محررات النصوص.

- المجموعة الثانية: نصوص ورقية على شكل مخطوطات أو كتب مطبوعة. من أجل رقمنة هذه النصوص يمكن استعمال إحدى الوسيلتين:

• التحرير اليدوي: يقوم متخصصون بإدخال النصوص الورقية قصد رقمنتها باستعمال محررات النصوص. واعتُمِدَت هذه الوسيلة في بناء مدونات بعض المعاجم التاريخية مثل قاموس أكسفورد الإنكليزي (*Oxford English Dictionary*)[2] والمعجم التاريخي الفرنسي (*Trésor de la langue française*)[3].

---

(2) محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية: وثائق ونماذج (القاهرة: دار السلام، 2008).

(3) بسام بركة، «المعجم الحاسوبي للغة العربية التجربة الفرنسية،» ورقة قدمت إلى: الاجتماع الثاني لخبراء المعجم الحاسوبي التفاعلي للغة العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة العلوم والبحث العلمي ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض، 5-7/ 5/ 2008)، و Pascale Bernard [et al.], «Les Ressources de l'ATLF pour l'analyse lexicale et textuelle : TLFi, Frantext, Stella,» dans: JADT 2002 : 6ème Journées internationales d'Analyse statistique des Données Textuelles, Saint-Malo 13-15 Mars 2002.

• **التحرير الآلي**: يتم التحرير الآلي عبر مرحلتين:

* **المســح الضوئي**: تحول النصوص الورقية في هذه المرحلة إلى صور رقمية باستعمال ماسح ضوئي (Scanner).

* **التعرف الضوئي إلى الحروف**: تقتضي هذه العملية تحديد ماهية حروف النص المدخل على شكل صورة رقمية وتحويله إلى نص إلكتروني.

- **المجموعــة الثالثة**: مقاطع صوتية يؤتى بها من وســائل الإعلام المرئية والمســموعة ومن المواقــع والمنتديات الإلكترونية (تراث شــفوي مســجل بالصوت وأفلام ونشرات إخبارية...). يمكن تحويل هذه المقاطع الصوتية إلى نصوص رقمية باعتماد تقنية التعرف الآلي إلى الكلام (Speech to Text).

- **نماذج من القارئ الآلي (التعرف الضوئي إلى الحروف)**

القارئ الآلي تيسيراكت (Tesseract OCR)

الجهة المطورة للبرنامج	Laboratories Bristol and at Hewlett Packard Co
نوع البرنامج	مفتوح المصدر
وظائف البرنامج	التعرف الضوئي إلى الحروف
تاريخ الإصدار الحالي	2012م
بيئة التشغيل	Windows - Linux
لغة البرمجة	سي (C)

القارئ الآلي لشركة صخر (http://www.sakhr.com)

الجهة المطورة للبرنامج	شركة صخر لبرامج الحاسب
نوع البرنامج	تجاري
وظائف البرنامج	التعرف الضوئي إلى الحروف
تاريخ الإصدار الحالي	2004م

ملاحظات

في وقت ترتفع فيه نسبة التعرف الضوئي إلى الحروف اللاتينية نجد فاعلية هذه القارئات الآلية محـــدودة جدًا عند محاولة التعرف إلـــى الحروف العربية (انظر الأمثلة أدناه). لهذا نعتقد أن تكلفة تحرير النصوص بشـــكل مباشر تبقى أقل تكلفة من عمليتي استعمال القارئ الضوئي وتدقيق النصوص بعد ذلك.

في ما يلي أمثلة من نتائج تحليل هذه البرامج:

القارئ الآلي تيسيراكت	
النص المدخل	إذا كانت اللغة الإنكليزية هي اللغة الطاغية على محتوى الإنترنت، أو بالأحرى الويب، منذ البدايات الأولى للشبكة، فإنه من اللافت أن لغات أخرى بدأت تثبت وجودها على الإنترنت في السنوات الأخيرة. التعدد اللغوي هو سمة كونية وحقيقة ثابتة في كل دول العالم .
نتيجة التعرف	إذا كاجم لللغةتركاةهيلللغةللطانيةجا هحقويالإير،أوبالأسر،ملخوابات(ولهارة، ده من للص أن لغات أخير بدأت يثبت وجودها عله الإعبي لي للسذطت الأخيرة. للتعدد اللغوي هو سلة كونية وحقيقة نابتةث كل دول للعالم
النص المدخل	Moderately high performance chunker based on Support Vector Machines Independent from the given task, training/testing with any data which can be seen as a "generic" text chunking task
نتيجة التعرف	Moderately high performance chunker based on Support Vector Machines Independent from the given task, training/testing with any data which can be seen as a "generic" text chunking task
القارئ الآلي لشركة صخر	
النص المدخل	إذا كانت اللغة الإنكليزية هي اللغة الطاغية على محتوى الإنترنت، أو بالأحرى الويب، منذ البدايات الأولى للشبكة، فإنه من اللافت أن لغات أخرى بدأت تثبت وجودها على الإنترنت في السنوات الأخيرة. التعدد اللغوي هو سمة كونية وحقيقة ثابتة في كل دول العالم .
نتيجة التعرف	إداالث اللغة اكس للبريذا اللغة ان علة عب صحتو! اكس لتراث، أول لاحرب إلى يد، أحد الحجاب ث الأوب للتسعة، الدار اللاهث أر له ث أحرز لدأب تبحث وحودي عب اكس لتراث ب السواء الاحيرد التعدد النعوش هو سر كولية وح ايعة ق لتر ب كل دول الي لم

ثانيًا: تشكيل (تحريك) نصوص المدوّنة

تحديد طبيعة ومعانـــي الكلمات يقتضي وجود مدونة مشــكولة كليًا (أي ضبط علامات التشكيل (التحريك) وهي الفتح والضم والكسر والشدة وتنوين الفتح وتنوين الضم وتنوين الكسر مع كلمات المعجم كلها). لتحقيق هذا الأمر مع المجموعات الثلاث المكونة لمدونة المعجم والمفصلة أعلاه يجب القيام بالمهام التالية:

- ما دام السواد الأعظم من نصوص المحتوى الرقمي العربي على الشبكة العنكبوتية غيــر مرفقة بعلامات التشــكيل، فإن أغلبية النصــوص الإلكترونية للمجموعة الأولى من مدونة المعجم تحتاج إلى إضافة علامات التشــكيل إلى كلماتها. يمكن للقيام بذلك الاستعانة بالمشــكلات الآلية. ونظرًا إلى عدم دقة المشــكلات الآلية المتوافرة فإن عملية تدقيق يدوي للنصوص المشــكلة آليًا من طرف لغويين تصبح ضرورية لتدارك الأخطاء الناجمة عن عملية التشــكيل الآلي.

- بالنســبة إلى النصــوص الورقية للمجموعــة الثانية، يمكــن تحريرها من البداية مرفقة بعلامات التشــكيل، أو اتباع المنهــج المعتمد مع النصوص الإلكترونية للمجموعة الأولى بعد تحريرها من دون علامات التشكيل. اختيار أحد المنهجين يتم بناء على تكلفة كل منهما.

- في ما يخص المقاطع الصوتية للمجموعة الثالثة فإن تقنية التعرف الآلي إلى الكلام تُمكّن من الحصول على نصوص مرفقة بعلامات التشكيل.

- نماذج من المشكلات الآلية

كما هو الشــأن بالنسبة إلى البرامج الحاســوبية، تنقسم المشكلات الآلية المتوافرة إلى ثلاث مجموعات:

برامج مفتوحة المصدر: هي برامج مجانية تُمكّن مستعمليها من الولوج إلى شفرتها المصدرية قصد تعديلها بحسب حاجات المســتعمل وذلك بإضافة أو حذف أو تغيير أجزاء من البرنامج. كما يمكن استعمال قواعد بيانات هذا النوع من البرامج في تطبيقات أخرى لأنها متاحة من دون قيود الملكية الفكرية.

برامج مجانية: هي برامج مجانية الاستعمال لكن من دون إمكانية الولوج إلى شفرتها المصدرية.

برامـج خاصة: هي برامـج غير مجانيـة وتقتصر عملية اسـتغلالها على استعمالها من دون إمكانية الولوج إلى شفرتها المصدرية.

سنعرض أدناه نموذجًا من كل مجموعة.

أ - برنامج الخليل للتشكيل الآلي

الجهة المطورة للبرنامج	فريق المعالجة الآلية للغات الطبيعية، مختبر البحث في الإعلاميات جامعة محمد الأول المغرب
نوع البرنامج	مجاني
وظائف البرنامج	وضع علامات التشكيل على الحروف
تاريخ الإصدار الحالي	2012م
بيئة التشغيل	Windows - Linux - - Mac Os Solaris
لغة البرمجة	جافا (Java)

(1) برنامج مشكال للتشكيل الآلي

(<http://sourceforge.net/projects/mishkal>)

الجهة المطورة للبرنامج	الأستاذ طه زروقي بمساهمة الأساتذة صهيب عفيفي وباسم جركس وعاصم شلي
نوع البرنامج	مفتوح المصدر
وظائف البرنامج	وضع علامات التشكيل على الحروف
تاريخ الإصدار الحالي	2012م
بيئة التشغيل	Windows
لغة البرمجة	بايثون (Pyton)

(2) المشكل الآلي لشركة صخر (<http://arabdiac.sakhr.com.eg/>)

الجهة المطورة للبرنامج	شركة صخر لبرامج الحاسب
نوع البرنامج	تجاري
وظائف البرنامج	وضع علامات التشكيل على الحروف

ب - ملاحظات على هذه البرامج

- نسبة نجاح برنامج مشكال ضعيفة وهذا ينعكس سلبًا على جودة المدوّنة عند استعماله في تشكيلها في المرحلة الأولى ما يجعل تكلفة التدقيق اللغوي في المرحلة الثانية باهظة.

- في وقت ترتفع فيه دقة التشكيل للمشكل الآلي لشركة صخر عند استعمال نصوص حديثة نجده أقل جودة مع النصوص التراثية لذا يستحسن استعماله على نصوص حديثة.

- دقة التشكيل لبرنامج الخليل متقاربة بين النصوص التراثية والنصوص الحديثة ونسبتها لا بأس بها مقارنة بأجود البرامج المتوافرة حاليًا لتشكيل النصوص العربية.

- نعرض أسفله نتائج استعمال هذه المشكلات الثلاث لوضع علامات التشكيل على كلمات نصين أحدهما نص حديث والآخر من التراث. ووضعنا اللون الأحمر على الحروف التي حركتها خاطئة.

النص المدخل	برنامج الخليل للتشكيل الآلي	المشكل الآلي لشركة صخر	برنامج مشكال للتشكيل الآلي
تنبثق فكرة «الورشة الدولية الأولى حول توظيف التقنيات الرقمية لتعليم اللغة العربية» من ضرورة تعزيز وجود لغتنا العربية والاستفادة من التقنيات الحديثة في تسهيل تعليمها وتعلمها. لقد غدت تقنيات المعلومات والاتصالات وسيلة تعليم يصعب الاستغناء عنها، لما توفره من قدرة ومرونة لإثراء التعليم وتقريبه من المهتمين.	تَنْبَثِقُ فِكْرَةَ الْوَرْشَةِ الدَّوْلِيَّةِ الأُولَى حَوْلَ تَوْظِيفِ التِّقْنِيَّاتِ الرَّقَمِيَّةُ لِتَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ ضَرُورَةِ تَعْزِيزِ وُجُودِ لُغَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ وَالْاسْتِفَادَةُ مِنْ التِّقْنِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ فِي تَسْهِيلِ تَعْلِيمَهَا وَتَعَلُّمُهَا. لَقَدْ غدت تِقْنِيَّاتِ الْمَعْلُومَاتِ وَالْاتِّصَالَاتُ وَسِيلَةُ تَعْلِيمِ يَضْعُبُ الْاسْتِغْنَاءُ عَنْهَا لِمَا تُوَفِّرُهُ مِنْ قُدْرَةِ وَمُرُونَةٌ لِإِثْرَاءِ التَّعْلِيمِ وَتَقْرِيبِهِ مِنْ الْمُهْتَمِّينَ.	تَنْبَثِقُ فِكْرَةُ « اَلْوَرْشَةِ اَلدَّوْلِيَّةِ اَلْأُولَى حَوْلَ تَوْظِيفِ اَلتِّقْنِيَّاتِ اَلرَّقْمِيَّةِ لِتَعْلِيمِ اَللُّغَةِ اَلْعَرَبِيَّةِ « مِنْ ضَرُورَةِ تَعْزِيزِ وُجُودِ لُغَتِنَا اَلْعَرَبِيَّةِ وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْ اَلتِّقْنِيَّاتِ اَلْحَدِيثَةِ فِي تَسْهِيلِ تَعْلِيمِهَا وَتَعَلُّمِهَا. لَقَدْ غَدَتْ تِقْنِيَّات اَلْمَعْلُومَاتِ وَالِاتِّصَالَاتِ وَسِيلَةَ تَعْلِيم يَصْعُبُ اَلِاسْتِغْنَاءُ عَنْهَا ا لِمَا تُوَفِّرُهُ مِنْ قُدْرَةِ وَمُرُونَةِ لِإِثْرَاءِ اَلتَّعْلِيمِ وَتَقْرِيبِهِ مِنْ اَلْمُهْتَمِّينَ.	تَنْبَثِقُ فِكْرَةُ « الْوَرْشَةَ الدُّوَلِيَّةَ الاولى حَوْلَ تَوْظِيفَ التقنيات الرَّقْمِيَّةَ لِتَعْلِيمِ ، اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ » مِنْ ضَرُورَةِ تعزيز وُجُودَ لُغَتِنَا الْعَرَبِيَّةَ وَالْإِسْتِفَادَةَ مِنْ التقنيات الْحَدِيثَةَ فِي تَسْهِيلِ تَعْلِيمِهَا وَتَعَلُّمَهَا. لَقَدْ غَدَتْ تِقْنِيَّاتُ الْمَعْلُومَاتِ وَالْإِتِّصَالَاتِ وَسِيلَةَ تَعْلِيمِ يُصَعِّبُ الاستغناء عَنْهَا ، لَمَّا تُوَفِّرُهُ مِنْ قِدْرَةِ وَمُرُونَةَ لاثراء التعليم وَتَقْرِيبَهُ مِنْ الْمُهْتَمِّينَ .
وقال أبو الحسن بن كيسان قال محمد بن يزيد الشكل الذي في الكتب من عمل الخليل وهو ماخوذ من صور الحروف فالضمة واو صغيرة الصورة في أعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة والكسرة ياء تحت الحرف والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف .	وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ بَنْ كيسان قَالَ مُحَمَّدٌ بَنْ يَزِيدَ الشَّكْلِ الَّذِي فِي الْكُتُبِ مِنْ عَمَلِ الْخَلِيلِ وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ صُورِ الْحُرُوفِ فالضمة واو صَغِيرَةٌ الصُّورَةِ فِي أَعْلَى الْحَرْفَ لَئَلَّا تَلْتَبِسِ بالْوَاوِ الْمَكْتُوبَةِ والكسرة يَاءُ تَحْتَ الْحَرْفِ وَالْفَتْحَةُ أَلْفٌ مبطوحة فَوْقَ الْحَرْفِ.	وَقَالَ أَبُو اَلْحَسَنِ بُنَّ كِيسَانِ قَالَ مُحَمَّدُ بْنِ يَزِيدِ اَلشَّكْلَ اَلَّذِي فِي اَلْكُتُبِ مِنْ عَمَلِ اَلْخَلِيلِ وَهُوَ مَأْخُوذ مِنْ صُوَرِ اَلْحُرُوفِ فَالضَّمَّةُ وَاو صَغِيرَةُ اَلصُّورَةِ فِي أَعْلَى اَلْحَرْفِ لِئَلَّا تَلْتَبِسَ بِالْوَاوِ اَلْمَكْتُوبَةِ وَالْكَسْرَةِ يَاءٌ تَحْتَ اَلْحَرْفِ وَالْفُتْحَةِ أَلف مَبْطُوحَة فَوْقَ اَلْحَرْفِ .	وَقَالُ أَبُو الْحَسَنَ بُنَّ كِيسَانِ قَالِ مُحَمَّدِ بُنَّ يَزِيدُ الشَّكْلُ الَّذِي فِي الْكُتُبِ مِنْ عَمَلِ الْخَلِيلِ وَهُوَ ماخوذ مِنْ صُوَرِ الْحُرُوفِ فَالضَّمَّةَ واو صَغِيرَةَ الصُّورَةَ فِي أَعَلَى الْحَرَفِ لئلا تَلْتَبِسُ بالواو الْمُكْتُوبَةَ وَالْكُسَّرَةَ ياء تَحْتَ الْحَرَفِ وَالْفُتَحَةِ أَلَفَ مبطوحة فَوْقَ الْحَرَفِ .

ثالثًا: التدقيق اللغوي لنصوص المدوّنة

تعتري معظم النصوص المتوافرة على الشبكة العنكبوتية أخطاء لغوية (إملائية أو صرفية أو نحوية) تحتاج إلى تصحيح من لغويين متخصصين. يمكن حصر مصدر هذه الأخطاء في النقط التالية:

- **عدم دقة عملية التحرير اليدوي للنصوص:** نادرًا ما تتم عملية التحرير اليدوي للنصوص من دون أخطاء لغوية. وترتبط نسبة هذه الأخطاء بالمستوى اللغوي للمحرر من جهة وبمدى فاعلية المدقق الإملائي المصاحب لمحرر النصوص المستعمل من جهة أخرى.

- **عدم دقة القارئ الآلي (التعرف الضوئي إلى الحروف):** لا يوجد قارئ آلي يحقق نسبة التعرف إلى الحروف مئة في المئة وتتفاوت هذه النسبة بحسب نوع الكتابة بالنسبة إلى الكتب المطبوعة ونوع الخط بالنسبة إلى المخطوطات.

- **عدم دقة تقنية التعرف الآلي إلى الكلام:** تحويل المقاطع الصوتية إلى نصوص رقمية عبر تقنية التعرف الآلي إلى الكلام تكون في أغلب الأحيان كما هو الشأن بالنسبة إلى القارئ الآلي مصحوبة بنسبة معينة من الأخطاء.

عملية التدقيق اللغوي تقتضي في مرحلة أولى استعمال مدقق آلي للوقوف على الكلمات التي يُعتقد أن فيها أخطاء وتصحيحها بعد التأكد من وجود خطأ فيها لأنه في بعض الحالات يُبرز المدقق الآلي بعض الكلمات على أن فيها خطأ في حين هي صحيحة. يقوم متخصص لغوي في مرحلة ثانية بتدقيق النصوص وتصحيح الأخطاء التي لم يتعرف إليها المدقق الآلي.

- نماذج من المدققات اللغوية

أ - المدقق الآلي هانسبيل

(Hunspell) (<http://sourceforge.net/projects/hunspell/>)

الجهة المطورة للبرنامج	لاسلو نيميث (László Németh) جامعة بودابست التقنية -المجر
نوع البرنامج	مفتوح المصدر
وظائف البرنامج	التدقيق الإملائي (النسخة 1.3.2)
تاريخ الإصدار الحالي	2011م
بيئة التشغيل	Windows - Linux - - Mac Os Solaris
لغة البرمجة	سي ++ (C++)

ب - المدقق الآلي لشركة كولتيك

(<http://www.coltec.net/default.aspx?tabid=224>)

الجهة المطورة للبرنامج	شركة كولتيك
نوع البرنامج	تجاري
وظائف البرنامج	التدقيق الإملائي

ملاحظات على هذه المدققات الإملائية

• يعتبر هذان المدققان من أهم البرامج المستعملة مع محررات النصوص قصد التدقيق الإملائي. فمدقق هانسبيل مدمج مع محرر النصوص أوبن أوفس (Open Office) ومدقق شـــركة كولتيك مدمج مع محرر النصوص وورد (Word) لشركة ميكروسوفت (Microsoft).

• يقتصر هذان البرنامجان في معظم الحالات على تدقيق الكلمات منعزلة من دون الأخذ في الاعتبار ســياقاتها، ما يحد من دقتهمـــا. ويقومان في بعض الحـــالات بتخطئة محرر النص في كلمات صحيحة لذا يجب أن يشـــرف على عملية التدقيق خبير لغوي.

رابعًا: التحليل الصرفي لكلمات المدوّنة

بما أن المدوّنة ستكون مصدر مداخل المعجم التاريخي ووحداته المعجمية فإن وجود معلومات صرفية مثل الجذر والجذع والوزن مع كلمات المدوّنة أمر ضروري[4]. ويمكن الحصول على هذه المعلومات الصرفية باستعمال محلل صرفي آلي.

تجدر الإشارة إلى أن كل المحللات الصرفية المتوافرة لا تمكن من الحصول على نتائج صحيحة بنسبة مئة في المئة لذا وجب التحقق من صحة مخرجات المحلل الصرفي الآلي من خبير لغوي في مرحلة ثانية.

نُذَكِّر في الجدول أدناه بأهم المحللات الصرفية العربية مصحوبة ببعض مواصفاتها. اقتصر اهتمامنا على المحللات مفتوحة المصدر لما لها من مزايا أهمها إمكانية الولوج إلى مصدرها قصد تعديله وفقًا للحاجيات.

- نماذج من المحللات الصرفية

أ- برنامج الخليل الصرفي الآلي

(<http://sourceforge.net/projects/alkhalil/>)

الجهة المطورة للبرنامج	فريق المعالجة الآلية للغات الطبيعية، مخبر البحث في الإعلاميات جامعة محمد الأول المغرب، والدكتور المعتز بالله السعيد وبرعاية منظمة الألكسو ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض
نوع البرنامج	مفتوح المصدر
وظائف البرنامج	التحليل الصرفي للكلمات وتعيين أجزاء الكلمة
تاريخ الإصدار الحالي	2010م
بيئة التشغيل	Windows - Linux - - Mac Os Solaris
لغة البرمجة	جافا (Java) – سي شارب (C#)

(4) مروان البواب، «منهج إعداد المعجم الحاسوبي للغة العربية،» تقديم حسان الطيان، ورقة قدمت إلى: الاجتماع الثاني لخبراء المعجم الحاسوبي التفاعلي للغة العربية.

ب - برنامج AraMorph

(<http://sourceforge.net/projects/aramorph/>)

الجهة المطورة للبرنامج	د. تيم بكوالتر (Tim Buckwalter) LDC, Penn
نوع البرنامج	مفتوح المصدر
وظائف البرنامج	التحليل الصرفي للكلمات
تاريخ الإصدار الحالي	2002م (النسخة 1.0)
بيئة التشغيل	Windows - Linux - - Mac Os Solaris
لغة البرمجة	بيرل (Perl) – جافا (Java)

ج- برنامج Arabic Stemmer

(http://zeus.cs.pacificu.edu/shereen/research.htm#stemming)

الجهة المطورة للبرنامج	د. شيرين خوجه
نوع البرنامج	مفتوح المصدر
وظائف البرنامج	استخلاص جذور الكلمات
تاريخ الإصدار الحالي	1999م
بيئة التشغيل	Windows - Linux - - Mac Os Solaris
لغة البرمجة	جافا (Java)

ملاحظات على هذه المحللات الصرفية

• العناوين المرفقة بكل مخرجة أغنى وأشـــمل في برنامج الخليل مقارنة بمحلل بكوالتر حيـــث يعطي برنامج الخليل على ســـبيل المثـــال جذر ووزن الكلمة المُحَللة في حين تغيب هذه العناوين الصرفية من محلل بكوالتر.

• يتميز برنامج الخليل عن محللي بكوالتر وخوجه بكونه يأخذ في الاعتبار وجود حركات التشـــكيل في الكلمات المدخلة. المثـــال أدناه لكلمات «فهم»

و«فهَم» و«فَهَمَّ» و«فِهَمَ» يجســد هذا التميُّز. ففي الحالات الأربع، يقدم محللًا بكوالتر وخوجه الحلول نفســها لكل حالة لأنهما يقومان أولًا بحذف حركات التشــكيل (إن وجدت) ثم بعد ذلك يعالجان الكلمة ويقدمان حلولًا تكون في بعض الحالات متناقضــة مع الكلمة المدخلة (انظر نتائــج تحليل كلمة «فِهَمَ» أدنــاه). في حين يأخذ برنامج الخليل حركات التشــكيل فــي الاعتبار ويعطي على التوالي أكثر مــن 30 و15 و26 و0 حلًا للكلمات «فهم» و«فهَم» و«فَهَمَّ» و«فِهَمَ» (انظر نتائج التحليل أدناه).

• نســبة دقة الجذور التي يقدمها محلل الخليل (في حدود 92 في المئة) تزيد بكثير على محلل خوجه (في حدود 85 في المئة).

• نعرض في الجدول أدناه نتائج اســتعمال هــذه المحللات الثلاث على الكلمات «فهم» و«فهَم» و«فَهَمَّ» و«فِهَمَ».

الكلمة المدخلة	برنامج الخليل الصرفي	برنامج AraMorph	برنامج Arabic Stemmer
فهم	أكثر من 30 مخرجة محتملة ومرفقة بعناوينها الصرفية. الجذور الممكنة: فهم - همم- هيم - وهم	7 مخرجات محتملة ومرفقة بعناوينها الصرفية مع إغفال الحركات الإعرابية ومن دون إعطاء الجذر والوزن	جذر وحيد وهو فهم
فهَم	15 مخرجة محتملة ومرفقة بعناوينها الصرفية. الجذور الممكنة: فهم - همم	مخرجات مطابقة للخانة السابقة لأنه لا يأخذ الاعتبار علامات التشكيل	مخرجات مطابقة للخانة السابقة لأنه لا يأخذ الاعتبار علامات التشكيل
فَهَمَّ	مخرجتان محتملتان مرفقتان بعناوينها الصرفية. الجذور الممكنة: همم	مخرجات مطابقة للخانة السابقة.	مخرجات مطابقة للخانة السابقة.
فِهَمَ	لا توجد حلول	مخرجات مطابقة للخانة السابقة.	مخرجات مطابقة للخانة السابقة.

خامسًا: التحليل النحوي لكلمات المدوّنة

يُعنى التحليل النحـوي بتحديد نوع الكلمة (أجزاء الكلام) حيث قسـم النحاة القدماء الكلام العربي إلى ثلاثة أقسـام هي: الاسم والفعل والحرف. ويعتبر نوع الكلمة من المعلومات الأساسـية التي يجـب إرفاقها بمدخلات المعجم[5] لـذا وجب القيـام بتحليل نحوي لكلمـات المدوّنـة التي تعتبر مصـدر مدخلات المعجم. للتمييـز في المدوّنة بين الكلمات التي ستشـكل المدخلات الأساسـية للمعجم وهي الأسـماء في صيغة المفرد والأفعال في صيغة الماضي، وباقـي الكلمات، يجـب تحديد خصائـص إضافية للكلمة كالعدد والجنس بالنسبة إلى الأسـماء والزمن والتعدي أو اللزوم بالنسبة إلى الأفعال.

نماذج من المحللات النحوية

أ- برنامج الخليل الآلي لوسم الكلام

الجهة المطورة للبرنامج	فريق المعالجة الآلية للغات الطبيعية، مخبر البحث في الإعلاميات جامعة محمد الأول المغرب
نوع البرنامج	مجاني
وظائف البرنامج	وسم أجزاء الكلام
تاريخ الإصدار الحالي	2012م
بيئة التشغيل	Windows - Linux - - Mac Os Solaris
لغة البرمجة	جافا (Java)

(5) البواب، «منهج إعداد المعجم الحاسوبي للغة العربية».

ب - برنامج أميرى (Amira)

الجهة المطورة للبرنامج	د. منى دياب ود. ياسين بن عجيبة جامعة كولومبيا
نوع البرنامج	مجاني
وظائف البرنامج	وسم أجزاء الكلام
تاريخ الإصدار الحالي	2011م
بيئة التشغيل	Linux
لغة البرمجة	بيرل (Perl)

ج - برنامج ستانفورد لوسم أجزاء الكلام

الجهة المطورة للبرنامج	جامعة ستانفورد
نوع البرنامج	مفتوح المصدر
وظائف البرنامج	وسم أجزاء الكلام
تاريخ الإصدار الحالي	2011
بيئة التشغيل	Windows - Linux - - Mac Os Solaris
لغة البرمجة	جافا (Java)

ملاحظات على هذه المحللات النحوية

• دقة برامج الوسم الآلي للكلام مرتبطة بعدد أجزاء الكلام المعتمدة (عدد العناوين الممكنة للكلمات)، حيث كلما ارتفع هذا العدد زاد حجم اللبس وهذا ينعكس سلبًا على دقة البرنامج.

• أجـزاء الكلام المعتمـدة من طـرف المحللات الثلاث غيـر متطابقة لذا يصعـب القيام بمقارنة موضوعيـة بينها ونكتفي بعـرض نتائج تحليل هذه المحللات على بعض الجمل وكتابة الكلمات التي أخطأت البرامج في تحليلها بالحرف المائل.

كلمات النص	برنامج الخليل	برنامج أميره	محلل ستانفورد
أول	*فعل مضارع مبني للمعلوم*	*فعل ماض مسند للمذكر الغائب*	*فعل ماض*
ما	اسم موصول	اسم موصول	اسم موصول
لفت	فعل ماض مبني للمعلوم	فعل ماض مسند للمذكر الغائب	فعل ماض
انتباهي	مصدر	اسم + ضمير المتكلم	*اسم علم*
إلى	حرف جر	أداة	*فعل ماض*
هذه	اسم إشارة	اسم إشارة مؤنث	اسم إشارة
الظاهرة	*اسم فاعل*	اسم معرف مؤنث مفرد	اسم معرف
و		حرف عطف	
ما	*اسم استفهام*	اسم موصول	*اسم نكرة*
تفرزه	فعل مضارع مبني للمعلوم	فعل مضارع مسند للمؤنث الغائبة + ضمير الغائب	*اسم نكرة*
من	*اسم موصول*	أداة	أداة
مفارقات	مصدر	اسم نكرة مؤنث مثنى أو جمع	اسم نكرة مثنى أو جمع
مشهد	اسم جامد	اسم نكرة	اسم نكرة
كان	فعل ماض مبني للمعلوم	فعل ماض مسند للمذكر الغائب	فعل ماض

يتبع

تابع

يتكرر	فعل مضارع مبني للمعلوم	فعل مضارع مسند للمذكر الغائب	فعل مضارع
في	حرف جر	أداة	أداة
أحد	اسم جامد	اسم نكرة	اسم نكرة
المقاهي	#	صفة معرفة	اسم معرف
في	حرف جر	أداة	أداة
عاصمة	*اسم فاعل*	اسم نكرة مؤنث مفرد	اسم نكرة
عربية	مصدر	صفة مفردة مؤنثة	صفة
،		علامة الترقيم	*صفة*
رجل	اسم جامد	اسم نكرة	اسم نكرة
يشبه	فعل مضارع مبني للمعلوم	فعل مضارع مسند للمذكر الغائب	فعل مضارع
من	اسم موصول	أداة	أداة

سادسًا: الفهرسة الآلية للنصوص

تهدف آلية فهرسة النصوص إلى تحليل الكلمات لوحدات معجمية متفرعة عنها مثل الجذع والفرع والجذر[6]. تمكن هذه العملية من إدارة النصوص عبر حصر التراكيب والسياقات التي ترد فيها المفردات وإعادة تشكيلها في قواعد بيانات منتظمة. ويسهّل هذا الأمر لاحقًا عملية البحث في النصوص حيث يتيسر بعد ذلك معرفة مدى شيوع الكلمات والسياقات المرتبطة بها إضافة إلى العلاقات الممكنة بينها (مثلًا البحث عن كلمات النص المشتقة من الجذر نفسه).

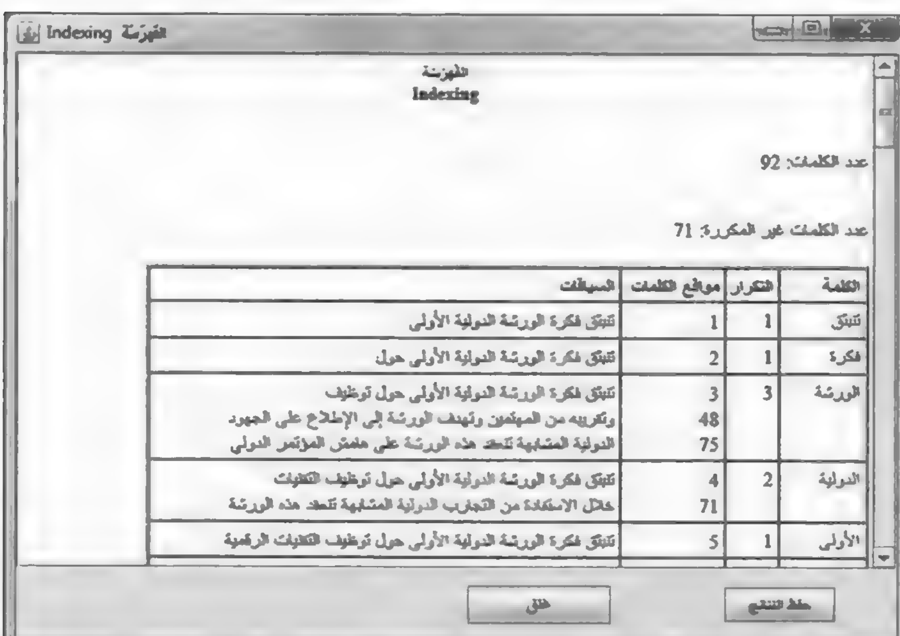
(6) السعيد، «مدوَّنة معجم تاريخي للغة العربية».

نماذج من المفهرسات الآلية

أ- مفهرس الخليل الآلي (http://sourceforge.net/projects/alkhalil/)

الجهة المطورة للبرنامج	فريق المعالجة الآلية للغات الطبيعية، مختبر البحث في الإعلاميات جامعة محمد الأول المغرب والدكتور المعتز بالله السعيد وبرعاية منظمة الألكسو ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض
نوع البرنامج	مفتوح المصدر
وظائف البرنامج	فهرسة النصوص وحصر سياقات المفردات والبحث بالكلمة والبحث بالجذر
تاريخ الإصدار الحالي	2010م
بيئة التشغيل	Windows - Linux - - Mac Os Solaris
لغة البرمجة	جافا(Java) – سي شارب (C#)

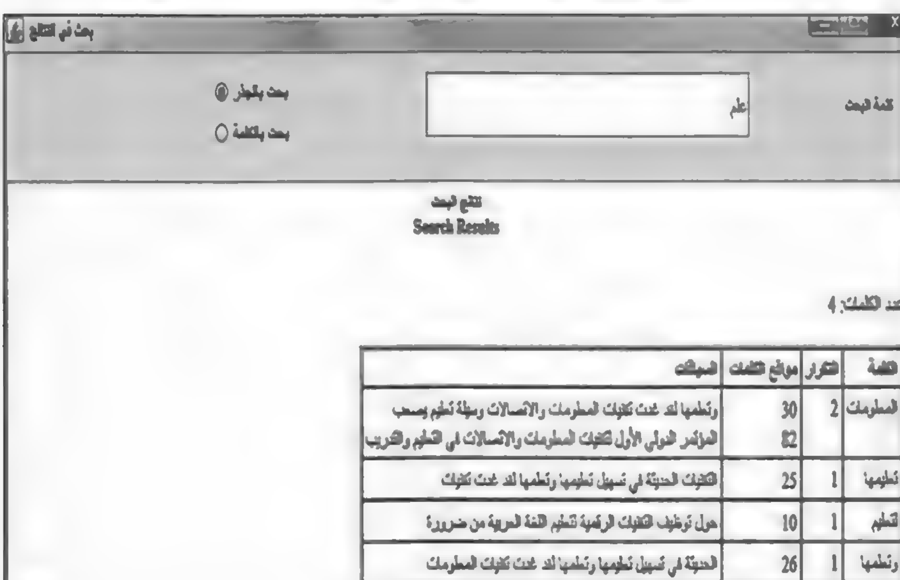
الشكل (13-1)
نموذج من واجهة الفهرسة لبرنامج الخليل



الشكل (13-2)
نموذج من واجهة البحث بالكلمة لبرنامج الخليل



الشكل (13-3)
نموذج من واجهة البحث بالكلمة لبرنامج الخليل



ب – المفهرس الآلي aConCorde

(http://www.andy-roberts.net/software/aConCorde/)

الجهة المطورة للبرنامج	روبرت أندرو (Roberts Andrew) – جامعة ليدز المملكة المتحدة
نوع البرنامج	مفتوح المصدر
وظائف البرنامج	الفهرسة الألفبائية للنصوص وحصر سياقات المفردات والبحث بالكلمة
تاريخ الإصدار الحالي	2008 (النسخة 0.4.2)
بيئة التشغيل	Windows - Linux - - Mac Os Solaris
لغة البرمجة	جافا (Java)

الشكل (13-4)

نموذج من واجهة الفهرسة والبحث بالكلمة لبرنامج aConCorde



ج – المفهرس الآلي Concordance (http://www.concordancesoftware.co.uk)

الجهة المطورة للبرنامج	مجموعة R.J.C. Watt – المملكة المتحدة
نوع البرنامج	مغلق المصدر
وظائف البرنامج	الفهرسة الألفبائية للنصوص وحصر سياقات المفردات
تاريخ الإصدار الحالي	2009م (النسخة 3.3)
بيئة التشغيل	Windows - Linux - - Mac Os Solaris
لغة البرمجة	برنامج تنفيذي

ملاحظات على المفهرسات الآلية

في وقت تشترك فيه المفهرسات الثلاث في عملية فهرسة النصوص وحصر سياقات المفردات والبحث بالكلمة، يتميز مفهرس الخليل الآلي بتوفره على آلية للبحث بالجذر حيث يحدد عند إدخال جذر ما كلمات النص كلها التي اشتُقت منه (انظر الأمثلة أعلاه).

خاتمة

تسمح البرامج الحاسوبية المعروضة في هذا العمل بمواكبة عملية جمع المادة اللغوية للمدونة المعجمية وتصحيحها ووسمها بالمعلومات الصرفية والنحوية إضافة إلى فهرستها. وهي مهمات حيوية في إعداد المدوّنة تمكن البرامج الحاسوبية من إنجازها في وقت قياسي يوفر كثيرًا من الجهد اليدوي وإن كانت لا تستغني عن التدقيق والتمحيص من اللغويين في مرحلة لاحقة.

كما أن عملية جمع مادة المدوّنة تستدعي استخدام برامج لإدارة

قواعد المعطيــات (DATA Base System Management) مــن أجل تدبير وترتيب المعلومات المستخلصة منها من قبيل مصدر الوثيقة وتاريخها ومؤلفها.

ختامًا، تجب الإشارة إلى أن من بين المعالجات الآلية التي يمكن إعمالها على المدوّنات المعجمية آلية التحليل الدلالــي التي تهدف إلى تحديد معاني الكلمات آليًا بالنظر إلى سياقاتها. وبما أن الأبحاث في هذا المجال ما زالت في بدايتها بالنسبة إلى اللغة العربية ارتأينا عدم التفصيل في هذا الباب.

فهرس عام

- ح -

هذا الكتاب

يعتقد كثيرون أن اللغة العربية هي الإبداع الأبعد أثرًا في تاريخ العرب القديم والوسيط، وهي، لا ريب في ذلك، إحدى أهم الركائز الحضارية للعرب على الرغم من التراجع المتمادي للحضارة العربية منذ سقوط بغداد في سنة 1258 ميلادية. وقد ظهر، حتى في ما يسمى "عصر الانحطاط"، جهد معجمي كبير مثل **لسان العرب** لابن منظور، و**القاموس المحيط** للفيروزأبادي، و**تاج العروس** للزبيدي، الأمر الذي يشير إلى مركزية اللغة في الحياة العربية. وفي هذا الميدان المعرفي تراكم بالتدريج جهد جبار لتحديث هذه اللغة وإخراجها من الوهن الذي أصابها طوال عهود، لكنها ما برحت تعاني القصور المعجمي قياسًا على اللغات العالمية الحية كالإنكليزية على سبيل المثال. وهذا الكتاب الذي قدم له الدكتور عزمي بشارة وساهمت فيه مجموعة من الباحثين اللغويين من لبنان وسورية والمغرب وتونس وموريتانيا ومصر والأردن والسعودية، يُضاف إلى كتب أخرى مثل **اللغة والهوية** ليجعل هذه المسألة من الشواغل الفكرية الرئيسة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

المؤلفون المساهمون

بسام محمود بركة
حامد السحلي
حسن حمزة
رشيد بلحبيب
عبد الحق لخواجة
عبد الرزاق بنور
عبد العزيز بن حميد الحميد
عبد العلي الودغيري
عبد المجيد بن حمادو
عبد المحسن بن عبيد الثبيتي
عز الدين البو شيخي
عز الدين مزروعي
عودة خليل أبو عودة
محمد رقاس
محمد العبيدي
محمد ولد عبد الله ولد بباه
المعتز بالله السعيد طه

السعر: 16 دولارًا
ISBN 978-9953-0-2984-9
9 789953 029849

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies